الإحاطة
في أخبار غرناطة

للسان الدين
أبي عبد الله محمد بن الخطيب

القسم الرابع

مراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي

دار الأمل للدراسات

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني

لترقية الفنون والآداب

Cet ouvrage a été publié avec le soutien du Ministère de la Culture, dans le cadre du Fonds National pour la Promotion et le Développement des Arts et des Lettres.

دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع

شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر

هاتف وفاكس: 29 78 35 21 0

الإيداع القانوني: 2349 - 2009

ردمك: 6 - 35 - 858 - 9961 - 978

بســم الله الرحمن الرحيــم

محمد بن يوسف

ابن خلصون؛ يكنى أبا القاسم؛ روطي الأصل لوشيه؛ [1]
سكن لوشة وغرناطة ومالقة.

حاله

كان من جلة المشيخة وأعلام الحكمة، فاضلا، منقطع القرين في المعرفة بالعلوم العقلية، متبحراً في الإلهيات، إماماً في طريقة الصوفية، من أهل المقامات والأحوال، كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، كثير الحلاوة والطلاوة، قايما على القرآن، فقيهاً أصولياً، عظيم التخلق، جميل العشرة، انتقل من **حصن روطة** إلى الخطابة والإمامة **بلوشة**، كثير الدؤوب على النظر والخلوة، مقصوداً من منتحلي ما لديه ضرورة. لم يتزوج، وتمالأت عليه طايفة ممن شأنها الغض من مثله، فانزعج

[1] روطيّ: نسبة إلى بلدة روطة أو روضة Rueda. وهي بلدة صغير تتقع على المحيط؛ بالقرب من ثغر شلوة San Lucar؛ شمال مدينة شريش. ولا علاقة لها بروطة التابعة لسرقسطة. أما لوشة فقد سبقت الإشارة إليها، وهي تابعة لغرناطة.

من **لوشة** إلى **مالقة**، فتحرف بها بصناعة الطب، إلى حين [1] وفاته.

حدثني والدي، وكان خبيراً بأحواله، وهو من أصحاب أبيه، قال: أصابت الناس شدة قحط، وكانت طايفة من أضداده تقول كلاماً مسجعاً، معناه، إنكم إن أخرجتم **ابن خلصون** من بينكم، مطرتم. قال: فانزعج عنها. ولّما [كان على أميال] [2]، نزل الغيث الرغد، قال فسجد بموضعه ذلك، وهو معروف؛ وقال: سيدي، وأساوي عندك هذا المقدار. وأوجب شكراناً. وقدم **غرناطة**، وبها الأستاذ **أبو عبد الله الرقوطي**، وله استيلاء على الحظوة [3] السلطانية، وشأنه اختبار من يرد على الحضرة، ممن يحمل فناً، وللسلطان على **ابن خلصون** موجدة، لمدحه في حداثته، أحد الثوار عليه **بقمارش** [4]، بقصيدة شهيرة. فلما حضر، سأله الأستاذ ما صناعتك،

---

[1] في الإسكوريال: ((حال)). وصححت من الزيتونة.
[2] في الزيتونة: ((ولما خرج أميالا)).
[3] نفسه: ((الحضرة)).
[4] قمارش Comares: بلدة من أعمال مقاطعة مالقة؛ تقع إلى الشمال منها على سفح جبل الثلج (سييرا نيفادا).

فقال التصوف، فالتفت إلى السلطان وقال: هذا رجل ضعيف لا شيء لديه، بحيث لا يفرق بين الصناعة وغيرها، فصرفه رحمه الله.

توالیفه

وتواليفه كثيرة، تدل على جلالته وأصالة معرفته، تنطق علماً وحكمة، وتروق أدباً وظرفاً فمن ذلك كتابه في **((المحبة))**، وقفت عليه بخط جدي الأقرب **سعيد**، وهو نهاية. وكتاب ((**وصف السلوك إلى ملك الملوك**))، عارض به معراج الحاتمي، فبان له الفضل، ووجبت المزية، و((**رسالة الفتق والرتق، في أسرار حكمة الشرق**)).

شعره

من ذلك قوله [1]:

هــل تعلمــون مصــارع العشاق
عنــد الوداع بلوعــة الأشــواق

[1] **البحر الكامل.**

والبين يكتـــب من نجيـــع دمايهم
إن الشهيـــد لمن يمـــت بفـــراق
لو كنت شاهد حالهـــم يوم النـــوى
لرأيـــت ما يلقـــون غير مطـــاق
منهـــم كئيـــب لا يمـــل بكـــــاؤه
قـــد أغـــرقتـــه مدامـــع الآمـــاق
ومحـــرق الأحشـــاء أشعـــل ناره
طـــول الوجيـــب بقلبـــه الخفـــاق
ومـــولـــه لا يستطيـــع كلامـــه
مما يقاسي في الهـــوى ويـــلاق[1]
خرس اللسان فما يطيق عبـــارة
ألـــم المـــرور ومالـــه مـــن راق
ما للمحـــب من المنـــون وقايـــة
إن لـــم يغثـــــه حبيبـــه بتـــلاق

---

[1] أضـاف د. طويـل اليـاء؛ فغدت: ((ويـلاقي)).

مــولاي عبــدك ذاهب بغرامه
فادرك بوصلك مــن دماه البــاق[1]
إنــي إليــــك بذلــتي متوســل
فاعطــــف منــــك أو إشفــــاق

ومن شعره أيضاً [2]:

أعــد الحديث إذا وصفــت جماله
فبـــــه تهيــج للمحــب خيالــه
يا واصف المحبوب كرر ذكــره
وأدر عــلى عشاقــــه جريالــه
فبذكر من أهوى وشرح صفاتــه
لذ الحديــث لمسمــعي وخلالــه
طاب السمــاع بوصفه لمسامــعي
وقررت عيناً مذ لمحــت هلالــه
قلــبي يلــذ ملامــة في حبـــه
ويرى رشـــاداً في هواه ضلالــه

[1] جعلها: د. طويل: ((الباقي)).
[2] البحر الكامل.

يا عــاذلي أو ما تــرق لسامــر
سمــع الظــلام أنينــه فرثا لــه

ومــن شعــره أيضــاً[1]:

إن كنــت تزعــم حبنــا وهوانا
فلتحملــــن مذلـــة وهــوانــا
فاسجر لنفسك إن أردت وصالنــا
واغصب عليها إن طلبت رضانا
واخلع فؤادك في طلاب ودادنــا
واسمح بموتــك[2] إن هويت لقانــا
فإذا فنيت عن الوجــــود حقيقــة
وعن الفنــاء فعنــد ذاك ترانــا
أو ما علمت الحــب فيه عبـــرة
فاخلص لنا عن غيرنــا وسوانــا
وابذل لبابــك إن وقفــت ببابنــا
واتــرك حمــاك إذا فقدت حمانــا

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] في الزيتونـة: ((بنفسـك)).

ما لعلــع[1] ما حاجــر مــا رامــة
مــا ريــم أنس يسحــر الأذهانــا
إن الجمــال مخيـــم بقبابنـــا
وظبـــاؤه محجــوبــة بظبانــا
نحــن الأحبــة من يلــذ بفنايـنــا
نجمــع له مع حسننــا إحسانـــا
نحن الموالي فاخضعن لعزنا لنــا[2]
إنا لندفــع في الهــوى من هانــا
إن التــذلــل للتدلـــل سحــــر
فأخلــد إلينــا عــاشقــاً ومهانــا
واصبر على ذل المحبة والهــوى
واسمــع مقالــة هايــم قــد لانــا
نون الهوان من الهوى مسروقــة
فــإذا هويت فقــد لقيــت هوانــا

[1] لعلـع هنـا: السـراب.
[2] حـذف د. طويـل: ((لنـا))؛ فيقيـت: ((لعزنـا)).

ومن لطيف كلامه [ورقيق شعر هي] [1]:

لـــو خيـــال من حبيـــبي طرقـــا
لم يدع دمـــعي بخـــدي طرقـــا
ونسيـــم الريـــح منـــه لو ســـرى
بشـــــذاه لأزال الحـــــرقـــــا
ومتى هبت عليـــلات الصبـــــا
صح جســـمي فهـــن[2] لي نفث رقا
عجباً يشكو فـــؤادي في الهـــوى
لهـــب النـــار وجفنـــي الفرقـــــا
يا أهل[3] الحي لـــي فيكـــم رشـــا
لم يدع لـــي رمقـــاً مـــذ رمقـــا
بـــدر تـــــم طالـــــع أثمـــــره
غصـــن بـــان تحتـــه دعص نقـــا
راق حسنـــاً وجمـــــالا مثلمـــا
رق قلـــبي فـــي هـــواه ورقـــــا

[1] هذه الإضافة من الزيتونة. والقصيدة من بحر الرمل.
[2] جعلها د. طويل: ((فـهي)).
[3] جعلها د. طويل: ((يـا أهيل)).

[أنسى[1] الشمـــس ضيــاه ذهبـــــاً

وكـــسى البـــدر سنـــاه ورقـــــا][2]

حلـــل الحســـن عليـــه خلعـــــت

فارتداهـــا ولهـــا قـــد خلقـــــا

ومـن شعـره [3]:

دعوت من شفتي رفقا على كبدي

فقـــال لـي خلق الإنسان في كبـــد

قلت الخيال ولو في النوم يقنعـــني

فقال قد كحلـــت عينـــاك بالسهـــد

فقلت حســـبي بقلـــبي في تذكـــره

فقال لـي القلب والأفكار ملك يدي

قلت الوصال حياتي منك يا أمـــلي

قال الوصال فراق الروح للجســـد

---

[1] **جعلهـا د. طويـل: ((أنَّـسَ)).**
[2] **سقـط هـذا البيـت في الزيتونـة.**
[3] **البحـر البسيـط.**

فقلت أهلاً بمـــا يرضى الحبيب به

فإن قلـــبي لا يلـــوي على أحـــد

ومـن أقوالـه الصوفيـة ، وكلهـا تشيـر إلـى ذلـك [المعـنى [1]]:

ركبنا مطايـــا شوقنا نبتغي السرى

وللنجم قنديـــل يـــضـيء لمن سرا

وعين الدجا قد نام لم يدر ما بنـــا

وأجفاننا بالسهـــد لم تطعم الكـــرا

إلى أن رأينا الليـــل شاب قذالـــه

ولاح عمود الفجر غصناً منـــورا

لمحنا برأس البعـــد ناراً منيـــرة

فسرنا لهـــا نبـــغي الكرامة والقرا

وأفضى بنا السير الحثيث بسحرة

لحانـــة ديـــــر بالنواقـــس دورا

فلما حللنـــا حبـــوة السير عنـــده

وأبصرنـــا القسيـــس قـــام مكبرا

---

[1] **سقطت هـذه الكلمـة في الزيتونـة. والقصيـدة الموالـيـة مـن البحـر الطويـل.**

[وحرك ناقوســاً له أعجــم الصدا
فأفصح بالسر الذي شاء مخبــرا][1]
وقال لنا حطوا حمدتــم مسيركــم
(وعند الصباح يحمد القوم السرى)[2]
نعمتم صباحاً ما الذي قد أتى بكم
فقلنــــا لـــه إنـــا أتينـــاك زورا
وراحتنا في الراح إن كنت بايعــاً
فإن لدينــا[3] فيـــه أربح مشتــرى
فقـــال لكم عنـــدي مـــدام عتيقة
مخلـــدة مـــن قبـــل آدم أعـــصرا
مشعشعة كالشمس لكن تروحنـــت
وجلت عن التجسيم قدماً فلا ترى

[1] سقط هذا البيت في الزيتونـة.
[2] يُذكـر: أن أول قائـل لهذا المثـل هـو سيـف الله خالـد بـن الوليـد؛ ـ ففي قـول ـ بعد قطعه بجيشه للمفـازة المهلكـة بيـن العـراق والشـام؛ وقـول آخـر؛ المفـازة بيـن اليمامـة والعـراق. حيـث أشـار عليـه رافـع الطـائي بـرأي؛ فأخـذ بـه ونجـح بعد صبـر ومثابـرة؛ فقـل:
للــه در رافـــع أنَّى اهْتَـدَى * فوز مـن قراقـر إلى نَـوى
خَمْسًا إذا سَار بـه الجيـش بَكى * ما سَارَها قبْلك إنْسِيّ يُـرى
عند الصباح يَحْمَد القوم السُّرى * وتَنجلي عنـهم عيابات الكَرى
[3] في الزيتونـة: ((لنـا)).

وحل لنا في الحين ختـــم فدامهـــا
فأسدى لنـــا مسكاً فتيقاً وعنبـــرا
وقلنا من الســـاقي فلاح بوجهـــه
فأدهــــــش ألباب الأنـــام وحيـــرا
وأشغلنـــا عـــن خمـــره بجمالـــه
وغيبنا سكـــراً فلم نـــدر ما جـــرا

ومن شعره في المنى [1]:

يا نايمـــاً يطـــلب الأسرار إسراراً
فيك العيـــان ونبـــغي بعد آثـــارا
أرجع إليـــك ففيك الملك مجتمـــع
والفلك والفلك العلـــوي قـــد دارا
أنت المثال وكرسي الصفات فتـــه
على العوالـــم إعلانـــاً وإســـراراً
والطـــور والدر [2] منثوراً وقد كتبت
أقـــلام قدرتـــه في اللوح آثـــارا

---

[1] البحر البسيط.
[2] في الإسكوريال: ((والرق)).

والبيت يعمره سر الملايـــك فـــي

مشكاة قلبك قد أسرجـــن أنـــوارا

ورفـــع اللـــه سقفاً أنـــت تسكنـــه

سمـــاؤه أطلعـــت شهباً وأقمـــاراً

وبحر فكرك مسجـــور بجوهـــره

فغص به مخرجـــاً للدر أســـرارا

فإن رأيت [بوادي القدس][1] نار هـــدى

فاثبت فنورك فيها مـــازج النـــارا

واخلع لسمع الندا نعليك مفتقـــرا

إلى المنادي تنـــل عزاً وإكبـــاراً

وغب عن الكون بالأسماء متصفا

واطلب من الكل رب الدار لا الـــدارا

ومن ذلك في هذا المعنى [2]:

أطالب ما في الروح من غامض السر

وقارع باب العلم من عالم الأمـــر

---

[1] في الزيتونـة: ((بالقدس)).
[2] البحـر الطويـل.

عرضت لعلم أبهم الشـــرع بابـــه
لكل جهـــول لحقائـــق لا يـــدري
ولكن خبيـــرا قد سألـــت محققـــا
فدونك فانظم ما نثرت من الـــدر
وبيـــن يدي نجـــواك قدم وسيلـــة
تقى الله واكتم ما فهمت من الســـر
ولا تلتفـــت جسمـــا ولا ما يخصه
من الحس والتخييل والوهم والفكر
وخـــذ صـــورة كلية جوهريـــــة
تجل عن التمييز[1] بالعكس والسبر
ولكن بمـــرآة اليقيـــن تولـــــدت
وليست بذاتي إن سألت ولا غيـــر
كذلـــك لم تحدث وليست قديمـــة
وما وصفت يوماً بشفع ولا وتـــر
ولكن بذات الذات كان ظهورهـــا
إذا ما تبدت في الدجا غـــرة الفجر

[1] في الزيتونـة: ((التحسيس)).

ومن هذا الغرض قوله [1]:

مشاهـــدتي مغناك يا غايتي وقت
فما أشتـــكي بعداً وحبك لي نعت
مقامي بقـــايي عاكفـــاً بجمالكـــم
فكل مقـــام في الحقيقـــة لي تحت
لئن حالت الأحـــول دون لقايكـــم
فإني على حكم المحبـــة ما حلت
وإن كان غيري في الهوى خان عهده
فإني وأيم اللـــه عهدي ما خنـــت
وما لـــي رجـــاء غير نيل وصالكم
ولا خوف إلا أن يكون له فـــوت
نعم إن بدا من جانب الأنس بارق
يحركـــني بسط به نحوكم طـــرت
ومهما تذكـــرت العتـــاب يهـــزني
لهيبتكم[2] قبض يغيـــب به النعـــت

[1] البحر الطويل.
[2] في الزيتونة: ((لطيبتكم)).

تواجدت حتى صار لي الوجد مشربا
ولاح وجــود للحقيقــة إذ غبــت
فها أنا بين الصحو والمحو دايــر
أقول فلا حرف هناك ولا صـــوت
قصـــودي إليكم والورود عليكـــم
ومنكم سهودي والوجود إذا عدمت[1]
وفي غيبــتي عني حضوري لديكم
وعند امتحان[2] الرسم والمحو أثبت
وفي فرقتي الباني بحق جمعتــني
وفي جمع جمعي في الحقيقة فرقــت
تجليته[3] لي حتى دهشـــت مهابـــة
ولما رددت اللحظ بالسر لي عشت
موارد حـــق بل مواهـــب غايـــة
إذا ما بدت تلك البوادة لي تهــت

[1] **جعلها د. طويل: ((عدت)).**
[2] **في الإسكوريال: ((امتحا))؛ وصححت من الزيتونة.**
[3] **جعلها د. طويل: ((تجليت)).**

لوايـــح أنـــوار تلـــوح وتختـــفي[1]

ولكن وميض البرق ليـــس له ثبت

ومهما بدت تلك الطوالع أدهشت

وإن غيبت تلك اللوامـــع أظلمـــت

وهيهات هيبات الجـــلال تـــردني

وعند التجـــلي لا محالة دكدكـــت[2]

نسفن جبـــالي فهي قاعٌ صفصفٌ[3]

وليـــس يرى فيهن زيغ ولا أمـــت

ولي أدمع أججـــن نار جوانـــحي

ولي نفـــس لولاه من حبكم ذبـــت

ألا فانظروا قلب العيـــان حقيقـــة

فنايي ووجودي[4] والحياة إذا مـــت

مراتب في التلويـــن نلـــت جميعها

وفي عالم التمكين عن كلها بنـــت

---

[1] في الإسكوريـال: ((واختـفى)). وصوبـت مـن الزيتونـة.

[2] في الزيتونـة: ((تكدكـدت)).

[3] أضـاف د. طويـل واو العطـف؛ فأضحـت: ((وصفصـف)).

[4] حـذف د. طويـل واو العطـف؛ فغدت: ((وجـودي)).

وعند قيامي عن فنـــايي وجدتكـــم
فلا رتبة علويـــة فـــوق ما نلـــت
ورود وشـــرب ثـــم لا أرى بعده
لين كنت أروى مـــن شرابك لا كنت
شربت أكـــواس[1] الوجود مدامـــة
فلست أجلي عن ورود متى شبت
وكيف وأقـــداح العوالـــم كلهـــــا
ولكني[2] من صاحب الدير أسكرت
تعلـــق قـــوم بالأوانـــي وإنـــني
جمال المعاني لا المغاني علمـــت
وأرضعت كأساً لم تدنس بمزجهـــا
وقد نلتها صرفاً [فيا لعمري][3] ما ضعت
شراب بها الأبرار طاب مزاجهـــم
وأرضعتها صرفـــاً لأني قربـــت

---

[1] **جعلهـا د. طويـل: ((كئــاس)).**
[2] **جعلهـا د. طويـل: ((ولكنـنـي)).**
[3] **حـذف د. طويـل كلمة ((لنـا))؛ وبقيـت لعمـري)).**

بهـــا آدم نال الخلافـــة عندمـــــا
تبدت له شمساً لها نحـــوه سمـــت
ونجـــت لنـــوح حين فر لفلكـــــه
ومن بان عن أســـرارها عمد الموت[1]
وقد أخمدت نار الخليـــل بنورهـــا
وكان لموسى عن أشعتهـــا بهـــت
وهبت لروح اللـــه روح نسيمهـــا
فأبصره الأعمى وكلمـــه الميـــت
وسار بها المختار سيـــري لربـــه
إلى حيث لا فوق هنـــاك ولا تحت
هنياً لمن قـــد أسكرتـــه بعرفهـــا
لقد نال ما يبـــغي وساعده البخت

ومن نثر الأستاذ الجليل **أبي القاسم بن خلصون** المترجم به، قوله من رسالة: وصلني أيها الإبن النجيب، المخلص الحبيب، كتابك الناطق بخلوص ودك، ورسوخ عهدك، وتلك سجية لايقة بمجدك، وشنشنة تعرف من

[1] **جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((ومن بان عن أسرارها لي عمد الموت)).**

والدك وجدك، وصل الله أسباب سعدك، وأنهض عزم جدك، بتوفيق جدك، وبلغك من مأمولك، أقصى قصدك، فلتعلم أيها الحبيب أن جناني ينطوي لكم أكثر مما ينشره لساني. فإني مغرى بشكركم وإن أعجمت، ومفصح بجميل ذكركم وإن جمجمت، لا جرم أن الوقت حكم بما حكم، واستولى الهرج فاستحكم، حتى انقطعت المسالك، وعدم الوارد والسالك، وذلك تمحيص من الله جار على قضية قسطه، وتقليب لقلوب عباده بين إصبعي قبضه وبسطه، حين مد على الخليقة ظل التلوين، ولو شاء لجعله ساكناً، ثم جعل شمس المعرفة لأهل التمكين، عليه دليلا باطنا، ثم قبض كل الفرق عن خاصيته قبضاً يسيراً، حتى أطلع عليهم من الأنس بدراً منيراً وإلى ذلك يا بني فإني أحمد الله تعالى إليك على تشويقه إياك إلى مطالعة كتب المعارف، وتعطشك للورود على بحر اللطايف. وإن الإمام **أبا حامد** [1] رحمه الله، لمن أحرز

[1] **هو حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي؛ ولد في مدينة طوس الفارسية في حدود 450 هـ/1058م؛ وتوفي بها سنة 505 هـ/1111م.**

خصلها، وأحكم فرعها وأصلها، لا ينكر ذلك إلا حاسد، ولا يأباه إلا متعسف جاحد. هذا وصفه، رحمه الله، فيما يخصه في ذاته. وأما تعليمه في تواليفه، وطريقه التي سلكها في كافة تصانيفه؛ فمن علمائنا رضي الله عنهم، من قال إنه خلط النهاية بالبداية، فصارت كتبه أقرب إلى التضليل منها إلى الهداية، وإن كان لم يقصد فيها إلا النفع، فيما أمه من الغرض، فوجد في كتبه الضرر بالعرض، وممن قال بهذا الفقيه الحكيم **أبو بكر بن الطفيل** [1]. قال: وأما **أبو حامد**، فإنه مضطرب التأليف، يربط في موضع، ويحل في آخر، ويتمذهب بأشياء، ويفكر بها، مثل أنه كفر الفلاسفة باعتقادهم أن المعاد روحاني، وإنكارهم حشر الأجساد. وقد لوح هو بأن ذلك مذهبه في آخر كتاب الجواهر والأربعين وخرج بأنه معتقد كبار الصوفية، في كتاب آخر، وقال إن معتقده كمعتقدهم، وأنه وقع على ذلك بعد بحث طويل وعناء شديد. قال، وإنما كلامه في كتبه، على نحو تعليم

[1] في الزيتونة: ((ابن طفيل))؛ وهو الشائع. وقد ترجم له ابن الخطيب في ما سبق.

الجمهور. وقد اعتذر **أبو حامد** نفسه عن ذلك في آخر كتاب **ميزان العمل**، على أغلب ظني، فإن لي من مطالعة الكتب مدة. قال: ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث، يعني التقليد، فإنه من لم يشك، لم ينظر، ومن لم ينظر، لم يبصر، ومن لم يبصر ففي العمى والحيرة. ثم تمثل بقول الشاعر [1]:

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت بـــه
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وذلك أنه قسم آراءه إلى ثلاثة: رأي يجاب به كل مسترشد سايل، بحسب سؤاله، وعلى مقدار فهمه. ورأي يجاب به الخاصة، ولا يصرح به للعامة. ورأي بين الإنسان وبين نفسه، لا يطلع عليه إلا من شريكه في اعتقاده. وأما الفقيه الفاضل **أبو الوليد بن رشد** رحمه الله، فإنه بالغ في ذلك مبالغ عظيمة، وذلك في كتابه الذي وصف فيه **مناهج أدلة المتكلمين**، فإنه لما تكلم على طرق **الأشعرية**

[1] **البحر البسيط.**

والمعتزلة، والفلاسفة، والصوفية، والحشوية، وما أحدثه [1] المتكلمون من الضرر في الشريعة بتواليفهم، انعطف فقال: وأما أبو حامد، فإنه طمّ الوداي على القرى، ولم يلتزم طريقة في كتبه، فنراه مع **الأشعرية** أشعرياً، ومع **المعتزلة**، معتزلياً، ومع الفلاسفة فيلسوفاً، ومع الصوفية، صوفياً، حتى كأني به [2]:

يوماً يمانٍ إذا لاقيت ذا يمن
وإن لقيت معدياً فعدنان

ثم قال: والذي يجب على أهل العلم، أن ينهوا الجمهور عن كتبه، فإن الضرر فيها بالذات، والمنفعة بالعرض. قال: وإنما ذلك لأنه صرح في كتبه بنتائج الحكمة، دون مقدماتها، وأفصح بالتأويلات التي لا يطلع عليها إلا العلماء، الراسخون في العلم، وهي التي لا يجوز أن تؤول للجمهور، ولا أن تذكر في غير كتب البرهان. وأنا أقول إن كتبه في الأصلين؛ أعني أصول

[1] في الإسكوريال: ((وما أخذته))؛ والتصويب من الزيتونة.
[2] البحر البسيط.

الدين، وأصول الفقه. في غاية النبل والنباهة، وبسط اللفظ، وحسن الترتيب والتقسيم، وقرب المسائل. وكذلك كتبه الفقيهة والخلافية والمذهبية، التي ألفها على مذهب الشافعي، فإنه كان شافعي المذهب، في الفروع. وأما كتبه التي ذهب فيها مذهب التصوف، فهي التي يوجد فيها ما ذكر من الضرر بالعرض. وذلك أنه بنى الأكثر من الاعتقادات فيها على ما تأدى إلى فهمه من مذاهب الفلاسفة، ونسبها إلى المتصوفة. وقد نبه على ذلك الفقيه الجليل **أبو بكر الطرطوشي** [1] في كتابه الذي سماه **بمراقي العارفين**. قال: وقد دخل على السالكين ضرر عظيم من كتب هذا الرجل **الطوسي** [2]، فإنه تشبه **بالصوفية** ولم يلحق بمذاهبهم، وخلط مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم، حتى غلط الناس فيها. على أنني أقول إن باعه في الفلسفة كان قصيراً، وإنه حذا حذو الشيخ **أبي علي بن سينا**؛ في

---

[1] هو فقيه ومفكر سياسي واجتماعي. ولد بطرطوشة من أعمال الثغر الأعلى سنة 451 هـ/1059م؛ وزاول تعليمه الأوّلي في سرقسطة، ثم انتقل إلى المشرق؛ حيث التقى عدد كبير من علمائه، وأخذ عنهم؛ وبعدها استقر في الإسكندرية. وكانت وفاته سنة 520هـ/1127م. ومن أشهر مؤلفاته كتاب ((سراج الملوك)).

[2] يقصد الإمام الغزالي؛ وهو من مدينة طوس.

فلسفته التي نقلها في المقاصد، ومنطقه الذي نقله في **معيار العلم**، لكن قصر عنه. وتلك الاعتقادات، منها حق ومنها باطل، وتلخيصه لا يتأتى إلا لصنفين من الناس، أعني أهل البرهان وأهل المكاشفة، فبحسب ذلك تحتاج كتبه إلى تقدمة علوم البرهان، أو رياضة أهل المكاشفة. ولذلك صنف هو **معيار العلم**؛ وليكون الناظر في كتبه يتقدم؛ فيتعلم منه أصناف البرهان؛ فيلحق بأهل البرهان. وقدم أيضاً تصنيف "**ميزان العمل**"؛ ليكون المرتاض فيه؛ وبه يلحق بأهل المكاشفة. وحينئذ ينظر في ساير كتبه. وهذه الرسالة طويلة، تكلم فيها على كتب **أبي حامد الغزالي** رحمه الله، بما يدل على تفننه، وعلى اضطلاعه، رحمه الله.

***

ومن الغرباء في هذا الاسم

***

محمد بن أحمد

ابن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل بن يوسف العراقي ثم الخلاطي ثم الأقشري الفارسي؛ وينعت من النعوت المشرقية بجلال الدين؛ من بلاد فارس

حاله

كان من الصوفية المتجردين من المال والعيال، ذا وقار وتودة، وسكون ومحافظة على ظاهره. أكثر في بلاد **المشرق** من الأخذ عن الشيوخ المحدثين والمتصوفين، ثم قدم **المغرب**، فاستوطن بعض بلاده، ثم أجاز البحر إلى **الأندلس** عام أربعة وسبعماية [1]، وأخذ عمن بها من الشيوخ، ودخل **غرناطة**. وكان **شافعي** المذهب، يشارك في قرض الشعر.

مشيخته

أخذ عن **أبي مروان عبد الملك الشريشي بفاس**، وعن **أبي بكر محمد بن محمد بن قسي المومياني**، ولبس

---

[1] **الموافق لـ 1304م.**

الخرقة الصوفية من جماعة **بالمشرق، وبالمغرب**، منهم الإمام **أبو إبراهيم الماجري**، عن **أبي محمد صالح**، عن **أبي مدين**.

تواليفه

أخذ عنه تاليفه في نحو اللغة **الفارسية**، وشرح ألفاظها. قال شيخنا، الوزير **أبو بكر بن الحكيم،** كتب إلي والدي ببابه، وقد أحس بغض من الشيخ الإمام **أبي عبد الله بن خميس**، عميد مجلس الوزارة الحكيمية [1]:

عبيـــد ببـــاب العـــلى واقـــف
أيقبلـــــه المجـــد أم ينصـــــرف
فـــإن قبـــل المجـــد نلت المنـــا
وإلا فقــــدري مــــا أعـــــرف

ثم كتب على لفظه ما من وصححه. قال فأذن له، واستظرف منزعه.

***

---

[1] البحر المتقارب.

محمد بن أحمد

ابن شاطر الجمحي المراكشي[1]، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن شاطر.

حاله

ظاهره، مليح الحديث، كثير الاعتبار. دايم الاسترجاع والاستغفار فقير متجرد، يلبس أحسن أطوار الخرقة، ويوثر الاصطلاح، مليح الشيبة، جميل الصورة، مستظرف الشكل، ملازم للمسجد، مساكن بالمدارس، محبب إلى الخواص، كثير الذكر، متردد التأوه، شارد اللسان، كثير الفلتات، مطرح في أكثر الأحاين للسمت، ينزع إلى هدف تايه، تشم عليه القحة والمجانة، مقتحم حمى الحشمة في باب إيهام التلبيس، يزلق سوء الاعتقاد عن صفاته، وإن قارب الانهماك، غير مبال بناقد، ولا حافل بذام، ولا حامد. كلما اتبع انفرد، ومهمى استقام شرد، تطيب النفس به على غرة، ويحسن الظن بباطنه على سوء. فعال الموعظة. عجيب الانتزاع من الحديث

---

[1] **لـه ترجمـة في: نيل الابتهـاج، ونفـح الطيتب.**

والقرآن، مع عدم الحفظ، مستشهد بالأبيات الغريبة على الأحوال. قال شيخنا القاضي **أبو عبد الله بن المقري**: لقيت فيمن لقيت **بتلمسان** رجلين: أحدهما عالم الدنيا، والآخر نادرتها. أما العالم؛ فشيخنا **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي**، وأما النادرة، **فأبو عبد الله بن شاطر**؛ ثم قال: صحب **أبو زيد الهزميري** كثيراً، **وأبا عبد الله بن تجلات**[1]، **وأبا العباس بن البنا**[2]، وإخوانهم من **المراكشيين،** ومن جاورهم، واختص **بأبي زيد الهزميري**، وآثره وتبناه، وكان يقول له: وألقيت عليك محبة مني؛ فيظهر أثر ذلك عليه، من ستر الهنات، ووضع القبول، فلا تجد من يستثقله من راض عنه أو ساخط دخل **الأندلس**، وقدم على **غرناطة**، وتلوم بها أياماً.

---

[1] **في الزيتونة: ((بجلات)).**

[2] **في النفح: (البناء وأضرابه من المراكشيين)).**

نبذ من أقواله

فمن ذلك أنه إذا سئل عن نفسه يقول: أنا ولي مفسود، وفي هذا من النصفة، وخفة الروح ما لا خفاء به. قال بعض شيوخنا، قلت له يوماً، كيف أنت؟ فقال: كيف أنا محبوس في الدّم؟ ومن حكمه: الليل والنهار حَرَسِيَّان [1]: أحدهما أسود، والآخر أبيض، وقد أخذ بمجامع الخلق إلى يوم القيامة، وإن مررنا [2] إلى الله. ومرّ يوما **بأبي العباس بن شعيب** الكاتب [3]؛ وهو جالس في جامع الجزيرة، وقد ذهبت به الفكرة؛ فصاح به فلما رفع رأسه؛ قال: وله نعش خاطر؛ أنظر إلى مركب **عزراييل** قد رفع شراعه، والنِّدَا عليه: اركبوا يا عزا. قال شيخنا **أبو عبد الله المَقَّري**، وجدته يوماً في المسجد ذاكراً، فقلت له: كيف أنت؛ فقال: مُهيم في روضة يَجْبَرون؛ فهممت بالانصراف؛ فقال: أين تذهب من روضة من

---

[1] أي حارسان.

[2] في النفح: ((وإنَّ: ((مَرَدَّنَا)). وهو أصوب.

[3] هو أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي التازي الدار والفاسي إقامة؛ توفي بتونس سنة 750هـ/ 1349م.

رياض الجنة؛ يقام فيها على رأسك بهذا التاج، وأشار إلى المنار، مملوءاً بالله أكبر. قال وأنشدني **أبو العباس بن البنّا**، وكتبهما عنه [1]:

قصدت إلى الوجازة[2] في كلامي
لعلمي بالصواب في الاختصار
ولم أحذر فهو[3] ما دون فهمي
ولكن خفت إزراء الكبار
فشأن فحولة العلماء شأني
وشان البسط تعليم الصغار

قال: وأخبار **ابن شاطر** تحتمل كراسة؛ قلت: رأيته **بفاس** في أخريات عام خمسة وخمسين [4]؛ وهو الآن بحاله الموصوفة، قد أربى على السبعين.

***

---

[1] البحر الوافر.
[2] أي الإيجاز.
[3] جعلها د. طويل: ((فهم)).
[4] أي 755هـ/ 1354م.

محمد بن محمد

ابن عبد الرحمن التميمي، ابن الحلفاوي؛ [1] من أهل تونس؛
يكنى أبا عبد الله؛ نزيل غرناطة، ويعرف بالتونسي
وبابن المؤذن ببلده.

حاله

من **العايد**: قال: ولي الله المجاب الدعوة الظاهر الكرامة، المشهود له بالولاية. ورد **الأندلس** في جملة من تجار بلده، وبيده مال كبير، بذله في معاملة ربه، إلى أن استأصله بالصدق، وأنفقه في سبيل الله، ابتغاء مرضاته، وتجرد عن الدنيا، وأخذ نفسه بالصلاة والصوم والتلاوة وكثرة السجود، والتطارح [على ذلك] [2]، محفوظاً في ذلك كله، حفظة الأولياء، مذكرا بمن سلفه من الزهاد، عازباً عن الدنيا [أخذ نفسه] [3] بسلوك الإيتاب عنها، رحمة للخلق، وتمالأ للمساكين، بقصده الناس

---

[1] في الزيتونة: ((الحفاوي)).
[2] ما ورد بين حاصرتين أضيف من الزيتونة.
[3] هذه الإضافة من الزيتونة.

بصدقاتهم، فيبثها في ذوي الحاجات [1]، فيتألف في باب مسجده آلاف من رجالهم ونسايهم وصبيانهم ، حتى يعمه الرفد، وتسعهم الصدقة. وكان غريب الأحوال، إذا وصل وقت الصلاة، يظهر عليه البشر والسرور، ويدخل مسجده الذي ابتناه، واحتفل فيه، فيخلو بنفسه آخذاً في تعبدات كثيرة، غريبة شاملة لجميع أركان المسجد، ويزدحم الناس حول المسجد، وأكثرهم أهل الفاقة، فإذا تمكن الوقت، أذن أذانا مؤثراً في القلوب، جدىً وصدقاً ووقاراً، كان صدره ينصدع عند قول: لا إله إلاّ الله، ثم يعيد التعبد والسجود في الصومعة وأدراجها، حتى يفتح باب المسجد، وينتقل إلى صدر المحراب؛ فيصلي ركعات خفيفة. فإذا أقام الصلاة؛ ووقف عند المحراب؛ ظهر عليه من الخوف والكآبة والحزن والانكسار والتضرع والتملق [2] والرغبة، ما لا تفي العبارة بوصفه، كأن موقفه موقف أهل الجرايم بين أيدي الملوك الجبابرة. فإذا أتم الصلاة على أتم هيئاتها، ترى كأن الغبار على وجهه، أو كأنه

[1] في الإسكوريال: ((الحاجة)).
[2] في الزيتونة: ((التخلق)).

حشر من قبر، فإذا شرع في الدعاء بأثر الصلاة، يتلوه بترداد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل دعوة، ويتوسل به، وتظهر عليه أحوال من الحضور والمراقبة، وينجلي عن وجهه ما كان به. وكان يختم القرآن في شهر رمضان مائة ختمة؛ فما من ليلة، إلاّ ويحيي الليل كله فيها بمسجده. هذا ترتيبه، ولو تتبعنا ما شوهد من كراماته وأحواله، لخرجنا عن الغرض.

مولده

ولد **بتونس** في حدود الأربعين وستماية [1].

---

[1] **الموافق لـ 1242م.**

وفاته

توفي في شهر بيع الثاني؛ عام خمسة عشر وسبعماية[1]. وكان الحفل في جنازته عظيماً، استوعب الناس كافة، وحضر السلطان، فمن دونه؛ وكانت تنم، زعموا، على نعشه وقبره رائحة المسك. وتبرك الناس بجنازته، وقصد قبره المرضى وأهل الحاجات، وبقي القراء يقرأون القرآن عليه مدة طويلة. وتصدق على قبره بجملة من مال، ففدي به طايفة من الأسرى. وقبره **بباب إلبيرة** عن يمين الخارج إلى مقبرة العسال، معروف هنالك.

***

[1] **الموافق لـ 1315م.**

محمد بن عبد الله

ابن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي [1]؛
من أهل طنجة؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بطوطة.

حاله

من خط شيخنا **أبي البركات**، قال: هذا رجل لديه مشاركة يسيرة في الطلب، رحل من بلاده إلى بلاد **المشرق** يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعماية [2]؛ فدخل بلاد **مصر والشام والعراق**، **وعراق العجم، وبلاد الهند والسند، والصين، وصين الصِّين، وبلاد اليمن**. وحج عام ستة وعشرين وسبعماية [3]. ولقي من الملوك والمشايخ عالماً، وجاور **بمكة**، واستقر عند ملك **الهند**؛ فحظي لديه، وولاه القاضاء، وأفاده مالاً جسيماً. وكانت رحلته على رسم الصوفية زياً وسجية، ثم قفل

---

[1] نسبة إلى قبيلة لواتة الأمازيغية. ويلقب بابن بطوطة؛ ولد بطنجة سنة 703هـ/1303م، وتوفي بمراكش سنة 779هـ/1377م. له ترجمة أيضاً في: الدرر الكامنة، وهدية العارفين، ودائرة المعارف الإسلامية، وكتاب الأعلام؛ ومقدمة رحلته في طبعاتها العديدة.

[2] الموافق لـ 1325م.

[3] الموافق لـ 1325م.

إلى بلاد **المغرب**، ودخل **جزيرة الأندلس**، فحكى بها أحوال **المشرق**، وما استفاد من أهله، فكذب، وقال: لقيته **بغرناطة**؛ وبتنا معه **ببستان أبي القاسم بن عاصم بقرية نبلة**، وحدثنا في تلك الليلة، وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية وغيرها. فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى **بالقسطنطنية** العظمى، وهي على قدر مدينة مسقفة كلها، وفيها اثني [1] عشر ألف أسقف. قلت: وأحاديثه في الغرابة أبعد من هذا. وانتقل إلى **العدوة**؛ فدخل بلاد **السودان**؛ ثم تعرف أن **ملك المغرب** استدعاه؛ فلحق ببابه. وأمر بتدوين رحلته.

***

[1] **صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((اثنا)).**

سايـر الأسماء في حرف الميم الملوك والأمراء،
وما منهم إلا طارئ علينا أو غريب.

***

مَزْدَلي بن تيولتكان

ابن حمنى بن محمد بن ترْقوت بن وَرْباطن بن منصور بن نِصاله
ابن أمية بن واباتن الصّنهاجي اللّمتوني[1].

حاله

كان الأمير **مزدلي** عضد القايم **بالدولة اللمتونية** **يوسف بن تاشفين**، وقريبه للتقائهما في **ترقوت**، راش به وبرى، وجز وفرى؛ فهو شيخ **الدولة اللمتونية**، وكبير العصابة **الصنهاجية**، بطلاً ثبتاً، بهمة من البهم بعيد الصيت، عظيم الجلد، شهير الذكر، أصيل الرأي، مستحكم الحنكة، طال عمره، وحمدت مواقعه، وبعدت

[1] **يبدو أنه تصحيف من الناسخ. إذ ربما تكون: ((اللَّمتوني)). أي الميم بعد اللام مباشرة؛ وهي القبيلة الحاكمة في دولة المرابطين.**

غاراته، وعظمت في العدو وقايعه، وشكرت عن سلطانه نيابته.

من مناقبه

استرجاع **مدينة بلنسية** من أيدي **الروم** بسعيه، ورده إلى ملكة الإسلام بحميد عنايه في منتصف رجب عام خمس وخمسماية [1].

دخوله غرناطة

ولي **قرطبة وغرناطة** وما إليهما من قبل **يوسف بن تاشفين** سنة خمس وخمسماية.

قال **ابن الصيرفي** [2]: توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شوال عام ثمانية وخمسماية [3]، غازياً على مقربة من حصن **قسطانية**، طرق به إلى **قرطبة**؛ فوصل يوم الأربعاء ثاني يوم وفاته؛ وصلى عليه إثر صلاة العصر؛ الفقيه

---

[1] **الموافق لـ 1111م.**
[2] **من علماء غرناطة وكتابها في النصف الأول من القرن السادس الهجري. سبق التعريف به.**
[3] **الموافق لـ 1114م.**

القاضي **بقرطبة أبو القاسم بن حمدين**، ودفنه قرب أبيه، وبنيت عليه روضة حسنة. وكان نضر الله وجهه، البقية الصالحة على نهج أمير المسلمين **يوسف**.

***

موسى بن محمد

ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهنتاتي السيد أبو عمران.

حاله

بيته معروف. وكان أديباً شاعراً، جواداً، واختص بالعادل، فجل قدره في دولته، وأمله الناس **بإشبيلية** في حوايجهم لمحله منهم. ولما انصرف عنها العادل إلى طلب الخلافة، قدمه عليها؛ فبلغ الغاية.

وفي شوال من عام اثنين وعشرين وستماية [1] كانت على جيشه الوقيعة، أوقعها به السيد **أبو محمد البياسي**، وأخباره شهيرة.

وفاته

وتوفي تغريقاً؛ في البحر؛ بعد أن ولي **بجاية؛** رحمه الله وعفا عنه.

---

[1] **الموافق لـ 1225م.**

شعره

قال: وكان **أبو المطرف بن عميرة**، ينشد له، يخاطب الفقيه الأديب **أبا الحسن بن حريق**؛ يستحثه على نظم الشعر في عروض الخبب [1]:

خـــذ فـــي الأشعـــار على الخبب
فقصـــــورك عنـــه من العجـــب
هـــــذا وبنـــــو الآداب قضــــوا
بعلـــو مجـــــدك فـــي الرتــــب

فنظم له **أبو الحسن** القصيدة المشهورة، منها [2]:

أبعيـــد الشيـــب هـــوى وصبـــــا
كـــــلا لا لهـــــواً ولا لعبـــــا
ذرت الستـــــون بـــرادتهـــــــا
في مســـك عـــذارك فاشتهبـــــا

---

[1] هذان البيتان من بحر المتدارك؛ ويسمى أيضاً الخبب، والمحدث.
[2] الخبب.

ومنها:

يا نفـس أحـيى تصـلي أمـلاً
عيـشي روحيـا تـروي عجبـا
وخـذي فـي شكـر الكبرة مـا
لاح الإصبـاح ومـا ذهبـا
فيهـا أحـرزت معـارف مـا
أبليـت بجدتـه الحقبـا
والخمـر إذا أعتقـت وصفـت
أعـلى ثمنـاً منهـا عنبـا
وبقيـة عمـر المـرء لـه
إن كـان بهـا طبـا دربـا
هبـني فيهـا بإنابتـه
مـا هدمـه أيـام صبـا

دخل **غرناطة**؛ فوجب ذكره مع مثله.

***

منديل بن يعقوب

ابن عبد الحق بن محيو، الأمير أبو زيان.

حاله

كان فاضلاً عاقلاً جواداً، عينه أبوه أمير المسلمين **أبو يوسف بن عبد الحق**، للضرب على أحواز **مالقة** عند الفتنة؛ فاضطرب المحلة تجاه سهيل [1]، وضيق على تلك الأحواز، وبرز إليه الجيش؛ لنظر **موسى بن رحو**؛ من قرابته، النازعين عن إيالة **المغرب** من **بني رحو**. وكان اللقاء؛ فوقعت به الدبرة، وانهزم جيشه، وقبض عليه، وسيق إلى السلطان؛ فتلقاه بالبر، ورعى ما لبيته الكبير من الحق، وأسكنه مجاوراً لقصره بحمرايه [2]، مرفهاً عليه، محجوزاً عن التصرف، إلى أن كان من تلاحق بهذه الحال من وفاة أبيه السلطان **أبي يوسف بالجزيرة الخضراء**،

[1] سهيل بلدة في إقليم مالقة؛ تقع على شاطئ البحر المتوسط؛ وتبعد عن مالقة بنحو ثلاثين كيلومترا؛ في اتجاه الغرب منها مالقة. وتسمى اليوم بالإسبانية **Fuengirola**.
[2] أي قصر الحمراء؛ مقر سلاطين غرناطة.

وتصير الأمر إلى ولده السلطان أمير المسلمين **أبي يعقوب يوسف**. وتجددت الألفة وتأكدت المودة، وارتفعت الإحنة؛ فكان ما هو معروف من التقايهما على تعبئة [1] إجازة ملك **المغرب أبي يعقوب** البحر على ظاهر مربلة [2]، وصرف الأمير **أبو زيان**؛ محبواً بما يليق به.

حدثني شيخنا **أبو زكريا بن هذيل** رحمه الله؛ قال: نصب للسلطان **أبي يعقوب** خباء؛ احتفل في اتخاذه له أمير **سبتة**؛ فبلغ الغاية التي تستطيعها الملوك، سمو عماد، وامتداد ظل، وانفساح ساحة، إلى إحكام الصنعة، والإعياء في الزخرف. وقعد فيه السلطان **ملك المغرب**، وأجلس السلطان أمير المسلمين **أبا عبد الله ابن الغالب بالله**، عن يمينه، وأخاه الأمير **أبا زيان** عن يساره، وقرأ عِشاره المعروف بالوقّاد؛ آية الله في حسن الصوت، وبعد مدى السمع، وطيب النغمة؛ قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ

---

[1] في الإسكوريال: ((تعبة)).

[2] مربلة Marbella؛ بلدة صغيرة تطل على البحر؛ تقع على بعد ستين كليلومترا تقريباً غربي مالقة.

مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1]. فكان مقاماً مبهتاً. كان السلطان رحمه الله يقول: لشد ما جنى علي عدو الله بقحته، والله لقد كان يشير بيده إلى السلطان وأخيه عند قوله، أنا **يوسف** وهذا أخي. ثم أجاز **للعدوة**؛ فطاح بها لعهد غير بعيد.

وكان الإيقاع بجيش الأمير **أبي زيان** في أخريات ذي الحجة عام أربعة وثمانين وستماية[2]. فاتصل بذلك موت والد أمير المسلمين **أبي يوسف بالخضراء** في شهر محرم

---

[1] سورة يوسف: الآيات: 88 - 89 - 90 - 91 - 92. والآية 88 كاملة هكذا: (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا ببضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إنَّ اللَّهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِينَ).

[2] الموافق لـ 1285م.

عام خمسة وثمانين بعده[1]، وكان لقاء السلطانين **بالخضراء** في شهر محرم عام خمسة وثمانين هذه، وكان اللقاء كما ذكر في شهر ربيع الآخر من العام المذكور.

***

---

[1] **الموافق لـ 1286م.**

***

المطرف بن عبد الله [1]

ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
ابن عبد الرحمن بن معاوية [2]

حاله

كان **المطرف**، ولد الخليفة [3] **عبد الله** أمير المسلمين **بالأندلس**، شجاعاً مقداماً، جرياً، صرفه والده الخليفة في الغزوات، وقود العساكر، وهو الذي بنى **حصن لوشة**، ووقم كثيرا من الخوارج على والده.

---

[1] له ترجمة في: المغرب في حلى المغرب، وإعمال الأعلام، والبيان المغرب.
[2] حرف الاسم الكامل للمطرف بن عبد الله؛ في الإسكوريال؛ حيث ورد هذا: ((المطرف بن عبد الله بن عبد الله))؛ كما أسقط بعد محمد اسم ((عبد الرحمن)).
[3] عبد الله والده كان يلقب بالأمير؛ إذ لم يُعرف لقب خليفة في الدولة الأمويون بالأندلس إلاّ في عهد عبد الرحمن الناصر؛ حفيد عبد الله. كما أن لقب أمير المسلمين استعمل في وقت متأخر أيضاً؛ إذ استعمل لأول مرة في الدولة المرابطية.

دخوله غرناطة

قال **ابن حيان**[1]: غزا **المطرف ببشتر**[2] بسبب **ابن حفصون**، إذ كان صالح الأمير **عبد الله**، ودفع رهينة ابنه، فلما امتحن الطفل، وجد غير ابنه، فنهض إليه **المطرف**، وكان القايد على العسكر قبله **عبد الملك بن أمية**؛ فنهض صحبته، ونازل **المطرف بن حفصون**، فهتك حوزته، وتقدم إلى بنية كان ابتناها بموضع يعرف **باللّويّات**[3]، فشرع في خرابها، وخرج **ابن حفصون** ومن معه من **النصرانية** يدافع عنها؛ وعن كنيسة كانت بقربها؛ فغلب **ابن حفصون**، وهدمت الكنيسة، وقتل في هذه الحرب **حفص بن المرة** قايده ووجوه رجاله، وعند الفراغ من ذلك. انصرف **المطرف**، فدخل كورة **إلبيرة**، وبنا

[1] هو أبو مروان بن حيان القرطبي (377هـ/987م - 469هـ/1076م)؛ من مؤلفاته كتاب المقتبس، وكتاب المتين، وكتاب أخبار الدولة العامرية، وكتاب البطشة الكبرى؛ وكلها في التاريخ. سبقت الإشارة اليه.
[2] بيبشتر Bobastro بلدة حصينة؛ تبعد عن قرطبة بثمانين ميلا. وتقع في الشمال الغربي من مالقة، ولا تبعد كثيراً عن رندة. وكانت أيام الفتنة الكبرى أحد معاقل ابن حفصون؛ خلال ثورته.
[3] في المقتبس: ((المعروف بالعرمات)).

لوشة، وتقدم منها إلى **إلبيرة** ودخلها، ثم طاف بتلك الجهات والحصون، ثم انصرف.

ذكر إيقاعه بعبد الملك بن أمية
سبب الإحنة بينه وبين أبيه

قال: وفي هذه الحركة أوقع **بعبد الملك بن أمية**؛ لما كان في نفسه لصرف والده عن عقد البيعة له؛ وتمزيق العهد في خبر يطول. وكان والده قد أخذ عليه الميثاق عند خروجه إلى **شذونة** [1]، ألا يعرض إليه بمكروه، وأقسم له بالإيمان، لين [2] نال منه شيئاً ليعاقبنه بمثله. فلما قتله؛ عقد الوثائق عليه، وأخذ الشهادات فيها بالظلم والشؤم خوفاً من أبيه؛ وكتب إليه يعتذر له، ويحكمه في نفسه.

---

[1] مدينة شذونة Sidona؛ تقع في منطقة الفرنتيرة ضمن المثلث الإسباني؛ بالقرب شريش؛ وفي هذه البقعة بالذات حدثت الموقعة الحاسمة؛ التي انتصر فيها طارق بن زياد فاتح الأندلس على القوط سنة 92هـ/711م.

[2] هكذا بتخفيف الهمزة؛ كعادة أهل المغرب؛ وهي عند المشارقة ((لئن)).

مقتل المطرف

قال: وظهرت عليه، فعال قبيحة، من أذى جيرانه بما أكد غايلة أبيه عليه، وأعان عليه **معاوية بن هشام**؛ لما ذكروا أن **المطرف** كان قد خلا به؛ فذكروا أنه نزل يوماً عنده بمنزله، وأخذوا في حديث الأبناء، وكان **المطرف** عقيماً؛ فدعا **معاوية** بصبي يكلف به، فجاء وبرأسه ذؤابتان. فلما نظر إليه **المطرف** حسده، وقال: يا **معاوية**، أتتشبه بأبناء الخلفاء في بنيهم، وتناول السيف فحز به الذؤابة، وكان **معاوية** حية **قريش** دهاء ومكراً؛ فأظهر الاستحسان لصنعه وانبسط معه في الأنس؛ وهو مضطغن. فلما خرج كتب إلى الخليفة يسأله اتصاله إليه؛ فلما أوصله كاشفه في أمر **المطرف** [بما أزعجه وأقام على ذلك ليلاً أحكم أمره عند الخليفة][1]؛ بلطف حيلته؛ فأصاب مقتله سهم سعايته. قال **ابن الفياض**: بعث الأمير **عبد الله** إلى دار ولده **المطرف** عسكراً للقبض عليه، مع **ابن مضر**، فقوتل في داره حتى أخذ، وجيء به إليه،

[1] **العبارة الواردة بين حاصرتين ساقطة في الاسكوريال.**

فتشاور الوزراء في قتله ؛ فأشار عليه بعضهم أن لا يقتله ؛ وقال بعضهم : إن لم تقتله قتلك ؛ فأمر **ابن مضر** بصرفه إلى داره، وقتله فيها، وأن يدفنه تحت الريحانة التي كان يشرب الخمر تحتها ؛ وهو ابن سبع وعشرين وسنة ؛ وذلك في يوم الأحد ضحى لعشر خلون من رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين [1].

***

[1] **الموافق لـ 895م.**

منذر بن يحيى

التجيبي [1]، أمير الثغر، المنتزي بعد الجماعة بقاعدة سرقسطة، يكنى أبا الحكم، ويلقب بالحاجب المنصور، وذي الرياستين.

حاله

قال **أبو مروان**: وكان [**أبو الحكم** [2]] رجلا من عرض الجند، وترقى إلى القيادة آخر دولة **ابن أبي عامر**. وتناهى أمره في الفتنة إلى الإمارة [3]. وكان أبوه من الفرسان غير النبهاء. فأما ابنه **منذر**؛ فكان فارساً نقي الفروسة [4]، خارجاً عن مدى الجهل، يتمسك بطرف [5] من الكتابة الساذجة. وكان على غدره، كريماً، وهب قصاده مالاً عظيماً، فوفدوا عليه، وعمرت لذلك حضرته **سرقسطة**؛ فحسنت أيامه، وهتف المداح بذكره.

---

[1] له ترجمة أيضاً في: المغرب في حلى المغرب، وإعمال الأعلام، ، الذخيرة، والبيان المغرب.
[2] سقطت هذه العبارة في الاسكوريال.
[3] في الذخيرة: ((إلى نيل الإمارة)).
[4] في الذخيرة، وإعمال الأعلام: ((لَبِقَ الفُروسِيَّة)).
[5] في الزيتونة: ((بضرب)).

وفيه يقول **أبو عمرو بن دراج القسطلي** [1] قصيدته المشهورة، حين صرف إليه وجهه، وقدم عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعماية [2]:

بشراك من طول الترحـــل والسُّـــرى
صبـــح بروح السفر لاح فأسفـــرا
من حاجب الشمس الذي حجب الدجى
فجـــراً[3] بأنهـــارالـــذرى[4] متفجـــرا
نـــادى بحي[5] على الندى ثم اعتلى
سُبُـــل[6] العفـــاة مهلـــلاً ومكبـــرا
لبيـــك أسمعنـــا نـــداك ودوننـــا
نوء الكواكـــب مخويا أو ممطـــرا

---

[1] هو أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلي الصنهاجي؛ الذي يعد أعظم شعراء الأندلس في عصره (أواخر عهد المنصور بن أبي عامر، وأوائل عهد الطوائف)؛ إذ كان يلقب بمتنبي الأندلس. ولد سنة 347هـ/958م بقسطلة من أعمال جيان. وتوفي سنة 421هـ/1030م.

[2] الموافق لـ 1036م؛ والقصيدة من البحر الكامل.

[3] في الإسكوريال: ((فجرى))؛ وصوبت من الديوان.

[4] في الديوان، وإعمال الأعلام: ((الندى)).

[5] في إعمال الأعلام: ((ناديت حيّ)).

[6] نفسه: ((سيل)).

من كـــل طارق ليل هـــمّ[1] ينتحي
وجهي بوجه من لقايك أزهـــــرا
ســـار ليعدل عن سمايـــك أنجمي
وقد ازدهاهـــا عن سناك محيـــرا
فكأنمـــا أعدتـــه[2] أسبـــاب النـــوى
[نورالهـــدى عن يديـــك منـــورا][3]
أو غار رمن هممي فأنحى شأوها
فلك البـــروج مغربـــاً ومغـــورا
حتى علقـــت النيريـــن فأعلقـــا
مثنى يدي مـــلك الملـــوك النيـــرا
فسريت في حـــرم الأهلة مظلمـــا
ورفلت في خلع السموم مهجـــرا
وشعبت أفلاذ الفـــؤاد ولم أكـــــد
فحذوت من حذو الثريـــا منظـــرا

[1] في الديـوان: ((هـمى)).
[2] في الديـوان: ((أغرتـه)).
[3] ورد هـذا الشطـر في الديـوان هكـذا: ((قـدرا لبعدي عن يديـك مقـدرا)).

ســـت تسراهـــا[1] الجـــلاء مغربـــاً

وحدا بها حادي النجـــاء[2] مشمـــرا

لا يستفيـــق الصبـــح منها ما بـــدا

فلقـــاً ولا جدي الفراقـــد ما ســـرا

ظعـــن ألفن القفر في غول الـــدجى

وتركـــن مألوف المعاهـــد مقفـــرا

يطلبـــن لج البحر حيث تقاذفـــت

أمواجـــه والبـــر حيث تنكـــرا

هيم وما يبغيـــن دونـــك مـــوردا

أبـــدا ولا عن بحر جودك مصدرا

من كل نضو الآل محبوك المـــنى

يزجيه نحـــوك كل محبوك القَـــرَا[3]

بدن فـــدت منا دمـــاء نحورهـــا

ببغائهـــا[4] فـــي كـــل أفق منحـــرا

---

[1] في إعمـال الأعـلام: ((تسدّاهـا)).
[2] نفسـه: ((النـواء)).
[3] أي الظهـر.
[4] أي الطلـب. وفي إعمـال الأعـلام: ((ببقائـهـا)).

نحرت بنا صدر الدبور فأنبطــت

قلــق المضاجــع تحت جو أكدرا

وصبت إلى نحو[1] الصبا فاستخلصت

سكن الليــالي والنهــار المبصــرا

خوص نفخن بنا البرى حتى انثنت

أشلاؤهــن كمثــل أنصاف البــرا

نــذرت لنــا أن لا تلاقــي راحــة

ممــا تــلاقي أو تــلاقي منــذرا[2]

وتقاسمــت أن لا تسيــغ حياتهــا

دون ابن يحيى[3] أو تموت فتعــذرا

للــه أي أهلــــة بلغــت بنــــا

يمناك يا بدر السمــاء المقمـــــرا

بل أي غصـــن في ذراك هصرتــه

فجرى[4] فأورق في يديك وأثمــرا

---

[1] في إعمال الأعلام: ((نحر)).
[2] أي منذر بن يحيى.
[3] نفسه؛ منذر بن يحيى.
[4] في الديوان: ((نخر)).

فلئن صفـــا ماء الحيـــاة لديك لي

فبما شرقت إليك بالماء الصـــرى[1]

ولئن خلعت على برداً أخضـــرا

فلقد لبســـت إليك عيشـــاً أغبـــرا

ولئن مـــددت علي ظـــلا بـــاردا

فلكم صليـــت إليـــك جواً[2] مسعرا

[وكفى لمن][3] جعل الحياة بضاعـــة

ورأى رضاك بها رخيصاً فاشترى

فمـــن المبلـــغ عن غريب نـــازح

قلبـــا يكـــاد عـــلي أن يتفطـــــرا

لهفان لا يرتـــد [طـــرف جفونـــه][4]

إلا تذكـــر عبـــرتي فاستعبـــــرا

أبني لا تذهـــب بنفســـك حســـرة

عن غول رحلي منجدا أو مغـــورا

---

[1] أي المـاء الـذي طـال استنقاعـه.
[2] في إعمـال الأعـلام: ((حَـراً)).
[3] في الديـوان: ((وكفـاك مـن)).
[4] في الإسكوريـال: وإعمـال الأعـلام: ((لا يرتـد في أجفانـه)).

فلئن تركت الليــل فــوقي داجيــا
فلقــد لقيــت الصبح بعدك أزهرا
ولقــد وردت ميــاه مأرب حفــلاً
وأسمـــت خيلي وسط جنة عبقــرا
ونظمت للغيــد الحســان قلائــداً
من تاج كسرى ذي البهاء وقيصرا
وحللـــت أرضـــاً بدلت حصباؤها
ذهباً يـــرف[1] لناظري وجوهـــرا
وليعلــم[2] الأمــلاك أنـــي بعدهـــم
(ألفيت كل الصيد في جوف الفرا)[3]
ورمى عـــلي رداءه مـــن دونهـــم
ملـــك تخيـــر للعـــلا فتخيـــــرا
ضربوا قداحهم علي ففـــاز بـــي
من كان بالقدح المعـــلى أجـــدرا

---

[1] في إعمـال الأعـلام: ((يـروق)).
[2] نفسـه: ((ولْتَعْلَـم)).
[3] هـذا اقتبـاس مـن مثـل سائـر؛ سبـق أن شرحنـاه.

من فك طــرفي من تكاليف الفلا
وأجار طــرفي من تباريح السرى
وكفى عتــابي من ألام معــذرا
وتذمــمي ممــن تحمــل[1] معــذرا
ومسائــل عــني الرفــاق ووده
لو تنبــذ السانحات[2] رحلي بالعرا
وبقيت في لجــج الأسى متضلــلاً
وعدلت عن سبل الهدى متحيــراً
كــلا وقد آنســت من هود هــدى
ولقيت يعــرب في القيول وحميرا
[وأصبــت في سبــإ مورث ملكه
يسبي الملوك ولا يدب لها الضرا][3]
فكأنمــا تابعــت تبـــع رافعــاً
أعلامه ملكــاً يديــن له الــورى

[1] في الديـوان، وإعمـال الأعـلام: ((تجمـل)).
[2] في الديـوان: ((السـادات))، وفي إعمـال الأعلام: ((الساحـات))؛ وهـو أسلـم.
[3] سقـط هـذا البيـت في الديـوان.

والحـــارث الجفني ممنوع الحمى
بالخيل والآساد مبـــذول القـــرى
وحططت رحـــلي بين ناري حاتم
أيام يقـــري موســـراً أو معســـرا
ولقيـــت زيد الخيل تحت عجاجـــة
يكسو[1] غلايلها الجيـــاد الضمـــرا
وعقـــدت في يمـــن مواثق ذمـــة
مشدودة الأسباب موثقـــة العـــرى
وأتيـــت بحدل[2] وهو يرفـــع منبرا
للدين والدنيـــا ويخفـــض منبـــرا
وحططـــت[3] بين جفانهـــا وجفونها
حرماً أبـــت حرماتـــه أن تخفـــرا

[1] **في إعمـال الأعـلام: ((تكسـو)).**
[2] **هـو بحـدل بـن أنيـف الكلبي؛ الـذي صاهـره معويـة بـن أبي سفيـان؛ فتـزوج بابنتـه ميسـون والـدة خليفتـه يزيـد. وكانـت لهـذه المصاهـرة آثـار عظيمـة في نصـرة العصبيـة اليمنيـة للدولـة الأمويـة.**
[3] **في إعمـال الأعـلام: ((وخططـت))؛ بالخـاء المعجمـة.**

تلك البحــور[1] تتابعــت وخلفتهــا

سعيــاً فكنت الجوهــر المتخيــرا

ولقــد نمــوك ولادة وسيــــادة

وكســوك عزاً وابتنوا لك مفخرا

فممــرت بالآمــال[2] أكرم أكــرم

ملكــاً ورثــت علاه أكبر أكبــرا

وشمايل عبقت بهــا سبل الهــدى

وذرت على الآفــاق مسكاً أذفــرا

أهدى إلى شغف القلوب من الهوى

وألذ في الأجفان من طعم الكرى

ومشاهــد لــك لم تكــن أيامهــا

ظنــاً يريــب ولا حديثــاً يفترى

لاقيت فيها المــوت أسود أدهمــا

فذغرته بالسيــف أبيــض أحمرا

---

[1] في إعمـال الأعـلام: ((البـدور)).

[2] في الديـوان: ((بالإقبـال)).

ولو اجتلى في زي قرنك معلمـــاً
لتركتـــه تحت العجـــاج معفـــرا
يـــا مـــن تكبـــر بالتكـــرم[1] قـــدره
حـــتى تكـــرم أن يـــرى متكبـــرا
والمنذر الأعـــداء بالبشـــرى لنـــا
صدقـــت صفاتـــك منذرا ومبشرا
ما صور الإيمان في قلـــب امرئ
حتى يراك اللـــه فيـــه مصـــورا
فارفـــع لها علـــم الهـــدى فلمثلها
رفعتك أعلام السيادة في الـــذرى
وانصر نصـــرت من السماء فإنما
ناسبت[2] أنصـــار النبي لتنصـــرا
واسلم ولا وجدوا لجـــوك منفســـاً
في النائبات ولا لبحـــرك معبـــرا

[1] في إعمـال الأعـلام: ((يـا مـن تكـرم بالتكبـر)).
[2] في الإسكوريـال: ((نـاصبـت)).

سيرتـه

قال: وساس لأول ولايته عظيم **الفرنجة** [1]. فحفظت أطرافه، وبلغ من استمالته طوايف **النصرانية**؛، أن جرى على يديه بحضرته. عقد مصاهرة بعضهم [2]، فقرفته الألسنة لسعيه في [نظام سلك **النصارى**] [3]. وعمر به الثغر إلى أن ألوت به المنية. وقد اعترف له الناس بالرأي والسياسة.

كتابه

واستكتب عدة كتاب **كابن مُدَوَّر، وابن أزرق وابن واحب**، وغيرهم.

وصوله إلى غرناطة

وصل **غرناطة** صحبة الأمير **المرتضى** الآتي ذكره، وكان ممن انهزم بانهزامه. وذكروا أنه مرَّ **بسليمان بن هود**، وهو مثبت **للإفرنج** الذين كانوا في المحلة لا يريم

[1] في الذخيرة والبيان المغرب: ((عظماء الإفرنج)).
[2] المصاهرة هذه حدثت بين سانشو ملك نافار (أنبرة) ورامون بوريل أمير برشلونة؛ حيث اقترن الأول بابنة الثاني.
[3] وردت هذه العبارة في الزيتونة هكذا: (نظام ملك النبار).

موقفه [1]؛ فصاح به النجاة يا ابن الفاعلة؛ فلست أقف عليك؛ فقال له **سليمان**: جيت والله بها صلعاً، وفضحت أهل **الأندلس**؛ ثم انقلع وراءه.

وفاته

وكانت على يدي رجل من أبناء عمه يدعى **عبد الله بن حكم**. كان مقدماً في قواده، أضمر غدره؛ فدخل عليه؛ وهو غافل في غلالة؛ ليس عنده إلا نفر من خواص خدمه الصقلب؛ قد أكب على كتاب يقرؤه؛ فعلاه بسكين أجهز به عليه. وأجفل الخدم؛ إلا شهم منهم أكبَّ عليه فمات معه. وملك **سرقسطة**، وتمسك بها أياماً، ثم فرَّ عنها، وملكها **ابن هود**. وكان الإيقاع به غرة ذي حجة سنة ثلاثين وأربعمائة [2]؛ رحمة الله عليه.

***

---

[1] **أي لا يبرحه.**

[2] **الموافق لـ 1038م.**

موسى بن يوسف

ابن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان [1]؛
الأمير بتلمسان؛ يكنى أبا حمو.

أوليته

أوليته معروفة تنظر فيما سلف من الأسماء.

حاله

هذا السلطان مُجْمعٌ على حزمه، وضمِّه لأطراف ملكه. واضطلاعه بأعباء ملك وطنه، وصبره لدولة قومه. وطلوعه بسعادة قبيله. عاقل، حازم، حصيف، ثابت الجأش، وقور مهيب، جماعة للمال، مباشر للأمور، هاجر لِلَّذَات، يقظ، متشمر. قام بالأمر غرة ربيع الأول في عام ستين [2]، مرتاش الجناح بالأحلاف من **عرب** القبلة، معولاً عليهم عند قصد عدوه؛ وحلب ضرع

---

[1] له ترجمة أيضاً في: التعريف بابن خلدون، وكتاب العبر، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ونظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، ومخطوط زهر البستان في دولة بني زيان، ونفح الطيب، وأزهار الرياض، وهدية العارفين، ودائرة المعارف الإسلامية، وكتاب الأعلام، وأبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره.

[2] المقصود هنا في سنة سبعماية وستين 760 هـ/1358م.

الجباية، فأثرى بيت ماله، ونبهت دولته، واتقته جيرته؛ فهو اليوم ممن يشار إليه بالسداد.

أدبه وشعره

ووجه لهذا العهد في جملة هدايا ودية، ومقاصد سنية، نسخة من كتابه المسمى **بواسطة السوك في سياسة الملك** [1]؛ افتتحه بقوله: الحمد لله الذي جعل نعمته على الخلق؛ بما ألفهم عليه من الحق، شاملة شايعة، ويسر طوايف من عباده لليسرى، فأتت إليها مساعدة مسارعة، وحضهم على الأخذ بالحسنى، ولا أحسن من نفوس أرشدت، فأقبلت لإرثها طالبة ولربها طايعة. ولا أسمى من همم نظرت بحسن السياسة في تدبير الرياسة، التي هي لأشتات الملك جامعة ولأسباب الملك مانعة، وأظهرت من معادنها درر الحكم، وغرر الكلم لايحة لامعة، فاجتلت أقمارها طالعة، واجتنت أزهارها يانعة. وصلى الله على سيدنا **محمد** الكريم، المبعوث بالآيات البينات، ساطية

[1] طبع هذا الكتاب بمطبعة الدولة التونسية سنة 1279هـ/1862م. كما توجد نسخة مخطوطة منه بالمكتبة الوطنية الجزائرية؛ تحت رقم: 1374.

ساطعة، والمعجزات المعجمات قاصمة لظهور الجاحدين قاطعة. الذي زويت له الأرض، فتدانت أفكارها وهي نابية شاسعة، واشتاقت له المياه؛ فبرزت بين أصابعه يانعة، وامتثل السحاب أمره، فسح باستسقايه درراً هامية هامعة، وحن الجذع له، وكان حنينه لهذه الآيات الثلاث آية رابعة، إلى ما لا يحصى مما أتت به متواترات الأخبار، وصيحات الآثار، ناصرة لنبوته ساطعة. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وعترته التي أجابت داعي الله خاشية خاشعة، وأذعنت لأوامر رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ فكانت من الاستبداد خالية، وللأنداد خالعه، صلاة ديمتها دايمة متتابعة، وسلم كثيرا.

جمع فيه الكثير من أخبار الملوك وسيرهم، وخص به ولده وولي عهده؛ فجاء مجموعاً يستظرف من مثله، ويدل على مكانه من الأدب ومحله. وثبت فيه الكثير من شعره؛ فمن ذلك قصيدة أجاب فيها أحد رؤوس القبايل،

وقد طلب منه الرجوع إلى طاعته، والانتظام في سلك جماعته، وهي [1]:

تذكـــرت أطلال الربوع الطواسم
وما قد مضى من عهدها المتقـــادم
وقفت بها من بعد [بُعْـــد أنسيهـــا][2]
بصبر مناف أو بشـــوق مـــلازم
تهيـــم بمغناهم وتنـــدب ربعهـــم
وأي فـــؤاد بعدهـــم غيـــر هايـــم
تحن إلى سلمى ومن سكن الحمى
وما حـــب سلمى للفتى بمسالـــم
فلا تندب الأطـــلال واسل عن الهوى
ولا تقـــل في تذكـــار تلـــك المعالـــم
فإن الهـــوى لا يستفز ذوي النهى
ولا يستبـــي إلا الضعيف العزايم

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في الزيتونـة: ((هـذا نسيمهـا)). والتصحيـح مـن بغيـة الـرواد.

صبور على البلوى طهور من الهوى

قريـــب من التقـــوى بعيد المآثـــم

ومن يبــغ درك المعلوات ونيلهـــا

يساق بخلق الشهـــد مرّ العلاقـــم

ولايمـــة لما ركبنـــا إلى العـــلا

بحار الردى في لجهـــا المتلاحـــم

تقول بإشفاق أتنسى هوى الدمـــا

وتنثر درراً[1] من دمـــوع سواجـــم

إليـــك فإنـــا لا يـــرد اعتزامنـــا

مقـــالـــة بـــاك أو ملامـــة لايـــم

ألم تـــدر أن اللـــوم لـــوم وأننـــا

لنجتنب اللوم اجتنـــاب المحـــارم

فما بســوى العليا[2] همنـــا جلالـــة

إذا هـــام قوم بالحســـان النواعـــم

---

[1] في بغيـة الـرواد: ((دراً))؛ وهـو أسلـم.
[2] نفسـه: ((العليـاء)).

بروق السيوف المشرفيات والقنـــا

أحب إلينـــا من بـــروق المباســـم

وأما صميل السابحات لذي الوغى

فأشجى لدينـــا من غنا[1] الحمايـــم

وأحسن من قـــد الفتـــاة وخدهـــا

قـــدود العوالي أو خدود الصوارم

إذا نحـــن جردنا الصوارم لم تعد

إلا غمادهـــا الأبحـــر الغلاصـــم[2]

نواصل بين الهند[واني الطـــلا[3]]

بتفريـــق ما بين الطلى و الجماجم

فيرغب منا السلـــم كل محـــارب

ويرهـــب منا الحـــرب كل مسالم

نقـــود إلى الهيجـــاء كل مضمـــر

ونقـــدم إقـــدام الأســـود الضراغم

---

[1] في بغيـة الـرواد: ((عنـاء)).

[2] ورد هذا الشطر في بغيـة الـرواد هكذا: ((لأغمادهـا إلاَّ بحَـزِّ الغلاصم)).

[3] في الزيتونـة: ((وإلى الطـلا)).

وما كل من قاد الجيوش إلى العدا
يعــود إلـــى أوطنانـــه بالغنائـــم
وننصــــر مظلومــــا ونمنع ظالمـــا
إذا شيك مظلـــوم بشوكـــة ظالـــم
ويـــأوي إلينـــا المستجير ويلتجي
ويحميـــه منـــا كل ليث صيـــارم[1]
ألم تـــر إذ جاء السبيـــعيُّ[2] قاصدا
إلى بابنـــا يبـــغي[3] التماس المكـــارم
وذلـــك لمـــا أن جفـــاه صحابـــه
وكـــل خليـــل وده غيـــر دايـــم
وأزمـــع إرســـالاً إلينـــا رسالـــة
بإخـــلاص ود واجب غير واجـــم

[1] في الإسكوريال وبغية الرواد: ((ضبارم)).
[2] في الإسكوريال: ((السبيع)). وهو محمد السبيع بن موسى بن إبراهيم اليرنياتي؛ من أعيان دولة بني مرين. إذ هرب من فاس إلى تلمسان؛ طالباً عون أبي حمو.
[3] في الزيتونة: ((يبكي)).

وكـــان رأى أن المهامـــة[1] بيننـــا
فخـــلى لذات الخف ذات المناسم
وقال ألا ســـل من عليم مجـــرب
أبـــث له ما تحـــت طي الحيـــازم
فيبلـــغ عنـــه الآن خيـــر رسالـــة
تودي إلى خيـــر الملوك الأعاظم
على ناقة وجنـــاء كالحرف ضامر
تخيرها[2] بين القـــلاص الرواســـم
[من اللايي يظلمن الظليم إذا عدى
ويشبهـــه في جيـــده والقوايـــــم
إذا أتلعت فوق السحاب جوابهـــا
تخليتها بعض السحاب الرواكـــم][3]
وإن هلمجـــت بالسير في وسط مهمه
نزلـــت كمثـــل البرق لاح لشايم

---
[1] في الزيتونـة: ((الملامـة)).
[2] في الزيتونـة: ((تجريهـا))، وفي بغيـة الـرواد: ((تخيرتهـا)).
[3] هـذان البيتـان ساقطـان في الزيتونـة.

ولم يأمن الخلان بعـــد اختلالهـــم
فأمـــسى وفي أكبادهـــا أي جاحم
فقالوا فحملهـــا الحمايـــم قـــال لا
لبعـــد المدا أو خوف صيد الحمايم
وما القصـــد إلا في الوصول بسرعة
فقالـــوا فحملهـــا أكـــف النواســـم
فقـــال لنعـــم المرســـلات وإنمـــا
لهـــا ألســـن مشهـــورة بالنمايـــم
فلم يلف فيهـــا للأمانـــة موضعـــا
وكل امـــرئ للســـر ليـــس بكاتم
فحينئـــــذ وافـــى إلينـــا بنفســـه
فكـــان لدينـــا خيـــر واف وقـــادم
يجوب إلينا[1] البيداء قصداً وبشرنـــا[2]
يضـيء له الظلماء في كل عاتـــم

---

[1] **في البغيـة: ((يجـوب لنـا)).**
[2] **في الزيتونـة: ((سرنـا)).**

طلاب العلا تسري مع الوحش في الفلا
ويصحب منها كل بــاغ وباغــم
على سلهب[1] ذي صوتين[2] مطعــم[3]
من المغربات الصافنات الصلادم
إذا شاء أي الوحــش أدركه بــه
فتحسبه في البيــد بعــض النعايم
ويقدمــه طوعــاً إلينــا رجــاؤه
حمايتنــا إيــاه من كــل ظالــم
ألا أيهــا الآتــي لظــل حناننــا
نزلت برحب في عراص المكارم
وقوبلــت منا بالــذي أنت أهلــه
وفاض عليك الجود فيض الغمايم
كــذا دأبنــا للقادميــن محلنــا
حمى ونداً ينــسى به جود حاتــم

[1] فرس سلهب: معناها طويل.
[2] في البغية: ((ذي صهوتين)).
[3] في الزيتونة: ((مطمع)).

وهذا جـــواب عن نظامـــك إننـــا

بعثنـــا بـــه كاللؤلـــؤ المتناظـــم

ونحـــن ذوو التيجان من آل حمير

لعمرك ما التيجـــان غير العمايـــم

بهمتنا العليـــا سمونـــا إلى العـــلا

وكم دون إدراك العـــلا من ملاحم

شددنـــا لها أزراً وشدنـــا بناءهـــا

وكم مكثـــت دهـــراً بغير دعائـــم

نظمنا شتيت المجـــد بعد افتراقـــه

وكم بات نهباً شملـــه دون ناظـــم

ورضنا جياد الملك بعد جماحهـــا

فذلت وقد كانت صعاب الشكايـــم

مناقـــــب زيانيـــــة[1] موسويـــة

يذل لها عز الملـــــوك القماقـــــم

---

[1] **نسبة إلى بني زيان، وموسوية نسبة إلى: السلطان موسى بن يوسف المدعو أبا حمو.**

يقصـــر عن إدراكهـــا كل مبتـــغ

ويعجـــز عن إحصايهـــا كل ناظم

فللـــه منا الحمد والشكـــر دايمـــاً

وصلى الله على المختار من آل هاشم[1]

ونختصكـــم منا الســـلام الأثير ما

تضاحك روض عن بكاء الغمايـــم

قلت: ولما تعرفت كلفه بالأدب، والإلمام بمجاورته؛ عزمت على لقايه، وتشوقت عند العزم على الرحلة الحجازية؛ إلى زيارته. ولذلك كنت أخاطبه بكلمة منها [2]:

على قدر قد جيت قومك يا موسى

فجلت بك النعمى وزالت بك البوسى

فحالت دون ذلك الأحوال. وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد. وفقه الله، وساير من تولى أمراً من أمور المسلمين. وجرى ذكره في رجز الدول [3] من نظمي:

---

[1] في البغية: ((وصلى على المختار من آل هاشم))؛ وهذا اسلم.
[2] البحر الطويل.
[3] وهو بعنوان رقم الحلل في نظم الدول.

بادرهـــا المفـــدي الهمـــام موسى
فأذهب الرحمـــن عنها البـــوسى
جـــدد فيهـــا الملـــك لمـــا أخلقـــا
وبعث السعـــد وقـــد كـــان لقـــا
ورتـــب الرتبـــــا والرسومـــــا
وأطلـــع الشمـــوس والنجومـــــا
واحتجـــن المـــال بهـــا والعـــدة
وهو بها بـــاق لهـــذي المـــــدة

ولـد بمدينـة **غرناطـة**؛ حسبمـا وقعـت عليـه بخـط الثقـة مـن ناسـه؛ فـي أول عـام ثلاثـة وعشريـن وسبعمايـة. [1]

***

[1] الموافق لـ 1323م. توفي هذا السلطان العالم الأديب أبو حمو موسى ابن يوسف بن عبد الرحمن في سنة 791هـ/1388م. إذ قتل خلال ثورة قام بها ولده العاق أبو تاشفين عبد الحمم الثاني بمساندة أعداء أبيه بني مرين.

مبارك ومظفر [1]

الأميران؛ موليا المنصور بن أبي عامر.

حالهما

قال **أبو مروان** [2] ، ترقيا إلى تملك **بلنسية** من وكالة الساقية، وظهر من سياستهما وتعاوضهما صحة الألفة طول حياتهما، ما فاتا به في معناها [3] أشقاء الأخوة، وعشاق الأحبة، إذ نزلا معاً بقصر الإمارة مختلطين، تجمعهما مائدة واحدة من غير تميز في شيء؛ إلا الحرم خاصة. وكان التقدم **لمبارك** في المخاطبة، وحفظ رسوم الإمارة، أفضل صرامة وذكراً، قصر عنهما **مظفر**، لدمائثه خلقه، وانحطاطه لصاحبه في ساير أمره؛ على نحلته [4] بكتابة ساذجة وفروسة، فبلغا الغاية من اقتناء الأسلحة والآلات الملوكية، والخيل المغربات، ونفيس الحلي والحلل، وإشادة البناء للقصور. واشتمل هذا الرأي على

---

[1] خبرهما في: إعمال الأعلام، والذخيرة، والمغرب في حلى المغرب، والبيان المغرب.
[2] هو أبو مروان بن حيان السابق الذكر.
[3] في الذخيرة والمغرب، والبيان المغرب، وإعمال الأعلام: ((معناهما)).
[4] في إعمال الأعلام: ((على تحليه)).

جميع أصحابهما، ومن تعلق بهما من وزرايهما وكتابهما، ولم يعرض لهما عارض إنفاق بتلك الآفاق [1]، فانغمسا في النعيم إلى قمم رؤوسهما حتى انقضى أمرهما.

قال: وكان موت **مبارك**؛ أنه ركب يوماً من قصر **بلنسية**؛ وقد تعرض أهلها مستغيثين من مال افترضه عليهم؛ فقال لهم: إن كنت لا أريد إنفاقه فيما يعم المسلمين نفعه؛ فلا تؤخر عقوبتي يومي هذا؛ وركب إثر ذلك؛ فلما أتى القنطرة؛ وكانت من خشب؛ خرجت رجل فرسه من حدها؛ فرمى به أسفلها؛ واعترضته خشبة ناتئة شرخت وجهه؛ وسقط الفرس عليه؛ ففاضت نفسه. وكفاهم الله أمره يومئذ.

وفي **مبارك ومظفر** يقول **أبو عمرو بن دراج القسطلي** رحمه الله [2]:

---

[1] في الزيتونة: ((عارض إنفاق بتلك الأقطار)). وإعمال الأعلام: ((عارض إنفاق بتلك الآفاق)).
[2] البحر الطويل.

أنورك أم أوقــدت بالليل نـــارك

لبـــاغ قــراك أو لبـــاغ جــوارك

ورياك أم عرف المجامر أشعلــت

بعــود الكبـــاء والألــوة[1] نـــارك

ومبسمك الوضـــاح أم ضوء بارق

حداه دعـــائي أن يجــود ديـــارك

[وخلخالك استنضيت أم قمر بــدا

وشمس تبدت أم ألحت ســوارك][2]

وطرة صبـــح أم جبينـــك سافــرا

أعرت الصبـــاح نوره أم أعـــارك

وأنت هجــرت[3] الليل إذ هزم الضحى

كتائبه والصبـــح لما استجـــارك

فللصبـــح فيما بين قرطيك مطلع

وقد سكن الليل البهيــم خمـــارك

---

[1] الكِبـاء، والألُـوَّة: مـن الأعـواد الـتي تستعمـل للبخـور.

[2] سقـط هـذا البيـت في الإسكوريـال.

[3] في الديـوان وإعمـال الأعـلام: ((أجـرت)).

فيا لنهــار لا يغيـــض[1] ظلامـــه

ويالظــــلام لا يغيــض[2] نهــارك

ونجــم الثريــا أم لآل تقسمــــت

يمينـــك إذ ضمختهـــا أم يســـارك

لسلطـــان[3] حســن في بديع محاسن

يصيد القلوب النافــرات نفـــارك

وجنـــد غـــرام في دروع[4] صبابة

تقلدن أقـــدار الهـــوى واقتـــدارك

هو الملـــك لا بلقيس أدرك شأوها

مداك ولا الزبـــاء شقـــت غبارك

وقادحة[5] الجوزاء راعيت موهنـــاً

بحـــر هـــواك أم ترسَّمَــت[6] دارك

---

[1] في إعمـال الأعـلام: ((لا يغيـظ))؛ بالظـاء.
[2] نفسـه: ((لا يغيـظ))؛ بالظاء أيضـاً.
[3] في إعمـال الأعـلام: ((بسلطـان)).
[4] نفسـه: ((ضلـوع)).
[5] في الديـوان، وإعمـال الأعـلام: ((وقادمـة)).
[6] في إعمـال الأعـلام: ((توسَّمـت)).

وطيفــك أسرى فاستثار تشـــوقي
إلى العهد أم شوقي إليك استثارك
وموقد[1] أنفـــاسي إليك استطـــارني
أم الــروح لمـــا رد في استطارك
فكم جزت من بحر إلي ومهمـــة
يكاد ينـــسي المستهـــام ادّكـــارك
[أذو[2] الحظ من علم الكتاب حداك[3] لي
أم الفلـــك الـــدوار نحوي أدارك][4]
وكيف كتمت الليل وجهك مظلمـــاً
أشعرك أعشيت[5] السنا أم شعـــارك
وكيف اعتسفت[6] البيد لا فى ظعائن
ولا شجر الخـــطي حف شجـــارك[7]

[1] في الديـوان وإعمـال الأعـلام: ((ومُرْتَـدّ)).
[2] في إعمـال الأعـلام: ((إذا)).
[3] في الذخيـرة: ((هـداك)).
[4] في إعمال الأعلام: ((يحمي ادّكارك)). بينما سقط هذا البيت في الإسكوريال.
[5] في الديـوان، وإعمـال الأعـلام: ((أغشيـت))؛ بـالغيـن المعجمـة.
[6] في إعمـال الأعـلام: ((عسفـت)).
[7] الشجـار: خشـب هـوادج النسـاء.

ولا أذن الـــحي الجميـــع برحلـــة

أراح لها راعي المخاض عشارك[1]

ولا أرزمت[2] خوص المهاري مجيبـــة

صهيـــــل جيـــاد يكتنفـــن قطـــارك[3]

ولا أذكـــت الركبان عنك عيونها[4]

حذار عيـــون لا ينمـــن حـــذارك

وكيف رضيت الليل ملبس طارق

وما ذر قرن الشمس إلا استتـــارك

وكم دون رحلي من بروج[5] مشيدة

تحرم من قـــرب المزار مـــزارك

وقد زأرت حولي أسود تهامســـت

لها الأسد أن كـــفي عن السمع زارك

---

[1] أي الأبل التي مضى على حملها عشرة أشهر.

[2] في إعمال الأعلام: ((ولا أزحت)).

[3] القطار: هو السير بالإبل في قافلة؛ على نسق متتابع؛ بحيث يتبع أحدهم الآخر.

[4] أي لا أرسالت عيونها وطلائعها.

[5] في الديوان: ((قصور)).

وأرضي سيول من خيول مظفــر
وليلي[1] نجوم من سمـــاء[2] مبـــارك
بحيث وجدت الأمن يهتف بالمنى
هلمي إلى عينين[3] جـــادا ســـرارك[4]
هلمي إلى بحرين قد مرج النـــدى
عبابيهمـــا لا يسأمـــان انتظـــارك
هلـــمي إلى سيفيـــن والحد واحـــد
يجيران من صـــرف الحوادث جارك
هلـــمي إلى طـــرفي رهان تقدمـــا
إلى الأمـــد الجالي عليك اختيارك
[هلمي إلى قطـــبي نجـــوم كتايب
تنادي نجوم التعس غوري مغارك][5]

---
[1] في إعمـال الأعـلام: ((وليـل)).
[2] في الذخيـرة: ((رمـاح))، وفي إعمـال الأعـلام: ((سيـوف)).
[3] في إعمـال الأعـلام: ((غيثيـن)).
[4] سَرار الأرض: أوسطهـا وأكرمهـا.
[5] سقـط هـذا البيـت في الديـوان.

وحيي[1] على دوحين جاد[2] نداهمــا
ظلالــك واستدني إليك[3] ثمــارك
وبشــراك قد فازت قداحك بالعلا[4]
وأعطيت من هــذا الأنام خيــارك
شريكان في صدق المنى وكلاهما
إذا قارن[5] الأقــران غير مشــارك
هما سمعا دعواك يا دعوة الهــدى
وقد أوثق الدهر الخئون إســارك
[وسلا سيوفاً لم تزل تلتــظي أسَى
بثــارك حتى أدركــا لك ثــارك[6]
ويهنيــك يا دار الخلافــة منهما
هــلالان لاحا يرفعــان منــارك

[1] في الإسكوريـال: ((وحيـا)).
[2] في إعمـال الأعـلام: ((مَـدَّ)).
[3] في الديـوان: ((إليَّ)).
[4] في الديـوان، وإعمـال الأعـلام: ((بالمـنى)).
[5] في الديـوان: ((بـارز))، وفي إعمـال الأعـلام: ((بـارزاً)).
[6] ورد هـذا البيـت في إعمـال الأعـلام هكـذا:
((وسلا سيوفاً لم تزل تلتـظي أذى * فثـارك حـتى أدركـاك فثـارك)).

كلا القمريـــن بيـــن عينيـــه غرة

أثارت[1] كسوفيــك وجلت ســـرارك][2]

فقـــاد إليك الخيـــل شعثاً شوازيـــا

يلبين بالنصر العزيـــز انتصـــارك

سوابـــق هيجـــاء كـــأن صهيلهـــا

يجـــاوب تحت الخافقات شعـــارك

بكل سري العتق سرى عن الهدى

وكل حمي الأنف أحمى ذمـــارك

تحلوا من المنصور نصراً وعزة

فأبلوك في يوم البـــلاء اختيـــارك

إذا انتسبـــوا يوم الطعـــان لعامـــر

فعمرك يا هام العدى لا عمـــارك

يقودهـــم منهـــم سراجـــــاً كتايـــب

يقـــولان للدنيا أجـــدي افتخـــارك

---

[1] في الديـوان: ((أنــارت)).

[2] الأبيـات الثلاثـة الـواردة بيـن حاصرتيـن ساقطـة في االإسكوريـال.

إذا افتــرت الرايــات عــن غرتيهمــا

فيــا للعدى أضللت منهم فــرارك

وإن أشــرق النادي بنور سناهما

فبشرى الأماني عينك لا ضمارك

وكم كشفــا من كربة بعد كربــة

تقــول لها النيــران كــفي أوارك

وكم لبيــا من دعــوة وتداركـــا

شــفى رمــق ما كان بالمتــدارك

ويا نفــس غاو كــم أقــر نفارك

ويا رجل هاو كــم أقالا عثــارك

ولســت ببدع حيــن قلت لهمــتي

أقــلي لإعتاب الزمــان انتظارك

[فلله صــدق العــزم أيــة غــرة

إذا لم تطيــعي في لعل اغترارك][1]

فإن غالت البيد اصطبارك والسرى

فما غال ضيم الكاشحين اصطبارك

[1] سقط هذا البيت في الإسكوريال.

ويا خلة التسويف قومي فأغـــدقي[1]
قناعك من دونـــي وشـــدي إزارك
[وحسبك بي يا خلة الناي خاطري
بنفسي إلى الحـــظ النفيس حطارك][2]
فقد آن إعطاء النوى صفقة الهوى
وقولك للأيـــام جـــوري مجـــارك[3]
ويا ستـــر البيـــض النواعم أعلني[4]
إلى اليعمـــلات والرحـــال بدارك[5]
نواجي واستـــودعتهـــن نواجيـــا
حفاظك يا هذي بـــذي وازدهارك
ودونك أفـــلاذ الفـــؤاد فشمـــري
ودونـــك يا عين اللبيـــب اعتبارك

---

[1] في الديـوان، وإعمـال الأعـلام: ((فأغـدفي))؛ بالفـاء الموحـدة.
[2] سقـط هـذا البيـت في الإسكوريـال.
[3] في الديـوان: ((حـوري محـارك))؛ بالحـاء المهملـة.
[4] في إعمـال الأعـلام: ((اعمـلي)).
[5] في الديـوان: ((سـرارك)).

صرفت الكرى عنها بمغتبق[1] السرى

وقلت أديري والنجــوم عقــارك

فإن وجبــت للمغربيــن جنوبهــا[2]

فداوي برقراق السراب خمــارك

فــأوري[3] بزنــدي سدفــة ودجنة

إذا كانتــا لي مرخــك وعفــارك[4]

وإن خلــع الليل الأصائل فاخلعي

إلى الملكيــن الأكرميــن عذارك

بلنسية مثــوى الأماني فاطلــبي

كنــوزك في أقطارهــا[5] وادخارك

سينبيك زجري عن بــلاء نسيتــه

إذا أصبحت تلك القصور قصارك

---

[1] في الإسكوريـال: ((بمعتنـق)).
[2] في إعمـال الأعـلام: ((وجوبهـا)).
[3] في الديـوان: ((وأروي)).
[4] الـرخ والعفار؛ نوع من الشجر؛ يُضرب بهما المثل في الشرف؛ لأن النـار تقـدح في أغصانـهمـا.
[5] في إعمـال الأعـلام: ((إعطانـهـا)).

وأظفر سعي بالرضا من مظفــر
وبورك لي في حسن رأي مبارك
قصيٌّ المنى[1] قد شام بارقة الحيــا
وأنشقــت يا ظئر الرجا حــوارك[2]
وحمــداً يميــني قد تملأت بالمنى
وشكراً يساري قد حويــت يسارك
وقل لسماء المزن إن شئت اقلعي
ويا أرضها[3]إن شيت غيضي بحــارك
ولا توحشي يا دولة العز والمــنى[4]
مساءك من نوريهمــا وابتكــارك

---

[1] **في الديـوان: ((فظمء المـنى)).**
[2] **في الإسكوريـال: ((جـوارك)). والظئـر: هي الناقـة المرضعـة، والحـوار: هـو ولدهـا الرضيـع.**
[3] **في الديـوان: ((ويـا أرضنـا)).**
[4] **في الديـوان، وإعمـال الأعـلام: ((النـدى)).**

وصولهما إلى غرناطة

وصلا مع أمثالهما من أمراء الشرق؛ صحبة المرتضى؛ وكان من انهزام الجميع بظاهرها، وإيقاع **الصناهجة** [1] بهم ما هو معلوم؛ حسبما مرَّ، ويأتي بحول الله.

***

[1] **الصناهجة: جنود أو أبناء صنهاجة.**

ومن ترجمة الأعيان والوزراء بل ومن ترجمة الطارئين والغرباء منها

***

منصور بن عمر

ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو؛ يكنى أبا علي.

أوليته

معروفة قد مرت عند ذكر اخوته وقومه.

حاله

كان رحمه الله فتى القوم، لسناً، مفوهاً، مدركاً، متعاطياً للأدب والتاريخ، مخالطاً للنبلاء، متسورا خلق العلماء، غزلاً، كلفاً بالدعابة، طرفة من طرف أهل بيته، قوي الشكيمة، جواداً بما في وسعه، متناهياً في البدانة. دخل **غرناطة** في الجملة من إخوانه وبني عمه، مغربين عن مقر الملوك **بالمغرب**، وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وستين وسبعماية[1]. وركب البحر في الخامس والعشرين منه، عندما لحق أخوه **عبد الحكيم بالمغرب**، وبايعه الناس، ولاحت له بارقة، لم تكد تقد

[1] الموافق لـ 1361م.

حتى خبت، فبادر إلى مظاهرته في جفن غزوي [1] من أسطول **الأندلس**، وصحبه قوم ممن يخطب الخطط، ويبتدر رمق الدول، وهال عليهم البحر، فطرح الجفن بأحواز **غساسة** [2]، وقد عادتها ملكة عدوهم، فتقبض عليه، وأدخل مدينة **فاس**، في الثاني لربيع الآخر من العام؛ مشهور المركب على الظهر، يضرب بين يديه طبل للشهرة، وناقور المثلة، وأجلس بين يدي السلطان؛ فأبلى بما راق الحاضرين من بيانه من العذر للخروج بالاستمالة حتى لرجي خلاصه، واستقر مثقفاً تتعلق به الأراجيف، ويحوم حول مطرحة الاختبار إلى حين وفاته.

---

[1] جفن وجفنة؛ جمعها؛ أجفان: يطلق هذا الاسم في بلاد المغرب والأندلس على مراكب بحرية مستدية الشكل؛ والمقصود بالغزوي: أنها مستعملة للغزو والحرب.

[2] غساسة أو إغساسن: مدينة أزلية قديمة؛ تقع في إقليم الناظور؛ شمال المغرب الأقصى؛ وتبعد عن الناظور بحوالي 20 كم.

شعـره

أنشـدني الفقيه الأديب **أبـو بكـر بـن أبـي القاسـم ابـن قطبـة** مـن شعـره؛ وكـان صاحبه في الرحلة، ومزامله في أسطـول المنحسـة؛ وذلـك قولـه [1]:

سـوف ننـال المـنى ونـرقى
مـراقـي العـز والمعـال
إذا حططنـا بـأرض فـاس
وحكمـت فـي العـدى العـوال
فأنـت عنـدي بهـا حقيـق
يا حايـز الفضـل والكمـال

وفاتـه

فـي وسـط جمـادى الأولـى مـن العـام [2]. دخـل عليـه فـي بيـت معتقلـه؛ فقتـل، ودفـن ببعض مدافنهم. رحمة الله عليه.

***

---

[1] **مخلـع البسيـط.**

[2] **أي عـام 763هـ/1361م.**

مقاتل بن عطية

البرزالي؛ يكنى أبا حرب. وقال فيه أبو القاسم الغافقي:
من أهل غرناطة، ويلقب بذي الوزارتين،
ويعرف بالرّيّه [1] لحمرة كانت في وجهه.

حاله

كان من الفرسان الشجعان لا يصطلى بناره، وكان معه من قومه نحو من ثلاثماية فارس من **بني برزال**. وولاه الأمير **عبد الله بن بلقين بن باديس مدينة اليسانة** [2]، والتقى به **ابن عباد** وأخذ بمخنقها، وكان **عبد الله** يحذره. وعندما تحقق حركة **اللمتونيين** إليه صرفه عن جهته؛ فقل لذلك ناصره، وأسرع ذهاب أمره.

شجاعته

قال: وحضر مقاتل مع **عبد الله بن بلقين** أمير **غرناطة** وقيعة **النيبل** في صدر سنة ثمان وسبعين

[1] معناها بالإسبانية الأحمر؛ لأنها مأخوذة من كلمة **El Rojo**.
[2] في الزيتونة: ((اللسانة)). واللسانة، تسمى أحيانا أليسانة وبالإسبانية **Lucena**. هي بلدة حصينة تابعة إلى مقاطعة غرناطة؛ وتقع شمال غربي مدينة لوشة؛ وباقرب من نهر شنيل.

وأربعماية[1]، فأبلى فيها بلاء عظيما، وجرح وجهه، ومزق درعه بالطعن والضرب. وذكر من حضرها ونجا منها، قال: كنت قد سقط الرمح من يدي ولم أشعر، وحملت الترس ولم أعلم به، وحملني الله إلى طريق منجاة فركبتها، مرة أقع ومرة أقوم، فأدركت فارساً على فرس أدهم ورمحه على عاتقه، ودرقته على فخذه، ودرعه مهتكة بالطعن، وبه جرح في وجهه يثعب دما تحت مغفره، وهو مع ذلك ينهض على رسله، فرجعت إلى نفسي فوجدت ثقلاً، فتذكرت الترس، فأخرجت حمالته عن عاتقي، وألقيته عني، فوجدت خفة، وعدت إلى العدو، فصاح ذلك الفارس، خذ الترس، قلت لا حاجة لي به، فقال خذه، فتركته ووليت مسرعا، فهمز فرسه ووضع سنان رمحه بين كتفي، وقال خذ الترس، وإلا أخرجته بين كتفيك في صدرك، فرأيت الموت الذي فررت منه، ورجعت إلى الترس فأخذته، وأنا أدعو عليه، وأسرعت عدواً، فقال لي على ما كنت فليكن

---

[1] الموافق لـ 1085م.

عـدوك. فاستعـذت وقلـت: مـا بعثـه اللـه إلا لهـلاكي، وإذا قطعـة مـن خيـل **الـروم** قـد بصـرت بـه، فوقـع فـي نفسـه أنـه يسـرع الجـري فيسلـم وأقتـل، فلمـا ضـاق الطلـق مـا بينـه وبيـن أقربهـم منـه، عطـف عليـه كالعقـاب، وطعنـه ففطـره، وتخلـص الرمـح منـه ، ثـم حمـل عـلى آخـر فطعنـه، ومـال عـلى الثالـث فانهـزم منـه، فرجـع إلـي، وقـد بهـت مـن فعلـه، ورشـاش دم الجـرح، يتطايـر مـن قنـاع المغفـر لشـدة نفسـه، وقال لي يـ فاعل يا صانع أتلقي الرمح ومعك مقاتل الرُّيُّه.

***

((انتـهى اختـصار السفـر الثامـن والحمـد للـه رب العالميـن؛ يتلـوه في اختصـار التاسـع بعـده؛ ومـن تـرجمـة القضـاة؛ مؤمـل بـن رجـا بـن عكرمـة ابـن رجـا العقيـلي؛ مـن إلبيـرة[1]))

---

[1] هـذا مـا ورد فـي المخطـوط الإسكوريـال مـن السفـر السابـع. وهـو أكبـر أسفـار الإحاطـة؛ حيـث يشغـل اللوحـات مـن رقـم: 1 إلى رقـم 188.

ومن السفر التاسع من ترجمة القضاة

***

مُؤَمّل بن رجاء

ابن عِكْرِمة بن رجاء العقيلي؛ من إلبيرة.

حاله

كان شيخاً مضعوفاً يغلب عليه البله، من أهل التعين والحسب والأصالة، عريقاً في القضاء، قاض ابن قاض ابن قاض. ولى قضاء **إلبيرة**، للأمير **محمد**.

من حكاياته

رفعت إليه امرأة كتاب صداقها فقال الصداق مفسوخ، وأنتما على حرام؛ فافترقا فرق الله بينكما. ثم رمى بالصداق إلى من حوله، وقال عجباً لمن يدعي [فقهاً] [1] ولا يعلمه، أو يزعم أنه يوثق ولا يتقنه، مثل أبي فلان؛ وهو في المجلس يكتب هذا الصداق، وهو مفسوخ، ما أحقه أن يغرم ما فيه. فدار الصداق على يدي كل من حضر، وكل يقول: ما أرى موضع فسخ؛ فقال:

---

[1] **في الزيتونة: ((صداقها)).**

أنتم أجهل من كاتبه؛ لكني أعذركم؛ لأن كل واحد منكم، يستر على صاحبه خطأه، أنظروا وأمنحكم اليوم؛ فنظروا فلم يجدوا شيئاً يوجب فسخاً. فدنا منه **محمد بن فطيس** الفقيه؛ فقال أصلح الله القاضي، إن الله منحك من العلم والفهم، ما نحن مقرون بالعجز عنه، فأفدنا هذه الفايدة، فقال: ادن؛ فدنا منه؛ فقال: أوليس في الصداق: ((ولا يمنعها زيارة ذوي محارمها، ولا يمنعهم زيارتها بالمعروف))؛ ولولا معرفتي بمحبتك ما أعلمتك. فشكره الشيخ. وأخذ بطرف لحيته يجره إليه حتى قبلها. وكان عظيم اللحية طويلها، شيمة أهل هذه الطبقة. قال **ابن فطيس**: أنا المخصوص بالفايدة، ولا أعرف بها إلاّ من تأذن بتعريفه إياها؛ فتبسم القاضي معجباً بما رأى، وشفعوا إليه أن لا يفسخ الصداق؛ وقيل للزوجين [1]، لا تطلبا به عنده شيئاً. وولى قضاء جيان.

***

[1] في الزيتونـة: ((للعروسين)).

ومن الطاريين والغرباء

***

المهلب بن أحمد

ابن أبي صفرة الأسدي من أهل ألمرية؛ يكنى أبا القاسم

حاله

كان من أدهى الناس وأنصحهم، ومن أهل التعيُّن والعناية التامة، واستقضي **بألمرية**.

مشيخته

سمع من **أبي محمد الإصباني** ، ورحل، وروى عن **أبي ذر الهروي**.

تواليفه

ألف كتاباً في **شرح البخاري**، أخذه الناس عنه.

وفاته

توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة[1]. وقيل سنة ....[2]

***

[1] الموافق لـ 1044م.
[2] فراغ في هذا الحيز.

ومن ترجمة الكتاب والشعراء وهم الأصليون

***

مالك بن عبد الرحمن

ابن علي بن عبد الرحمن بن الفرج [1] بن أزرق بن سعد بن سالم ابن الفرج، المنزل بوادي الحجارة بمدينة الفرج، المنسوبة إليه الآن.

قال **ابن عبد الملك**: كذا كتب لي بخطه **بسبتة**، وهو **مصمودي** ثم **شصادى** مولى بني **مخزوم**، **مالقي**، سكن **سبتة** طويلاً ثم مدينة **فاس**، ثم عاد إلى **سبيتة** مرة أخرى، وبآخرة **فاس**، يكنى **أبا الحكم وأبا المجد**، والأولى أشهر، ويعرف **بابن المرحل**، وصف جرى على جدّه **علي بن عبد الرحمن** لما رحل من **شنتمرية** [2] حين إسلامها **للروم** عام خمسة وستين وخمسماية [3].

---

[1] **له ترجمة أيضاً في: الذيل و التكملة، وبغية الوعاة، وجذوة المقتبس، وهدية العارفين.**

[2] **هي شنتمرية الشرق أو شنتمرية بني رزين، وتسمى بالإسبانية Santa Maria de Algarve؛ وهي تقع شرقي وادي الحجارة.؛ على ضفاف نهر أرغون. وكانت أيام الطوائف قاعدة لإمارة صغيرة يحكما بنو رزين. ثن تغلب عليها محمد بن سعد بن مردنيش أمير بلنسة. وهو الذي أسلمها إلى النصارى القشتاليين .**

[3] **الموافق لـ 1169م.**

حاله

قال الأستاذ **أبو جعفر بن الزبير**: شاعر رقيق مطبوع، متقدم، سريع البديهة، رشيق الأغراض، ذاكر للأدب واللغة. تحرف مدة بصناعة التوثيق ببلده، وولي القضاء مرات بجهات **غرناطة** وغيرها. وكان حسن الكتابة إذا كتب، والشعر أغلب عليه. وذكره **ابن خلاد**، **وابن عبد الملك**؛ فأما **ابن عبد الملك** فلم يستوف له ما استوفى لغيره. وأما **ابن خلاد** فقصر به، إذ قال: كانت نشأته **بمالقة** بلده، وقرارة مولده في ناسها ووسط أجناسها، لم يتميز بحسب، ولم بتقدم في ميدان نسب، وإنما أنهضه أدبه وشعره، وعوضه بالظهور من الخمول نظمه ونثره، فطلع في جبين زمانه غرة منيرة، ونصع في سلك فصحاء أوانه درة خطيرة، وحاز من جيله رتبة التقديم، وامتاز في رعيله بإدراك كل معنى وسيم. والإنصاف فيه ما ثبت لي في بعض التقييدات وهو، الشيخ المسن المعمر الفقيه، شاعر **المغرب**، وأديب صقعه، وحامل الراية، المعلم بالشهرة، المثل في الإكثار، الجامع بين سهولة اللفظ،

وسلاسة المعنى، وإفادة التوليد، وإحكام الاختراع، وانقياد القريحة، واسترسال الطبع، والنفاذ في الأغرض. استعان على ذلك بالعلم بالمقاصد اللسانية، لغة وبياناً وعربية وعروضاً، وحفظاً واضطلاعاً، إلى نفوذ الذهن، وشدة الإدراك، وقوة العارضة، والتبريز في ميدان اللوذعية، والقحة والمجانة، والمؤيد ذلك بخفة الروح، وذكاء الطبع، وحرارة النادرة، وحلاوة الدعابة، يقوم على الأغربة والأخبار، ويشارك في الفقه، ويتقدم في حفظ اللغة، ويقوم على الفرايض. وتولى القضاء. وكتب عن الأمراء، وخدم واسترفد، وكان مقصوداً من رواة العلم والشعر، وطلاب الملح، وملتمسي الفوايد، لسعة الذرع وانفساح المعرفة، وعلو السن، وطيب المجالسة، مهيباً مخطوب السلامة، مرهوباً على الأعراض، في شدقه شفرته وناره، فلا يتعرض إليه أحد بنقد، أو أشار إلى قناته بغمز، إلا وناط به آبدة، تركته في المثلات، ولذلك بخس وزنه، واقتحم حماه، وساءت بمحاسنه القالة، رحمه الله وتجاوز عنه.

مشيخته

تلا بالسبع **على أبي جعفر بن علي الفخار** [1]، وأخذ عنه **بمالقة** وعن غيره. وصحب وجالس من أهلها، **أبا بكر عبد الرحمن بن علي بن دحمان، وأبا عبد الله الاستجي، وابن عسكر، وأبا عمرو بن سالم، وأبا النعيم رضوان بن خالد**، وانتفع بهم في الطريقة. **وبفاس أبا زيد اليرناسني** الفقيه. ولقي **بإشبيلية أبا الحسن بن الدباغ، وأبا علي الشلوبين وأبا القاسم بن بقي،** وأجازوا له. وروى عنه **أبو جعفر بن الزبير**، والقاضي **أبو عبد الله بن عبد الملك** وجماعة.

دخوله غرناطة

قال **ابن الزبير**: ، تكرر قدومه علينا **بغرناطة**، وآخر انفصالاته عنها آخر سنة أربع وسبعين وستماية [2]، وقال لي حفيده **أبو الحسين التلمساني؛** من شيوخنا: أنشد السلطان **الغالب بالله**، بمجلسه للناس من المقصورة بإزاء

[1] **في الذيل والتكملة: ((المقري أبو جعفر الفحام)).**
[2] **الموافق لـ 1275م.**

الحمراء، قبل بناء **الحمراء**. وقال غيره أقام **بغرناطة**، وعقد بها الشروط مدة. وقال لي شيخنا **أبو الحسن الجياب**، ولي القضاء بجهات من **البشارات** [1] ، وشكى للسلطان بضعف الولاية، فأضاف إليه **حصن أشكر يانتشر** [2]، وأمر أن يهمل هذا الاسم ولا يشكل، فقال **أبو الحكم** رحمه الله عند وقوفه عليه، قال لي السلطان في تصحيف هذا الاسم: ((أشكر يا تيس)) ؛ وهي من المقاصد النبيلة.

توااليفه

وهي كثيرة متعددة، منها شعره، والذي دون منه أنواع. فمنه مختاره، وسماه **بـ((الجولات))**. ومنه، **((الصدور والمطالع))**. وله **((العشريات والنبويات))** على حروف المعجم، والتزام افتتاح بيوتها بحرف الروي، وسماها، **((الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى))**. **و((عشرياته الزهدية))**. وأرجوزته المسماة

---

[1] سبق التعريف بها؛ وهي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير؛ بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط. وجاء في الذيل والتكملة: ((ولي القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها)).

[2] في الزيتونة: ((أشكر يانش)). وأشكر أو حصن أشكر بالإسبانية Huescar. يقع شمال مدينة بسطة، وشمال شرقي غرناطة.

((سلك المنخل لمالك ابن المرحل)) نظم فيها **منخل أبي القاسم بن المغربي**، والقصيدة الطويلة المسماة بـ**((الواضحة))**، والأرجوزة المسماة **((اللؤلؤ المرجان))** و**((الموطأة لمالك))**. و**((الأرجوزة في العروض))**. وكتابه في **كان ماذا**، المسمى بـ**((الرمي بالحصا))**، إلى ما يشق إحصاره، من الأغراض النبيلة، والمقاصد الأدبية.

شعره

قال القاضي **أبو عبد الله بن عبد الملك**: كان مكثراً من النظم، مجيداً، سريع البديهة، مستغرق الفكرة في قرضه، لا يفتر عنه حينا من ليل أو نهار. شاهدت ذلك وأخبرني أنه دأبه، وأنه لا يقدر على صرفه من خاطره، وإخلاء باله من الخوض فيه، حتى كان من كلامه في ذلك، أنه مرض من الأمراض المزمنة، واشتهر نظمه، وذاع شعره، فكلفت به ألسنة الخاصة والعامة، وصار رأس مال المستمعين والمغنين، وهجير الصادرين

والواردين، ووسيلة المُكِدِّين [1]، وطراز أوراد المؤذنين وبطايقة [2] البطالين، ونحن نجتزئ منه بنبذ من بعض الأغراض تدل على ما وراءها إن شاء الله؛ فمن ذلك في غرض النسيب [3]:

دنــف تستــر بالغــرام طويــلاً
حــتى تغيــر رقــة ونحـــولا
بســط الوصال فما تمكن جالســا
حتى أقيم عــلى البســاط دليــلا
يا ســادتي ماذا الجــزا[4] فديتكــم
الفضــل لو غير الفــتى ما قيــلا
قالــوا تعــاطى الصبر عن أحبابه
لو كان يصبــر للصــدود قليــلا
ما ذاق إلا شربــة مــن هجرنــا
وكأنــه شــرب الفرات شمــولا

[1] في الإسكوريال؛ كتبت: ((المـ))؛ هكذا؛ ثم جاء بعدها بياض؛ أما الإضافة فمن الزيتونة.
[2] في الزيتونة: ((ومطامة)).
[3] البحر الكامل.
[4] أضاف د. طويل الهمزة؛ فأضحت: ((الجزاء)).

أيقول عشت وقد تملكـــه الهـــوى
لو قـــال مت لكـــان أقـــوم قيـــلا
حلـــف الغـــرام بحبنـــا وجمالنـــا
إن لـــم يدعـــه ميتـــاً فعليـــــلا
إن الجـــفون هـــي السيوف وإنما
قطعتـــن فلـــم تسمـــع لهن صليلا
قل للحبيب ولا أصـــرح باسمـــه
مإذا المـــلال وما عهـــدت ملولا
بيـــني وبينـــك ذمـــــة مرعيـــة
أتراك تقطـــع حبلهـــا الموصـــولا
ولكـــم شربـــت صفا[1] ودك خالصاً
ولبســـت ظلا من رضـــاك ظليلا
فيا[2] غصن بـــان بان عني ظلـــه
عنـــد الهجيـــر فما وجدت مقيـــلا

[1] أضـاف د. طويـل الهمـزة؛ فأضحـت: ((صفـاء)).
[2] حـذف د. طويـل الفـاء؛ فغدت: ((يـا غصـن)).

إعطــف عــلى المضـــنى الـــذي
أحرقته في نار هجرك لوعة وغليـــلا
فارقتــه فتقطعـــــت أفـــــــلاذه
شوقــاً وما ألــفى إليــك سبيـــلا
لو لـــم يكـــن منك التغير لم يسل
بالناس لو حشـــروا إليـــه قبيـــلا
يا راحـــلاً عـــني بقلب مغضـــب
أيطيق قلـــبي غضبـــة ورحيـــلا
قل للصبا هيجت أشجـــان الصبـــا
فوجـــدت يا ريح القبـــول قبـــولا
هل لي رسول في الرياح فاز[1] من
فارقتـــه بعـــث النسيـــم رســـولا
يا ليت شعـــري أيـــن قر قـــراره
يا قلـــب ويك أما وجدت دليـــلا
إن لم يعـــد ذاك الوصال كعهدنـــا
نكلـــت عيـــني بالبكـــا تنكيـــلا

[1] جعلها د. طويل: ((فـإذا)).

وقال نسيباً ومدحاً [1]:

أعـــدى على هواه خصم جفونـــه
مـــالي بـــه قبـــل ولا بفنونـــه
إن لم تجـــرني منـــه رحمة قلبه
من ذا يجيـــر عليه ملـــك يمينـــه
صاب من الأتراك أصبى مهجتي
فعبـــدت نور الحسن فوق جبينه
متمكن في الحســـن نون صدغـــه
فتبيـــن التمكيـــن فـــي تنوينـــه
تنساب عقـــرب صدغه في جنـــة
لم يجن منها الصب غير منونـــه
ولوى ضفيرتـــه فـــولى مدبـــراً
فعـــل الكليـــم ارتـــاع من تبينـــه
قد أطمعتـــني فيـــه رقـــة خـــده
لو أمكنتـــني فيـــه رقـــة دينـــه

[1] البحر الكامل.

ورجوت لين قوامــه لو لم يكــن

كالرمـــح شـــدة طعنـــه في لينـــه

شـــاكي السلاح وما الذي في جفنه

أعـــدى على من الذي بجفونـــه

ناديتـــه لمـــا نـــدت لي سينـــه

وشعـــرت من لفـــظ السلام بسينه

رحماك في دنـــف غـــدا وحياتـــه

مماتـــــه وحراكـــــه كسكونـــه

إن لـــم تمـــن علي منـــة راحـــم

فمنـــاه أن يلقـــاه ريـــب منونـــه

ولذا أبيت سوى سمـــات عـــدوه

فأمانـــه من ذاك ظهـــر أمونـــه

سننيخها فـــي بـــاب أروع ماجـــد

فيـــرى محـــل الفصل حق يقينه

حيث المعارف والعوارف والعـــلا

في حد مجـــد جامـــــع لفنونـــه

بدر وفي الحســـن بن أحمد التقت

نجـــب مررن على العطا بركوبه

تبـــغي مناهـــا في مناهـــا عنـــده

وتطوف بالحاجات عند حجونـــه

فرع من الأصل اليمـــاني طيـــب

ورث البيـــان وزاد فـــي تبيينـــه

يبدى البشاشة في أســـرة وجهـــه

طوراً ويحـــمى العز في عرنينـــه

بسطت شمايله للزمان[1] كمثل مـــا

بســـط الغنـــا نفوسنـــا بلحونـــه

يثـــنى عليـــه كـــل فعـــل سايـــر

كالمســـك إذ يثـــنى على دارينـــه[2]

ومـن النسيـب قولـه [3]:

هو الحبيب قضى بالجور أم عدلا

لبي الخيـــار وأما فـــي هـــواه فلا

---

[1] جعلهـا د. طويـل: ((الزمـان))؛ بحذفـه الـلام، وإضافـة الألـف.
[2] في الزيتونـة: ((صاريتـه)).
[3] البحـر البسيـط.

تالله ما قصر العذال في عذلي لكن
أبـــت أذنـــي أن تسمـــع العــذلا
أما السلـــو فـــشيء لست أعرفـــه
كفى بخلك غدراً أن يقـــال ســـلا
جفون غيري أصحت بعد ما قطـــرت
وقلب غيري صحا من بعد ما ثملا
وغصن بان تثـــنى من معاطفـــه
سقيته الدمع حـــتى أثمر العـــذلا
آثـــره نسيـــم[1] الشعـــر آونـــــة
فكلمـــا مـــال من أعطافـــه اعتدلا
أملت والهمة العليـــاء طامحـــــة
وليـــس في النـــاس إلا آمل أمـــلا
وقـــال إيهـــاً طفيـــلي ومقتـــرح
ألســـت عبدي ومملوكي فقلت بلا
ما من تحـــدث عن حسني وعن كلفي
بحسنه وبحبي فأضـــرب المثـــلا
نيطت خدي خوف القبض من ملكـــه
إذا أشـــار بـــأدنى لحظـــه قتـــلا

[1] **جعلها د. طويل: ((آثرتـه ونسيمـه)).**

تقبـــل الأرض أعضائي وتخدمـــه

إذا تجلى بظهر الغيب واتصـــلا

يا مـــن له دولة في الحسن باهرة

مثلي ومثل فـــؤادي يخدم الـــدولا

ومن نظمه في عروض؛ يخرج من **دوبيتي مجزواً** مقصراً قوله: وملحه في اختراع الأعاريض كثيرة:

الصـــب إلى الجمـــال مايـــل

والحـــب لصدقـــه دلايـــــل

والدمـــع لسايـــلي جـــــواب

إن روجـــع سائـــل بسائـــل

والحســـن على القلوب وال

والقلـــب إلى الحبيب وابـــل

لو ساعـــد من أحـــب سعـــد

ما حال من الحبيـــب حايـــل

يا عـــاذلي إليـــك عـــني لا

تقـــرب ساحـــتي العـــواذل

مـــا نازلـــني[1] كمثـــل ظـــبي
يشـــفي بلحظـــة المنـــازل
مـــا بيـــن دفونـــه حســـام
مخارقـــــه لـــه حمايـــــل
والسيـــف يبـــت ثـــم ينبـــو
واللحـــظ يطبـــق المفاصـــل
والسهم يصيـــب ثم يخـــطي
واللحـــظ يمـــر في المقاتـــل
مهـــلاً فـــدمي لـــه حـــلال
ما أقبـــل فيـــه قـــول قايـــل
إن صـــدني[2] فـــذاك قصـــدي
أو جدلـــني فـــــلا أجـــادل
يا حســـن طلوعـــه علينـــا
والسكـــر بمعطفيـــه مايـــل

[1] في الإسكوريـال: ((مـا نـازل)). والتصحيـح مـن الزيتونـة.
[2] في الإسكوريـال: ((انصـدى)).

ظمــآن مخفــف الأعــالي
ريــان مثقـــل الأسافـــل
قد ثـــم بـــه شـــذا الغوالي
إذ هـــب ونمـــت الغلايـــل
والطيـــب منبـــه عليـــــه
من كـــان عن العيان غافـــل
والغنـــج محـــرك إليـــــه
من كان مسكـــــن البلابـــل
[والسحـــر رســـول مقلتيـــه
ما أقـــرب عهـــده ببابـــــل][1]
والـــروض يعيـــر وجنتيـــه
ورداً كهـــواى غيـــر حايـــل
واللـيـــن يهـــــز معطفيـــــه
كالغصـــن تهـــزه الشمايـــل
والكـــاس تلـــوح في يديـــه
كالنجـــم بأسعـــــد المنـــازل

[1] سقط هذا البيت في الزيتونـة.

يسقيــك بريقـــه مدامـــا
ما أملــح ساقيــاً مواصــــل
يسبيــك برقــة الحــواشي
عشقــاً ولكافــة الشمايــــل
ما أحســن ما وجــدت خداً
إذ نجــم صباي غيــر آفــل

ومن مستحسن نزعاته[1]:

يا راحليــن وبي من قربهم أمــل
لو أغنت الحليتان لي القــول[2] والعمــل
سرتم وسار اشتياقي بعدكم مثــلاً
من دونه السامران[3] الشعر والمثــل
وظــل يعذلــني في حبكم نفــر
لا كانــت المحنتان[4] الحب والعذل

---

[1] البحـر البسيـط.
[2] حـذف د. طويـل: ((لي))؛ فبقيت: ((القـول)) فقـط.
[3] في الإسكوريـال: ((السـاران)).
[4] نفسـه: ((المحتنـان)).

عطفاً علينا ولا تبغوا بنا بدلاً
فما استوى التابعان العطف والعمل

قد ذقت فضلكم دهراً فلا وأبي
ما طاب لي الأحمران[1] الخمر والعسل

وقد هرمت أسى من هجركم وجوى
وشب مني[2] اثنتان الحرص والأمل

غدرتم أو مللتم يا ذوي ثقتي
[لبيست الخصلتان][3] الغدر والملل

قالوا كبرت ولم تبرح كذا غزلاً
أزرى بك الفاضحان الشيب والغزل

لم أنس [يوم ما نادوا][4] للرحيل ضحى
وقرب المركبان الطرف والجمل

وأشرقت بهواديهم هوادجهم
ولاحت الزينتان الحلي والحلل

---

[1] في الزيتونة: ((الخمران)).
[2] في الإسكوريال: ((من))؛ وصححت من الزيتونة.
[3] وردت العبارة في الإسكوريال: (لبيست الخصلتان). وجعلها د. طويل: ((لَبِّئْتُكُمْ)).
[4] جعلها د. طويل: ((يوم تنادوا)).

وودعــوني[1] بأجفــان ممرضـــة
تغضها الرقبتان الخوف والخجل
كم عفروا بين أيدي العيس من بطــل
أصابه المضنيان الغنــج والكحــل
دارت عليهم كؤوس الحب مترعة
وأبا[2] المسكـــران الخمر والمقــل
وآخريـــن اشتفــوا منهم بضمهـــم
يا حبذا الشافيـــان الضم والقبــل
كأنما الروض منهم روضة أنـــف
يُزْهَى[3] بها المثبتان السهل والجبل
من لمسترقٍّ[4] الروابي والوهاد بهم
ما راقه المعجبان الخصر والكفل
يا حادي العيس خذني مأخذاً حسناً
لا يستوي الضدان الريث والعجل

[1] في الإسكوريال: ((ودعوا))؛ صوبت من الزيتونة.
[2] جعلها د. طويل: ((وما أبى)).
[3] في الزيتونة: ((ينهى)).
[4] جعلها د. طويل: ((من مُسْترقٍّ)).

لم يبق لي غيــر ذكر أو بكا طلل

لو ينفع الباقيــان الذكر والطلــل

يا ليت شعــري ولا أنس ولا جــذل

هل يرفــع الطيبان الأنس والجــذل

ومن قوله على لسان ألثغ؛ ينطق بالسين ثاء ويقرأ بالروين[1]:

عمــرت ربــع الهــوى بقلــــب

لقــوة الحــب غيــر ناكــس ث

لبثــت فيــه أجــر ذيــل النــو

ــحول أحبــب بــه للابــــس ث

إن مــت شوقــاً فــلي غــرام

نباتـــه بالسقـــــام وادس ث

أمــا حديــث الهـــوى فحـــق

يصرف بلــواه كل حـــــادس ث

تعبــت بالشــوق فــي حبيــب

أنا بــه مــا حييــت يــايــس ث

---

[1] مخلع البسيط.

يختـــال كالغثــــن مــاس فيـــه

طرف فـــأزرى كـــل[1] مايـــس ث

دنيـــــا تبـــدت لكـــــــل وأي

فهـــو لدنيـــاه أي حـــارس ث

يلعـــــب بالعاشقيـــن طــــــراً

والكـــل راضون وهو عابـــس ث

ومن شعره في الزهد يصف الدنيا بالغرور والخذايح والزور[2]:

يا خاطـــب الدنيـــا طلبت غروراً

وقبلت من تلـــك المحاســـن زورا

دنيـــــاك إما فتنـــة أو محنـــة

وأراك فـــي كلتيهمــــــا مقهـــورا

وأرى السنين تمر عنك سريعـــة

حتى لأحسبهن صـــرن شهـــورا

---

[1] جعلها د. طويل: ((بكل)).
[2] البحر الكامل.

بينـــا تريـــك أهلـــة في أفقهـــا
أبصرتهـــا فـــي إثر ذاك بـــدورا
كانت قسيـــاً ثم صـــرن دوايـــرا
لا بد أن تـــرمي الـــورى وتدورا
يأتي الظلام فمـــا يســـود رقعـــة
حتى تـــرى مسطورهـــا منشورا
فإذا الصبـــاح أتى ومـــد رداءه
نقـــض المســـاء رداءه المنثـــورا
يتعاقبـــان عليـــك هـــذا ناشـــر
مسكـــاً وهـــذا ناشـــر كافـــورا
ما المســـك والكافور إلا أن ترى
من فعلـــك الإمســـاك والتكبيـــرا
أمـــسى على فوديك من لونيهمـــا
سمـــة تســـوم كآبـــة وبســـــورا
حتى متى لا ترعوي وإلى مـــتى
أو ما لقيـــت من المشيب نذيـــرا

أخـــشى عليـــك من الذنوب فربما
تلفى الصغيـــر من الذنـــوب كبيرا
فانظـــر لنفســـك إنـــني لك ناصح
واستغفـــر المولى تجـــده غفـــورا
من قبل ضجعتـــك الـــتي تلقى لها
خد الصغار على التراب حقيـــرا
والهـــول ثـــم الهـــول في اليوم الـــذي
تجـــد الـــذي قدمتـــه مسطـــورا

وقال في المنى المذكور [1]:

إشـــف[2] الوجد ما أبـــكى العيونـــا
وأشـــفي الدمـــع ما نكأ الجفونـــا
فيا ابن الأربعيـــن اركب سفينـــاً
من التقـــوى فقد عمـــرت حينـــا[3]
ونح إن كنـــت من أصحاب نـــوح
لـــكي تنجـــو نجـــاة الأربعينـــا

---

[1] **جعلها د. طويل: ((المعنى المذكور)). والقصيدة من البحر الوافر.**
[2] **جعلها د. طويل: ((واشفي)).**
[3] **في الزيتونة: ((مبينا)).**

بـــدا الشيـــب[1] في فوديـــك رقـــم
فيـــا أهـــل الرقيـــــم أتسمعونـــا
لأنتـــم أهـــل كهـــف قـــد ضربنا
عـــلى إذانهـــم فيـــه سنينـــــا
رأيت الشيب يجـــري في ســـواد
بياضـــــاً لا كعقـــــل الكاتبينـــا
وقد يجري الســـواد على بيـــاض
فكـــان الحســـن فيـــه مستبينـــا
فهذا العكـــس يـــوذن بانعكـــاس
وقـــد أشعرتـــم لـــو تشعرونـــا
نبات هـــاج ثـــم يـــرى حطامـــاً
وهـــذا اللحظ قد شمـــل العيونـــا
نذيـــر جاءكـــم عريـــان يعـــــدو
وأنتـــم تضحكـــــون وتلعبونـــــا

[1] جعلها د. طويل: ((للشيب)).

أخي إلى[1] متى هذا التصابي
جننت بهذه الدنيا جنونا
هي الدنيا وإن وصلت وبرت
فكم قطعت وكم تركت بنينا
فلا تخدعنك أيام تليها
ليال واخشها بيضاً وجونا
فذاك إذا نظرت سلاح دنيا
تعيد حراك ساكنها سكونا
وبين يديك يوم أي يوم
يدينك فيه رب الناس دينا
فإما دار عز ليس يفنى
وإما دار هون لن يهونا
فطوبى في غد للمتقينا
وويل في غد للمجرمينا
وآه ثم آه ثم آه
على نفسي أكررها مئينا

---
[1] **أضاف د. طويل الفاء؛ فغدت:" (فإلى)).**

أخي سمعـــت هذا الوعــظ أم لا
ألا[1] ليتــني فـــي السامعينــــا
إذا ما الوعــظ لـــم يورد بصدق
فلا خســـر كخســـر الواعظينــــا

وقال يتشوق إلى بيت الله الحرام، ويمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]:

شـــوق كما رفعت نار على علم
تشب بين فـــروع الضال والسلـــم
ألفـــه بضلـــوعي وهـــو يحرقها
حتى بـــراني بريـــاً ليس بالقلـــم[3]
من يشتريـــني بالبشرى ويملكـــني
عبداً إذا نظرت عيـــني إلى الحرم
دع للحبيـــب ذمامي واحتمل رمـــقي
فليـــس ذا قـــدم من ليس ذا قـــدم

---

[1] أضـاف د. طويـل ((يـا))؛ فغدت: ((ألا يـا)).
[2] البحـر البسيـط.
[3] في الزيتونـة: ((للقلـم)).

يا أهل طيبة طـــاب العيش عندكم

جلورتم خير مبعـــوث إلى الأمـــم

عاينتم جنة الفـــردوس من كثـــب

في مهبط الوحي والآيات والحكـــم

لنتركـــن بهـــا الأوطـــان خاليـــة

ونسلكـــن لها البيـــداء في الظلـــم

ركابنـــا تحمـــل الأوزار مثقلـــة

إلى محط خطايا العرب والعجـــم

ذنوبنا يا رسول اللـــه قد كثـــرت

وقد أتينـــاك فاستغفـــر لمجتـــرم

ذنـــب يليـــه على تكـــراره نـــدم

فقد مضى العمر في ذنب وفي ندم

نبكي فتشغلنـــا الدنيـــا فتضحكنـــا

ولو صدقنـــا البكا شبنا دماً بـــدم

يا ركب مصر رويداً يلتحـــق بكم

قوم مغاربـــة لحـــم على وضـــم

فيهــم عبيد تسوق العيس زفرتــه
لم يلق مولاه قد ناداه في النســم
يبغي إليه شفيعــاً لا نظيــر لــه
في الفضل والمجد والعلياء والكرم
ذاك الحبيب الذي ترجى شفاعتــه
محمــد خير خلــق اللــه كلهــم
صــلى عليه إله الخلق ما طلعــت
شمس وما رفعت نار على علــم

ومن مقطوعاته العجيبة في شتى الأغراض، وهي نقطة من قطر، وبلالة من بحر، قوله مما يكتب على حمالة سيف، وقد كلف بذلك غيره من الشعراء **بسبتة**. فلما رآها أخفى كل منظومه، وزعم أنه لم يأت بشيء؛ وهو المخترع المرقص [1]:

جمالــه كرياض جاورت نهــرا
فأنبتــت شجراً راقــت أزاهرهــا

[1] **البحر البسيط.**

كحية الماء عامت فيه وانصرفت

فغـــاب أولهـــا فيــــــه وآخرهـــا

وقوله وقد تناول الرئيس **ابن خلاص** [1] بيده مقصاً فأدمى يده فأنشده [2]:

عـــداوة لا لكفــك مـــن قـــد نَـــمَّ[3]

فـــلا تعجـــــب لقـــراض لئيـــم

لئـــن أدمـــاك فهـــو لها شبيـــــه

وقد يسطـــو اللئيـــم على الكريـــم

وقوله في الخضاب [4]:

ستـــرت مشيـــبي بالخضاب تعللا

فلم يحـــظ فشيب[5] وراب خضابي

كأني وقد زورت لونا على الصبا

أعنـــون طرســـاً ليس فيه كتـــاب

---

[1] **الرئيس ابن خلاص هو أبو علي الحسن بن أبي جعفر بن خلاص البلنسي. تولى ولاية سبتة؛ من قِبَل الموحدين في سنة 634هـ/1236م؛ ولكنه تحول عنهم وخلع طاعة خليفتهم السعيد المعتضد بالله الموحدي؛ ورفع دعوته للحفصيين بتونس؛ وذلك سنة 642هـ/1244م.**

[2] **البحر الوافر.**

[3] **ثمة خلل في صدر هذا البيت.**

[4] **البحر الطويل.**

[5] **جعلها د. طويل: ((شيبي)).**

غراب خضاب لم يقف من حذاره

وأغرب شيء في الحذار غــراب

وقوله وهو من البديع المخترع [1]:

لا بــد من ميل إلى جهــة فــلا

تتكــر على الرجــل الكريــم مميــلا

إن الفــؤاد وإن توسط في الحشــا

ليميــل في جهــة الشمــال قليــلا

وقوله وهو معنى قد قيل فيه [2]:

لا تعجبــوا للمــرء يجهــل قدره

أبــداً ويعــرف غيــره فيصبــر

فالعيــن تبصــر غيرها مع بعده

ولكــن نفسهــــا لا تبصــر[3]

---

[1] البحر الكامل.

[2] البحر الكامل.

[3] تصرف د. طويل؛ فجعل هذا العجز هكذا: ((ولكن بؤبوَ نفسها لا تبصر)).

وقوله [1]:

أرى المتعلميـــن عليـــك أعـــداء[2]
إذا أعلمتهـــــم مـــن كـــل عـــاد
فما عند الصغيـــر سوى عقـــوق
ولا عنـــد الكبيـــر ســـوى عنـــاد

وقوله في وصفه ذي الجاه [3]:

يضع الناس صاحب الجاه فيهـــم
كـــل يـــوم فـــي كفـــة الميـــزان
إن رأوه يومـــاً ترجـــح وزنـــاً
ضاعفـــوا البـــر فهو ذو رجحان
أو رأوا منـــه نقـــض حبـــة وزن
ما كســـوه في حبـــة الجلجـــلان

وأنشدنا عنه غير واحد من شيوخنا ؛ وقد بلغ الثمانين [4]:

يـــا أيهـــا الشيـــخ الـــذي عمـــره
قـــد زاد عشـــراً بعـــد سبعينـــا

[1] البحر الوافر.
[2] حذف د. طويل الهمزة؛ فغدت: ((أعدا)).
[3] البحر الخفيف.
[4] البحر السريع.

سكــرت مــن أكؤس خمر الصبا

فحــــدك الدهــــر ثمانينـــــا

وقال: هيهات ما أظنه يكملها، وقال في الكبْرَة [1]:

يا مــن لشيــخ قد أسن وقد عفــا

مذ جاوز السبعين أضحى مدنفــا

خانتــه بعــد وفايهــا أعضــاؤه

فغــدا قعيــداً لا يطيق تصرفــا

هرماً غريبــا ما لديــه مؤانــس

إلا حديث محمــد والمصطــفى

وكتب إلى القاضي أبى الحجاج الطرسوني في مراجعة [2]:

يا سيــدي شاكركـــم مالـــك

قــد صيــرت ميــم اسمــه هاء

ومن يعــش خمســـاً وتسعيــن

قد أنـــهى فـــي التعميــر[3] إنهـــاء

---

[1] **البحر الكامل.**

[2] **البحر السريع.**

[3] **جعلها د. طويل: ((قد أنهت)).**

ومن نظمه في عرس، صنعها بسبتة على طريقه في المجانة [1]:

اللــــه أكبـــر في منـــار الجامـــع
من سبتـــة تاذيـــن عبـــد خاشـــع
اللــــه أكبـــر للصـــلاة أقيمهـــــا
بين الصفوف من البلاط الواســـع
اللــــه أكبـــر محرمـــاً وموجهـــاً
ودبرة[2] إلى ربي بقلـــب خاضـــع
الحمـــــد للــــه الســـلام عليكـــم
آميـــن لا تفتـــح لكـــل مخــــادع
إن النساء خدعنني ومكـــرن بــــي
وملأن من ذكـــر النساء مسامـــع
حتى وقعـــت وما وقعت بجانـــب
لكـــن عـــلى رأس لأمـــر واقـــع

---
[1] البحر الكامل.
[2] جعلها د. طويل: ((دِبري)).

والله ما كانت إليه ضرورة

لكن أمر الله دون مدافع

فخطبن لي في بيت حسن قلن لي

وكذبن لي في بنت قبح شائع

بكراً زعمن صغيرة في سنها

حسناء تسفرعن جمال بارع

خوداً لها شعر أثيث حالك

كالليل تجلي عن صباح ساطع

حوراء يرتاع الغزال إذا رنت

بجفون خَشْفٍ[1] في الخمايل رافع

تتلو الكتاب بغنة وفصاحة

فيميل نحو الذكر قلب السامع

بسامة عن لؤلؤ متناسق

في ثغرها في نظمه متتابع

أنفاسها كالراح فض ختامها

من بعد ما ختمت بمسك رائع

---

[1] **الخَشْفُ: هو ولد الظبية.**

شمـــــاء دون تفـــاوت عربيـــة
ببسالـــة وشجـــاعـــة ومنـــــازع

غيداء كالغصن الرطيب إذا مشت
نـــاءت بـــردف للتعجـــل مانـــع

تخطو على رجلي حمامة أيكـــــة
مخضوبـــة تســـبي فؤاد السامـــع

ووصفـــن لي من حسنها وجمالها
ما البعض منه يقيم عذر الخالـــع

فدنوت واستامنـــت بعد توحـــشي
وأطـــاع قلـــب لم يكن بمطـــاوع

فحملنـــني نحو الـــولي وجئنـــني
بالشاهديـــن وجلـــد كبـــش واسع

وبعرفــــــه مـــن نافـــع لتعـــادل
واللـــه عز وجـــل ليـــس بنافـــع

فشرطـــن أشراطـــاً علي كثيـــرة
ما كمـــت في حملي له بمطـــاوع

ثــم انفصلــت وعلمــت[1] بأنــني

أوثقــت في عنــقي لها بجوامــع

وتركنني يوما وعــدن وقلن لـــي

خذ في البنـــاء ولكــن بمرافــع

واصنع لها عرساً ولا تحوج إلـــى

قاض عليــك ولا وكيــل رافــع

وقرعــت سِنّي عنــد ذاك ندامــة

ما كنــت لــولا[2] خدعــت بقارع

ولزمتني حتى انفصلــت بموعــد

بعد اليميــن إلى النهــار الرابــع

فلــو أنــني طلقــت كنت موفقــاً

ونفضــت من ذاك النكاح أصابع

لكن طمعت بأن أرى الحسن الذي

زورن لي فذممت سوء مطامــع

[1] جعلها د. طويلا: ((وقد علمت)).

[2] أضاف د. طويل: ((أن)) بعد لولا؛ فغدت: لولا أن)).

فنظــرت في أمر البنــاء معجلا
وصنعت عرساً يا لها من صانـــع
وطمعت بأن[1] تجلى ويبصر وجهها
ويقـــر عيـــني بالهـــلال الطالـــع
وظننت ذاك كما ذكرن ولم يكـــن
وحصلت أيضاً في مقام الفـــازع
وحملنـــني ليـــلاً إلى دار لهـــــا
في موضـــع عن كل خير سامـــع
دار خـــراب في مكـــان توحـــش
مـــا بيـــن آثـــار هنـــاك بلاقـــع
فقعـــدت في بيـــت صغيـــر مظلم
لا شيء فيه سوى حصير الجامـــع
فسمعت حساً عن شمالي منكـــراً
وتنحنحـــاً يحـــكي نقيـــق ضفادع
فأردت أن أنجو بنفـــسي هاربـــاً
ووثبت عند البـــاب وثبة جـــازع

[1] **جعلها د. طويل: ((وطمعت أن)).**

فلقيتهـــــن وقد أتيــن بجـــــذوة
فرددنـــني وحبسنـــني بمجامـــع
ودخلن بي في البيت واستجلسنني
فجلست كالمضرور يوم زعـــازع
وأشرن لي نجو السما[1] وقلن لـــي
هـــذي زويبعـــة وبنـــت زوابـــع
هـــذي خليلتـــك الـــتي زوجتهـــا
فاجلس هنـــا معها ليـــوم سابـــع
وبتنـــا[2] النعـــمى الـــتي خولتهـــا
فلقد حصلـــت على رياض يانـــع
فنظـــرت نحو خليلـــتي متأمـــلا[3]
فوجدتهـــــا محجوبـــة ببراقـــــع
وأتيتهـــا وأردت نـــزع خمارهـــا
فغـــدت تدافعـــني بجـــد وازع

---

[1] جعلها د. طويل: ((السمـاء)).
[2] أضـاف د. طويـل: ((مِـنَ))؛ فأضحـت: ((بتنـا مـن النعمى)).
[3] مكانـها بيـاض في الإسكوريـال.

فوجلتهـــا في صدرهـــا وحذوتـــه
وكشفـــت هامتهـــا بغيـــظ صارع
فوجدتهـــا قرعاء تحســـب أنهـــا
مقروعـــة في رأسهـــا بمقـــارع
حـــولاء تنظـــر فوقها في ساقها
فتخالهـــا مبهوتـــة في الشـــارع
فطســـاء تحســـب أن روثة أنفها
قطعت فلا شلـــت يمين القاطـــع
صمـــاء تدعى بالبريـــح وتـــارة
بالطبـــل أو يـــؤتى لهـــا بمقامـــع
بكمـــاء إن رامت كلاما صوتـــت
تصويت معزى نحو جدي راضع
فقمـــــاء إن[1] تلتـــقي أسنانهـــــا
تفسو إذا نطقـــت فســـاء الشابـــع

---

[1] **أضـاف د. طويـل: ((مـا))؛ فغدت: ((فقمـاء إن مـا)).**

عرجـــاء إن قامت تعالج مشيهـــا
أبصرت مشيـــة ضالع أو خامـــع[1]
فلقيتهـــا وجعلـــت أبصق نحوهـــا
أفر نحـــو دجـــاً وغيـــث هامـــع
حيران أغدو في الزقـــاق كأنـــني
لـــص أحـــس بطالـــب أو تابـــع
حـــتى إذا لاح الصبـــاح وفتحـــوا
باب المدينـــة كنـــت أول كاســـع
اللـــه مـــالي بعـــد ذاك بأمرهـــا
علم ولا بأمـــور بيـــتي الضايـــع

نثره

وفضل الناس نظمه على نثره، ونحن نسلم ذلك من باب الكثرة، لا من باب الإجادة. وهذه الرسالة معلمة بالشهادة بحول الله. كتب إلى الشيخين الفقيهين الأديبين البليغين **أبي بكر بن يوسف بن الفخار وأبي القاسم خلف**

[1] في الزيتونـة: ((الخامـع أو ضالـع)).

ابن عبد العزيز القبتوري: ((لله دركما حليفي صفاء، وأليفي وفاء، يتنازعان كأس المودة، تنازع الأكفاء، ويتهاديان ريحان التحية تهادي الظرفاء. قسيمي نسب، وقريعي حسب، يتجاوزان بمطبوع من الأدب ومكتسب، ويتواردان على علم من الظرف ونسب، رضيعي لبان، ذريعي لبان، يحرزان ميراث قس وسحبان، ويبرزان من الذكاء، ما بان على أبان، قسيمي مجال، فصيحي روية وارتجال، يترعان في أشطان البلاغة، سجالاً بعد سجال، ويصرعان في ميدان الفصاحة رجالاً على رجال. ما بالكما لا حرمت حبالكما ولا قصمت نبالكما، لم تسمحا لي من عقودكما بدرة، ولم ترشحاني من نقودكما بدرة، ولم تفسحا لي بحلوة ولا مرة. لقد ابتليت من أدبكما بنهر أقربه ولا أشربه، وما أرده ولا أتبرده. ولو كنت من أصحاب طالوت لا فسحت لي غرفة، وأتيحت لي ترفة. بل لو كنت من الإبل ذوات الأظماء، ما جليت بعد الظمإ عن الماء. ولا دخلت بالإشفاق مدخل العجماء. كيف وأنا ولا فخر في صورة إنسان، ناطق بلسان. أفرق بين الإساءة

والإحسان. وإن قلت إن باعي في النظم قصير، وما لي على النثر ولي ولا نصير، وصنعة النحو عني بمعزل، ومنزل الفقيه ليس لي بمنزل، ولم أقدم على العلم القديم، ولا استأثرت من أهله بنديم. فأنا والحمد لله غني بصنعة الجفر، وأقتني اليراع كأنها شبابيك التبر، وأبري البرية المغا [1] تنيف على الشبر، وأزين خدود الأسطار المستوية، بعقارب اللامات الملتوية، ولا أقول كأنها، فلا ينكر السيدان أعزهما الله، أنها نعم بعود أزاعم، وبمثل شكسي تحضر الملاحم. فما هذا الازدراء والاجتراء في هذا الأمر مر المواقير. تالله لقد ظلمتماني على علم، واستندتما إلى غير حلم، أما رهبتما شبابي، أما رغبتما في حسابي، أما رفعتما بين نفح صبابي، ولفح صبابي. لعمري لقد ركبتما خطراً، وهجتما الأسد بطراً، وأبحتما حمى محتضراً، ولم تمعنا في هذا الأمر نظراً [2]:

[1] هكذا. وقد وضع د. طويل بدلها: ((التي)).
[2] البحر الطويل.

أعــد نظــراً يا عبد قيــس لعلما
أضاءت لك النار الحمار المقيــدا

ونفسي عين الحمار في هذا المضمار، لا أعرف قبيلا من دبير، ولا أفرق بحسي بين صغير وكبير، ولا أعهد أن حصاة الرمي أخف من ثبير، أليس في ذوي كبد رطبة أجر، وفي معاملة أهل التقوى والمغفرة تجر، وإذا خولتماني نعمة، أو نفلتماني نفلاً، فـ((**اليد العليا خير من اليد السفلى**)) [1]، و((**ما نقص مال من صدقة**)) [2]، ولا جمال من لمح حدقة، والعلم يزيد بالإنفاق، وكتمه حرام باتفاق، فإن قلتما لي إن فهمك سقيم، وعوجك على الرياضة لا يستقيم، فلعل الذي نصب قامتي، يمن

[1] عن حكيم بن حازم رضي الله عنه؛ أن رسول الله قال: ((اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله)). رواه البخاري بلفظه.
[2] لهذا الحديث وجهان: الأول عن أبي كبشة الأنماري؛ أن عليه الصلاة والسلام قال: ((ثلاثة أقسم عليهن: مَا نَقَصَ مَالٌ عبد مِنْ صَدَقَةٍ، وما زَادَ الله عبداً بعَفْوٍ إلاَّ عِزا، ومَنْ تواضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ)). أما الوجه الثاني؛ فعن أبى هريرة عن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْداً بعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ)). روى الحديثان: مسلم والترميذي.

باستقامتي، وعسى الذي يشق سمعي وبصري، أن يزيل عيّي وحصري، فأعِي ما تقصان، وأجتلي ما تنصان، وأجني ثمار تلك الأغصان؛ فقد شاهدتما كثيراً من الحيوان، يناغى فتتعلم، ويلقن فيتكلم. هذا والجنس غير الجنس، فكيف المشارك في نوعية الإنس، فإن قلنا إن ذلك يشق، فأين الحق الذي يحق، والمشقة أخت المروة، وينعكس مساق هذه الأخوة، فيقال المروة أخت المروة، والحجيج يصبر على بعد الشقة، ولولا المشقة، كثر السادة، وقلت الحسادة، فما ضركما أيها السيدان، أن تحسبا تحويجي، وتكتسبا الأجر في تدريجي، فإنكما إن فعلتما ذلك، نسبت إلي ولايكما، كما حسبت على علايكما، وأضفت إلى نديكما، كما عرفت بمنتداكما. ألم تعلما أن المرء يعرف بخليله، ويقاس به في كثيره وقليله، ولعلي أمتحن في مرام، ويعجم عودي رام، فيقول هذا العود من تلك الأعواد. وما في الحلبة من جواد، فأكسوكما عاراً، وأكون عليكما شعاراً. على أني إذا دعيت باسمكما، استربت من الإدعاء؛ فلا أستجيب لهذا

الدعاء، ولكن أقول كما قال **ابن أبي سفيان؛** حين عرف الإدارة، وأنكر الإمارة، نعم أخوتي أصح، وأنها بها أشح، إلا أن غيري نظم في السلك، وأسهم في الملك، وأنا بينكما كالمحجوب بين طلاب، يشاركهم في البكا لا في التراث، إن حضرت فكنتم في الإقحام، أو لمقعد في زحام، وإن غبت فيقضى الأمر، وقد سطر زيد وعمرو. ناشدتكما الله في الإنصاف، أن تربعا بواد من أودية الشحر. في ناد من أندية الشعر بل السحر، حيث تندرج الأنهار، وتتأرج الأزهار، ويتبرج الليل والنهار، ويقرأ الطير صحفاً منتشرة، ويجلو النور ثغورا مؤشرة، يغازل عيون النرجس الوجل خدود الورد الخجل. وتتمايل أعطاف البان، على أرداف الكثبان، فيرقد النسيم العليل في حجر الروض وهو بليل، وتبرز هوادج الراح على الراح، وقد هديت بأقمار، وحديت بأزهار ومزمار، وركبتها الصبا والكميت في ذلك المضمار، ولم تزالا في طيب، وعيش رطيب، من قباب وخدور، وشموس وبدور، تصلان الليالي والأيام، أعجازاً بصدور، وأنا

الطريد منبوذ بالعراء، موقوذ في جهة الوراء، لا يدني محلي ولا يعتنى بعقدي ولا حلي، ولا أدرج من الحرور إلى الظل، ولا أخرج من الحرام إلى الحل، ولا يبعث إلي مع النسيم هبة، ولا يتاح لي من الآتي عبه. قد هلكت لغواً، ولم تقيما لي صفواً، ومت كمداً، ولم تبعثا لبعثي أمداً. أتراه خلفتماني جرضاً، وألقيتماني حرضاً، كم أستسقي فلا أسقى، وأسترقي فلا أرقى، لا ماء أشربه ولا عمل في وصلكما أدربه. لم يبق لي حيلة إلا الدعاء المجاب، فعسى الكرب أن ينجاب. اللهم كما أمددت هذين السيدين بالعلم الذي هو جمال، وسددتهما إلى العمل الذي هو كمال، وجمعت فيهما الفضايل والمكارم، وختمت بهما الأفاضل والمكارم، وجعلت الأدب الصريح أقل خصالهما، والنظر الصحيح أقل نصالهما، فاجعل اللهم لي في قلوبهما رحمة وحناناً، وابسط لي منهما وجها، واشرح لي جناناً، واجعلني اللهم ممن اقتدى بهما، وتعلق بأهدابهما، وكان دأبه في الصالحات كدأبهما، حتى أكون بهما ثالث القمرين في الآيات، وثالث العمرين، في عمل

البر وطول الحياة اللهم آمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين. وكأني أنظر إلى سيدي أعزهما الله، إذا وقفا على هذا الخطاب، ونظرا إلى هذا الاحتطاب، كيف يديران رمزاً، ويسيران غمزاً، ويقال استتب [1] الفصال، وتعاطى البيذق ما تفعل النصال، وحن جذع ليس منهما، وخذ عجفاءك وسمنها، فأقول وطرفي غضيض، ومحلي الحضيض، مثلي كمثل الفروج أو ثاني البروج، وما تقاس الأكف بالسروج، فأضربا عني أيها الفاضلان ما أنا ممن تناضلان، والسلام)).

مولده

قال شيخنا الفقيه **أبو عبد الله بن القاضي المتبحر العالم أبي عبد الله بن عبد الملك**، سألته عن مولده فأنشدني[2]:

يا سايـــلي عن مولدي كي أذكـــره

ولـــــدت يـــوم سبعـــة وعشـــرة

[1] في الزيتونـة: ((استثنيـت)).

[2] الرجـز.

من المحـــــرم افتتـــاح أربــــع
من بعـــــد ستمايـــــة مفســـــرة

وفاته

في التاسع عشر لرجب عام تسعة وتسعين وستماية[1]، ودفن بمقبرة **فاس**، وأمر أن يكتب على قبره[2]:

زر غريبـــــا بمقـــــره
نازحـــــا مالـــــه ول
تركـــوه موســـــــداً
بيـــن تـــرب وجنـــدل
ولتقـــل عنـــد قبـــــره
بلســـــان التذلـــــــل
يرحـــم اللـــه عبـــــده
مالـــك بـــن المرحـــل

***

[1] الموافق لـ 1299م.
[2] مجزوء الخفيف.

ومن طارئي المقريين والعلماء

***

منصور بن علي

ابن عبد الله الزواوي؛ صاحبنا؛ يكنى أبا علي.

حاله

هذا الرجل طرف في الخير والسلامة، وحسن العهد، والصون والطهارة والعفة، قليل التصنع، مؤثر للاقتصاد، منقبض عن الناس، مكفوف اللسان واليد، مشتغل بشأنه، عاكف على ما يعنيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، منصف في المذاكرة، موجب لحق الخصم، حريص على الإفادة والاستفادة، مثابر على تعلم العلم وتعليمه غير أنف عن حمله عمَّن دونه جملة من جمل السذاجة والرجولة وحسن المعاملة، صدر من صدور الطلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلة، واطلاع تقييد، ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات. يكتب الشعر فلا يعدو الإجادة والسداد. قدم **الأندلس** في عام

ثلاثة وخمسين وسبعماية [1]، فلقي رحباً، وعرف قدره، فتقدم مقرئا بالمدرسة [2] تحت جراية نبيهة، وحلق للناس متكلماً على الفروع الفقهية والتفسير. وتصدر للفتيا، وحضر بالدار السلطانية مع مثله. جربته وصحبته، فبلوت منه ديناً ونصفة، وحسن عشرة.

محنته

امتحن في هذا العهد الأخير بمطالبة شرعية، لمتوقف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله والنبوة، وشك في القول بتكفيره، فقال القوم بإشراكه في التفكير ولطخه بالعاب الكبير، إذ كان كثير المشاحة لجماعتهم، فأجلت الحال عن صرفه عن **الأندلس** في أواخر شعبان عام خمسة وستين وسبعماية[3].

---

[1] الموافق لـ 1352م

[2] هي المدرسة النصرية أو الجامعة التي بناها سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل؛ الذي حكم دولة بني الأحمر من سنة 733هـ/1332م إلى سنة 755هـ/1354م.. له ترجمة في الإحاطة.

[3] الموافق لـ 1363م.

مشيخته

طلبت منه تقييد مشيخته، فكتب مما يدل على جودة القريحة ما نصه: يتفضل سيدي الأعلى الذي أهتدي بمصباحه، وأعشو إلى غرره وأوضاحه، جامع أشتات العلوم، وفاتق رتق الفهوم، حامل راية البديع، وصاحب آيات التورية فيه والترصيع، نخبة البلغاء، وفخر الجهابذة العلماء، قايد جياد البلاغ من نواصيها، وسايق شوارد الحكم من أقاصيها، **أبو عبد الله بن الخطيب**، أبقاه الله للقريض، يقطف زهره، ويجتني غرره، وللبديع يطلع قمره، وينظم درره، وللأدب يحوك حلله، ويجمع تفاصيله وجمله، وللمعاني يجوس بجيوش البراعة خلالها، ويفتتح بعوامل اليراعة أقفالها، وللأسجاع يقرط الأسماع بفرايدها، ويحلي النحور بقلايدها، وللنظم يورد جياده أحلى الموارد، ويجليها في مضمار البلاغة من غير معاند، وللنثر يفترع أبكاره، ويودعها أسراره، ولساير العلوم يصوغها في مفرق الآداب تاجاً، ويضعها في أسطر الطروس سراجا، ولا زال ذا القلم الأعلى، وبدر الوزارة

الأوضح الأجلى، ببقاء هذه الدولة المولوية والإمامة المحمدية، كعبة لملوك الإسلام، ومقصداً للعلماء الأعلام. ورضي عنهم خلفاً وسلفاً، وبورك لنا فيهم وسطاً وطرفاً، ولا زالت آمالنا بعلايهم منوطة، وفي جاههم العريض مبسوطة، بقول ما نبه عليه، من كتب شيوخي المشاهير إليه، فيها أنا أذكر ما تيسر لي من ذلك بالاختصار، إذ لا تفي بذكرهم وحلاهم المجلدات الكبار.

فمنهم: مولاى الوالد **علي بن عبد الله** لقاه الله، الروح والريحان، وأوسعه الرضا والغفران. قرأت عليه القرآن، وبعض ما يتعلق به من الإعراب والضبط. ثم بعثني إلى شيخنا المجتهد الإمام، علم العلماء، وقطب الفقها، قدوة النظار، وإمام الأمصار، **منصور بن أحمد المشدالي** رحمه الله وقدس روحه، فوجدته قد بلغ السن به غاية أوجبت جلوسه في داره، إلاّ أنه يفيد بفوايده بعض زواره؛ فقرأت من أوائل **ابن الحاجب** عليه لإشارة والدي بذلك إليه، وذلك أول محرم عام سبعة وعشرين

وسبعماية[1]. واشتد الحصار **ببجاية**؛ لسماعنا أن السلطان **العبد الوادي** ينزل علينا بنفسه، فأمرني بالخروج رحمه الله؛ **فعاقني عايق عن الرجوع إليه لأتمم قراءة ابن الحاجب** عليه. ثم مات رحمه الله عام أحد وثلاثين وسبعماية[2]؛ فخص مصابه البلاد وعم، ولف ساير الطلبة وضم، إلا أنه ملأ **بجاية** وأنظارها بالعلوم النظرية وقساها، وأنظارها بالفهوم النقلية والعقلية، فصار من طلبته، شيخنا المعظم، ومفيدنا المقدم **أبو عبد الله محمد ابن يحيى الباهلي** المعروف بالمفسر رحمه الله، بالطريقة الحاجبية، والكتابة الشرعية والأدبية، مع فضل السن وتقرير حسن، إلى معارف تحلاها، ومحاسن اشتمل حلاها. واستمر في ذكر شيوخه على هذه الوتيرة من التزام السجع، وتقرير الحلي، فأجاد، وتجاوز المعتاد، فذكر منهم: **محمد بن يحيى الباهلي** المذكور، وأنه أخذ عنه جملة من العلوم، فافرده بقراءة الإرشاد. والأستاذ **أبا علي بن حسن البجلي**، وقرأ عليه جملة من الحاصل،

[1] **الموافق لـ 1326م.**
[2] **الموافق لـ 1330م.**

وجملة من المعالم الدينية والفقهية، والكتب المنطقية، **كالخونجي**، **والآيات البينات**؛ والقاضي **أبا عبد الله محمد ابن أبي يوسف** قاضي الجماعة **ببجاية**، **وأبا العباس أحمد ابن عمران الساوي اليانيولي**. قال ثم ثنيت العنان بتوجهي إلى **تلمسان**؛ راغباً في علوم العربية، والفهوم الهندسية والحسابية؛ فأول من لقيت شيخنا الذي علمت في الدنيا جلالته وإمامته، وعرفت في أقاصي البلاد سيادته وزعامته، وذكر رئيس الكتاب العالم الفاضل **أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي**، والمحدث البقية **أبا العباس بن يربوع**، والقاضي **أبا إسحق بن أبي يحيى**؛ وقرأ شيئاً من مبادئ العربية على الأستاذ **أبي عبد الله الرندي**. ولقي **بالأندلس** جلة. فممن قرأ عليه إمام الصنعة العربية شيخنا **أبو عبد الله بن الفخار** الشيهر **بالبيري**، ولازمه إلى حين وفاته، وكتب له بالإجازة والإذن له في التحليق بموضع قعوده من المدرسة بعده. وقاضى الجماعة الشريف **أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني**، نسيج وحده، ولازمه، وأخذ عنه تواليفه، وقرأ عليه **تسهيل الفوايد لابن مالك**،

وقيد عليه؛ وروى عن شيخنا إمام البقية **أبي البركات بن الحاج** ، وعن الخطيب المحدث **أبي جعفر الطنجالي**. وهو الآن بالحال الموصوفة؛ أعانه الله وأمتع به.

شعره

زرنا معاً والشيخ القاضي المتفنن **أبو عبد الله المُقْري** عند قدومه إلى **الأندلس** رباط العقاب[1]. واستنشدت القاضي. وكتب لي يومئذ بخطه، استنشدني الفقيه الوجيه الكامل ذو الوزارتين **أبو عبد الله بن الخطيب**، أطال الله بقاه كما أطال ثناه، وحفظ مهجته، كما أحسن بهجته، فأنشدته لنفسي[2]:

لمـــا رأيناك بعد الشيب يا رجل
لا تستقيـــم وأمر النفس تمتثـــل
زدنا يقينـــا بما كنـــا نصدقـــــه
عند المشيب يشب الحرص والأمـــل

---

[1] **يسمى أيضاً رابطة العقاب.؛ وهو مخصص للعبادة؛ ويتواجد بالقرب غرناطة**
[2] **البحر البسيط.**

وكان ذلك بمسجد رابطة العقاب، عقب صلاة الظهر من يوم الأحد التاسع والعشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعماية [1]. وكتب الشيخ الأستاذ **أبو علي** يقول: **منصور بن علي الزواوي**، في رابطة العقاب في كذا، أجزت صاحبنا الفقيه المعظم، **أبا عبد الله بن الخطيب** وأولاده الثلاثة: **عبد الله، ومحمداً، وعلياً**، أسعدهم الله، جميع ما يجوز لي وعني روايته، وأنشدته قولي أخاطب بعض أصحابنا [2]:

يحييـــك عن بعض المنازل صاحب
صديـــق غدت تهدى إليك رسايلـــه
مقــدمـــة حفـــظ الـــوداد وسيلـــة
ولا ود إلا أن تصـــح وسائلـــه
يسايل عنـــك الـــداريـــن[3] ولم يكـــن
تغيب لبعـــد الـــدار عنك مسايلـــه

[1] الموافق لـ 1356م.
[2] البحر الطويل.
[3] جعلها د. طويل: ((الدارسين)).

وكتبت له قبل هذا؛ مما أنشدته عند قدومي على **غرناطة** [1]:

يا من وجدناه لفظا
حقيقة في المعالي
مقدمات علاكم
أنتجن كل كمال
وكل نظم قياس
خلوت منه فخال

وهو من لدن أزعج عن **الأندلس** ؛ كما تقدم ذكره ؛ مقيم **بتلمسان** ؛ على ما كان عليه من الإقراء والتدريس.

***

[1] **بحر المجتث.**

مسلم بن سعيد التنملي[1]

حاله

كان غير نبيه الأبوة. ظهر في دولة السلطان أمير المسلمين، ثاني الملوك من **بني نصر**[2]، بمزيد كفاية، فقلده خطة الحفازة، وهي تعميم النظر في المجابي، وضم الأموال، وإيقاع النكير في محل التقصير، ومظان الريب فنمت حاله، وعظم جاهه، ورهبت سطوته، وخيف إيقاعه، وقربت من السلطان وسيلته، فتقدم الخدام، واستوعب أطراف الحظوة، واكتسب العقار، وصاهر في نبيه البيوتات، وأروث عنه أخباراً، تشهد له بالجود وعلو الهمة، وشرف النفس؛ إلى أن قضى على هذه الوتيرة.

---

[1] نسبة إلى تينملل؛ موطن محمد بن تومرت (المهدي)؛ الأب الروحي للدولة الموحدية.

[2] وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ سلطان غرناطة الذي حكم من سنة 671هـ/1272م إلى سنة 701هـ/1301م.

ذكروا أن شخصاً جلب سلعة نفيسة، مما يطمع في إخفايها، حيدة عن وظيفة المغرم الباهظة، في مثل جنسه، فبينما هو يروم المحاولة، إذ بصر بنبيه المركب والبزة، ينفض في زوايا الفحص عن مثل مضطبنه، فظنه رئيساً من رؤساء الجند، فقصده ورغب منه إجازة خبيئته بباب المدينة، وقرر لتخوفه من ظلم الحافز الكذا مسلم، فأخذها منه وخبأها تحت ثيابه، ووكل به. ولم يذهب المسكين إلا يسيراً، حتى سأل عن الرجل، فأخبر أنه الذي فرّ عنه. فسقط في يده. ثم تحامل فألقاه ينظره في داخل السور، فدفع إليه أمانته، وقال سر في حفظ الله، فقد عصمها الله من ذلك الرجل الظالم؛ فخجل الرجل، وانصرف متعجباً. وأخباره في السراوة، ونجح الوسيلة. كثيرة.

وفاته

توفي في عام ثمانية وتسعين وستماية [1]، وشهد أميره دفنه، وكان قد أسف ولي العهد بأمور صانعه فيها من باب خدمة والده. فكان يتلمظ لنكبته، ونصب لثاته لأكله. فعاجله الحمام قبل إيقاع نقمته به. ولما تصير إليه الأمر، نبش قبره، وأخرج شلوه، فأحرق بالنار، إغراقاً في شهوة التشفي رحمة الله عليه.

***

[1] **الموافق لـ 1298م.**

***

مؤمل

مولى باديس بن حبوس

حاله ومحنته

قال **ابن الصيرفي**: وقد ذكر **عبد الله بن بلقين حفيد باديس**، واستشارته عن أمره، لما بلغه حركة **يوسف بن تاشفين** إلى خلعه. وكان في الجملة من أحبابه، رجل من عبيد جده اسمه **مؤمل**، وله سن، وعنده دهاء وفطنة، ورأى ونظر. وقال في موضع آخر، ولم يكن في وزراء مملكته وأحبار دولته، أصيل الرأي، جزل الكلمة، إلاّ **ابن أبي خيثمة** من كتبته، **ومؤمل** من عبيد جده، **وجعفر** من فتيانه. رجع، قال: فألطف له **مؤمل** في القول، وأعلمه برفق، وحسن أدب، أن ذلك غير صواب، وأشار إليه بالخروج إلى أمير المسلمين إذا قرب، والتطارح عليه، فإنه لا تمكنه مدافعته، ولا تطاق حربه، والاستجداء له. أحمد عاقبة وأيمن مغبة. وتابعه على ذلك نظراؤه، من أهل

السن والحنكة ودافع في صد رأيه الغلمة والأغمار، فاستشاط غيظاً على **مؤمل** ومن نحا نحوه، وهم بهم، فخرجوا، وقد سل بهم فرقاً منه. فلما جنهم الليل فروا إلى **لوشة**، وبها من أبناء **عبيد باديس** قايدها، فملكوها وثاروا فيها، بدعوة أمير المسلمين **يوسف بن تاشفين**، وبادر **مؤمل** بالخطاب إلى أمير المسلمين المذكور وقد كان سفر إليه عن سلطانه، فأعجبه عقلاً ونبلاً، فاهتز إليه، وكان أقوى الأسباب على حركته. وبادر حفيد **باديس** الأمر، فأشخص الجيش لنظر صهره، فتغلب عليهم، وسيق **مؤمل** ومن كان معه شرّ سوق في الحديد، وأركبوا على دواب هجن، وكشفت رؤوسهم، وأردف وراء كل رجل من يصفعه. وتقدم الأمر في نصب الجذوع وإحضار الرماة. وتلطف **جعفر** في أمرهم. وقال للأمير **عبد الله**، إن قتلتهم الآن، أطفأت غضبك، وأذهبت ملكك. فاستخرج المال، وأنت من وراء الانتقام، فثقفهم، وأطمعوا في أنفسهم ريثما شغله الأمر، وأنفذ إليه **يوسف ابن تاشفين** في حل اعتقالهم، فلم تسعه مخالفته

وأطلقهم. ولما ملك **غرناطة** على تفيئة تلك الحال، قدم **مؤملاً** على مستخلصه وجعل بيده مفاتيح قصره، فنال ما شاء من مال وحظوة، واقتنى ما أراد من صامت وذخيرة. ونسبت إليه **بغرناطة** آثار، منها السقاية بباب الفخارين، والحوز المعروف **بحوز مؤمل**، أدركتها وهي بحالها.

وفاته

قال **ابن الصيرفي**: وفي ربيع الأول من هذا العام، وهو عام اثنين وتسعين وأربعماية[1]، توفي **بغرناطة مؤمل**؛ **مولى باديس بن حبوس**، عبد أمير المسلمين، وجابي مستخلصه؛ وكان له دهاء وصبر، ولم يكن بقارئ ولا كاتب. رزقه الله عند أمير المسلمين، أيام حياته، منزلة لطيفة ودرجة رفيعة. ولما أشرف على المنية، أحضر ما كان عنده من مال المستخلص، وأشهد الحاضرين على دفعه إلى من استوثقه على حمله. ثم أبرأ جميع عماله وكتابه. وأنفذ رجلاً من صنايعه إلى أمير

[1] الموافق لـ 1098م.

المسلمين بجملة من مال نفسه، يريه أن ذلك جميع ما اكتسبه في دولته، أيام خدمته، وأن بيت المال أولى به، ورغب في ستر أهله وولده. فلما وصل إليه، أظهر الأسف عليه، وأمضى تقديم صنيعته. ثم ذكر ما كشف البحث عنه من محتجنه، وشقاء من خلفه بسببه، وعدد مالاً وذخيرة.

***

***

نصر بن محمد

ابن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن محمد بن خميس ابن عقيل الخزرجي الأنصاري [1]؛ أمير المسلمين بالأندلس، بعد أبيه وجدّه وأخيه؛ يكنى أبا الجيوش؛ وقد تقدم من أولية هؤلاء الملوك ما يغني عن الإعادة.

حاله

من **كتاب طرفة العصر في أخبار الملوك من بني نصر**؛ من تصنيفنا. قال: كان فتى يملأ العيون حسناً وتمام صورة، دمث الأخلاق، لين العريكة، عفيفاً، مجبولاً على طلب الهدنة، وحب الخير، مغمد السيف، قليل الشر، نافراً للبطر وإراقة الدماء، محبا في العلم وأهله، آخذاً من صناعة التعديل [2] بحظ رغيب، يخط التقاويم الصحيحة، ويصنع الآلات الطريفة [3] بيده، اختص في ذلك الشيخ الإمام **أبا عبد الله بن الرقام**، وحيد عصره. فجاء واحد

---

[1] ترجمته أيضاً في اللمحة البدرية.
[2] صناعة التعديل: هي علم الفلك.
[3] في اللمحة: ((العجيبة)).

دهره ظرفاً وإحكاماً. وكان حسن العهد، كثير الوفاء. حمله الوفاء على اللجاج في[1] وزيره المطلوب بعزله، على الاستهداف للخلع. تقدم يوم خلع أخيه، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعماية[2]، وسنه ثلاث وعشرون سنة، فكان من تمام الخلق، وجمال الصورة، والتأنق في[3] ملوكي اللباس، آية من آيات الله خالقه. واقتدى[4] برسوم أبيه وأخيه، وأجرى الألقاب والعوايد لأول دوالته، وكانت أيامه كما شاء الله، أيام نحس مستمر، شملت المسلمين فيها الأزمة، وأحاط بهم الذعر، وكلب العدو. وسيمر من ذالك ما فيه كفاية[5]. وكان فتى أي فتى، لو ساعده الجد. والأمر لله من قبل ومن بعد.

[1] في اللمحة البدرية: ((في أمر وزيره)).
[2] الموافق لـ 1308م.
[3] في اللمحة: ((في رفيع اللباس وملوكي البزة؛ آية من...)).
[4] نفسه: ((واحتذى مرسوم)).
[5] نفسه: ((ما فيه الكفاية)).

وزراء دولته

وزر له مقيم أمره ومحكم التدبير على أخيه، **أبو**[1] **بكر عتيق بن محمد بن المول**. وبيت **بني مول بقرطبة**، بيت[2] له ذكر وأصالة. ولما تغلب عليها **ابن هود**، اختفى بها أبوه أياماً عدة. ولما تملكها السلطان **الغالب بالله** تلك البرهة، خرج إليه وصحبه إلى **غرناطة**، فاتصلت قرباه بعقده على **بنت للرئيس أبي جعفر**؛ المعروف[3] **بالعجلب** ابن عم السلطان. واشتد عضده. ثم تأكدت القربى بعقد **مول** أخي هذا الوزير على بنت الرئيس **أبي الوليد** أخت الرئيس **أبي سعيد**، منجب هؤلاء الملوك الكرام؛ فقام بأمره، واضطلع بأعباء سلطانه، إلى أن كان من تغلب أهل الدولة عليه، وإخافة سلطانه منه، ما أوجب صرفه إلى **المغرب** في غرض الرسالة، وأشير عليه في طريقه بإقامته **بالمغرب**، فكان صرفاً حسناً. وتولى الوزارة **محمد ابن علي بن عبد الله بن الحاج**، المسير لخلعه، واجتثاث

---

[1] **في اللمحة: ((الوزير القائد أبو بكر..)).**
[2] **نفسه: ((بيت أصالة)).**
[3] **نفسه: ((المنبز بالعجلب)).**

أصله وفرعه، وكان خِبّاً داهية، أعلم الناس بأخبار **الروم** وسيرهم وآثارهم. فحدثت بين السلطان وبين أهل حضرته الوحشة بسببه.

قضاته

أقرَّ على خطة القضاء بحضرته قاضي أخيه الشيخ الفقيه **أبا جعفر القرشي ؛** المنبز **بابن فركون** [1] **؛** وقد تقدم التعريف به مستوفى بحول الله [2].

كتابه

شيخنا الصدر الوجيه، نسيج وحده **أبو الحسن علي ابن محمد بن سليمن بن الجياب ؛** إلى آخر مدته.

من كان على عهده من الملوك

بالمغرب، السلطان **أبو الربيع سليمن بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق**، تصير الأمر إليه بعد وفاة أخيه السلطان **أبي ثابت عامر**

---

[1] **وردت ترجمته في الإحاطة.**

[2] **في اللمحة: ((وقد تقدم ذكره)).**

بأحواز **طنجة**، في صفر عام ثمانية وسبعماية [1]، وكان مشكوراً، مبخت الولاية. وفي دولته عادت **سبتة** إلى الإيالة **المرينية**، ثم توفي **بتازى** [2] في مستهل رجب من عام عشرة وسبعماية [3]. وتولى الملك بعده عم أبيه السلطان الجليل الكبير، خدن العافية، وولي السلامة، وممهد الدولة **أبو سعيد عثمن بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق**. واستمرت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير، وكثيراً من أيام من بعده. وقد تقدم من ذكر السلطان **أبي يوسف** في اسم من تقدم من الملوك ما فيه كفاية.

وبتلمسان، الأمير **أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن**، سلطان **بني عبد الواد** [4]، مذلل الصقع، والمثل الساير في الحزم والتيقظ، وصلابة الوجه، زعموا، وإحكام القحة، والإغراب في خبث السيرة. واستمرت

---

[1] الموافق لـ **1308م**.
[2] تسمى أيضاً تازى؛ وهي مدينة في المغرب الأقصى؛ تقع شرقي مدينة فاس.
[3] الموافق لـ **1310م**.
[4] في الإسكوريال والزيتونة: ((عبد الوادي)).

ولايته إلى عام ثمانية عشر وسبعماية [1]، إلى أن سطا به ولده **عبد الرحمن أبو تاشفين**.

وبتونس، الأمير الخليفة **أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر محمد ابن** الأمير **أبي زكريا بن أبي حفص**. ثم توفي في ربيع الآخر عام تسع وسبعماية [2]. فولي الأمر قريبه الأمير **أبو بكر بن عبد الرحمن ابن** الأمير **أبي زكريا ابن** الأمير **أبي إسحق ابن** الأمير **أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص**. ونهض إليه من **بجاية** قريبه السلطان **أبو البقاء خالد ابن** الأمير **أبي زكريا ابن** الأمير **أبي إسحق ابن** الأمير **أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص**، فالتقيا بأرض **تونس**، فهزم **أبو بكر**، ونجا بنفسه، فدخل بستاناً لبعض أهل الخدمة، مختفياً فيه، فسعي به إلى **أبي البقاء**؛ فجيء به إليه؛ فأمر بعض القرابة بقتله صبراً؛ نفعه الله. وتم الأمر **لأبي البقاء** في رابع جمادى الأولى منه، إلى أن وفد الشيخ المعظم **أبو يحيى زكريا** الشهير **باللحياني**، قافلاً من بلاد **المشرق**،

---

[1] **الموافق لـ 1318م.**
[2] **الموافق لـ 1309م.**

وهو كبير **آل أبي حفص** نسباً وقدراً، فأقام **بإطرابلس**، وأنقذ إلى **تونس** خاصته، الشيخ الفقيه **أبا عبد الله المردوري** [1]؛ محارباً **لأبي البقاء**، وطالباً للأمر. فتم الأمر، وخلع **أبو البقاء** تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر وسبعماية [2]. وتم الأمر للشيخ **أبي يحيى**، واعتقل **أبو البقاء**؛ فلم يزل معتقلاً إلى أن توفي في شوال عام ثلاثة عشر وسبعماية [3]، ودفن بالجبانة المعروفة لهم **بالزلاج**، فضريحه فيما تعرفنا بإزاء ضريح قتيله المظلوم **أبي بكر**، لا فاصل بينهما. وعند الله تجتمع الخصوم. واتصلت أيام الأمير **أبي يحيى**، إلى أن انقرضت مدة الأمير **أبي الجيوش**. وقد تضمن الإلماع بذلك **الرجز** المسمى **بقطع السلوك** [4] من نظمي. فمن ذلك فيما يختص بملوك **المغرب** قولي في ذكر السلطان **أبي يعقوب**:

---

[1] هكذا ورد اسمه في الإسكوريال؛ وسمي في اللمحة: ((المزدوري)). بينما سمي في الزيتونة: ((أبا عبد الله السالماوري)).
[2] الموافق لـ 1311م.
[3] الموافق لـ 1313م.
[4] له اسم آخر هو: ((رقم الحلل في نظم الدول)).

ثـــم تقــضى معظـــم الزمـــان

مواصـــلاً حصـــر بـــني زيـــان

حتى أتى[1] أهــل تلمســان الفــرج

ونشقــوا من جانب اللطف الأرج

لمـــا تـــرقى درج السعــــــد درج

فانفض ضيق الحصر عنها وانفرج

وابن ابنه وهو المســمى عامــراً

أصبـــح بعـــد ناهيـــاً وآمـــــراً

وكـــان ليثـــاً دامـــــي المخالـــب

تغلـــب[2] الأمـــر بجـــد غالــــــب

أبـــاح بالسيـــف نفوســـاً عـــــدة

فلـــم تطـــل في الملك منه المـــدة

ومـــات حتـــف أنفـــه واخترمـــا

ثـــم سليمـــــان عليهـــا قدمـــــا

---

[11] ((أتي))؛ ناقصة في الإسكوريال؛ ووردت في الزيتونة واللمحة.

[2] في اللمحة: ((يقلب)).

أبـــو الربيــع دهـــــره ربيــع

يثــني عــلى سيرتــه الجميــــع

حتى إذا الملــك سليمـــان قضى

تصير الملــك[1] لعثمـــان الرضـــا

فـــلاح نـــور السعـــد فيها وأضا

وسني العهــد الـــذي كان مضـــا

وفيما يختص **ببنى زيان**، بعد ذكر **أبي زيان**:

حـــتى إذا استـــوفى زمـــان سعده

قـــام أبـــو حمـــو بها من بعـــده

وهو الـــذي سطـــا عليـــه ولـــده

حـــتى انتـــهى عـــلى يديـــه أمده[2]

وفيما يختص **بآل أبي حفص** بعد ذكر جملة منهم:

ثـــم الشهيـــــد الأميـــــر[3] خالـــد

هيهات ما في الدهـــر حي خالـــد

---

[1] في اللمحة: ((الأمر)).

[2] ورد في اللمحة بيت آخر بعد هذا؛ جاء فيه:
((وأخذ اللـه لـه بالثـأر * وكل نظم فإلى انتثار)).

[3] في اللمحة: ((ثم الأمير والشهيد)).

وزكريـــا[1] بهـــــا بعــد ثـــــوى

ثم نوى الرحلـــة عنهـــا والنـــوا

رحـــل[2] بالشرق وبالشـــرق ثــوى

وربمـــا فاز امـــرؤ بما نـــوا

ومن **ملوك النصارى بقشتاله: هرانده بن شانجه بن ألهنشه** [3] **بن هرانده بن شانجه** [4]. ونازل على عهده **الجزيرة الخضراء**، ثم أقلع عنها عن ضريبة وشروط، ثم نازل في أخريات أمره **حِصْن القَبْذاق** [5]، وأدركه ألم الموت بظاهره، فاحتمل من المحلة [6] إلى **جيان**، وبقيت المحلة مُنِيخَة على **الحصن**؛ إلى أن تُملك بعد موت **الطاغية** بأيام ثلاثة، كتموا فيها موته. ولسبب هلاكه حكاية ظريفة،

---

[1] في اللمحة: ((وزكرياء)).

[2] نفسه: ((وحل)).

[3] نفسه: ((الفونشة)).

[4] للتوضيح؛ فتلك الأسماء هي: ((هراندا؛ هو: فرناندو ـ وشانجة؛ هو: سانشو ـ وألهنشة؛ هو ألفونسو. وبالإجمال هو ملك قشتالة فرناندو الرابع ابن سانشو الباسل؛ الذي تولى العرش في 696هـ/1296م؛ في ظل وصاية أمه ماري دي مارينا؛ وتوفي سنة 712هـ/1312م.

[5] القبذاق Alcaudete؛ وهو حصن يقع جنوب غربي جيان؛ على مقربة من قلعة يحصب.

[6] أي المعسكر.

تضمنتها **طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر**. وقام بعده بأمر **النصرانية** ولده **ألهنشه**[1]، واستمرت أيامه إلى عام خمسين وسبعماية[2].

بعض الأحداث في أيامه

نازل على أول أمره **طاغية قشتالة**، **الجزيرة الخضراء** في الحادي والعشرين من[3] عام تسعة وسبعماية[4]، وأقام وأقام عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور، وأقلع عنها بعد ظهوره على **الجبل**[5] وفوز قداحه به[6]. ونازل ونازل صاحب **برجلونة** مدينة **ألمرية** غرة ربيع الأول من هذا العام، وأخذ بمخنقها، وتفرقت الظبا على الخراش، ووقعت على جيش المسلمين الناهد إليه وقيعة كبيرة، واستمرت المطاولة إلى أخريات شعبان، ونفس الله الحصر، وفرج الكرب. وما كاد **أهل الأندلس** يستنشقون

[1] وهو ألفونسو الحادي عشر ؛ الذي حكم قشتالة من سنة 712هـ/1312م إلى سنة 751هـ/1350م.
[2] الموافق لـ 1349م.
[3] في اللمحة: ((لصفر من..)).
[4] الموافق لـ 1309م.
[5] في اللمحة: ((على جبل الفتح)).
[6] أي من حظه وحسن طالعه.

ريح العافية، حتى [نشأ نجم الفتنة] [1]، ونشأت ريح الخلاف، واستفسد وزير الدولة ضمائر أهلها، واستهدف إلى رعيتها بإيثار **النصارى** والصاغية [2] إلى العدو، وأظهر الريس [3] ابن عم الأب صاحب **مالقة أبو سعيد فرج بن إسماعيل**، صنو **الغالب بالله بن نصر**، الامتساك بما كان بيده، والدعاء لنفسه، وقدم ولده الدايل إلى طلب الملك. وثار أهل **غرناطة**، يوم الخامس والعشرين لرمضان من العام، وأعلن منهم من أعلن بالخلاف ثم خانهم التدبير، وخبطوا العشواء، ونزل الحشم، فلاذ الناس منهم بديارهم، وبرز السلطان إلى باب القلعة، متقدماً بالعفة عن الناس، وفر الحاسرون عن القناع، فلحقوا بالسلطان **أبي الوليد بمالقة**، فاستنهضوه إلى الحركة، وقصد الحضرة، فأجابهم وتحرك، فأطاعته الحصون بطريقه، واحتل خارج **غرناطة** صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين لشوال منه، فابتدره الناس من صايح ومشير

---

[1] هكذا في الإسكوريال، والزيتونة؛ بينما جاء في اللمحة: ((نجم شهاب الفتنة)).
[2] هكذا في اللمحة؛ بينما كتب في الإسكوريال، والزيتونة: ((الطاغية)).
[3] في اللمحة: ((الرييس)).

بثوبه، ومتطارح بنفسه. فدخل البلد من ناحية **ربض البيازين**، واستقر **بالقصبة**، كما تقدم في اسمه. وفي ظهر يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر، نزل **الحمراء** دار الملك، وانفصل السلطان المترجم به، موفى له شرط عقده من انتقاله إلى **وادي آش**، مستبداً بها، وتعيين مال مخصوص، وغير ذلك. ورحل ليلة الثلاثاء الثالث لذي قعدة من العام. واستمرت الحال، بين حرب ومهادنة، وجرت بسبب ذلك أمور صعبة إلى حين وفاته. رحمه الله.

مولده

ولد في رمضان عام ستة وثمانين وستماية [1]. وكانت سنه ستاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، ودولته الجامعة خمس سنين وشهراً واحداً، ومقامه **بوادي أش** تسعة أعوام وثلاثة أيام.

---

[1] **الموافق لـ 1287م.**

وفاته

توفي رحمه الله، ليلة الأربعاء سادس ذي قعدة من عام اثنين وعشرين وسبعماية [1] **بوادي آش**، ودفن بجامع القصبة منها، ثم نقل في أوايل ذي الحجة منه إلى الحضرة؛ فكان وصوله يوم الخميس السادس منه، وبرز إليه السلطان، والجمع الكثير من الناس، ووضع سريره بالمصلى العيدي، وصلى عليه إثر صلاة العصر، ودفن بمقبرة سلفه بالسبيكة، وكان يوماً من الأيام المشهودة، وعلى قبره مكتوب في الرخام: ((هذا قبر السلطان المُرَفَّع [2] المقدار، الكريم البيت، العظيم النجار سلالة الملوك الأعلام الأخيار، الصريح النسب في صميم الأنصار، الملك الأوحد، الذي له السلف العالي المنار، في الملك المنيع الذمار، رابع ملوك **بني نصر**، أنصار دين **المصطفى المختار**، المجاهدين في سبيل الملك الغفار، الباذلين في رضاه كرايم الأموال، ونفايس الأعمار. المعظم

---

[1] **الموافق لـ 1322م.**

[2] **هكذا في الإسكوريال، والزيتونة؛ بينما كتب في اللمحة: ((الرفيع)).**

المقدس المرحوم، **أبي الجيوش نصر** ابن السلطان الأعلى الهمام الأسمى، المجاهد الأحمى، الملك العادل، الطاهر الشمايل، ناصر دين الإسلام، ومبيد عبدة الأصنام، المؤيد المنصور، المقدس، المرحوم أمير المسلمين **أبي عبد الله** ابن السلطان الجليل الملك الشهير، مؤسس قواعد الملك على التقوى والرضوان، وحافظ كلمة الإسلام، وناصر دين الإيمان، **الغالب بالله**، المنصور بفضل الله، المقدس المرحوم، أمير المسلمين **أبي عبد الله بن نصر**، تغمده الله برحمته وغفرانه، وبوأه منازل إحسانه ، وكتبه في أهل رضوانه. وكان مولده في يوم الاثنين الرابع والعشرين لشهر رمضان المعظم عام ستة وثمانين وستماية [1]. وبويع يوم الجمعة غرة شوال عام ثمانية وسبعماية [2]، وتوفي رحمه الله ليلة يوم الأربعاء السادس لشهر ذي قعدة عام اثنين عشرين وسبعماية [3]؛ فسبحان

---

[1] **الموافق لـ 1287م.**
[2] **الموافق لـ 1308م.**
[3] **الموافق لـ 1322م.**

الملك الحق المبين، وارث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. وفي جهة [1]:

يا قبـــر جـــاد ثراك صوب غمام
يهـــمي عليـــك برحمـــة وســـلام
بوركـــت لحداً فيـــه أي وديعـــة
ملـــك كريـــم من نجـــار كـــرام
ماشيت من حلم ومن خلق رضى[2]
وزكـــاه أعـــــراق ومجـــد ســـام
فاسعـــد بنصر رابـــع الأملاك من
أبنـــاء نصر ناصـــري الإســـلام
من خزرج الفخـــر الذين مقامهم
في نصر خير الخلـــق خير مقـــام
يا أيهـــا المولى المؤســـس بيتـــه
في معـــدن الأحســـاب والأحـــلام

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] هكذا في الإسكوريـال، والزيتونـة؛ بينمـا كتـب في اللمحـة: ((رضـا)).

ما للمنيـــة والشبـــاب مساعــد

قد أقصدتــك بصائبـــات سهـــام

عجلت على ذاك الجمال [فغادرت][1]

ربـــع المحاسن طامـــس الأعلام

فمحى الردى من حسن وجهك آية

نحـــو النهـــار لسدفـــة الإظـــلام

مـــا كنـــت إلا بـــدر تـــم باهـــراً

أخـــنى الخسوف عليـــك عند تمام

فعلى ضريح أبي الجيوش تحيـــة

كالمســـك عرفـــا عند فض ختـــام

وتغمدتـــه رحمـــة اللـــه الـــتي

ترضيـــه مـــن عـــدن بدار مقـــام

***

[1] **سقطت هـذه الكلمـة في الإسكوريـال، والزيتونـة؛ بينمـا وردت في اللمحـة.**

ومن الأعيان والوزراء

***

نصر بن إبراهيم

ابن أبي الفتح الفهري؛ يكنى أبا الفتح؛ أصلهم من حصن أريول من عمل مرسية، ولهم في الدولة النصرية مزية؛ خصوا لها بأعظم رتب القيادة واستعمل بعضهم في ولاية السلطان.

حاله

نقلت من خط شيخنا **أبي بكر بن شبرين**. قال: وفي السادس عشر لذي قعدة منه، يعني عام عشرة وسبعماية [1]؛ توفي **بغرناطة** القايد المبارك، **أبو الفتح**؛ أحد الولاة والأعيان الذاكرين لله تعالى، أولي النزاهة والوفاء.

***

[1] **الموافق لـ 1310م.**

نصر بن إبراهيم

ابن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم بن نصر الفهري؛
يكنى أبا الفتح؛ حفيد المذكور [معه في هذا الباب] [1].

حاله

من **كتاب طرفة العصر**: نسيج وحده في الخير والعفاف، ولين العريكة، ودماثة الأخلاق [2]، إلى بعد الهمة، وجمال الأبهة، وضخامة التجند، واستجادة المركب والعدة، وارتباط العبادة، استعان على ذلك بالنعمة العريضة بين منادية [3] إليه بميراث، ومكتسب من جراء المتغلب على الدولة صهره **ابن المحروق** معياشة لبنته. ونمت حال هذا الشهم النجد، وشمخت رتبته حتى خوطب للوزارة في أخريات أيامه، وعاق عن تمام المراد به، إلحاح السقم على بدنه، وملازمة الضنا لجثمانه،

[1] وردت هذه العبارة هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب في موضعها بالزيتونة كلمة: ((قبله)).
[2] في الإسكوريال: ((الأخالق)).
[3] في الزيتونة: ((متاوية)).

فمضى لسبيله، عزيز الفقد عند الخاصة، ذائع الثناء، نقي العرض، صدراً في الولاة. وعلماً في القواد الحماة.

وفاته

توفي **بغرناطة** ليلة الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وسبعماية [1]. وكانت جنازته أخذة نهاية الاحتفال، ركب إليها السلطان، ووقف بإزاء لحده، إلى أن ووري، تنويهاً بقدره، وإشادة ببقاء الحرمة على خلفه. وحمل سريره الجملة من فرسانه وأبناء نعمته.

***

[1] **الموافق لـ 1344م.**

***

نزهون بنت القليعي [1]

قال ابن الأبار - وهو فيما أحسب أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف ابن عبد الملك بن غالب الغساني - غرناطية.

حالها

كانت أديبة شاعرة، سريعة الجواب، صاحبة فكاهة ودعابة. وقد جرى شيء من ذلك في اسم **أبي بكر بن قزمان**، **والمخزومي الأعمى**. **وأبي بكر ابن سعيد.**

شعرها

دخل الأديب **أبو بكر الكتندي** الشاعر، وهي تقرأ على **المخزومي الأعمى**؛ فلما نظر إليها، قال أجز يا أستاذ [2]:

---

[1] هكذا في الإسكوريال، وفي الزيتونة: ((القلعي)). وورد اسمها فيما سبق بمخطوطات الإحاطة: ((تزهون بنت القلاعي)). ولنزهون بنت القليعي ترجمة أيضاً في: المغرب في حلى المغرب، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، والذيل والتكملة، والتكملة لكتاب الصلة، وبغية الملتمس، وروايات المبرزين، ونفح الطيب.

[2] البحر الكامل.

لَــوْ كُنْــتَ تُبْصِــرُ مَــنْ تُكَلِّمُــه[1]

....

فأفحم **المخزومي** زامعاً ؛ فقالت [2]:

لغــدَوْتَ أخْــرَسَ مــن خَلاَخِلِــهِ

ثـم زادت :

البَــدْرُ يَطلــــعُ مــن أزرِّتِــه

والغُصــنُ يمرحُ فــي غَــلاَيلِــهِ

ولاخفاء ببراعة هذه الإجازة، ورفاعة هذا الأدب.

وكتب إليها **أبو بكر بن سعيد** ؛ وقد بلغه أنها تخالط غيره من الأدباء الأعيان [3]:

يــا مــن لــه ألــف خِــلٍّ[4]

مــن عــاشــقٍ وعشيــقِ[5]

[1] هكذا في الإسكوريال؛ في التكملة لكتاب الصلة: ((من نجالسه)). وفي الذيل والتكملة والنفح: ((من تجالسه)).

[2] البحر الكامل.

[3] بحر المجتث.

[4] هكذا في النفح، وفي الإسكوريال: ((شخص)).

[5] في النفح: ((وصديق)).

أراكِ خَلَّيْـــتِ للنَّـــــــا

سِ سَـــــدَّ ذاك الطــريــق[1]

فأجابته بقولها [2]:

حللــت أبا بكــر محـــلاً منعته

سواك وهل غير الرفيع[3] له صـــدري

وإن كان لي كم من حبيب فإنما[4]

يقدم أهل الحق فضل[5] أبي بكــر

وهذه غاية في الحسن بعيدة. ومحاسنها شهيرة، وكانت من غرر المفاخر **الغرناطية**.

***

[1] في النفح: ((للنـاس منـزلاً في الطريـق)).
[2] البحـر الطويـل.
[3] في النفـح: ((الحبيـب)).
[4] ورد هـذا الشطر في الإسكوريـال هكذا: ((وإن كـان حـلاً لي كثيـراً فإنمـا)).
[5] في النفـح: ((حـب)).

***

الصُّمَيل بن حاتم

ابن عمر بن جزع بن شِمْر [بن] ذي الجوشن [1] الضبّابي الكلبي [2]؛ وهو من أشراف عرب الكوفة.

أوليته

قال صاحب **الكتاب الخزايني** [3] جدّه أحد قتلة **الحسين بن علي**؛ الذي قدم برأسه على **يزيد بن معاوية**. فلما قام **المختار** [4] ثايراً **بالحسين**، فرّ عنه **شمْر**، ولحق **بالشام** فأقام بها [5] في عز ومنعة. ولما خرج **كلثوم بن عياض** غازياً إلى **المغرب**، كان **الصُّميل** ممن ضرب عليه البعث في أشراف أهل **الشام**. ودخل **الأندلس** في طالعة

---

[1] **حرفت في الإسكوريال، والزيتونة؛ فكتبت: ((ذي الجيوش)).**

[2] **ترجمة الصُّميل بن حاتم أيضاً في الحلة السيراء، وتريخ افتتاح الأندلس. ويذكر أنه توفي سنة 142هـ/759م.**

[3] **هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب في الزيتونة: ((الحزاذ)).**

[4] **هو أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد الثقفي (المتوفي سنة 67هـ/686م)؛ وهو الذي خرج في الكوفة سنة 66هـ/685م؛ مطالبا بثأر الحسين؛ وأهل بيته. فتمكن من الاستيلاء على الكوفة، حيث قتل شمْر ابن ذي الجوشن، وعمر بن سعد بن أبي وقاص؛ وكل الذين اشتركوا في قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما.**

[5] **كلمة: ((بها)) سقطت في الإسكوريال.**

بلج بن بشر القشيري [1]، فشرف ببدنه إلى شرف تقدم له.

ورد **ابن حيان** هذا، وقال في كتاب **بهجة الأنفس وروضة الأنس**: كان **الصميل بن حاتم** هذا جدّه شمْر قاتل **الحسين** رضي الله عنه، من أهل **الكوفة**، فلما قتله، تمكن منه **المختار**؛ فقتله، وهدم داره؛ فارتحل ولده من **الكوفة**، فرأس **بالأندلس**، وفاق أقرانه [2] بالنجدة والسخاء.

حاله

قال: كان شجاعاً، نجداً، جواداً، كريماً؛ إلاَّ إنَّه كان رجلاً أمياً؛ لا يقرأ ولا يكتب، وكان [3] له في قلب الدول، وتدبير الحروب، أخبار مشهورة.

---

[1] كلمة: ((القشيري)) سقطت في الإسكوريال.
[2] كلمة: ((أقرانه)) سقطت في الإسكوريال.
[3] في الحلة السيراء: ((وكانت)).

من أخباره

حكى **ابن القوطية**؛ قال: مرّ **الصُّميل** بمعلم يتلو: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[1]. فوقف يسمع، ونادى بالمعلم، يا هناه كذا نزلت هذه الآية، فقال: نعم؛ فقال: أرى[2] والله سيشركنا في هذا الأمر، العبيد والأراذل والسفلة.

خبره في الجود

قال: كان **أبو الأجرب** الشاعر[3]، وقفاً على أمداح **الصُّميل**؛ وهو القايل[4]:

بـــني لـــك حاتـــم بيتـــاً رفيعـــــا
رأينــــــاه عـــلى عمـــد طـــــوال

---

[1] **الآيـة كاملـة هكـذا: (وَإِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الذِينَ آمَنُوا وَيَتّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللّهُ لاَ يُحِبّ الظّالِمِينَ). سورة آل عمران؛ الآيـة: 140.**

[2] **في الزيتونـة: ((يـارب)).**

[3] **هو أبو الأجرب جَعْونـة بن الصِّمَّة الكلابي.**

[4] **البحر الوافر.**

وقد كان ابتنى شمـــر وعمـــــرو
بيوتـــــاً غير ضاحيـــــة الظلال
فأنت ابن الأكـــــارم من معـــــد
تعتلـــــج الأباطـــح[1] والرمـــــال

وقارضه بإجزاله لعطايه، وانتمائه في ثوابه، بأن أغلظ القسم على نفسه؛ بأن لا يراه، إلا أعطاه ما حضره؛ فكان **أبو الأجرب** قد اعتمد اجتنابه [2] في اللقاء، حياء منه، وإبقاء على ماله؛ فكان لا يزوره إلاّ في العيدين؛ قاضياً لحقه. وقد لقيه يوماً مواجهة ببعض [3] الطريق، **والصُّميل** راكب؛ ومعه ابناه؛ فلم يحضره ما يعطيه؛ فأرجل أحد أبنيه؛ وأعطاه دابته؛ فضرب في صنعه، وفيه يقول من قصيدة [4]:

---

[1] جعلها د. طويل: ((تعلج للأباطح)).
[2] في موضعها بياض في الإسكوريال.
[3] في الزيتونة: ((في)).
[4] البحر الكامل.

دون الصميـــل شريعـــة موروده
لا يستطيـــع لها العـــــدو ورودا
فت الورى وجمعـــت أشتات العلا
وحويت مجـــداً لا ينـــال وجـــودا
فإذا هلكـــت فلا تحمـــل فـــارس
سيفـــا ولا حمـــل النســـاء وليدا

وكان صاحب أمره ولاه **الأندلس** قبل **الأمويين**، لهم الأسماء، وله معنى الإمرة؛ وكان مظفر الحروب، سديد الرأي، شهير الموقف، عظيم الصبر. وأوقع **باليمانية** وقايع كثيرة، منها **وقيعة شقندة**، ولم يكن **بالأندلس** مثلها، أثخن فيها القتل **باليمانية**.

أنفته

قال وكان أبياً للضيم، محامياً عن العشيرة، كلم **أبا الخطار** الأمير، في رجل من قومه، انتصر به؛ فأفجمه، ورد عليه؛ فأمر به؛ فتعتع ومالت عمامته. فلما خرج قال

له بعض من على باب الأمير: يا **أبا الجوشن** ما بال عمامتك مايلة؛ فقال: إن كان لي قوم فسيقيمونها، وخرج من ليلته، فأفسد ملكه.

وفاؤه

وخبر وفائه مشهور، فيما كان من جوابه لرسولي **عبد الرحمن بن معاوية** إليه، بما قطع به رجاء الهوادة في أمر أميره، **يوسف بن عبد الرحمن الفهري**، والتستر مع ذلك عليهما [1]، فلينظر في كتاب **المقتبس** [2].

دخوله غرناطة

ولما صار الأمر إلى **عبد الرحمن بن معاوية، صقر بني أمية**، وقهر الأمير **يوسف الفهري**، ووزيره **الصُّميل**؛ إذ عزله الناس، ورجع معه **يوسف الفهري والصميل** إلى **قرطبة**. ولم يلبثا أن نكثا، ولحقا **فحص غرناطة**، ونازلهما

---

[1] في الزيتونة: ((عليها)).
[2] المقبس في أخبار أهل الأندلس؛ لابن حيان.

الأمير **عبد الرحمن بن معاوية** في خبر طويل، واستنزلهما عن عهد، وعاد الجميع إلى **قرطبة**، وكان **يوسف والصميل** يركبان إلى القصر كل جمعة إلى أن مضيا لسبيلهما. وكان **عبد الرحمن بن معاوية** يسترجع؛ ويقول: ما رأيت مثله رجلاً؛ لقد صحبني من **إلبيرة** إلى **قرطبة**؛ فما مست ركبتي ركبته، ولا خرجت دابته عن دابتي.

***

***

صفـوان بـن إدريـس

ابـن إبراهيـم بـن عبـد الرحمـن بـن عيسـى بـن إدريـس التجيبـي [1]؛
مـن أهـل مرسيـة؛ يكـنى أبـا بجـر [2].

حالـه

كـان أديبـاً، حسيبـاً جليـلاً، أصيـلاً، ممتعـاً مـن الظـرف، ريـان مـن الأدب، حافظـاً، حسـن الخـط، سريـع البديهـة، تـرف النشـأة، علـى تصـاون وعفـاف، جميـلاً سريـاً، سمحـاً ذكيـاً مليـح العشـرة، طيـب النفـس، ممـن تسـاوى حظـه فـي النظـم والنثـر، علـى تبايـن النـاس فـي ذلـك.

مشيخته

روى عـن أبيـه وخالـه، ابـن عـم أبيـه القـاضي **أبـي القاسـم بـن إدريـس، وأبـي بكـر بـن مغـاور، وأبـي الحسـن بـن القاسـم، وأبـي رجـال بـن غلبـون، وأبـي عبـد اللـه بـن**

---

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في: التكملـة لكتـاب الصلـة، والمغـرب في حلـى المغـرب، وريـات المبرزيـن، والـوافي بالوفيـات، ومعجـم الأدبـاء، وفـوات الوفيـات، والمقتضـب مـن كتـاب تحفـة القـادم، والذيـل والتكملـة، ونفـح الطيـب.

[2] في النفـح: ((أبـا بحـر)).

حميد، وأبي العباس بن مضاء، وأبي القاسم بن حبيش، وأبي محمد الحجري، وابن حوط الله، وأبي الوليد بن رشد. وأجاز له أبو القاسم بن بشكوال.

من روى عنه

أبو إسحق اليابري، وأبو الربيع بن سالم، وأبو عبد الله بن أبي البقاء، وأبو عمر بن سالم، ومحمد بن محمد ابن عيشون.

تواليفه

له تواليف أدبية منها: ((زاد المسافر))، و((كتاب الرحلة))، و((كتاب العجالة))؛ سفران يتضمنان من نظمه ونثره، أدباً لا كفاء له. وانفرد من تأبين الحسين رضي الله عنه، وبكاء أهل البيت. بما ظهرت عليه بركته في [1] حكايات كثيرة.

---

[1] في النفح: ((من)).

شعره

ثبت من ذلك في العجالة قوله [1]:

جاد الزمان بأنة الجرعاء
توقان من دمعي وغيث سماء[2]

فالدمع يقضي عندها حق الهوى
والغيم حق البانة الغيناء[3]

خلت الصدور من القلوب كما خلت
تلك المقاصر من مها وظباء

ولقد أقول لصاحبي وإنما
ذخر الصديق لأمجد[4] الأشياء

يا صاحبي ولا أقل إذا أنا
ناديت من إن تصغيا لنداء[5]

---

[1] البحر الكامل.

[2] ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا:
((جاد الرُّبا بانَةِ الجَرْعاءِ * نوءانِ من دمعي وغيم سماء)).

[3] في النفح: ((الغناء)).

[4] نفسه: ((لآكد)).

[5] نفسه: ((لندائي)).

عوجاً بحار[1] الغيم في سقي الحمـــا
حتى ترى[2] كيف انسكـــاب المـــاء
ونســـن في ســـقي المنازل سنـــة
نمضي بها حكمـــاً على الظرفـــاء
يا منـــزلاً نشطـــت إليه عبـــرتي
حـــتى تبســـم زهـــره لبكـــــاء[3]
ما كنـــت قبـــل مزار ربعك عالما
أن المـــدامـــع أصـــدق الأنـــواء
يا ليت شعـــري والزمان تنقـــل
والدهـــر ناســـخ شـــدة برخـــاء
هل نلتـــقي في روضـــة موشيـــة
خفاقـــة الأغصـــــان والأفيـــــاء
وننـــــال فيهـــا من تألفنـــا ولـــو
ما فيـــه سخمـــة[4] أعيـــن الرقباء

---

[1] في النفـح: ((أُجـاري)).
[2] نفسـه: ((يُـرى)).
[3] في النفـح: ((لبكـائي)).
[4] هكـذا في الزيتونـة؛ وفي الإسكوريـال، والنفـح: ((سخنـة)).

في حيث أتلعت الغصون سوالفــاً
قـــــد قلــدت بـــلآلي الأنـــداء
وجــــرت[1] ثغور الياسمين فقبلـــت
عيـــني[2] عـــذار الآسة الميســـاء
والـــورد فـــي شـــط الخليج كأنه
رمـــــد ألـــــم بمقلـــة زرقـــــاء
وكأن غصن[3] الزهر في خضر الـــربى
زهر النجوم تلـــوح بالخضـــراء
وكأنمـــا جـــاء النسيـــم مبشـــراً
للـــروض يخبـــره بطـــول بقـــاء
فكساه خلعة طيبـــه ورمـــى لـــه
بدراهـــم الأزهـــار رمي سخـــاء
وكأنمـــا احتقـــر الصنيع فبادرت
بالعـــذر[4] عنـــه نغمـــة الورقـــاء

[1] **في النفح: ((وبدت)).**
[2] **نفسه: ((عَنِّي)).**
[3] **نفسه: ((غضٌّ)).**
[4] **نفسه: ((للعذر)).**

والغصـــن يرقص في حلى أوراقه
كالخـــود في موشيـــة خضـــراء
وافترَّ ثغـــر الأقحوان بمـــا رأى
طربـــاً وقهقـــه منـــه جري الماء
أفديـــه من أنس تصرم فانقـــضى
فكأنـــه قـــد كـــان فـــي الإغفـــاء
لم يبـــق منـــه غير ذكر أو مـــنى
وكلاهمـــا سبـــب لطـــول عنـــاء
أو رقعـــة من صاحـــب هي تحفة
إن الرقـــاع لتحفـــــة النبهـــــاء
كبطاقـــة الوســـميِّ[1] إذ حيـــا بهـــا
إن الكتـــاب تحيـــــة الظرفـــــاء

وهي طويلة. وقال مراجعاً عن كتاب أيضاً [2]:

---

[1] في النفح: ((الوشقيِّ)).
[2] البحر الوافر.

ألا سمـــح الزمـــان بـــه كتابـــــا

ذرى[1] بـــورده[2] أنـــسي قبابـــــا

فـــلا أدري أكـــان تحـــت وعـــد

دعـــا بهمـــا لبـــرئي فاستجـــابـــا

وقد ظفـــرت يـــدي بالغنـــم منه

فليت الدهـــر ســـنى لـــي إيابـــا

فلـــو لم أستـــفـــد شيئـــاً ســـواه

قنعـــت يمثلـــــه علقـــاً لبابـــــا[3]

إذا أحـــرزت هـــذا في اغتـــرابي

فدعـــني أقطـــع العمـــر اغترابـــا

رجمـــت بأنســـه شيطـــان هـــمي

فهل وجهـــت طرســـاً أم شهابـــا

رشفت به رضـــاب الـــود عذبـــاً

يذكـــرني شمايلـــــك العذابـــــا

---

[1] في الزيتونـة: ((روى)).
[2] نفسـه: ((فـورودە)).
[3] في الإسكوريـال: ((ليابـا)).

وكـــدت أجـــر أذيـــالي نشاطـــاً
ولكـــن خلـــت قولهـــم تصابـــــا
فضضـــت ختامـــه عـــني كـــأني
فتحـــت بفضـــه للـــروض بابـــا
فكـــدت أبثـــه [فـــي جفـــن عيني][1]
لكي أستـــودع الزهـــر السحابـــا
وكنـــت أصونـــه في القلب لكـــن
خشيت عليـــه أن يفـــنى التهابـــا
ولـــــو أن الليـــالي سامحتـــني
لكنـــت عـــلى كتابكـــم الجوابـــا
فأبـــلي[2] عندكـــم بالشكـــر عـــذرا
وأجـــــزل مـــن ثنايكـــم الثوابـــا
ولكـــــن الليـــــالي قيدتـــــني
وقيـــدت غـــرضي[3] إلا الخطايـــا

[1] في الزيتونـة: ((بمحيص)).
[2] نفسـه: ((فأملى)).
[3] نفسـه: ((عدتي)).

فمـــا تلقـــــاني[1] الأحبـــــاب إلا
سلامـــاً أو منامـــــا أو كتابـــــا
لأمر ما يقــص الدهـــــر ريشي
لأن السهـــم مهمـــا ريـــش صابا
وعاذلة تقـــول ولســـت أصـــغي
ولـــو أصغيـــت لم أرفع جوابـــا
تخوفني الدواهي وهـــي عنـــدي
أقــل من أن أضيـــق بها جنابـــا
إذا طرقـــــت أعــد لهـــا قراهـــا
وقـــــاراً واحتسابـــاً واصطبـــارا
وما مثـــلي يخـــوف بالـــدواهي
عريـــن الليـــث لا يخشى الذبابـــا
تعاتبـــني فـــلا يرتـــــد طرفي
وهل تسترقـــص الريـــح الهضابا
ولـــو أن العتـــــاب يفيـــد شيئـــاً
مـــلأت مسامـــــع الدنيـــا عتابـــا

[1] في الزيتونـة: ((تلـقى)).

وقـــد وصيتها بالصمـــت عـــني

فما صمتـــت ولا قالـــت صوابـــا

تعنفـــني عـــلى تـــركي بـــــلاداً

عهـــدت بهـــا القـــرارة والشبابـــا

تقـــول وهـــل يفـــل السيـــف إلا

إذا مـــا فـــارق السيـــف القرابـــا

فقلـــت وهل يضـــر السيـــف فـــل

إذا قـــــط الجماجـــم والرقابـــا

بخـــوض الهول تكتســـب المعالي

يحل السهـــل من ركب الصعابـــا

فليـــث الغاب يفتـــرس الأنـــاسي

وليـــث البيـــت يفتـــرس الذبابـــا

ولو كـــان انقضاض الطير سهلاً

لكانـــت كـــل طائـــرة عقابـــــا

دعيـــني والنهـــار أسيـــــر فيـــه

أســـير عزايـــم تفـــري الصلابـــا

أغــازل مــن غزالتـــه فتـــاة

تبيــض فودهــا هرمــاً وشابــا

إذا شــاءت مواصلــتي تجلـــت

وإن ملــت تــوارت لي احتجابــا

وأســري الليــل لا ألــوي عنانا

ولو نيــل الأماني لمــا[1] أصابــا

أطــارح من كواكبـــه كمامــا

وأزجــر من دجنتــه[2] غرابـــا

وأركــب شبهــاً[3] غبــراً كبــاعي

وخضــراً مثل خاطري انسيابــا

وآخــذ من بنــات الدهــر حــقي

جهــاز البيــت استلــب استلابــا

ولســت أذيــل بالمــدح القــوافي

ولا أرضـــى بخطتهــا اكتسابــا

---

[1] جعلها د. طويل: ((ما)).
[2] في الإسكوريال: ((دحبته))؛ وصوبت من الزيتونة.
[3] جعلها د. طويل: ((أشهباً)).

أأمـــدح من به أهجـــو مديـــحي

إذا طيبـــت بالمســـــك الكلامـــا

سأخزنهـــا عـــن الأسمـــاع حتى

أرد الصمـــت بينهمـــا حجابـــا

فلســـت بمـــادح ما عشـــت إلاّ

سيوفـــاً أو جيـــــاداً أو صحابـــا

أبـــا مـــوسى وإنـــي أخـــيَّ[1] وداد

أنـــاجي لـــو سمعـــت إذا أجابـــا

ولكـــــن دون ذلـــك مهمـــه لـــو

طوتـــه الريـــح لم ترج الإيابـــا

أخـــى بـــر المـــودة كـــل بـــر

إذا بـــر الأشقـــــة[2] الانتسابـــا

بعثـــت إليـــك من نظـــمي بـــدر

شققت عليه مـــن فكـــري عبابـــا

---

[1] جعلها د. طويل: ((ذو)).
[2] جعلها د. طويل: ((الأشقا)).

عـــداني الدهـــر إن يلقاك شخصي

فأغنى الشعـــر عن شخصي ونابا

وقال في الغرض الذي نظم فيه **الرصافي** من وصف بلده [1]، وذكر إخوانه ومعاهده، مساجلاً في العروض والروي، عقب رسالة سماها رسالة طراد الجياد في الميدان، وتنازع اللدان والإخوان، في تنفيق **مرسية** على غيرها من البلدان [2]:

هـــل[3] رسول البرق يغتنم الأجرا

فينشـــر[4] عني ماء غيرتـــه نثـــراً[5]

معاملـــة أربو[6] بهـــا غير مذنـــب

فأقضيه دمع العين من نقطة بحراً

---

[1] ذكرت قصيدة الرصافي هذه في ترجمته التي مرت؛ ومطلع القصيدة هو:

خليلي ما للبيد قد عبقت نشرا * وما لرؤوس الركب قد رجعت سكرى

[2] البحر الطويل.

[3] في النفح: ((لعلَّ)).

[4] نفسه: ((فينثـر)).

[5] ورد هذا الشطر في الزيتونة هكذا: ((فيبشر عني ما عبرت به نثرا)).

[6] في النفح: ((أربي)).

ليسقــني[1] من تدميــر[2] قطرا محبباً
يقر بعين القطر أن تشرب القطرا
ويقرضـــه ذوب اللجيــن وإنمــا
توفيه عيــني من مدامعهــا تبــرا
وما ذاك تقصيــراً بها غيــر أنه
سجية ماء البحر أن يذوي الزهرا
خليلي قوما فأحبسا طرق الصبــا
مخافة أن تحمي[3] بزفــرتي الحرا
فإن الصبــا ريح عــلي كريمــة
بآية ما تسري من الجنة الصغــرا
خليلي أعني أرض مرسية المنى
ولولا توخي الصدق سميتها الكبرا
محـــلي بل جوي الذي عبقت به
نواســم آدابــي معطــرة نشــرا

[1] في النفـح: ((ليسـقي)).
[2] تدميـر: هـو الولايـة الـتي تقـع فيهـا مرسيـة.
[3] في النفـح: ((يحـمي)).

ووكـــري الذي منه درجت فليتني
فجعــت بريش العــزم كي ألــزم الوكرا
وما روضة الخضراء قد مثلت بها
مجرتهـــا نهـــراً وأنجمهـــا زهرا
بأبهـــج منهـــا والخليـــج مجـــرة
وقد فضحت أزهار ساحتها الزهرا
وقد أسكرت أزهــار[1] أغصانهـــا الصبـــا
وما كنت أعتد[2] الصبا قبلها خمـــرا
هنالك بين الغصن والقطر والصبا
وزهر الربى ولدت آدابي الغـــرا
إذا نظم الغصن الحيا قال خاطري
تعلم نظام النثر من ها هنا شعرا
وإن نثرت ريح الصبا زهر الربى
تعلمت حل الشعـــر أسبكه نثـــرا

[1] في النفـح: ((أعطـاف)).
[2] نفسـه: ((أعـددت)).

فوايد أسحـــار هنـــاك اقتبستهـــا
ولم أر روضاً غيـــره يقررئ السحرا
كأن هزيز الريح يمـــدح روضها
فتمـــــلأ فـــاه[1] من أزاهرهـــا دراً[2]
أيا زنقات [الحسن][3] هل فيك نظرة
من الجـــرف الأعلى إلى السكة الغرا
فأنظـــر من هـــذي لتلـــك كأنمـــا
أغير إذ غازلتها أختهـــا الأخـــرا
هي الكاعـــب الحسناء تمم حسنها
وقـــدت لها أوراقهـــا حللاً خضرا
إذا خطبت أعطت دراهم زهرهـــا
وما عادة الحسناء أن تنقد المهرا
وقامت بعـــرس الأنس قينـــة أيكة[4]
أغاريدها تسترقص الغصن النضرا

[1] في النفـح: ((فمـلأ فـاه)).
[2] ورد هـذا الشطر في نفـح الطيـب هكذا: ((فمـلأ فاهـا من أزاهـره دراً)).
[3] هـذه الإضافـة مـن الزيتونـة، والنفـح.
[4] في النفـح: ((أيكهـا)).

فقل في خليج يلبس الحوت درعه
ولكنـــه لا يستطيـــع بها قصـــرا[1]
إذا ما بدا فيهـــا الهـــلال رأيتـــه
كصفحة سيف وسمها قبعة[2] صفرا
وإن لاح فيها البـــدر شبهت متنه
بسطر[3] لجين ضم من ذهب عشرا
وفي جرفي روض هناك تجافيـــا
لنهر[4] يـــود الأفـــق لو زاره فجرا
كأنهمـــا خـــلا صفـــــاء تعاتبـــا
وقـــد بكيـــا من رقـــة ذلك النهرا
وكم لي بالبـــاب الجديـــد[5] عشيـــة
من الأنس ما فيه سوى أنه مـــرا

[1] في النفـح: ((نصـرا)).
[2] في الإسكوريـال، والزيتونـة: ((نبعـة))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[3] في النفـح: ((بشـط)).
[4] نفسـه: ((بنـهـر)).
[5] نفسـه: ((وكـم لي بأبيـات الحديـد)).

عشيات[1] كأن الدهر غص[2] بحسنهــا
فأجلت سياط[3] البرق أفراسها الشقرا[4]
عليهن أجرى خليل دمعي بوجنتي
إذا ركبت حمراً ميادينها الصفــرا
أعهدي بالغــرس المنعــم دوحــه
سقتك دمــوعي إنها مزنة شكرى[5]
فكم فيك من يــوم أغــر محجــل
تقضت أمانيــه فخلدتهــا ذكــرا
على مذنب كالنحر[6] من فرط حسنه
تود الثريا أن تكــون[7] لــه نحــرا
سقت أدمعي والقطر أيهما انبرى
نقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا

[1] في الزيتونـة والنفـح: ((عشايـا)).
[2] في النفـح: ((غضـا))، وفي الزيتونـة: ((عض)).
[3] نفسهمـا: ((بسـاط)).
[4] في النفـح: ((شقـرا)).
[5] أي سحابـة كثيـرة المطر.
[6] في النفـح: ((كالبحـر)).
[7] نفسـه: ((يكـون)).

وإخوان صدق لو قضيت حقوقهم
لما فارقت عيني وجوههم الزهــرا
ولو كنت أقضي حق نفــسي ولم أكن
لما بت أستحـــلي فراقهـــم المـــرا
وما اخترت هذا البعد إلا ضـــروة
وهل تستجير العين أن تفقد الشّفرا[1]
قضى الله أن [ينأى بي الدهر][2] عنهم
أراد بذاك الله أن أعتـــب الدهـــرا
ووالله لو نلت المنـــا ما حمدتهـــا
وما عـــادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أيانـــس باللـــذات قلـــبي ودونهـــم
مرام يجد الركب[3] في طيها شهرا
ويصحب هادي الليل راء وحرفة[4]
وصاداً ونوناً قد تقوس[5] واصفـــرا

---

[1] أي الشّفر: وهو الواقي للعين؛ حيث ينبت الشعر.
[2] في النفح: ((تنأى بي الدار)).
[3] في النفح: ((الكرب)).
[4] في الإسكوريال: ((وحزمة)).
[5] في النفح: ((تقدس)).

فديتهــم بانــوا وضنــوا بكتبهــم

فلا خبراً منهم لقيــت ولا خبــرا

ولولا عــلا هماتهــم لعتبتهـــم

ولكن عراب الخيل لا تحمل الزجــرا[1]

ضربت غبار البيد في مهرق الســرى

بحيث جعلت الليل في ضربه حبــرا

وحققت ذاك الضرب جمعاً وعدة

وطرحاً وتجميلاً فأخرج لي صفرا

كأن زمــاني حاســب متعســف

يطارحني كسراً أما يحسن الجبرا[2]

فكم عارف بي وهو يحسب[3] رتبتي

فيمدحني سراً ويشتمــني جهــرا

لذلك ما أعطيــت نفــسي حقهــا

وقلت لسرب الشعر [لا تهم الفكرا][4]

---

[1] سقط هذا البيت في النفح.
[2] كتب الناسخ هذا البيت في هامش المخطوط.
[3] في النفح: ((يحسن)).
[4] في الزيتونة، والنفح: ((لا ترم الذكرا)).

فما برحت فكري عذارى قصايدي
ومن خلق العذراء أن تألف الخدرا
ولست وإن طاشت سهامي بآيـــس
فإن مع العذر[1] الذي يُتَّقَى يســـرا

ومن مقطوعاته [2]:

يا قمــــرا مطلعــــه أضلــعي
له ســواد القلــب منهــا[3] غســق
وربمــــا استوقــد نــار الهــوى
فنـــاب فيهـــا لونهـــا عن شفــق
ملكتـــني فـــي دولـــة من صبـــا
وصدتـــني في شـــرك من حـــدق
عنـــدي من حبيبـــك[4] ما لو سرت
في البحـــر منـــه شعلـــة لاحترق

[1] في النفـح: ((العسـر)).
[2] البحـر السريـع.
[3] في النفـح، ومعجـم الأدبـاء: ((فيهـا)).
[4] في النفـح: ((حبـك)).

ومن مقطوعاته أيضاً [1]:

قد كان لي قلـــب فلمـــا فارقــوا
ســـوى جناحـــاً للغـــرام وطـــارا

وجـــرت سحاب بالدموع[2] فأوقدت
بيـــــن الجوانـــح لوعـــة وأوارا

ومن العجايـــب أن فيض مدامعي
ماء ويثمـــر[3] في ضلوعي نـــارا

وشعره الرمل والقطر كثرة، فلنختم له المقطوعات بقوله[4]:

قالوا وقد طـــال بي مدى خطئي
ولـــم أزل فـــي تجـــرمي ســـاه[5]

أعـــددت شيئـــاً نرجو النجـــاة به
فقلـــــت أعـــددت رحمـــة اللـــه

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] في النفـح، ومعجـم الأدبـاء: ((للدمـوع)).
[3] في معجـم الأدبـاء: ((مـاء يمـرّ وفي ضلـوعي ...)).
[4] بحـر المنسـرح.
[5] في النفـح: ((سـاهي)).

نثره

كتب يهني قاضي الجماعة **أبا القاسم بن بقي** من رسالة[1]: ((لأن قدره[2]، دام عمره، وامتثل نهيه [الشرعي][3] وأمره، أعلى رتبة، وأكرم محلاً، من أن يتحلى بخطة هي به تتحلى. كيف يهنأ بالقعود لسماع دعوة [4] الباطل، ولمعاناة الإنصاف المطول من الماطل، والتعب في المعادلة، بين ذوي المجادلة. أما لو علم المتشوقون [5] إلى خطة الأحكام، المستشرفون إلى ما لها من التبسط والاحتكام، ما يجب لها من اللوازم، والشروط الجوازم، كبسط الكنف، ورفع الجنف، والمساواة بين العدو وذي الذنب، والصاحب بالجنب، وتقديم ابن السبيل، على ذي الرحم والقبيل، وإيثار الغريب على القريب، والتوسع في الأخلاق، حتى لمن ليس له من خلاق، إلى غير ذلك مما علم قاضي الجماعة أحصاه، واستعمل لخلقه الفاضل أدناه

[1] في النفح: ((برسالة منها)).
[2] نفسه: ((محله)).
[3] أضيفت هذه الكلمة من الذيل والتكملة، ونفح الطيب.
[4] في الذيل والتكملة، ونفح الطيب: ((دعاوى)).
[5] نفسهما: ((المتشوفون)).

وأقصاه، لجعلوا خمولهم ما مولهم، وأضربوا عن ظهورهم [1]، فنبذوه وراء ظهورهم [2]، اللهم إلاّ من أوتى بسطة في العلم، ورسا طوداً في ساحة الحلم، وتساوى ميزانه في الحرب والسلم، وكان [كقاضي الجماعة] [3]، في المماثلة بين أجناس الناس، فقصاراه أن يتقلد الأحكام للأجر، لا للتعسف [4] والزجر، ويتولاها للثواب؛ لا للغلظة في رد الجواب، ويأخذها لحسن الجزاء، لا لقبح [5] لقبح [5] الاستهزاء، ويلتزمها لجزيل الذخر لا للإزراء والسخر. فإذا كان كذلك، وسلك المولي هذا السالك [6]، السالك [6]، وكان كقاضي [7] الجماعة ولا مثل له، ونفع ونفع الحق به علله، ونقع غلله، فيومئذ تهنأ [8] به خطة

---

[1] هنـا؛ بمعنى: بـدا.
[2] وظهورهـم هنـا: مفردهـا ظهـر؛ وهـو مـا يقابـل البطـن.
[3] في النفـح: ((مولانـا)).
[4] في الذيـل والتكملـة، والنفـح: ((لا للتعنيـف)).
[5] في النفـح: ((لقبيـح)).
[6] في الذيـل، والنفـح: ((هـذه المسالـك)).
[7] نفسهمـا: ((مثـل قـاضي)).
[8] نفسهمـا: ((تهـني)).

القضاء، ويعرف ما لله عليه [1] من اليد البيضاء)). ومحاسنه في النثر أيضاً جمة.

ومن أخباره أنه رحل إلى **مراكش** متسبباً في جهاز بنت بلغت التزويج، وقصد دار الإمارة مادحاً، فما تيسر له شيء من أمله، ففكر في خيبة قصده، وقال لو كنت تأملت [2] جهة الله، ومدحت **المصطفى** [3] صلى الله عليه عليه وسلم، وآل بيته الطاهرين؛ لبلغت أملي بمحمود عملي. ثم استغفر الله [4] في توجهه الأول، وعلم أن ليس ليس على غير الثاني من معول؛ فلم يكن إلا أن صوب نحو هذا القصد سهمه، وأمضى فيه عزمه، وإذا به قد وجه عنه، وأدخل [5] على الخليفة؛ فسأله عن مقصده. فأخبره [مفصحاً به] [6]؛ فأنفذه وزاده عليه، وأخبره أن ذلك ذلك لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم

---

[1] في الإسكوريال: ((على))، وفي النفح: ((وتعرف بما الله تعالى عليه)). وفي الذيل: ((وتعرف بما الله عليه)).
[2] في النفح: ((أملت الله سبحانه)).
[3] نفسه: ((نبيه)).
[4] نفسه: ((الله من اعتماده في...)).
[5] نفسه: ((فأدخل)).
[6] في الزيتونة: ((بما جاء له)).

بأمره [1] بقضاء حاجته. فانفصل موفَّى الأغراض، واستمر في مدح أهل البيت؛ حتى اشتهر في ذلك [2].

وفاته

سنة ثمان وتسعين وخمسماية [3]، وسنه دون الأربعين سنة، وصلى عليه أبوه. فإنه كان بمكان من الدين [4] والفضل رحمة الله عليه. وتلقيت من جهات، أنه دخل **غرناطة**؛ لما امتدح القايد **أبا عبد الله بن صناديد بمدينة جيان**، حسبما يظهر من عجالته، من غير تحقيق لذلك.

***

[1] في النفح: ((يأمره)).
[2] نفسه: ((بذلك)).
[3] الموافق لـ 1201م.
[4] في النفح: ((من الفضل والدين)).

صالح بن يزيد

ابن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف النفزي [1]، من أهل رندة، يكنى أبا الطيب.

حاله

قال **ابن الزبير**: شاعر مجيد في المدح والغزل، وغير ذلك. وعنده مشاركة في الحساب والفرايض. نظم في ذلك. وله تواليف أدبية، وقصايد زهدية، وجزء على حديث جبريل عليه السلام، وغير ذلك مما روى عنه. وكان في الجملة معدوداً في أهل الخير، وذوي الفضل والدين. تكرر لقائي إياه، وقد أقام **بمالقة** أشهراً، أيام إقراءي. وكان لا يفارق مجالس إقراءي، وأنشدني كثيراً من شعره.

وقال **ابن عبد الملك**: كان خاتمة الأدباء **بالأندلس**، بارع التصرف في منظوم الكلام ومنثوره، فقيهاً حافظاً، فرضيا، متفنناً في معارف شتى [2]، نبيل المقاصد [3]،

---

[1] نسبة إلى قبلة نفزة الأمازيغية. وترجمة أبي الطيب صالح بن يزيد النفزي الرندي موجودة في: الذيل والتكملة، ونفح الطيب.

[2] في الذيل: ((جليلة)).

[3] نفسه: ((المنازع)).

متواضعاً، مقتصداً في أحواله. وله مقامات بديعة في أغراض شتى، وكلامه نظماً ونثراً، مدون.

مشيخته

روى عن آباء **الحسن** أبيه [1]، **والدباج**، **وابن الفخار الشريشي، وابن قطرال، وأبي الحسن بن زرقون، وأبي القاسم بن الجَدِّ** [2].

تواليفه

ألف **جزءاً على حديث جبريل**، وتصنيفاً **في الفرايض وأعمالها**، وآخر **في العروض** ، وآخر في صنعة الشعر سماه ((**الوافي** [3] **في علم القوافي**)) [4]؛ وله كتاب كبير سماه ((**روضة الأنس ونزهة النفس**)) [5].

---

[1] هكذا في الإسكوريال، والزيتونة.

[2] في الذيل: ((ابن الجدّ التونسي)).

[3] في الإسكوريال، والزيتونة، والذيل والتكملة: ((الكافي)). بينما صححت في هامش الإسكوريال؛ فكتب: ((الوافي)).

[4] يقول عنان أنه اطلع على نسخة من هذا الكتاب محفوظة في المكتبة العامة بالرباط تحت رقم: 1730 الكتانية؛ وعنوان الكتاب هو: ((الوافي في نظم القوافي)). وذكر في ديباجته مؤلفه وهو القاضي أبو الطيب الرندي.

[5] هذا الكتاب في التاريخ، والأدب؛ للسلطان محمد بن يوسف مؤسس دولة بني الأحمر؛ حكم من سنة 635هـ/1137م إلى سنة 671هـ/1272م.

دخوله غرناطة

وكان كثير الوفاد على **غرناطة**، والترد إليها، يسترفد، ملوكها، وينشد أمراءها، والقصيدة التي أولها:

((أواصلـــتي يومـــاً وهاجـــرتي ألفـــاً))

أخبرني شيخنا **أبو عبد الله اللوشي**، أنه نظمها باقتراح السلطان رحمه الله. وقد أوعز إليه ألا يخرج عن بعض بساتين الملك، حتى يكملها في معاضة **محمد بن هاني الإلبيري**.

شعره

وهو كثير، سهل المأخذ، عذب اللفظ، رايق المعنى، غير مؤثر للجزالة. فمن ذلك قوله رحمه الله في غرض المدح من السلطانيات [1]:

ســـرى والحب أمـــر لا يـــــرام
وقد أغـــرى به الشوق والغـــرام[2]

---

[1] **البحر الوافر.**
[2] **حذف د. طويل واو العطف؛ فغدت: ((الشوق الغرام)).**

وأغــفى أهلهـــا إلا وشــــاة
إذا نـــام الحـــوادث لا تنـــام
ومـــا أخفـــا[1] بيـــن القـــوم إلاّ
ضَـــنًى وربمـــا[2] نفـــع السقـــام
فنـــال بهـــا عـــلى قـــدر منـــاه
وبين القبـــض والبســـط القـــوام
وأشـــهى الوصل ما كان اختلاسا
وخير الحب مـــا فيـــه اختتـــام
وما أحـــلى الوصـــال لو أن شيئاً
مـــن الدنيـــا للذتـــه دوام
بكيت من الفراق بغيـــر أرضـــي
وقـــد يبـــكي الغريـــب المستهـــام
أعاذلـــتي وقـــد فـــارقـــت إلـــفي
أمثـــلي فـــي صبابتـــه يـــلام

---

[1] جعلها د. طويل: ((أخفاه)).
[2] جعلها د. طويل: ((ولربما)).

أأفقـــــده فـــــلا أبــكي عليـــــه

يكـــــون أرق مـــن قلـــبي الحمام

أأنســـــاه فأحبـــــه كصبـــــري

وهـــل ينـــسى لمحبـــوب ذمـــام

رويـــداً إن بعـــض اللـــوم لـــوم

ومثـــلي لا ينهنهـــــه المـــــلام

ويوم نوى[1] وضعت الكــف فيــه

عـــلى قلـــب يطيـــر بـــه الهيـــام

ولـــولا أن سفحـــت بـــه جفونـــاً

تفيـــض دمـــاً لأحرقها الضـــرام

وليـــل بتـــه[2] كالدهـــــر طـــولاً

تتكـــــر لـــي وعرفـــــه التمـــام

كـــأن سمـــاه[3] زهـــــر[4] تجـــلى

بزهـــر الزهـــر والشـــوق[5] الكمام

---

[1] في الزيتونـة: ((النـوى)).
[2] في الذيـل والتكملـة: ((صبابـة))؛ بينمـا سقـط هـذا البيـت في الزيتونـة.
[3] نفســه: ((سمـاءه))؛ وهـو أسلـم.
[4] نفســه: ((روض)).
[5] نفســه: ((والشـرق)).

كأن البــدر تحــت الغيــم وجــه

عليــه مــن ملاحــــه لثـــــام

كــأن الكوكــب الــدري كــأس

وقــد رق الزجاجــة والمـــــدام

كأن سطــور[1] أفــلاك الــدراري

قــسي والرجــوم لهــا سهـــــام

كأن مــدار قطب بنــات نعــش

نــــدي والنجـــــوم بــه نــــدام

كــأن بناتــــه الكبــرى جــوار

حــوار والســهى فيهــا غــلام

كــأن بناتــه الصغــرى جمــان

عــلى لباتهــــا منهـــــا[2] نظــام

كواكــب بــت أرعاهــن حــتى

كــأني عاشــق وهــي الذمـــام

---

[1] في الزيتونـة: ((سلوك)).

[2] في الذيـل: ((منــه)).

إلـــي أن مزقــت كســف الثريــا
جيــوب الأفــق وانجــاب الظلام
فما خلــت انصــداع الفجــر إلا
قرابــاً ينتــضى منــه حــــام
وما شبهــت وجــه الشمــس إلا
بوجهــك[1] أيهــا الملــك الهمــام
وإن شبهتــــه بالبــــدر يومــاً
فللبــــدر الملاحــــة والتمــــام
تهلــــل منه حســن الدهر حتى
كأنــــك في محيــــاه ابتســــام
وعــــرف ما تتكــر من معــال
كأنــك لاسمهــــا ألــــف ولام
وملء العيــن منك جــلال مولى
صنائعــــه كغرتــــه وســــام[2]

[1] في الذيـل: ((لوجهـك)).
[2] في الزيتونـة: ((وشـام)).

إذا ما قيـــل في يـــده غمـــام

فقد بخست وقـد خدع الغمـــام

وحشـو الـــدرع أروع غالـــبي

يــراع بذكـــره الجيـــش اللهـــام

إذا مـــا ســل سيــف العزم يوما

عــلى أمــر فسلــم يــا ســلام

تتـــاهى مجـــده كرمـــاً وبأســاً

فمــا يــدري أمحيـــاً أم حمـــام

نمتــــه للمكــــارم والمعـــالي

ســراة مــن بــني نصــر كرام

هم الأنصار هـم نصــروا وآووا

ولــولا المســك ما طاب الختــام

وهم قـادوا الجيــوش لــك فتــح

ولــولا الجـد ما قطــع الحســام

وهم منحوا الجزيرة من حماهــم

جــــواراً لا يـــذم ولا يضـــام

فمن حرب تشيــب له النــواصي
وسلـــم تحيتــــه ســــلام
بسعــدك يــا محمــد عز ديــن
لــه بعــده[1] الإلــه بك اعتصــام
وباسمــك تــم للإســلام سلــم
وغــب السلــم نصــر مستــدام
وكــان مرامــه صعبــاً ولكــن
بحمــد الله قــد سهــل المــرام
أدام اللــه أمــرك مــن أميـــر
ففيـــه لكـــل مكرمــــة دوام
وأنــت العروة الوثــقى تمامــا
ومــا للعــروة الوثــقى انفصــام
وروح أنــت والجســم المعــالي
ومعــنى أنـــت وللفــظ[2] الأنــام
إذا مــا ضاقـــت الدنيــا بحــر
كفــاه لثـــم كفـــك والســلام

[1] جعلها د. طويل: ((بعد)).
[2] جعلها د. طويل: ((واللفظ)).

ومن شعره أيضاً [1]:

أواصلــتي يوماً وهاجــرتي ألفــاً
وصالك ما أحلى وهجرك ما أجفا

ومن عجب للطيف أن جاء واهتــدى
فعاد عليلاً[2] عاد كالطيف أم أخفــا

فيا سايراً لولا التخيــل ما ســرى
ويا شاهــداً لولا التعلل ما أغفــا

ألــم فأحيــاني وولــى فراعــني
ولم أر أجفى منك طبعاً ولا أشفــا

بعيــني شكــواي للغــرام وتيهه
إلى أن تثنى عطفه فانثنى عطافــا

فعانقتــه شوقــاً وقبلتــه هــوى
ولا قبلــة تكــفي ولا لوعة تطفا

---

[1] البحر الطويـل.
[2] في الزيتونـة: ((معليـاً)).

ومن نزعاته العجيبة قوله، وقد سبق إلى غرضه غيره [1]:

يا طلعـــة الشمـــس إلا إنه قمـــر
أما هـــواك فـــلا يبـــقي ولا يـــذر
كيف التخلص من عينيك لي ومتى
وفيهما القاتـــلان الغنـــج والحـــور
وكيف يســـلي فؤادي عن صبابته
ولو نهى الناهيان الشيب والكبـــر
أنت المنا والمنايا فيك قد جمعـــت
وعندك الحالتـــان النفع والضـــرر
ولـــي من الشـــوق ما لا دواء له
ومنـــك لي الشافيان القرب والنظر
وفي وصالـــك ما أبقي به رمقي
لو ساعد المسعـــدان الذكر والقدر
وكان طيف خيـــال منك يقنعـــني
لو يذهب المانعان الدمع والسهـــر

[1] **البحـر البسيـط.**

يا نابيــاً[1] لم يكــن إلا ليملكـــني

من بعده المهلكان الغــم والغيــر

ما غبت إلا وغاب الجنس أجمعه

واستوحــش المؤنسان السمع والبصر

بما تكن ضلوعي في هــواك بمن

يعنو له الساجدان النجــم و الشجر

إدرك بقيـــة نفس لست مدركهـــا

إذا مضى الهاديـــان العين والأثر

ودل حيـــرة مهجـــور بلا سبـــب

يبكي له القاسيـــان الدهر والحجر

وإن أبيت فلي من ليس يسلمـــني

إذا نبا المذهبـــان الورد والصـــدر

مؤيـــداً لملـــك بالآراء يحكمهـــا

في ضمنها المبهجان اليمن والظفر

---

[1] في الزيتونـة: ((يـا غايبـاً)).

من كالأمير أبي عبــد الآله إذا ما
خانت القدمان[1] البيــض والسمــر

الواهب الخيل آلافــا وفارسهـــــا[2]
إذا استوى المهطعـــان الصِّرُّ والصبر

والمشبه الليث في بأس وفي خطر
ونعمــت الحليتان[3] البأس والخفــر

تأمــن النـــاس في أيامه ومشــوا
كما مشى الصاحبان الشاة والنمــر

وزال ما كان من خوف ومن حذر
فما ير الدايلان الخــوف والحــذر

رأيــت منه الذي كنت أسمعــه
وحبــذا الطيبان [الخبر والخبــر][4]

ما شيت من شيم عليا ومن شيــم
كأنهــا الرايقان الظل والزهــــر

---

[1] في الزيتونـة: ((العدمـان)).
[2] في الإسكوريـال: ((ومارسـا)).
[3] في الإسكوريـال، والزيتونـة: ((الحيلتـان))؛ وصوبهـا عنـان.
[4] في الإسكوريـال: ((الخمـر والخبـر)).

ومــــا أردت من إحسان ومن كرم
ينسى به الأجودان البحر والمطر
وغـــرة يتـــلألأ من سماحتهــــــا
كأنها النهـــران الشمـــس والقمـــر
إيـــه فلـــولا دواع مـــن محبتـــه
لم يسهـــل الأصعبان البين والخطر
نأيـــت عنه اضطرارا ثم عدت له
كما اقتضى المبرمان الحل والسفر
فإن قضى الله أن يقضي به أملي
فحسبي المحسبان الظـــل والثمـــر
ولست أبعـــد إذ والحـــال متســـع
أن يبلـــغ الغايبان الســـؤل والوطر

ومن شعره في أغراض متعددة. قال في الليل والسهر [1]:

أطـــــال ليـــــلي الكمـــــد
فالدهـــر عنـــدي   سرمـــــد

[1] مجزوء السريع.

ومـــــــا أظــــــــن أنــــــه
لليلـــــة الهجــــــر غـــــد
أرقـــــــــد هنيــــــاً إنــــــني
لا أستطيـــــــــع أرقـــــــــد
لواعــــــج[1] مـــا تنطـــــفي
وأدمـــــــــع[2] تضطــــــــرد
وكبــــــدي كبـــد الهــــوى
وأيــــــن مـــــــني الكبـــــد[3]
ولا تســــــل عــــن جلـــــدي
واللـــــــه مــــــالي جلـــــد

ومن شعره أيضاً في المقطوعات[4]:

وليلـــة قُصِّــــر مـــن طولهـــــا
بـــزورة مــــــن رشـــــاً نافـــــرْ

---

[1] في الزيتونـة: ((لواعـجي)).
[2] نفسـه: ((وأدمـعي)).
[3] ورد هذا البيت في الإسكوريال هكذا: ((وكبـد في كبـد لهـفي وأيـن الكبـد)).
[4] البحـر السريـع.

أستوفــر الدهــر بهــا غالطـــــاً
فـــأُدغـــــــم الأول والآخـــــر

وقـال مـن قصيـدة مغربـة فـي الإحسـان [1]:

وليلــــة نبهـــت أجفانهــــــا
والفجــر قــد فجــر نهــر النهار
والليل كالمهــزوم في يوم[2] الوغا
والشهــب مثل الشهب عند الفرار
كأنمـــا استخـــفى الســـهى خيفـــة
وطولـــب النجـــم بثـــأر فثـــــار
لـــذاك[3] ما شابـــت نواصي الدجى
وطارح[4] النســـر أخـــاه فطـــار
وفـــي الثريـــا قمـــــر سافــــر
عـــن غـــرة غيـــر منها الشفـــار[5]

[1] البحـر السريـع.
[2] في النفـح: ((يـوم))؛ حيـث حذفت : ((في)).
[3] نفسـه: ((كـذاك)).
[4] نفسـه: ((طيـر)).
[5] نفسـه: ((السفـار)).

كـــــأن عنقـــــوداً [بهـــا ماثـــل][1]

إذ صار كالعرجون عند الســـرار

كأنهـــــا تسبــــك دينـــــــاره

وكفهـــــا تفتـــــل منـــه ســـوار[2]

كأنمـــــا الظلمـــــاء مظلومـــــة

تحكـــــم الفجـــر عليهـــا فجـــار

كأنمـــــا الصبـــــح لمشتاقـــــه[3]

[إقبال دنيـــا][4] بعـــد ذل افتقـــــار

كأنمـــا الشمـــس وقـــد أشرقـــت

وجه أبـــي عبـــد الآلـــه استتـــار

وفي وصف البحر والأنهار وما في معنى ذلك [5]:

البحـــر أعظـــم مما أنت تحسبـــه

من لم ير البحر يوما ما رأى عجبا

---

[1] في النفـح: ((تثـنى بـه)).
[2] نفسـه: ((السـوار)).
[3] في الزيتونـة: ((لعشاقـه)).
[4] في النفـح: ((عز غنـى)).
[5] البحـر البسيـط.

طام له حبب طـــاف على زورق

مثل السمـــاء إذا ما ملئت شهبـــا

وقال في وصف نهر [1]:

وأزرق محفــوف بزهــر كأنـــه

نجوم بأكنـــاف المجرة تزهــــر

يسيـــل على مثل الجمان مسلسلا

كما[2] سل عن غمد حسام مجوهـــر

وقد صافـــح الأدواح من صفحاته

حـــتى[3] حبـــاب بالنسيـــم مكســـر

فما كان في عطـــف الخليج قلامة

وما كان في وجه الغدير فمغفـــر

وفي العقل والتغرب [4]:

مـــا أحســـن العقـــل وآثـــــاره

لـــو لازم الإنســـــان إيثـــــاره

---

[1] البحر الطويل.

[2] في الإسكوريال: ((كمل))؛ وصوبت من الزيتونة.

[3] أضاف د. طويل ((الواو))؛ فأضحت: ((وحتى)).

[4] البحر السريع.

يصـــون بالعقــل الفــتى نفســه

كمـــا يصونـــه الحـــر أســـراره

لا سيمـــا إن كـــان فـــي غربـــة

يحتـــاج أن يعـــرف مقـــــداره

ومـن وصفـه الجيش والسـلاح [1]:

وكتيبـــــة بالدارعيـــن كثيفـــــة

جرت ذيول الجحفــل الجـــــرار

روض المنايا بينها القضـــب التي

زفت بهـــا الرايـــات كالأزهـــار

فيها الكمـــاة بنو الكمـــاة كأنهـــم

أسد الشرى بين القنـــا الخطـــار

متهلليـــن لـــدى اللقـــاء كأنهـــــم

خلقت وجوههــــــم من الأقمـــار

من كل ليـــث فوق برق خاطـــف

بيمينـــــــه قـــدر مـــن الأقـــــدار

---

[1] البحـر الكامـل.

من كــل مـــاض قد تقلــد مثلـــه
فيصب آجـــالاً على الأعمـــــار

لبسوا القلوب على الدروع وأسرعوا
لأكفهـــم نـــاراً لأهـــل النــــــار

وتقدمـــوا ولهـــم على أعدايهـــــم
حنـــق العـــدا وحمية الأنصـــار

فارتـــاع ناقـــوس بخلـــع لسانــــه
وبـــكى الصليـــب لذلـــة الكفـــار

ثم انثنـــوا عنـــه وعن عبـــاده و
قد أصبحـــوا خيـــراً مـــن الأخبار

وفي السيف [1]:

وأبيـــض صيغ من ماء ومن لهب
على اعتدال فلم يخمد ولم يســـل

ماضي الغرار يهاب العمر صولته
كأنمـــا هو مطبـــوع من الأجـــل

[1] البحر البسيط.

أبهى من الوصل بعد الهجر منظـــره
حسناً وأقطع من دين على مـــال[1]
وأسمـــر ظـــن ما[2] كـــل سابغـــة
فخاض كالأيم يستشفي من النهـــل
هـــام الكماة به حبـــاً ولا عجـــب
من لوعـــة بمليـــح القـــد معتـــدل
إذا الطعيـــن تلقـــاه وأرعفـــــه
حسبته عاشقـــاً يبكي على طلـــل

ومن ذلك قوله في وصف قوس [3]:

تنكبهـــــا كحاجبـــــه وســـــوى
بأهـــداف الجفـــــون لها نبـــــالا
فلـــم أر قبلـــــه بـــدراً منيـــــرا
تحمـــل فـــوق عاتقـــه هـــــلالا

---

[1] جعلها د. طويل. ((ملل)).
[2] أضاف د. طويل: ((أن))؛ فغدت: أن ما)).
[3] البحر الوافر.

ومن ذلك وصف قلم [1]:

وأصفــر كالصـــب في رونـــق
تظــــن به الحـــب ممن نحـــــل
بديع الصفـــــات حديد السبــــات
يطــول الرمـــاح وإن لم يطـــــل
يعبـــر عمـــــا وراء الضميـــــر
ويفعـــل ما فعل[2] الظبـــا والذبـــل

ومن ذلك قوله فيما يظهر منها [3]:

تفاخـــر السيـــف فيما قيل والقلـــم
الفصل بينهمـــا لا شك من فهـــــم
كلاهمـــا شـــرف اللـــه[4] درهمـــا
وحبـــذ الخطتـــان الحكم والحكـــم

---

[1] البحر المتقارب.
[2] حذف د. طويل ((ما))؛ فغدت: ((ويفعل فعل)).
[3] البحر البسيط.
[4] جعلها د. طويل: ((شر لله)).

ومن ذلك قوله في سكين الدواة [1] :

أنــا صمصامــة الكتابــة مــالي
من شبيه في المرهفــات الرقــاق
فكــأني في الحســن يوم وصــال
وكــأني في القطــع يــوم فــراق

ومن ذلك قوله في المقص [2] :

ومعتنقيــن مــا اشتهــرا بعشــق
وإن وصفـــا بضــم واعتنــاق
لعمــر أبيــك ما اعتنقــا لمعــنى
ســوى معــنى القطيعة والفــراق

ومن ذلك قوله في الورد [3] :

الــورد سلطــان كــل زهـــر
[لــو أنــــه دايـــم الـــورود][4]

---

[1] البحر الخفيف.
[2] البحر الوافر.
[3] مخلع البسيط.
[4] ورد هذا الشطر في الإسكوريال هكذا: ((ما به الورد بالخدود)).

بعــد خــدود المـــــلاح شـــيء

مـــا أشبـــــه الـــورد بالخــــــدود

ومـن ذلـك قولـه فـي الخيريّ[1]:

وأزرق كمثــــل السمــــــــاء

فيـــه لمـــن ينظـــر ســـر عجيب

شــــح مع الصبــح بأنفاســــــه

كأنمـــــا الصبــــح عليه رقيــب

وبـــــــاح باالليــــل بأســــراره

لمـــا رأى الليـــل نهـــار الأريب

ومـن ذلـك قولـه فـي الريحان[2]:

وأخضـــر فستـــقي اللـــون غض

يروق بحســـن منظـــره العيونـــا

[1] هكـذا فـي الإسكويـال؛ بينمـا كتـب فـي الزيتونـة: ((الخمـر)). الخيـريّ ضـرب مـن النباتـات البريـة؛ يستخـرج مـن زهـره دهـن طـبي؛ لـه رائحـة زكيـة. وهـذه الأبيـات مـن البحـر البسيـط.
[2] البحـر الوافـر.

أغـــار عـــلى الترنـــج وقد حكاه
وزاد عـــلى اسمـــه ألفـــاً ونونـــا

وقال من جملة قصايده المطولات ؛ التي تفنن فيها رحمه الله[1]:

وغانيـــة يغـــني عن العود صوتها
وجاريـــة تســـقي وساقيـــة تجري
بحيث يجر النهـــر ذيـــل مجـــرة
يرف على حافاتها الزهر كالزهر
وقد هـــزت الأرواح خصر كتايب
بألوية بيـــض عـــلى أســـل سمر
رمى قـــزح نبلاً إليهـــا فجـــردت
سيـــوف سواقيها على دارع النهر
وهبـــت صبا نجـــد فجرت غلايلا
تجفف دمع الطل عن وجنة الزهر
كأن بصفح الروض وشي صحيفة
وكالألفات القضب والطرس كالتبر

1 البحر الطويل.

كــأن به الأقحــــوان خواتمـــــا

مفضضة فيها فصوص من التبـــر

كأن به النرجــس الغــض أعيــا

ترقرق فـــي أجفانها أدمع القطـــر

كأن شذا الخيــري زورة عاشـــق

يرى أن جنــح الليـــل أكتم للسرر

وقال في وصف الرمان [1]:

للـــه رمانـــة قــد راق منظرهـــا

فمثلها ببديــع الحســن منعــوت

القشر حق لها قـــد ضــم داخلـــه

والشحـــم قطـــن[2] والحب ياقــوت

ومن ذلك قوله في الجزر [3]:

أنظر إلى جذر[4] في اللون مختلـــف

البعض من سبج والبعض من ذهب

---

[1] البحر البسيط.

[2] أضاف د. طويل كلمة: ((لها))؛ فأضحت: ((قطن لها)).

[3] البحر البسيط.

[4] جعلها د. طويل: ((جزر)).

إن قلت قصب فقل قصب بلا زهر
أو قلت شمع فقــل شمــع بلا لهــب

وفي الاغتراب [1] وما يتعلق به مما يقرب من المطولات [2]:

غــريـــب كمـــا يلــقى غريـــب
فـــلا وطـــن لديـــه ولا حبيـــب
تذكـــر أصلـــه فبـــكى اشتياقـــا
وليـــس غريباً أن يبكي غريـــب
وممـــا هـــاج أشـــواقي حديـــث
جرى فجـــرى له الدمـــع السكوب
ذكرت به الشبـــاب فشـــق قلـــبي
ألـــم تر كيـــف تنشـــق القلـــوب
على زمن الصبا فليـــبك مثـــلي
فمـــا زمـــن الصبـــا إلا عجيـــب
جهلـــت شبيبـــتي حـــتى تولـــت
وقدر الـــشيء يعـــرف إذ يغيـــب

---

[1] **حرفت هذه الكلمـة في الزيتونـة؛ فكتبت: ((الإغراء)).**
[2] **البحـر الوافـر.**

ألا ذكــر الإلــه بكــل خيــر
بــلادا لا يضيــع بهــا أديــب
بــلاد مــاؤهــا عــــذب زلال
وريــح هوائهــا مســك رطيــب
بها قلــبى الــذي قلــبي المعــنى
يكــاد من الحنيــن لــه يــذوب
رزقت الصبر بليــن أبي وأمــي
كلانــا بعــد صاحبــه كئيــب
ألا فتــــوخ بعــدي من أؤاخــي
ودع مــا لا يريــب لمــا يريــب
ولا تحكــم بــأول مــا تــــراه
فــــإن الفجــــر أولــه كــذوب
إلا إنــــا خلقنــــا فــي زمــان
يشيــــب بهولــــه مــن لا
وقــد لــذ الحمام وطاب عنــدي
وعيــشي لا يلــذ ولا يطيــب

لحى اللـــه الضرورة فهي بلـــوى
تهين الحـــر والبلـــوى ضـــروب
رأيت المـــال يستـــر كـــل عيب
ولا تخـــفى مـــع الفقـــر العيـــوب
وفقـــد المـــال في التحقيق عندي
كفقـــد الـــروح ذا مـــن ذا قريب
وقد أجهدت نفـــسي في اجتهـــاد
ومـــا أن كـــل مجتهـــد مصيـــب
وقد تجري الأمور عـــلى قيـــاس
ولو تجـــري لعـــاش بها اللبيـــب
كـــأن العقـــل للدنيـــا عـــــدو
فما يقـــضي بهـــا أربـــاً أريـــب
إذا لم يـــرزق الإنسـان بختـــاً
فمـــا حسناتـــــه إلا ذنـــوب

ومن نسيبه قوله في بادرة من حمام [1]:

برزت من الحمام تمسح وجههــا
عن مثل مــاء الــورد بالعنــاب

والماء يقطر من ذوائب شعرهــا
كالطل يسقط من جنــاح غــراب

فكأنها الشمس المنيرة في الضحى
طلعــت علينا من خلال سحــاب

ومن مقطوعاته أيضاً قوله:

ومتيــم[2] لو كــان صــور نفســه
ما زادهــا شيئــاً سوى الإشفــاق

ما كــان يــرضي بالصدود وإنما
كثــرت عليــه مسائــل العشــاق

وقال [3]:

وافــى وقــد زانــه جمـــال
فيـــه لعشاقـــه اعتـــذار

---

[1] **البحر الكامل.**
[2] **كتبت في الإسكوريال، والزيتونة: ((متمم))؛ وصوبها عنان.**
[3] **مخلع البسيط.**

ثلاثـــــة ما لهـــا مثـــــــال

الوجـــه والخـــــد والعـــــذار

فمــــن رآه رأى رياضـــــا

الــــــــورد والآس والبهـــــار

ومن ذلك قوله في ذم إخوة السوء [1]:

ليـــس لإخـــوة[2] باللســـان أخـــوة

فـــإذا تـــراد أخـــوتي لا تنفـــع

لا أنـــت فـــي الدنيا تفرج كربـــه

عـــني ولا يوم القيامـــــة تشفـــع

وقال كذلك [3]:

ولقـــد عرفت الدهر حين خبرتـــه

وبلـــوت بالحاجـــات أهـــل زمـــان

فـــإذا الأخـــوة باللســـان كثيـــرة

وإذا الـــدراهـــم ميلـــق الإخـــوان

---

[1] البحر الكامل.

[2] جعلها د. طويل: ((الأخوو)).

[3] البحر الكامل.

ومن ذلك قوله في ثقيل [1]:

تزلزلــت الأرض زلزالهــا
فقلــت لسكانهــا مالهــا
فقالــوا أتانــا أبــو عامــر
فأخرجت الأرض أثقالهــا

من ذلك قوله في الصبر [2]:

الدهــر لا يبــقي على حالــه
لكنـــــه يقبـــــل أو يدبـــــر
فــإن تلقـــــاك بمكروهــــــه
فاصبـــر فإن الدهر لا يصبـــر

ومن ذلك قوله في الموت [3]:

المــــوت ســـر اللـــه في خلقــه
وحكمـــة دلـــت عـــلى قهـــــره
ما أصعـــب المـــوت وما بعـــده
لو فكـــر الإنســـــان فـــي أمـــره

---

[1] البحر المتقارب.
[2] البحر السريع.
[3] البحر السريع.

أيام طاعـــات الفـــتى وحدهــــــا
هـــي الـــتي تحســـب مـــن عمره
لا تلهــــــك الدنيـــــا ولذاتهـــــا
عـــــن نـــهي مـــولاك ولا أمره
وأنظر إلى من ملك الأرض هـــل
صـــح لـــه منهـــا ســـوى قبـــره

نثره

قال في **كتاب روضة الأنس** ما نصه: ويتعلق بهذا الباب، ما خاطبني به الفقيه الكاتب الجليل، **أبو بكر البرذعي** من أهل بلدنا، أعزه الله: أخبرك بعجاب، إذ لا سر دونك ولا حجاب، بعد أن أتقدم إليك أن لا تجعل باللوم إلي قبل علم ما لدي، فإن الدهر أخدع من كفة الحابل، وقلب الإنسان للآفات قابل. مشيت يوماً إلى سوق الرقيق، لأخذ حق فؤاد عتيق، فرأيت بها جارية عسجدية اللون، حديثة عهد بالصون، متمايلة القد، قايمة النهد، بلحظ قد أوتي من السحر أوفر حظ، وفم كشرطة

رشحت بدم، داخله سمطان لولاهما ما عرف النظم، ولا حكم على الدر للعظم، في صدغها لامان، ما خط شكلهما قلم، ولا قص مثلهما حلم. لها جيد تتمناه الغيد، وخصر هو قبضة الكف في الحصر، وردف يظلمه من يشبه به بالحقف، ويدان خلقا للوشي، وقدمان أهلتا للثم لا للمشي، فتطاولت إليها الأعناق، وبذلت فيها الأعلاق، والمياسير عليها مغرم [1] في القوم، وتسوم أهل السوم، وكل فيها يزيد، ليبلغ ما يريد، إلى أن جاء فتى صادق في حبه، لا يبالي بفساد ماله في صلاح قلبه، فعدّ المال عداً، ولم يجد غيره من التسليم بداً، فلما فاتتني، تركت الأشواق وأتتني، وانتقضت عزايم صبري فما أتتني، فالله الله، تدارك أخاك سريعاً، قبل أن تلفيه من الوجد صريعاً، واستنزل خادماً، قبل أن تصبح عليه نادماً، ولن أحتاج أن أصفها إليك مع ما قصصته عليك، وقد أهديتها درراً، فخذها على جهة الفكاهة والدعابة [2]:

---

[1] في الإسكوريال: ((يعزم)).

[2] البحر الوافر.

ولا تطلــع أخــا جهــل عليهــا
فمــن لم يــدر قــدر الشي عابه

فأجبته: نعم نعم، أنعم الله بالك، وسنى آمالك، أنا بحول الله أرتاد لك، من نحو هاتيك، ما يسليك ويؤاتيك، وإلا فبيضاً كاللجين، هل القلب والعين، زهرة غصن في روضة حسن، ذات ذوايب، كأنها الليل على نهار، أو بنفسج في بهار. لها وجه أبهى من الغنا، وأشهى من نيل المنا، فيه حاجبان كأنهما قوس صنعت من السبح، ورصعت بعاج من البلح، على عينين ساحرتين، وبالعقل ساخرتين، بهما تصاب الكبود، وتشق القلوب قبل الجلود، إلى فم كأنه ختام مسك، على نظام سلك، سقاه الحسن رحيقه، فأنبتت درره وعقيقه، وجيد في الحسن وحيد، على صدر كأنه من مرمر، فيه حقتا عاج طوقتا بعنبر، قد خلقتا للعض، في جسم غض، له خصر مدمج، وردفه يتموج، وأطراف كالعنم، رقمت رقم القلم، من اللايي شهدن **ابن المؤمل**، وقال في مثلها

الأول، إن هي تاهت فمثلها تاها، أو هي باهت فمثلها باها، من أين للغصن مثل قامتها، أو أين للبدر مثل مرآها، ما فعلت في العقول صابية. ما فعلت في العقول عيناها، تملكني بالهوى وأملكها، فهأنا عبدها ومولاها، فأيهما لست بذلت فيه الجهد، وأرقيت للمجد والود إن شاء الله تعالى. وأنا فيما عرض لسيدي، حفظه الله، على ما يحب، أعذره ولا أعذله، وأنصره ولا أخذله لكني أقول كما قال بعض الحكماء: لا ينبغي لمن قلبه رقيق، أن يدخل سوق الرقيق، إلا أن يكون قد جمع بين المال والجمال، يتنافس في العالي، ويسترخص بالثمن الغالي، ولا يبالي بما قال الأيمة، إذا وجد من يلايمه، كما قال الشاعر [1]:

ما انتفــاع المحــب بالمال إذا[2] لم
يتوصــل به لوصــل الحبيــب

[1] البحر الخفيف.
[2] جعلها د. طويل: ((إذ)).

إنما ينبــغي بحكــم الهــوى أن
ينفــق المال في صلاح القلــوب

والسلام على سيدي، ما كانت الفكاهة من شأن الوفاء، والمداعبة من شيم الظرفاء، ورحمة الله وبركاته[1].

---

[1] ندرج هنا هذا التعليق الهام؛ الذي كتبه عنان في أخر الترجمة؛ وذلك نظراً لما له من فائدة: ((من الذائع المعروف أن أبا الطيب الرندي (صالح بن شريف)؛ هو ناظم مرثية الأندلس الشهيرة؛ التي مطلعها:

" لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا * يغير بطيب العيش إنسان"

والتي أوردها لنا المقري في نفح الطيب؛ ونقلها فيما يرجح عن كتاب (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية)؛ والتي ما زالت حتى يومنا تحتفظ برنينها المحزن. وبالرغم من أن ابن الخطيب قد أورد لنا طائفة من مختارة من شعر أبي الطيب؛ وفيها ثلاث قصائد من مطولاته؛ فإنه لم يشر بكلمة واحدة إلى مرثيته الأندلسية؛ بالرغم من أنها من غرر قصائده. وهو أمر يدعو إلى الدهشة والتساؤل؛ فإما أن الناسخ لمخطوط كتاب " الإحاطة " قد أغفل إيرادها، وإما أن ابن الخطيب قد أغفل إيرادها عمداً. ذلك أن هذه القصيدة قد نظمت عقب انهيار الأندلس، وسقوط قواعدها الكبرى، ونزول ابن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة عن عدد كبير من البلاد والحصون للنصارى. وقد كان ابن الخطيب من أولياء نعمة بني نصر (بني الأحمر) ملوك غرناطة وربيب نعمتهم؛ وربما رأى أن وجود هذه القصيدة يسيء إلى ذكريات ابن الأحمر الكبير؛ الذي وقعت في عهده محنة الأندلس؛ ثم نظمت القصيدة في عصره أيضاً بقلم شاعره الأثير أبي الطيب؛ فرأى إغفالها)). انتهي كلام عنان. ومن جهتي أضيف هنا بعض الأبيات من هذه القصيدة الغراء؛ وهي من البحر البسيط:

لكل شيء إذا ما تم نقصان * فلا يُغَرّ بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما تدري لها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتماً كل سابغة * إذا نَبَتْ مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان

مولـده

ولـد فـي محـرم سنـة إحـدى وستمايـة [1].

وفاتـه

تـوفي فـي عـام أربعـة وثمانيـن وستمايـة [2].

نقلـت مـن خـط صاحبنـا الفقيـه المـؤرخ، **أبـي الحسـن بـن الحسـن**؛ قـال: أنشـدني الشيـخ الراويـة الأديـب القـاضي الفاضـل **أبـو الحجـاج يوسـف بـن موسـى بـن سليمـان المنتشـافري**؛ قـال: أنشـدني القـاضي الفاضـل **أبـو القاسـم ابـن الـوزيـر أبـي الحجـاج بـن الحقالـة**؛ قـال: أنشـدني الأديـب **أبـو**

ثـم يقـول:

دهى الجزيرة خطب لا عزاء له * هوى لـه أحـد وانـهـد ثـهـلان
أصابها العين في الإسلامي فامتحنت * حتى خلت منه أوطـان وبلـدان
فسل بلنسية ما شأن مرسيـة * وأيـن شاطبـة أم أيـن جيـان
وأين قرطبة دار العلوم فكـم * من عالم قد سما فيهـا لـه شـان
وأين حمـص وما تحويه من نزه * ونـهرهـا العذب فياض ومـلآن
قواعد كُـنَّ أركان البلاد ومـا * عسى البقاء إذا لم تبق أركـان

وهي طويلـة ولا يتسـع المجـال لذكرهـا كلهـا.

[1] **الموافـق لـ 1204م.**

[2] **الموافـق لـ 1285م.**

الطيب صالح بن أبي خالد يزيد بن صالح بن شريف الرندي لنفسه ؛ ليكتب على قبره [1]:

خليـــلي بالـــود الذي بيننا اجعـــلا
إذا مت قبـــري عضـــة للترحـــم
عني مسلـــم يدنو فيدعو برحمـــة
فـــإني محتـــاج لدعـــوة مسلـــــم

***

[1] **البحر الطويل.**

***

عبد الله بن إبراهيم

ابن علي بن محمد التجيبي؛ الرئيس أبو محمد بن إشقيلولة.

أوليته

قد مرّ شيء من ذلك في اسم الرئيس أبي إسحاق أبيه.

حاله

كان أميراً شهماً، مضطلعاً بالقضية، شهير المواقف، أبي النفس، عالي الهمة، انتزى على خاله أمير المسلمين **الغالب بالله** [1]، وكان أملك لما بيده من مدينة وادي آش ما إليها ، معززاً بأخيه الرئيس أبي الحسن مظاهره في الأمر، ومشاركه في السلطان، واستمرت الحال مدة حياة خاله السلطان. ولما صار الأمر إلى مخيفه ولي العهد [2]. استشرى الداء، وأعضل الأمر، وعمت الفتنة، وزاحمه

---

[1] **هو السلطان الغالب بالله محمد بن يوسف؛ مؤسس دولة بني الأحمر؛ سبقت الإشارة إليه.**

[2] **هو ولده السلطان أبو عبد الله محمد الملقب بالفقيه؛ وهو ثاني ملوك بني الأحمر؛ حكم من سنة 671هـ/1272م إلى سنة 702هـ/1302م. وقد أشير إليه سابقاً.**

السلطان بالمنكب، انفجم، واعتوره بالحيلة، حتى تحيف أطرافه، وكان ما هو معلوم ، من إجازة أمير المسلمين **أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق** [1] البحر إلى الجهاد. ومال الحال بينه ويبين السلطان أمير المسلمين **أبي عبد الله بن نصر** إلى التقاطع، وتصيرت **مالقة** إلى الإيالة **المغربية**، ثم عادت إلى السلطان.

وفي أخريات هذه الأحوال، أحكم السلطان مع طاغية **الروم**، السلم، وصرف وجهه إلى مطالبة الرئيس **أبي محمد**، صاحب **وادي آش**، فالجأه الحال إلى أن صرف الدعوة **بوادي آش** إلى السلطان **بالمغرب** ورفع شعاره، فأقعد عنه. ووقعت مراسلات، أجلت عن انتقال الرئيس **أبي محمد** إلى **المغرب**، معوضاً عن مدينة **وادي آش بقصر كتامة** [2]، وذلك في عام تسعة وثمانين وستماية [3].

---

[1] هو أعظم سلاطين بني مرين؛ عبر إلى الأندلس مع جيشه أربع مرات برسم الجهاد؛ بعد أن أنهى وجود الدولة الموحدية نهائياً.

[2] يسمى أيضاً القصر الصغير؛ وهو مينا في المغرب الأقصى؛ يطل على مضيق جبل طارق، ويقابل بلدة طريف الأندلسية.

[3] الموافق لـ 1290م.

وفاته

دخلت **قصر كتامة** يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذي قعدة؛ عام خمسة وخمسين وسبعماية [1] في غرض الرسالة، وزرت مقبرة الرؤساء **بني إشقيلولة** بظاهرها، وفي قبة ضخمة البناء رحيبة الفناء، نسيجة وحدها بذلك البلد، بين منازل البلى، وديار الفناء، وبها قبر الرئيس **أبي محمد** هذا، عن يسار الداخل، بينه وبين جدار القبلة قبر، وسنامه رخام مكتوب عليه [2]:

قبـــــر عزيـــــز علينـــــا
لــو أن مــن فيــــه يفــدا
أسكنــت قـــــرة عيـــني
وقطعـــــة القلــب لحــــــدا
مــــا زال حكمـــاً عليــــــه
ومـــا القضـــــــاء تعــــــدا

---

[1] الموافق لـ 1354م.
[2] بحر المجتث.

فللصبـــر[1] أحســـن ثـــوب
بـــــه العزيـــــز تـــــردا

وعنـد رأس السنام الرخامي، مهـد مائـل مـن الرخـام فيـه: " أعـوذ بالله مـن الشيطـان الرجيـم ، بسـم الله الرحمـن الرحيـم، صـلى الله عـلى سيدنـا محمـد وآلـه، وسلـم تسليمـاً. هـذا قبـر الرييس الجليـل، الأعـلى الهمـام، الأوحـد، الأسعـد، المبـارك، الأسنى، الأسـمى، الأحفـل، الأكمـل، المجاهـد، المقـدس، المرحـوم، **أبي محمـد عبـد الله** ابـن الرئيـس الجليـل، الهمـام، الأوحـد، الأسعـد، المبـارك، الأمضـى، الأسنى، الأسـمى، المعظـم، المرفـع، المجاهـد، الأرضـى، المقـدس، المرحـوم **أبي إسحـاق إبراهيـم بـن إشقيلـولـة**، رحمـه الله وعفـا عنـه، وأسكنـه جنتـه. ظهـر عفـا الله عنـه، **بـوادي آش**، أمنهـا الله، قاعـدة مـن قواعـد **الأندلـس**، وتسلطـن، ونشـرت علامـات سلطنتـه، وضربـت الطبـول. وجاهـد منهـا العـدو، قصمـه الله، وظهـر عـلى خالـه سلطـان **الأندلـس**، وأقـام فـي سلطنتـه، نحـواً مـن ثـلاث وعشريـن

[1] **جعلهـا د. طويـل: ((فالصبـر)).**

سنة. ثم قام بدعوة الملك الأعلى، السلطان المؤيد المنصور، أمير المسلمين، المؤيد بالله **أبي يعقوب** أيده الله بنصره، وأمده بمعونته ويسره، وأمره أيده الله أن يتخلى عن **وادي آش** المذكورة؛ ويصل **للمغرب**؛ فتنحى عن **الأندلس للمغرب** [1]، أنسه الله، في جماد الأولى من عام ستة وثمانين وستماية [2]، فأعطاه أيده الله، **قصر عبد الكريم** [3] أمنه الله، وأنعم عليه، فأقام به مدة من ثمانية أعوام، وجاز منه إلى **الأندلس**، أمنها الله، وجاهد بها مرتين، ثم رجع إلى **قصر عبد الكريم** المذكور، وتوفي، شرف الله روحه الطيبة المجاهدة، عشي يوم السبت؛ العاشر من شهر محرم؛ سنة خمس وتسعين وستماية [4].

***

---

[1] في الإسكوريال: ((للغرب))؛ فصوبها عنان.

[2] الموافق لـ 1287م.

[3] قصر عبد الكريم؛ يسمى أيضاً القصر الكبير: وهو في داخل الأراضي المغربية؛ بالقرب من العرايش. ويتضح مما ورد في النقش؛ أنه يخالف ما ذكره ابن الخطيب من قبل؛ بخصوص إرسل أبي يوسف للرئيس أبي عبد الله إلى قصر كتامة.

[4] الموافق لـ 1295م.

عبد الله بن بلقين

ابن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن منّاد الصنهاجي؛ [1]
أمير غرناطة.

أوليته

قد مر من ذلك في اسم جده ما فيه كفاية.

حاله

لقبه **المظفر بالله الناصر لدين الله**. ولي بعد جده **باديس**؛ في شوال سنة خمس وستين وأربعمائة [2]؛ وصحبه **سماجه الصنهاجي** تسع سنين. قال **الغافقي**: وكان قد حاز حظاً وافراً من البلاغة والمعرفة، شاعراً، جيد الشعر، مطبوعه، حسن الخط. كانت **بغرناطة** ربعة مصحف بخطه في نهاية الصنعة والإتقان. ووصفه **ابن**

---

[1] له ترجمة في: الأنيس المطرب، والمختصر في أخبار البشر، وإعمال الأعلام، وتاريخ قضاة الأندلس، والحلل الموشية، وكتاب العبر، وصبح الأعشى.

[2] الموافق لـ 1072م.

الصيرفي فقال: كان جباناً مغمد السيف، قلقاً، لا يثبت على الظهر، عِزْهاة؛ لا أرب له في النساء، هيابة، مفرط الجزع ، يخلد إلى الراحات، ويستوزر الأغمار.

خلعه

قال: وفي عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة [1]، تحرك أمير المسلمين، **يوسف بن تاشفين**، لخلع رؤساء **الأندلس**؛ فأجاز البحر، ويمم **قرطبة**، وتواترت الأنباء عن حفيد **باديس** صاحب **غرناطة**، بما يغيظه ويحقده؛ حسبما تقدم في اسم **مؤمل**، **مولى باديس**.

وقدم إلى **غرناطة** أربع محلات، فنزلت بمقربة منها، ولم تمتد يد إلى شيء يوجد، فسرّ الناس واستبشروا، وأمنت البادية، وتمايل أهل الحاضرة إلى القوي. وأسرع **حفيد باديس** في المال، وألحق السوقة والحاكة [2]، واستكثر من اللفيف، وألح بالكتب على **أذفونش** بما يطمعه. وتحقق

[1] **الموافق لـ 1090م.**
[2] **أي السفلة، والأشرار.**

يوسف بن تاشفين استشراف الحضرة إلى مقدمه؛ فتحرك. وفي ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب، اجتمع إلى **حفيد باديس** صنائعه؛ فخوفوه من عاقبة التربص، وحملوه على الخروج إليه؛ فركب، وركبت أمه؛ وتركا القصر على حاله؛ ولقي أمير المسلمين، على فرسخين من المدينة؛ فترجل، وسأله العفو، فعفا عنه، ووقف عليه، وأمره بالركوب؛ فركب، وأقبل حتى نزل **بالمشايخ** من خارج الحضرة. واضطربت المحلات، وأمر **مؤملاً** بثقافه في القصر، فتولى ذلك؛ وخرج الجمّ من أهل **المدينة**؛ فبايعوا أمير المسلمين **يوسف بن تاشفين**، فلقيهم وأنسهم، وسكن جأشهم، فاطمأنوا.

وسهل **مؤمل** إليه دخول الأعيان؛ فأمر بكتب الصكوك، ورفع أنواع القبالات والخراج، إلاّ زكاة العين، وصدقة الماشية، وعشر الزرع. واستقصى ما كان بالقصر؛ فظهر على ما يحول الناظر، ويروع الخاطر، من الأعلاق والذخيرة، والحُلَى، ونفيس الجوهر، وأحجار الياقوت، وقصب المزمرد، وآنية الذهب والفضة، وأطباق البلور

المحكم، والجرداذانات[1]، والعراقيات، والثياب الرفيعة، والأنماط ، والكل، والستاير، وأوطية الديباج، مما كان في ادخار **باديس** واكتسايه. وأقبلت دواب الظهر؛ من المنكب بأحمال السبيك والمسبوك، اختلفت **أم عبد الله** لاستخراج ما أودع بطن الأرض؛ حتى لم يبق إلاّ الخرثى والثقل والسقط، ووزع ذلك الأمير على قواده، ولم يستأثر منه بشيء.

قال: ورغب إليه **مؤمل** في دخول القصر؛ فركب إليه، وكثر استحسانه إياه، وأمر بحفظه، وتفقد أوضاعه وأقنيته. ونقل **عبد الله إلى مراكش**، وسنه يوم خلع، خمس وثلاثون سنة وسبعة أشهر؛ فاستقر بها هو وأخوه **تميم**، وحل اعتقالهما، ورفه عنهما، وأجري المرتب والمساهمة عليهما. وأحسن **عبد الله** أداء الطاعة، مع لين الكلمة، فقضيت مآربه، وأسعفت رغباته، وخف على الدولة، واستراح واستريح منه، ورزق الولد في الخمول،

[1] **هكذا في المخطوطين؛ ويعتقد عنان أنها: ((الجرجانيات)).**

فعاش له ابنان وبنت ؛ جمع لهم المال. فلما توفي ترك مالاً جماً.

مولده

ولد **عبد الله** سنة سبع وأربعين وأربعماية[1].

***

[1] **الموافق لـ 1055م.**

عبد الله بن علي

ابن محمد التجيبي والرئيس أبو محمد بن إشقَيْلولة [1].

حاله

كان رئيساً شجاعاً، بهمة، حازماً، أيداً، جلداً. تولى مدينة **مالقة**، عقب وفاة الرئيس واليها **أبي الوليد بن أبي الحجاج بن نصر**، صنو أمير المسلمين، **الغالب بالله**، في أوايل عام خمسة وخمسين وستماية [2]. وكان صهر السلطان على إحدى بناته، وله منه محل كبير، ومكان قريب، وله من ملكه حظ رغيب. واستمرت حاله إلى عام أربعة وستين ستماية [3]، وفسد ما بينه وبين ولي العهد؛ الأمير **أبي عبد الله محمد** ابن أمير المسلمين **أبي عبد الله الغالب بالله**، إذ وغر له صدره، ولابني أخيه الرئيسين **أبي محمد وأبي الحسن** إبني الرئيس **أبي إسحاق بن إشقيلولة** المتأمرين **بوادي آش**، فضايقهم وأخافهم، بما أداهم إلى الامتناع، والدعاء لأنفسهم، والاستمساك بما

---

[1] سقطت هذه الترجمة في مخطوط الزيتونة.
[2] الموافق لـ 1257م.
[3] الموافق لـ 1265م.

بأيديهم، وعمت المسلمين الفتنة المنسوبة إليهم. فانتزى هذا الرئيس بمدينة **مالقة**، وكان أملك لما بيده، واستعان **بالنصري**، وشمر عن ساعد الجد، فأباد الكثير من أعيان البلدة، في باب توسم التهم، وتطرق السعايات، واستولى على أموالهم. واستمرت الحال بين حرب أجلت فيها غلبة الأمير مخيفه، ولي العهد، بجيش **النصري**، ونازل **مالقة** أربعين يوماً، وشعث الكثير بظاهرها، وتسمى بعلم الأمير عند أهل **مالقة**، وما بين سلم ومهادنة، وفي عام ستين وستماية [1]، نازله السلطان **الغالب بالله** صهره، وأعيا عليه أمر **مالقة**، لأضطلاع هذا الرئيس بأمره، وضبط من لنظره، واستمساكه بعروة حزمه.

وفي بعض الأيام، ركب السلطان في ثلاثة من مماليكه، متخفياً [2]، كاتماً غرضه، وقعد بباب المدينة. فلما بصر به الرجال القايمون به، هالهم الأمر، وأدهشتهم الهيبة، فأفرجوا له، موقرين لجلاله، آنسين لقلة أتباعه، فدخل، وقصد القصبة، وقد نذر به الرئيس **أبو محمد**؛

---

[1] الموافق لـ 1261م.

[2] في الإسكوريال: (مختفياً)). وغيرها عنان.

فبادر إليه راجلاً، متبذلاً، مهرولاً [1]، حافياً. ولما دنا منه، ترامى على رجليه يقبلهما، إظهاراً لحق أبوته، وتعظيماً لقدره، ودخل معه إلى بنته وحفدته، فترامى الجميع على أطرافه يلثمونها، ويتعلقون بأذياله وأدرانه، وهو يبكي إظهاراً للشفقة والمودة، وتكلم الجميل. وأقام معهم بياض يومه، ثم انصرف إلى **محلته**، وأتبعه الرئيس، فأمره بالاستمساك بقصبته وملازمة محل إمرته، وما لبث أن شرع في الارتحال عن ألطاف ومهادات، وتقدير جرايات، وإحكام هدية، وتقرير إمارة، إلى أن توفي السلطان رحمه الله، فعاد الفتنة جزعة، ووالى ولده أمير المسلمين بعده، الضرب على **مالقة**؛ إلى أن هلك الرئيس **أبو محمد**، واستقر بالأمور ولده المذكور في **المحمدين**، وكان من الأمر ما ينظره في مكانه من أراد استيفاءه بحول الله.

***

---

[1] في الإسكوريال: ((مهزولاً))؛ وصوبها عنان.

عبد الله بن محمد

ابن أحمد بن محمد العَزَفي يكنى أبا طالب؛ الرئيس الفقيه، الكبير الشهير، صاحب الأمر والرياسة والإمارة بستة، نيابة عن أخيه الرئيس الصالح أبي حاتم؛ بحكم الاستقلال في ذلك، والاستبداد التام؛ من غير مطالعة لأخيه ولا رجوع إليه في شيء من الأمور، ولا تشوف من أخيه إلى ذلك؛ لخروجه البتّة عنه، وإيثاره العزلة. واشتغاله بنفسه.

حاله

قد تقدم من ذكر أوليته ما فيه كفاية. وكان من أهل الجلالة والصيانة، وطهارة النشأة، حافظاً للحديث، ملازماً لتلاوة كتاب الله، عارفاً بالتاريخ، عظيم الهيبة، كبير القدر والصيت، عالي الهمة، شديد البأو، معظماً عند الملوك، جميل الشارة، ممتثل الإشارة لديهم، عجيب السكينة والوقار، بعيد المرمى، شديد الانقباض، مطاع السلطان بموضعه، مرهوب الجانب، من غير إيقاع بأحد، ولا هتك حرمة، محافظاً على إقامة الرسوم الحسبية والدينية.

مشيخته

قرأ على الأستاذ **أبي الحسين بن أبي الربيع**، وغيره.

نكبته

تغلب على بلده أيام إمارته، وثار أهله إليه في السلاح والعدة، ليحيطوا بمن في القصبة. فخرج إليهم، وشكر مساعيهم، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل))؛ فانصرفوا، ودخل منزله، ملقياً بيده، ومسلماً لقضاء الله سبحانه في كسره، إلى أن قبض عليه، وعلى ساير بنيه وقومه، عند ارتفاع النهار وانتشار المتغلبين على القصبة، فنقفوا متحرجين من دماء المسلمين، وصرفوا إلى **الأندلس**، في ضحو يوم الخميس الثاني عشر من ذي قعدة عام خمسة سبعماية [1]، بعد انقضاء خمسة عشر

---

[1] **الموافق لـ 1305م.**

يوماً من تملك بلدهم. فاستقر **بغرناطة**، تحت ستر واحترام، وجراية فيها كفاف. ثم لما خرجت **سبتة** عن طاعة أمير المسلمين، انصرف القوم إلى **فاس**، فتوفي بها.

وفاته

في شعبان المكرم من عام ثلاثة عشر وسبعماية [1].

***

[1] **الموافق لـ 1313م.**

عبد الله بن الجبير

ابن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي [1]؛ من أهل لوشة؛ وهو محسوب من الغرناطيين. قال الأستاذ [2]: من أعيانها ذوي الشرف والجلالة؛ قلت: ينسب إليه بها معاهر؛ تدل على قدم وأصالة.

حاله

قال **أبو القاسم الملاحي**: كان أديباً بارع الأدب، كاتباً، بليغاً، شاعراً مطبوعاً، لسناً مفوهاً، عارفاً بالنحو والأدب واللغات. وقد مال في عنفوان شبيبته إلى الجندية لشهامته، وعزة نفسه، فكان في عسكر **المأمون بن عباد** [3]، واشتمل عليه **المأمون**، وكان من أظرف الناس، وأملحهم شيبة [4]، وأحسنهم شارة، وأتمهم معرفة.

---

[1] له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، وبغية الوعاة، وبغية الملتمس؛ حيث ذكر أنه عبد الله بن عثمان ابن الجبير. ويكنى أبا محمد؛ وتوفي سنة 518هـ/:1124م.

[2] الأستاذ هنا هو ابن الزبير؛ صاحب كتاب صلة الصلة.

[3] هو المأمون بن المعتمد بن عباد؛ صاحب إشبيلية أيام الطوائف.

[4] في بغية الوعاة: ((شبيبة)).

مشيخته

أخذ عن أشياخ بلده **غرناطة**، وأخذ **بمالقة** عن **غانم** الأديب، **وبقرطبة** عن **ابن سراج**.

شعره

وله في إنشاده لدى **المأمون** مجال رحب؛ فمن ذلك قوله[1]:

يا هاجريـــن أضل اللـــه سعيكـــم
كم تهجرون محبيكـــم بلا سبـــب
ويا مسريـــن للإخـــوان غائلـــــة
ومظهرين وجوه البـــر والرحـــب
ما كان ضركم الإخلاص لو طبعت
تلك النفـــوس على علياء أو أدب
أشبهتـــم الدهـــر لما كـــان والدكم
فأنتـــم شــــرٌ أبنـــاء لشـــرٍ أب

***

[1] البحر البسيط.

عبد الله بن سعيد

ابن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني [1]؛
والد المؤلف، رضي الله عنه؛ يكنى أبا محمد؛ غرناطي الولادة
والاستيطان؛ لوشي الأصل، ثم طليطلية، ثم قرطبية.

أوليته

كان سلفه يعرفون **بقرطبة**، **ببني وزير**، وهم بها أهل نباهة، وبيتهم بيت فقه وخيرية ومالية، ونجارهم نجار فرسان يمانية. ولما حدث على **الحكم بن هشام** الوقيعة الربضية، وكان له الفلج، وبأهل **الربض** الدبرة، كان أعلام هذا البيت من الجالية أمام **الحكم**، حسبما امتحن به الكثير من أعلام المشيخة بها، كالفقيه **طالوت، ويحيى بن يحيى**، وغيرهم، ولحقوا **بطليطلة**، فاستقروا بها، ونبا بهم وطنهم، ثم حوموا على سكنى الموسطة، وآب إلى **قرطبة** قبلهم بعد عهد متقادم، ومنهم **خلف وعبد الرحمن**؛ وقد مرّ له ذكر في هذا الكتاب. وولي القضاء بالكورة. ومنهم قوم من قرابتهم تملكوا **منتفريد** [2]؛ الحصن المعروف

---

[1] له ترجمة أيضاً في نفح الطيب.
[2] بالإسبانية: **Montefrio**؛ أي الجبل البارد.

الآن بالمنعة والخصب، وتمدن فيهم، وبنيت به القلعة السامية، ونسب إليه ذلك المجد، فهم يعرفون ببلدنا **ببني المنتفريدين**. واستقر منهم جدنا الأعلى **بلوشة** خطيباً وقاضياً بالصقع ومشاوراً [1] وهو المضاف إلى اسمه التسويد **بلوشة** عرفاً كأنه اسم مركب، فلا يقول أحد منهم في القديم إلاّ سيدي **سعيد**. كذا تعرفنا من المشيخة، وإليه النسبة اليوم، وبه يعرف خلفه **ببني الخطيب**، وكان صالحاً فاضلاً، من أهل العلم والعمل. حدثني الشيخ المسن **أبو الحكم المنتفريدي**؛ وقد وقفني على جدار برج؛ ببعض أملاكنا بها، على الطريق الآتية من **غرناطة** إلى **لوشة**، ثم إلى غيرها، **كإشبيلية** وسواها؛ فقال: كان جدّك يسكن بهذا البرج؛ كذا من فصول العام، ويتلو القرآن ليلاً، فلا يتمالك المارون على الطريق، أن يقربوا إصغاء لحسن تلاوته وخشوعاً. وكان ولده **عبد الله** بعده، على وتيرة حسنة من الخير والنباهة وطيب الطعمة، ثم جده

---

[1] أي صاحب الشورى. إذ كانت خطة الشورى عبارة عن خطة فرعية ملحقة بالقضاء في الأندلس؛ خاصة في العصور الأخيرة. ويختص صاحبها المدعو ((المشاور)) بالإفتاء وإبداء الرأي في المسائل الشرعية.

الأقرب **سعيد** على سننه، مُرْب عليه بمزيد المعرفة، وحسن الخط. ولما وقع **بلوشة** بلده، ما هو معروف من ثورة أصهارهم من **بني الطنجالي**؛ وكان بينهم ما يكون بين الفحول في الهجمات من التشاجر، فرّ عنهم خيفة على نفسه، وعلى ذلك؛ فناله [1] اعتقال طويل، عدا به عليه عن تلك الثورة. ثم بان عذره، وبرئت ساحته، واستظهر به السلطان، وأقام **بغرناطة**، مكرماً، مؤثراً، مؤتمناً، وصاهره في أشراف بيوتاتها؛ فكانت عنده بنت الوزير **أبي العُلَى أضحى بن أضحى الهمداني**؛ وتوفيت تحته، فأنجز له بسببها الحظ في الحمام الأعظم المنسوب إلى جدها اليوم. ثم تزوج بنت القايد **أبي جعفر أحمد ابن محمد الجعدالة السلمي**، أم الأب المترجم به، ولها إلى السلطان ثاني ملوك **بني نصر** [2] وعظيمهم متات ببنوة الخؤولة من جهة القواد الأصلاء **القرطبيين**؛ **بني دحون**؛ فوضح القصد، وتأكدت الحظوة. وقد وقعت الإشارة إلى

[1] **في الزيتونة: ((ناله)).**
[2] **وهو السلطان محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر. سبقت الإشارة إليه؛ وله ترجمة في الإحاطة.**

ذلك كله في محله. ثم رسخت لولده أبي؛ القدم في الخدمة والعناية، حسبما يتقرر في موضعه.

حاله

كان رحمه الله فذاً في حسن الشكل والأبهة، وطلاقة اللسان، ونصاعة الظرف، وحضور الجواب، وطيب المجالسة، وثقوب الفهم، ومشاراً إليه في الحلاوة وعذوبة الفكاهة، واسترسال الانبساط، مُغْيياً في ميدان الدعابة، جزلاً، مهيباً، صارماً، متجنداً، رايق الخصل ركضاً وثقافة، وعدواً وسباحة وشطرنجاً، حافظاً للمثل واللغة، إخبارياً، مضطلعاً بالتاريخ، ناظماً ناثراً، جميل البزة، فاره المركب، مليح الشيبة. نشأ **بغرناطة** تحت ترف ونعمة، من جهة أمه وأبيه، وقرأ على **أبي إسحاق بن زرقال، وأبي الحسن البلوطي**، ثم على أستاذ الجماعة **أبي جعفر بن الزبير**، ظاهرة عليه مخيلة النجابة والإدراك. ثم أقصر لعدم الحامل على الدؤوب، وانتقل إلى بلد سلفه، متحيفاً الكثير من الأصول في باب البذل وقرى الضيوف، ومداومة الصيد، وإيثار الراحة، معتمداً بالتجلة، مقصود

الحلة، مخطوب المداخلة، من أبناء أشرف الدولة، منتجعاً لأولى الكدية. ولما قام بالأمر السلطان، أمير المسلمين **أبو الوليد**، وأمه بنت السلطان ثاني الملوك من **بني نصر**، جزم ما تقدم من المتات والوسيلة، استنهضه للإعانة على أمره، وجعل طريقه على بلده، فحطب [1] في حبله، وتمسك بدعوته، واعتمده بنزله وضيافته، وكان أعظم الأسباب في حصول الأمر بيده، ودخوله في حكمه، وانتقل إلى حضرة الملك بانتقاله؛ فنال ما شاء من اصطناعه، وحظوته، وجرى له هذا الرسم في أيام من خلفه من ولده إلى يوم الوقيعة الكبرى **بطريف** [2] تاريخ فقده.

وجرى ذكره في **كتاب الإكليل** بما نصه: إن طال الكلام، وجمحت الأقلام، كنت كما قيل، مادح نفسه يقرئك السلام، وإن أحجمت، فما أسديت في الثناء ولا ألحمت، وأضعت الحقوق، وخفت ومعاذ الله العقوق.

---

[1] في الإسكوريال، والزيتونة: ((فخطب))؛ وصوبها عنان.

[2] هي الموقعة الشهيرة التي حدثت سنة 741هـ/1340م بين النصارى من جهة وبين المسلمين الممثلين ببني مرين وبني نصر من جهة أخرى. وقد سبقت الإشارة إليها.

هذا، ولو أني زجرت طير البيان من أوكاره، وجيته [1] بعيون [2] الإحسان وأبكاره، لما قضيت حقه بعد، ولا قلت إلا التي علمت سعد [3]. فقد كان رحمه الله ذمر عزم، ورجل رخاء وأزم، تروق أنوار خلاله الباهرة، وتضيء مجالس الملوك من صورتيه الباطنة والظاهرة، ذكاء يتوقد، وطلاقة يحسد نورها الفرقد، فقدته بكاينة **طريف**، جبر الله عثارها، وعجل ثارها.

حدث خطيب المسجد الأعظم، وهو ما هو، من وفور العقل، وصحة النقل؛ قال: مررت بأبيك بعد ما تمت الكَسْرة، وخذلت تلك الأسرة، وقد كبا بأخيك الطرف؛ وعرض عليه الحمام للصرف، والشيخ رحمه الله لم تزل قدمه، ولا راعه الموقف وعظمه. ولما آيس من الخلاص وطلابه، صرفني، وقال: أنا أولى به؛ فقضى

---

[1] في الإسكوريال: ((وجهته))؛ وصوبت من الزيتونة. وفي النفح: ((وجئت بعون الإحسان..)).

[2] في الإسكوريال: ((بعون))؛ وصوبها عنان.

[3] اقتبس هذا من قصيدة للحطيئة يمدح فيها آل شماس: (الطويل).

مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى * بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
وتعذلني أفناء سعد عليهم * ولا قلت إلاّ بالتي علمت سعد

سعيداً شهيداً؛ لم يستنفره الهول، ولم يثنه ولا رضي عار الفرار عن ابنه.

شعره

قال في **الإكليل**، وكان [1] له في الأدب فريضة، وفي النادرة العذبة منادح [2] عريضة. تكلمت يوماً بين يديه، في مسائل من الطب، وأنشدته أبياتاً من شعري، وقرأت عليه رقاعاً من إنشائي؛ فسرّ وتهلل، وعبر عما أمل، وما برح أن ارتجل قوله رحمة الله عليه [3]:

الطب والشعر والكتابة
سماتنا في بني النجابة
هن ثلاث مبلغات
مراتباً بعضها الحجابة

---

[1] في النفح: ((وكانت)).
[2] هكذا في الإسكوريال؛ وفي الزيتونة: ((منادج))، وفي النفح: ((منادم)).
[3] مخلع البسيط.

ووقع لي يوماً بخطه على ظهر أبيات، بعثتها إليه، أعرض عليه نمطها [1]:

وردت كمـا ورد النسيم بسحـره[2]
عن روضـة جاد الغمـام رباهـا
فكأنمـا[3] هـاروت أودع سحـره
فيهـا وآثرهـا به وحباهـا
مصقولة الألفـاظ يبهـر حسنهـا
بمثلهـا[4] افتخـر البليـغ وبـاهى
فقـررت عينـاً عند رؤية حسنها
إني أبـوك وكنـت أنـت أباهـا

ومن شعره قوله [5]:

وقالـوا قد نأوا[6] فاصبر ستشـفى
فترياق الهـوى بعـد الديـار

---

[1] البحر الكامل.
[2] في النفح: ((كما صدر النسيم بسحره)).
[3] نفسه: ((وكأنما)).
[4] نفسه: ((فبمثلها)).
[5] البحر الوافر.
[6] في النفح: ((قد دنا)).

فقلـــت هبــوا بـــأن الحــق هــذا

فقلـــبي يممــوا فيـــم اصطبـــار[1]

ومن قـولـه مما يجري مجرى الحكم والأمثال [2]:

عليـــك بالصمـــت فكـــم ناطـــق

كـــلامـــــه أدى إلـــى كَلْمِـــــه[3]

إن لســـان المـــرء أهـــدى إلى

غرتـــــه واللـــه من خصمـــــه

يرى صغيـــر الجرم مستضعفـــا

وجرمـــــه أكبـــر مـــن جرمـــه

وقال وهو من المستحسن في التجنيس [4]:

أنـــــا بالدهـــــر يـــا بـــني خبيـــــر

فـــــإذا شئـــــت علـــم فتعـــالى

[1] في النفـح: ((بقلـبي يممـوا فبـمَ اصطبـاري)).
[2] البحـر السريـع.
[3] أي إلى جرحـه.
[4] البحـر الخفيـف.

كم مليـــك قد ارتـــغى[1] منه روضــــــا
لم يدافع عنه الرحمن[2] ما ارتغى لا
كــــــل شـــيء تـــراه يفـــنى ويبـــقى
ربنـــا اللـــه ذو الجـــلال تعـــالى

أنشدني هاتين المقطوعتين:

مولده

ولد بحضرة **غرناطة** في جمادى الأولى من عام اثنين وسبعين وستماية [3].

وفاته

بعد [4] يوم الوقيعة الكبرى على المسلمين بظاهر **طريف**؛ يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى؛ عام واحد وأربعين وسبعماية [5].

---

[1] في النفح: ((ارتعى))؛ بالعين المهملة؛ غير المعجمة.
[2] نفسه: ((لم يدافع عنه الردى...)).
[3] الموافق لـ 1273م.
[4] في النفح: ((وفقد يوم الوقيعة...)).
[5] الموافق لـ 1340م.

من رثاه

قلت في رثايه من قصيدة أولها [1]:

سهام المنايا لا تطيش ولا تخطي
وللدهر كف تسترد الذي تعطي[2]
وإنا وإن كنا على ثبج الدنا
فلا بد يوماً أن تحل على الشط
وسيان ذل الفقر أو عزة الغنى
ومن أسرع السير الحثيث ومن يبط[3]
تساوى على ورد الردى كل وارد
فلم يغن رب السيف عن ربة القرط

وقال شيخنا **أبو زكريا بن هذيل** ؛ من قصيدة يرثيه بها [4]:

إذا أنا لم أرث الصديق فما عذري
إذا قلت أبياتا حساناً من الشعر

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **هكذا ورد هذا الشطر في الإسكوريال، والنفح؛ بينما ورد في الزيتونة كما يلي: ((والدهر كفّ يسترد الذي يعطي)).**
[3] **في النفح: ((ومن يبطي)).**
[4] **البحر الطويل.**

ولو كان شعـــري لم يكن غير ندبة
وأجريت دمعي لليراع[1] عن الحبر
لما كنت أقضي حق صحبته الـــتي
توخيتها عوناً على نـــوب الدهـــر
رمـــاني عبـــد الله يـــوم وداعـــه
بداهية دهيـــاء قاصمـــة الظهـــــر
قطعـــت رجـــائي حين صح حديثه
فإن لم يوف دمعي فقد خانني صبـــري[2]
وهل مؤنس كابن الخطيب لوحشتي
أبـــث له همي وأودعـــه ســـري

***

[1] أي للقلـم.
[2] هكـذا في الإسكوريـال، والنفـح؛ وفي الزيتونـة: ((صبـر)).

عبد الله بن محمد

ابن أحمد بن محمد بن جُزيّ [1]، من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، وقد مرّ ذكر أبيه، شيخنا وأخويه، وتقررت نباهة بيتهم.

حاله

هذا الفاضل قريع بيت نبيه، وسلف شهير، وأبوة خيرة [2]، وأخوة بليغة، وخؤولة تميزت من السلطان بحظوة. أديب حافظ، قام على فن العربية، مشارك في فنون لسانية سواه، طرف [3] في الإدراك، جيد النظم، مطواع القريحة، باطنه نبل، وظاهره غفلة. قعد للإقراء ببلده **غرناطة**، معيداً ومستقلاً، ثم تقدم للقضاء بجهات نبيهة، على زمن الحداثة، وهو لهذا العهد مخطوب رتبة، وجار إلى غاية، وعين من أعيان البلدة.

[1] له ترجمة في: الكتيبة الكامنة، ونيل الابتهاج، ونفح الطيب.
[2] في النفح: ((خير)).
[3] نفسه: ((ظرف)).

مشيخته

أخذ عن والده الأستاذ الشهير [1] **أبي القاسم** حديث الرحمة بشرطه، وسمع عليه على صغر السن، أبعاضاً من كتب عدة في فنون مختلفة، كبعض **صحيح مسلم**، وبعض **صحيح البخارري**، وبعض **الجامع للترمذي**، وبعض **السنن للنسائي**، وبعض **سنن أبي داود**، وبعض **موطإ مالك بن أنس** وبعض **الشفاء لعياض**، وبعض **الشمايل للترمذي**، وبعض **الأعلام للنميري**، وبعض **المشرع السلس في الحديث المسلسل لابن أبي الأحوص**، وبعض **كتاب التيسير لأبي عمرو الداني**، وبعض **كتاب التبصرة للمكي**، وبعض **الكافي لابن شريح**، وبعض **الهداية للمهدي**، وبعض **التلخيص للطبري**، وبعض **كتاب الدلالة في إثبات النبوة والرسالة لأبي عامر بن ربيع**، وبعض **كتاب حلبة الأسانيد وبغية التلاميذ لابن الكماد**، وبعض **كتاب وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم** من تواليف والده، وبعض **القوانين الفقهية**، وبعض **كتاب**

---

[1] **في النفح: ((الشهير الشهيد)).**

الدعوات والأذكار، وبعض **كتاب النور المبين في قواعد عقايد الدين** من تأليفه، وبعض **تقريب الوصول إلى علم الأصول**، وبعض **كتاب الصلاة**، وبعض **كتاب الأنوار السنية في الكلمات السنية**، وبعض **كتاب برنامجه**. كل ذلك من تأليف والده، رحمه الله. وأجاز له رواية الكتب المذكورة عنه، مع رواية جميع مروياته وتواليفه وتقييداته، إجازة عامة. ولقنه في صغره، جملة من الأحاديث النبوية والمسائل الفقهية، والمقطوعات الشعرية.

ومنهم قاضي الجماعة **أبو البركات بن الحاج**، حدثه **بألمرية** حديث الرحمة بشرطه، وسمع عليه بها **وبغرناطة** عدة من أبعاض كتب، وأجازه عامة، وأنشده من شعره، وشعر غيره. ومنهم قاضي الجماعة الشريف **أبو القاسم**؛ لازمه مدة القراءة عليه، واستفاد منه، وتفقه عليه بقراءة غيره في كثير من النصف الثاني من **كتاب سيبويه**، وفي كثير من النصف الثاني من **كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي**، وفي كثير من **كتاب التسهيل لابن مالك**، وفي **القصيدة الخزرجية في العروض**، وسمع من لفظه الربع

الواحد أو نحوه من تأليفه شرح **مقصورة حازم،** وتفقه عليه فيه، وأنشده كثيراً من شعره وشعر غيره. ومنهم الأستاذ **أبو عبد الله البياني،** لازمه مدة القراءة عليه، وتفقه عليه بقراءته في **كتاب التسهيل البديع في اختصار التفريع** إلا يسيراً منه، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب فقهية وغيرها، **ككتاب التهذيب، وكتاب الجواهر الثمينة، وكتاب التفريع، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد، وكتاب الأحكام لابن العربي، وكتاب شرح العمدة لابن دقيق العيد**، وغير ذلك مما يطول ذكره. ومنهم الأستاذ الأعرف الشهير **أبو سعيد بن لب**، تفقه عليه بقراءته في جميع النصف الثاني من **كتاب الإيضاح للفارسي**، وفي كثير من النصف الأول من **كتاب سيبويه**، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب عدة، في فنون مختلفة، **كالمدونة والجواهر، وكتاب ابن الحاجب، وكتاب التلقين، وكتاب الجمل، وكتاب التسهيل والتنقيح، والشاطبية، وكتاب العمدة في الحديث** وغير ذلك. ومنهم الشيخ المُقْري المحدث **أبو عبد الله محمد بن**

بيبش، سمع عليه بقراءة أخيه الكاتب **أبي عبد الله محمد**، جميع **كتاب الموطأ، وكتاب الشفا؛** إلاّ يسيراً منه، وأجازه روايتهما عنها، ورواية جميع مروياته، إجازة عامة، وأنشده جملة من شعره وشعر غيره. وممن أجازه عامة، رئيس الكتاب **أبو الحسن بن الجياب**، وقاضي الجماعة **أبو عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري**، والخطيب **أبو علي القرشي**، والأستاذ **أبو محمد بن سلمون،** والحاج الراوية **أبو جعفر بن جابر،** والشيخ القاضي **أبو جعفر أحمد بن عتيق الشاطبي الأزدي،** والقاضي الكاتب البارع **أبو بكر بن شبرين،** والقاضي الخطيب الأستاذ الراوية **أبو بكر ابن** الشيخ الخطيب الصالح **أبي جعفر بن الزيات**، والقاضي الخطيب **أبو محمد ابن محمد بن الصايغ**. وممن كتب له بالإجازة من المشايخ، شيخ المشايخ **أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان**، وقاضي الجماعة **بفاس محمد بن محمد بن أحمد المقري،** ورئيس الكتاب **أبو محمد الحضرمي،** وجماعة سوى من ذكر من أهل **المشرق والمغرب**.

شعره

وشعره نبيل الأغراض، حسن المقاصد، فمن ذلك قوله [1]:

سنى[2] الليلـــة الغرا[3] وافتـــك بالبشرى
وأبدى منها[4] وجه القبول لك البشرا
تهلل وجه الكون من طرب بهـــا
وأشرقت للدنـــا[5] بغرتهـــا الغـــرا
لها المنـــة العظـــمى بميلاد أحمد
لها الرتبـــة العليا لها العزة الكبـــرا
طوى سره في صـــدره الدهر مـــدة
فوافى ربيعـــاً ناشـــراً ذلك الســـرا
حوى شهرة الفضل الشهير وفضله
فأحسن به فضـــلاً وأعظم به شهرا

---

[1] البحر الطويل.
[2] هكذا في الإسكوريال؛ وفي الزيتونة: ((هنى)).
[3] جعلها د. طويل: ((الغراء)).
[4] كتبها د. طويل: ((بها)).
[5] جعلها د. طويل: ((الدنيا)).

لقد كان ليل الكفر في الليل قد جفـــا
فأطلع منه في سَمَّةِ الهـــدى فجـــرا
وفي ليلـــة الميـــلاد لاحـــت شواهـــد
قضت أن دين الكفر قد أبطل الكفرا
لقـــد أخمـــدت أنوارهـــا نار فارس
وأرجف[1] كما ارتج إيوانه كســـرى
له معجـــزات يعجـــز القلب كنههـــا
ويحصر إن رام اللسان لها حصـــرا
معال يكل الشعـــر عن نيل وصفهـــا
وتقصر عن إدراك مصعده[2] الشعرا
به بشر الرســـل الكرام ولم تـــزل
شمايلـــه تتـــلى وآياتـــــه تتـــــرا
ففي الصحف الأولى مناقبه العـــلى
وفي الذكر آيات رخص[3] له قـــدرا

[1] جعلها د. طويل: ((أرجت)).
[2] هكذا في الإسكوريال، والزيتونة.
[3] جعلها د. طويل: ((خصَّت)).

لقد خصــه مولاه بالقرب والــرضى
وحسبك ما قد نص في النجم والإســرا

ورد عليه الشمــس بعــد غروبهـــا
وشــق على رغم العداة له البـــدرا

وكـــان لـــه في مائـــه وطعامـــه
لطائــف ربانيـــة تبهــر الفكــرا

غدا الماء من بيــن الأصابع نابعـــاً
وعاد قليــل الزاد من يمنــه كثــرا

وكم نايل أولـــى وكم سائــل حبـــا
وكم مشتك أشفى وكم مدنف أبــرا

كفى شاهــدا أن رد عيــن قتـــادة
فكان لها الفضل المبين على الأخرا

وحن إليــه الجــذع عنــد فراقـــه
ولا حنت الخنساء إذ فارقت صخرا

وحـــق له إذ بـــان عنـــه حبيبـــه
ومن [ذاق طعم][1] الوصل لم يحمل الهجرا
خليـــلي والدنيـــا تجـــدد للفقـــــر
ضروباً من الأشواق لو تنفع الذكرى
بعيشكمـــا هل لي إلى أرض طيبة
سبيل فأما الصبر عنها فلا صبـــرا
مناً للنفس[2] من تلك المعاهـــد زورة
أبث بها شكوى وأشكو بهـــا وزرا
وتعفير خـــدي في عروق ترابهـــا
ليمحو لي ذنبا ويثبـــت لي أجـــرا
تعللـــني نفـــسي بإدراكهـــا المنى
وما أجهدت عيشاً ولا ملكت قفرا
ومن كانـــت الآمال أقصى اجتهاده
غدت كفـــه ممـــا تأملـــه صفـــرا

[1] كتب في الإسكوريال: ((ذا))؛ ثم جاء بعدها بياض؛ وصوبت من الزيتونة.
[2] جعلها د. طويل: ((مُنى النفس)).

وكم زجرتهـــا واعظـــات زمانهـــا
فما سمعـــت وعظاً ولا قبلت زجرا
وكنت لها عصر الشبيبـــة عـــاذراً
سقاه الحيا ما كان أقصـــره عصرا
وأما وقـــد ولـــت ثلاثـــون حجـــة
فلست أرى للنفس من بعدها عذرا
إذا أنت لم تترك سوى النفس طايعا
فلا بد بعد الشيب من تركه قســـرا
ولـــم أدخـــر إلا شفاعـــة أحمـــــد
لتخفيف وزر شد ما أوثـــق الظهرا
لقد عاقـــت[1] كف الرجـــاء بحملـــه
لعـــل كسيـــر القلـــب يقلبـــه بـــرا
هو المرتضى الداعي إلى منهج الرضا
هو المصطفى الهادي الميسر لليسرا
هو الحاسر الماحي الضلالة بالهدى
هو الشافع الواقي إذ شهر الحشـــرا

---

[1] **جعلها د. طويل: ((علقت)).**

بأي كلام يبلغ المرء وصف مـــن
مكارمه تستغـــرق النظم والنثـــرا
خلال إذ الأفكار جاســـت خلالهـــا
تكر على الأعقاب خاسئة خســـرا
لقد غض طرف النجم باهرها سنى
وأرغم أنف الروض عاطرها نشرا
سقى ليلة حيت به واكـــف الحيـــا
فنعماؤها ما إن يحيـــط بهـــا شكرا
لقد خصهـــا سنـــد الإلـــه برحمـــة
فعمـــت بها الدنيـــا وسكانها طـــرا
أقمـــت أميـــر المسلميـــن حقوقهـــا
بأفعال بر أضحكـــت للهدى ثغـــرا
لقد ســـرت فيهـــا إذ أتتـــك بســـره
أقـــرت لها عينا وسرت لها صدرا
عرفت بها حـــق الذي عرفـــت به
فأحسنتهـــا شكـــرا وأوليتهـــا بـــرا

وأصحبتها الإخلاص للـــه والتقـــا
وأعقبها الإحســـان والنايل الغمـــرا
لدى مصنع ملا العيـــون محاسنـــاً
تجسم فيه السحر حـــتى بدا قصرا

منها بعد أبيات في المدح للسلطان:

روى عن أبي الحجاج غر شمايـــل
أعاد لنا دهـــم الليـــالي بها غـــرا
ومن كبـــني نصـــر جلالة منصب
بهم نصر الرحمن دين الهدى نصرا
هم ما هـــم إن تلقهـــم في مهمـــة
لقيت الجناب السهل والمعقل الوعرا
سلالـــة أنصـــار النـــبي محمـــد
فسل أحـــداً ينبيك عنهم وسل بـــدرا

ومن شعره في المقطوعات. قال في التورية العروضية [1]:

لقـــد قطعـــت قلـــبي يـــا خليـــلي
بهجـــر طـــال منـــك على العليـــل

---
[1] البحر الوافر.

ولكـــن مـــا عجيـــب منـــك هـــذا

إنـــه[1] التقطيـــع من شـــأن الخليـــل

وقال في التورية النحوية [2]:

لقد كنـــت موصولاً فأبدل وصلكم

بهجر وما مثلي على الهجر يصبـــر

فمـــا بالكم غيرتم حـــال عبدكـــم

وعهـــدي بالمحبـــوب ليـــس يغيـــر[3]

وقال في التورية مداعباً بعض المقرئين للعدد وهو بديع [4]:

يا ناصبـــاً علم الحساب حبالـــه[5]

لقنـــاص ظـــبي ساحر الألبـــاب

إن كنت ترجو[6] بالحساب وصالـــه

فالبـــدر[7] يرزقنـــا بغيـــر حســـاب

---

[1] في الكتيبـة الكامنـة، ونفـح الطيـب: ((إذ)).
[2] البحـر الطويـل.
[3] في الكتيبـة: ((يتغيـر)).
[4] البحـر الكامـل.
[5] في الكتيبـة: ((حبالـة)).
[6] نفسـه: ((تُـرْزَق)).
[7] نفسـه: ((فاللـه)).

وقال في التورية العروضية [1]:

لقــد كمـــــل الــود بيننـــــا[2]

ودمنـــا عــلى فــرح شامــل

فإن دخل القطـــع في وصلنـــا

فقد يدخل القطـــع في الكامــل

وقـال فـي تضميـن مثـل[3]:

ألا اكتم حبّ من أحببت واصبر

فـــإن الهجــر يحدثـــه الكـــلام

وإن أبــــــداه دمـــع أو نحـــول

فمـــن بعد اجتهـــادي[4] لا تـــلام

وقـال [5]:

وأشنـــب الثغـــر له وجنـــــة

تعـــدت النحل على وردهـــــا

---

[1] البحـر المتقـارب.
[2] ورد هـذا الشطـر في الكتيبـة الكامنـة هكـذا:
((لقـد كمـل الـود مـا بيننـا)).
[3] البحـر الوافـر.
[4] في الكتيبـة: ((اجتهـادك)).
[5] البحـر السريـع.

مــا ذاك إلى حَسَـــدٌ[1] إذ رأت

رضابــه أعــذب من شهدهــا

وقال في التورية بأسماء كتب فقهية جواباً غير معمى [2]:

لك اللـــه من خل حباني برقعة

حبتــني من أبياتهــا[3] بالنـــوادر

رسالـــة رمز في الجمال نهاية[4]

وخيرة[5] نظم أتحفت بالجواهــر

وقال في التورية أيضاً [6]:

إلى اللـــه أشكو عذراً تــرددا[7]

إليَّ فلما لاح سرِّي لهــم حالوا[8]

---

[1] **في الكتيبة: ((حسداً)).**
[2] **البحر الطويل.**
[3] **في الكتيبة: ((أنبائها)).**
[4] **نفسه: ((في الحجال مهابة)).**
[5] **نفسه: ((ذخيرة)).**
[6] **البحر الطويل.**
[7] **ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:**
((إلى الله أشكو غدر آل تودّدي)).
[8] **ورد هذا الشطر في الإسكوريال هكذا:**
((وإلي فلما لاح سرِّي لهم حال وا)). بينما ورد في الزيتونة كما يلي: ((إلي فلما لاح سراهم خال)).

لقد خدعوني إذ أروني مـــودة
ولكنه لا غرو أن يخــدع الآل

وقال يخاطب رجلاً من أصحابه [1]:

أيا حَسَنُ[2] إن شتــت الدهر شملنــا
فليــس لــود فـــي الفــؤاد[3] شتـــــات
وإن حلت عن عهد الإخاء فلم يزل[4]
لقلــبي على حفــظ العهــود ثبــات
وهبني سرت مني إليــك إســاءة
ألــم تتقــــدم قبلهــــا حسنــــات

وقال في النسيب [5]:

إن[6] كان باب القرب قد سد بيننـا
ولم يبق لي في نيل وصلك مطمــع

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في الكتيبـة الكامنـة، وأزهـار الريـاض: ((أبـا حسنٍ)).
[3] في الأزهـار: ((بالفـؤاد)).
[4] نفسـه: ((فلـم أزل)).
[5] البحـر الطويـل.
[6] في الكتيبـة: ((لئـن)).

وأخفرت[1] عهدي دون ذنب جنيتـــه

وأصبـــح ودي فيـــك وهو مضيـــع

ولم ترث لي عما[2] ألاقي من الأسى

وصرت أنادي منك من ليس يسمع

وضاقت بي الأحوال عن كل وجهة

فما أرتجي من رحمة اللـــه أوســـع

ومما نظمه في التضمين مخاطباً بعض المتحلين للشعر قوله[3]:

لقد صرت في غصب القصايد ماهرا

فما اسم جميع [الشعر][4]عندك غيزل[5]

ولـــم تبـــق شعـــرا لامرئ متقـــدم[6]

ولم تبـــق شعرا يا بن بشتٍ[7] لأول

---

[1] في الكتيبـة: ((وأُخْفِـر)).
[2] نفسـه: ((مِمّـا)).
[3] البحـر الطويـل.
[4] أضيفـت هـذه الكلمـة مـن الزيتونـة.
[5] في الكتيبـة: ((غيـر لي)).
[6] نفسـه: ((متأخـر)).
[7] هكـذا في الإسكوريـال، والزيتونـة. وفي الكتيبـة: ((فعلٍ)).

فشعر جرير قد غصبــــت ورويــــه[1]

وشعر ابن مرج الكحل وابن المرحـــل

وإن دام هذا الأمر أصبحت تــــدعي

(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنــــزل)[2]

***

[1] في الكتيبـة: ((ورؤيـة)).

[2] هذا الشطر؛ صدر بيت لامرئ القيس؛ وعجزه هكذا:
((بسقط اللوى بين الدخول وحومل)).

***

عبد الله بن محمد

ابـن إبراهيـم بـن مجاهـد العبـدري الكـوّاب [1]؛ مـن أهـل غرناطـة؛
يكنى أبا محمد الخطيـب المقـرئ.

حالـه

من **الصلة**: كـان رحمـه اللـه أتقـن أهـل زمانـه فـي تجويد كتـاب اللـه العزيـز، وأبرعهـم فـي ذلـك، وأنفعهـم للمتعلـم، نفـع اللـه بـه كـل مـن قـرأ عليـه، وتـرك بعـده جملـة يرجـع إليهـم فـي ذلـك، ويعمـل علـى مـا عندهـم. وكـان مـع ذلـك نبيـه الأغـراض، فـي جميـع مـا يحتـاج إليـه فـي علمـه [ذاكـرا للإختيـارات التـي تنسـب للمقرئيـن] [2]، مـن يرجـح ويعلـل، ويختـار ويـرد، موفقـاً فـي ذلـك، صابـراً علـى التعليـم، دايبـاً عليـه نهـاره وليلـه، ذاكـرا لخـلاف السبعـة. رحـل النـاس إليـه مـن كـل مكـان، خاصتهـم وعامهـم، ومـلأ

---

[1] لـه ترجمـة في: التكملـة لكتـاب الصلـة، وغايـة النهايـة.
[2] حرفت هـذه العبـارة في الإسكوريـال؛ فكتبـت: ((زاكـراً لاختيـات المقرييـن)).

بلده تجويداً وإتقانا، وكان مع هذا فاضلاً ورعاً جليلاً. خطب بجامع **غرناطة** وأم به مدة طويلة، إلى حين وفاته.

مشيخته

أخذ القراءات عن الحاج **أبي الحسين**[1] **بن كوثر، وأبي خالد بن رفاعة، وأبي عبد الله بن عروس**. ورحل إلى **بياسة**؛ فأخذ بها القراءات عن **أبي بكر بن حسون**، وأخذ مع هؤلاء عن **جعفر ابن حكم، وأبي جعفر بن عبد الرحيم، وأبي الحسن الصدفي الفاسي**، وسمع عليه كثيراً من **كتاب سيبويه** تفقهاً، وأجاز له كتابة القاضي **أبو بكر بن أبي جمرة** مع آخرين ممن أخذوا عنه.

---

[1] في التكملة: ((أبي الحسن)).

من أخذ عنه

روى عنه الناس أهل بلده وغيرهم، منهم **ابن أبي الأحوص، وأبو عبد الله بن إبراهيم المقري**.

وفاته

توفي سنة ثلاث وثلاثين وستماية [1]، ودفن بمقبرة **باب إلبيرة**.

***

[1] **الموافق لـ 1225م. وذكر في التكملة أنه توفي سنة 631هـ.**

عبد الله بن علي

ابن عبد الله بن علي بن سَلْمون الكناني؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا محمد، ويعرف بابن سَلْمون

حاله

كان رحمه الله، نسيج وحده، ديناً وفضلاً، وتخلقاً ودماثه، ولين جانب، حسن اللقاء، سليم [1] الباطن، مغرقاً في الخير، عظيم الهشة [2] والقبول، كريم الطوية، عظيم الانقياد، [طيب اللهجة] [3]، متهالكاً في التماس الصالحين، يتقلب في ذلك بين الخطإ والإصابة، صدراً في أهل الشورى. قرأ ببلده وسمع وأسمع وأقرأ، وكتب الشروط مدة، مأثور العدالة، معروف النزاهة، مثلاً في ذلك، ويقوم على العربية والفقه، خصوصاً باب البيوع، ويتقدم السباق في معرفة القراءات، منقطع القرين في ذلك، أشد الناس خفوفاً في الحوايج، وأسرعهم إلى المشاركة.

---

[1] في الزيتونة: ((سالم)).
[2] نفسه: ((الهيبة)).
[3] نفسه: سقطت هذه العبارة في الزيتونة..

مشيخته

قرأ على الأستاذ الكبير **أبي جعفر بن الزبير بغرناطة**، ولازمه، فانتفع به، دراية ورواية. وقرأ على الخطيب **أبي الحسن بن فضيلة**، والمكتب **أبي الحسن البلوطي، وأبي محمد النفزي،** والخطيب **أبي جعفر الكحيلي. وبمالقة** على الأستاذ **أبي محمد الباهلي. وبسبتة** على الأستاذ المقري رحلة وقته **أبي القاسم بن الطيب**، وسمع عليه الكثير. وعلى الأستاذ **أبي عبد الله الدراج**، ولازم مجلس إقرايه، وعلى الشيخ المعمر **أبي عبد الله بن الخطار الكامي**، وهو أعلى من لقيه من تلك الحلبة. وأخذ بالإجازة عن العدل **أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن النولي**، وروايته عاليه. لقي **أبا الربيع بن سالم،** ولقي **بسبتة** الشريف الراوية **أبا علي الحسن بن أبي الشرف ربيع**، والأديب الكاتب **أبا علي الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق. وبفاس** الفقيه **أبا غالب محمد بن محمد ابن عبد الرحمن المغيلي**. وقرأ على الخطيب المحدث **أبي عبد الله بن رشيد.** وسمع على ذي الوزارتين **أبي عبد الله**

ابن الحكيم. ولقي الأديب المعمر **مالك بن المرحل**. وأجازه **أبو عمران موسى بن الخطيب أبي الحسن الداري برندة**. وأجازه من **أهل المشرق** كثير، منهم **عز الدين أحمد بن محمد الحسني** بقية الأشراف **بالديار المصرية**، **وجمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري، ونجم الدين أحمد ابن حمدان الحراني، وجمال الدين أحمد بن أبي الفتح الشيباني، وأحمد بن عبد المنعم الصوفي**؛ ومولده عام أحد وستماية [1]، **وأحمد بن سلمان بن أحمد المقدسي، وأحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي، وشمس الدين إبراهيم بن سرور المقدسي**، والخطيب بالمسجد الأعظم **ببجاية أبو عبد الله بن صالح الكناني، وأبو عبد الله محمد أبي خمسة [2] محمد ابن البكري بن أبي بكر، وأبو عبد الله محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري، وابن دقيق العيد تقي الدين، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة**، والشيخة الصالحة **أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل**

---

[1] **الموافق لـ 1204م.**

[2] **هكذا في الإسكوريال، والزيتونة.**

السكوني. وأجازه نحو من المايتين من **أهل المشرق والمغرب**. ولقي **بفاس** الشيخة الأديبة الطيبة الشاعرة، **سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية** وأجازته، وألبسته خرقة التصوف.

قال: وأنشدتني قصيد أجابت بها الخطيب المحدث، **أبا عبد الله بن رشيد**، أولها يعني قصيدة **ابن رشيد** [1]:

سرى نسيم من حمى سارة
عاد به كل نسيم عاطرا
وجال أفكار الدنا ذكرها
فسار فيها مثلا سايرا
دايرة و المجد قطب لها
دارت عليه فلكاً دايرا

فقالت:

وافى قريض منكم مذ غدا
لبعض أوصافكم ذاكرا

[1] البحر السريع.

أطلـــــع من أنفاســــه الحجـــا[1]
ومن شـــــذاه نفســـاً عاطـــــرا
أعـــاد ميت الفكـــر من خاطـــري
من بعـــد دفن في الثرى ناشـــرا
يبهـــر طرفي حســـن منظـــــره
أحبـــب به نظمـــا غـــدا باهـــرا
فقلـــت لهـــا[2] هالـــتي حسنــــه
أشاعـــــراً أصبـــح أم ساحـــرا
أم روضــــة هذي التي قد نـــوى[3]
أم بـــدر تـــم قـــد بدا زاهـــــرا
أم ضـــرب[4] مـــن فمـــه وسايـــل
أم جوهـــر أضـــحى لنـــا ناثـــر
للـــــه مـــا أعـــــذب ألفاظــــه
وأنـــور الباطــــن والظاهـــــرا

---

[1] جعلها د. طويل: ((حجواً)).
[2] جعلها د. طويل: ((لما)).
[3] في الزيتونة: ((قرا)).
[4] أي: أم عسل أبيض.

يا ابـــن رشيـــد بل أبـــا الرشـــد

يا من لم يزل لطي العلى ناشـــرا[1]

خـــذ ما فدتك النفـــس يا سيـــدي

وكـــن لمـــن نظمهـــا عـــــاذرا

مـــا تصـــل الأنـــثى بتقصيرهـــا

لأن تبـــــاري ذكـــراً ماهـــــرا

لازلت تحـــيي من رسوم العـــلا

ما كـــان منهـــا دارســـاً داثـــــرا

تصانيفه

الكتاب المسمى **بالشافي في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافي** ؛ لا نظير له.

مولده

ولد **بغرناطة** بلده في الثاني والعشرين لذي قعدة من عام تسعة وستين وستماية [2].

[1] تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا: ((من لم يزل طي العلى ناشرا)).
[2] الموافق لـ 1270م.

وفاته

فقد في الوقيعة العظمى **بطريف** يوم الإثنين السابع لجمادى الأولى من عام أحد وأربعين وسبعماية [1]. حدث بعض الجند أنه رآه يتحامل، وجرح بصدره يثغب دماً، وهو رابط الجأش؛ فكان آخر العهد به. تقبل الله شهادته.

***

---

[1] **الموافق لـ 1340م.**

عبد الله بن سهل

الغرناطي [1] يكنى أبا محمد، وينبز [2] بالوجه نافخ [3]

حاله

من **كتاب ابن حمامة**؛ قال: عني بعلم القرآن والنحو والحديث، عناية تامة، وبهذا كنت أسمع الثناء عليه من الأشياخ، في حال طفولتي [4] **بغرناطة**، ثم شهر بعد ذلك بعلم المنطق، والعلوم الرياضية، وساير العلوم القديمة، وعظم بسببها، وامتد صيته من أجلها، وأجمع **المسلمون واليهود والنصارى**، أن ليس في زمانه مثله، ولا في كثير ممن تقدمه، وبين هذه الملل الثلاثة من التحاسد ما عرف. وكانت **النصارى** تقصده من **طليطلة**، تتعلم منه أيام كان **ببياسة** [5]، وله مع قسيسهم مجالس في التناظر،

---

[1] له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي. ويُذْكر أنه ولد بغرناطة سنة 490هـ/1096م وتوفي بمرسية سنة 571هـ/1175م.

[2] أي لقب بمعايرة. وكتب في التكملة لكتاب الصلة: ((ويعرف)).

[3] في الزيتونة: نافخ. وفي التكملة والمعجم: ((بوجه نافخ)).

[4] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((قفولتي)).

[5] تقع مدينة بياسة Baeza شمال شرق جيان؛ وتبعد عنها بعشرين ميلاً.

حاز فيها قصب السبق. قال: ثم خرج عن **بياسة**، وسار إلى نظر **ابن هَمُشْك**[1] عند خروج النصارى عن **بياسة**. وله تواليف. وهو الآن بحاله. قلت: تاريخ هذا القول؛ عام ثلاثة وخمسين وخمسماية[2].

***

[1] هو إبراهيم بن محمد بن مفرج بن هَمشك؛ سبقت الإشارة إليه؛ وقد ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة.

[2] الموافق لـ 1158م.

عبد الله بن أيوب

الأنصاري [1] يكنى أبا محمد، ويعرف بابن خروج [2]؛
من أهل قلعة أيوب [3].

حاله

فقيه؛ حافظ **لمذهب مالك**. استوطن **غرناطة** وسكنها.

تواليفه

ألف في الفقه كتاباً مفيداً سماه **المنوطة على مذهب مالك**، في ثمانية أسفار [4] أتقن فيها كل الإتقان.

وفاته

توفي بها سنة اثنتين وستين وخمسماية[5]، وقد قارب المائة.

***

[1] له ترجمة في الذيل والتكملة.
[2] في الذيل والتكملة: ((خدوج)).
[3] تقع قلعة أيوب Calatyud؛ بالقرب من مدينة سالم.
[4] في الذيل والتكملة: ((ثمانية مجلدات)).
[5] الموافق لـ 1166م.

عبد الله بن الحسن

ابن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري[1]، مالقي، قرطبي الأصل؛ يكنى أبا محمد، ويعرف بالقرطبي؛ وقرأ بغرناطة.

حاله

كان في وقته ببلده، كامل المعارف، صدرا في المقرئين والمجودين، رئيس[2] المحدثين وإمامهم، واسع المعرفة، مكثراً، ثقة، عدلاً، أمينا، مكين الرواية[3]، رايق الخط، نبيل التقييد والضبط، ناقداً، ذاكراً أسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم، وما حلوا به من جرح وتعديل، لا يدانيه أحد في ذلك، عزيز النظر[4]، متيقظاً، متوقد الذهن، كريم الخلال، حميد العشرة، دمثاً، متواضعاً، حسن الخلق، محبباً إلى الناس، نزيه النفس، جميل الهيئة، وقوراً، معظماً عند الخاصة والعامة، ديناً،

---

[1] له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، وبغية الوعاة، وشذرات الذهب، وتفح الطيب
[2] في الزيتونة: ((رأس)).
[3] في الإسكوريال: ((بكر الدراية))؛ وصوبت من الزيتونة.
[4] في الذيل والتكملة: ((النظير)).

زاهداً، ورعاً، فاضلا، نحوياً ماهراً، ريان من الأدب، قائلاً الجيد من الشعر، مقصدا ومقطعاً، وكان له بجامع **مالقة** الأعظم، مجلس عام، سوى مجلس تدريسه، يتكلم [فيه][1] على الحديث، إسناداً ومتناً، بطريقة عجز عنها الكثير من أكابر أهل زمانه. وتصدر للإقراء ابن عشرين سنة[2].

من أخباره في العلم والذكاء

قالوا: قرئ عليه يوماً باب الابتداء بالكلم التي يلفظ بها في إيضاح الفارسي، وكان أحسن الناس قياماً عليه؛ فتكلم على المسألة الواقعة في ذلك الباب، المتعلقة بعلم العروض، وكان في الحاضرين من أحسن صناعته[3]، فجاذبه الكلام، وضايقه المباحثه[4]، حتى أحس الأستاذ من نفسه التقصير، إذ لم يكن له قبل كبير نظر في العروض؛ فكفّ عن الخوض في المسألة، وانصرف إلى

[1] هذه الإضافة من الذيل والتكملة.
[2] في الذيل: ((عشرين سنة أو نحوها)).
[3] نفسه: ((من أحكم صناعة العروض)).
[4] نفسه: ((وضايقه في المباحثة)).

منزله، وعكف ساير اليوم على تصفح علم العروض؛ حتى فهم أغراضه، وحصَّل تواليفه وصنَّف[1] فيه مختصراً نبيلاً، لخص في صدره ضروبه[2]، وأبدع فيه بنظم مثله، وجاء به من الغد، معجزاً من رآه أو سمع به، فبهت الحاضرون وقضوا العجب من اقتداره وذكائه، ونفوذ فهمه، وسمو همته.

ومن أخباره في الدين

قال **أبو أحمد جعفر بن زعرور العاملي المالقي** تلميذه الأخص به: بت معه ليلة في دويرته التي كانت له بجبل فاره[3] للإقراء والمطالعة؛ فقام ساعة كنت فيها يقظانا[4]، وهو ضاحك مسرور، يشد يده كأنه ظفر بشيء نفيس، فسألته؛ فقال: رأيت كأن الناس قد حشروا في العرض على الله، وأُتِيَ بالمحدثين؛ وكنت أرى **أبا عبد**

[1] في الإسكوريال: ((وضبط)).
[2] نفسه، والذيل: ((فرشه)).
[3] يقع جبل فاره Gibralfaro في شرق مالقة، ويطل عليها.
[4] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((يقظانَ))؛ بحكم الممنوع من الصرف.

الله النميرى؛ يؤتى به، فيوقف بين يدي الله تعالى، فيعطى براءته، من النار، ثم يؤتى بي، فأوقفت بين يدي ربي، فأعطاني براءتي من النار، فاستيقظت، وأنا أشد عليها يدي؛ اغتباطاً بها وفرحاً، والحمد لله.

مشيخته

تلا **بمالقة** على أبيه، **وأبي زيد السهيلي، والقاسم ابن دحمان،** وروى عنهم، وعن **أبي الحجاج بن الشيخ، وأبوي عبد الله بن الفخار، وابن نوح، وابن اليتيم، وابن كامل، وابن جابر، وابن بونة. وبالمنكب** عن **عبد الوهاب الصدفي**. وحضر **بمالقة** مجلس **أبي إسحاق بن قرقول. وبإشبيلية** عن **أبي بكر بن الجد، وابن صاف، وأبي جعفر بن مضاء، وأبوي الحسن عبد الرحمن بن مسلمة، وأبي عبد الله بن زرقون، وأبي القاسم بن عبد الرازق، وأبي محمد بن جمهور. وبغرناطة** عن **أبوي جعفر ابن حكم الحصار، وابن شراحيل، وأبي عبد الله بن عروس، وأبوي محمد عبد الحق النوالشي، وعبد المنعم**

ابن الفرس. وبمرسية عن **أبي عبد الله بن حميد، وأبي القاسم بن حبيش، وبسبتة** عن **أبي محمد الحجري**. وأجاز له من **الأندلس ابن محرز، وابن حسون، وابن خيرة، والأركشي، وابن حفص، وابن سعادة، ويحيى المجريطي، وابن بشكوال، وابن قزمان**. ومن أهل **المشرق** جماعة كبيرة.

شعره وتصانيفه

ألف في **العروض** مجموعات نبيلة، وفي **قراءة نافع**. ولخص **أسانيد الموطأ**. وله ((**المبدي لخطإ الرندي**)). ودخل يوماً بمجلس [1] أقرأ به **أبو الفضل عياض**، وكان أفتى منه، غير أن الشيب جار عليه، وتأخر شيب الأستاذ، فقال يا أستاذ شبنا وما شبتم؛ قال فأنشده ارتجالاً [2]:

---

[1] في الزيتونة: ((بمسجد)).
[2] البحر الطويل.

وهل نافع[1] أن أخطأ الشيب مفــرقي
وقد شاب أتــرابي وشاب لــداتي
لئن كان خطب الشيب يوجد حســه[2]
بتــربي فمعنــاه يقـــوم بــذاتي

ومن شعره في التجنيس [3]:

لعمرك ما الدنيـا بسرعة[4] سيرهـا
بسكانهـــا إلا طريــق مجــاز
حقيقتهـــا أن المقــام بغيرهـــا
ولكنهـــم قــد أولعــوا بمجــــاز

ومما يؤثر أيضاً من شعره قوله [5]:

سهــرت أعيــن ونامــت عيــون
لأمــور[6] تكـــون أو لا تكـــون

---

[1] في الذيل: ((وهل نافعي)).
[2] في الذيل: ((عينـه)).
[3] البحر الطويل.
[4] في الذيل، والنفح: ((وسرعة)).
[5] البحر الخفيف.
[6] في الذيل: في أمور)).

فاطرد الهم ما استطعــت عن[1] النفــ
ــس فحملانــك الهمــوم جنــون
إن رباً كفــاك بالأمــس مــا كان
فسيكفيــــك[2] فــي غــد ما يكــون

مولـده

ولـد أبـو محمـد قريـب ظهـر يـوم الاثنيـن لثمـان بقيـن مـن ذي القعـدة عـام سـتة وخمسيـن وخمسمايـة [3].

وفاتـه

سحـر ليلـة السبـت أو سحـر يومهـا، ودفـن إثـر صـلاة العصـر مـن اليـوم السابـع لربيـع الآخـر سنـة أحـدى عشـر [4] وستمايـة [5].

---

[1] جاء هذا الشطر في الزيتونة هكذا:
((فاطـرد الهـم عـن النفـس مـا استطعت)).
[2] في بغيـة الوعـاة: ((سيكفيـك))؛ وفي الذيـل: ((سيفـك)).
[3] الموافـق لـ 1160م.
[4] صوبهـا د. طويـل؛ فجعلهـا: ((إحـدى عشـرة)).
[5] الموافـق لـ 1214م.

من رثاه

رثاه الأديب **أبو محمد عبد الله بن حسون البرجي ؛** من قصيدة حسنة طويلة [1]:

خليــلي هباً ساعــداني بعبـــرة
وقولا لمــن بالري ويحكــم هبــوا
نبكي[2] العــلى والمجد والعلم والتقى
فمأتم أحزاني نوائحــه[3] الصحــب
فقد سلب الديــن الحنيــفي روحــه
ففي كل سرب[4] من نباهتــه نهــب
وقد طمســت أنــوار سنــة أحمــد
وقد خلت الدنيا وقد ظعن الركــب
مضى الكوكب الوقاد والمرهف الــذي
يصحح[5] في نص الحديث فما ينــب[6]

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **في الذيل: ((نُبكِّ)).**
[3] **حرفت في الزيتونة؛ فكتبت: ((يوايحه)).**
[4] **في الذيل: ((سرٍّ)).**
[5] **نفسه: ((يصمم)).**
[6] **نفسه: ((ينبو)).**

تمنـــى علاه النيـــــران ونـــــوره
وقالا بزعـــم أنـــه لهمـــا تـــــرب
أأسلـــو وبحر العلم غيضت مياهـــه
ومحيس رسوم العلم يحجبه التـــرب
عزيز على الإسلام أن يودع الثرى
مســـدده الأسرى[1] وعلله النـــــدب
بكى العالم العلوي والسبع حســـرة
أولئكم[2] حزب الله ما فوقهم حـــزب
على القرطبي الحبر أستاذنـــا الذي
على أهل هذا العصـــر فضله الرب
فقد كان فيمـــا[3] مـــضى من زمانـــه
به تحســـن الدنيـــا ويلتئـــم الشعب
ويجمع سرب الأنس روض حياتـــه[4]
فقد جف ذاك الروض وافترق الســـرب

---

[1] في الذيل: ((الأهدى)).
[2] نفسه: ((أولئك)).
[3] نفسه: ((فقد كان فيما قد)).
[4] نفسه: ((جنابه)).

فسحقاً لدنيـــا خادعتنـــا بمكرهـــا

إذا عاقدت سلما فمقصدهـــا حـــرب

ركبنـــا السهـــل[1] الذلـــول فقـــادنـــا

إلى كل ما في طيه مركب صعـــب

وتغفل عنهـــا والـــردى يستفزنـــا

كفى واعظاً بالموت لو كان لي لب

***

[1] في الذيل: ((ركبنـا بهـا السهـل)).

عبد الله بن أحمد

ابن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن إسماعيل بن سماك العاملي [1]؛ يكنى أبا محمد؛ مالقي الأصل.

حاله

كان فقيهاً أديباً، بارع الأدب، شاعراً مطبوعاً، كثير النادر، حلو الشمايل، أدرك شيوخاً جلة، وولي قضاء **غرناطة** مدة.

مشيخته

روى عن جده لأمه وابن عم أبيه **أبي عمر أحمد بن إسماعيل، وأبي علي الغساني، وأبي الحسن علي بن عبيد الرحمن بن سمحون والمرساني** [2] الأديب.

---

[1] وردت هذه الترجمة في هامش اللوحة 223 من مخطوط الإسكوريال؛ بينما سقطت في مخطوط الزيتونة. وله أيضاً ترجمة في: بغية الملتمس، والتكملة لكتاب الصلة، ونيل الابتهاج، ونفح الطيب. وتاريخ قضاة الأندلس (ضمن ترجمة ابنه محمد بن سماك)،

[2] هكذا في الإسكوريال.

شعـره [1]

الــروض مخضــر الربى متجمــل
للناظريـــن بأجمـــل الألـــوان
وكأنما بسطت هنــاك سوارهـــا
خــود زهــت بقلائـــد العقيــان
وكأنمــا فتقــت هنــاك نوافـــح
من مسكــة عجنت بعرف البــان
والطير يسجع في الغصون كأنمــا
تقرأ القيــان فيــه عــلى العيــدان
والمـــاء مطــرد يسيــل عبابــه
كسلاســل مــن فضــــة وجمــان
بهجــات حســن أكملــت فكأنهــا
حســن اليقيــن وبهجــة الإيمــان

---

[1] البحـر الكامـل.

وكتب إلى الكاتب **أبي نصر الفتح بن عبيد الله** [1] في أثناء رسالة [2]:

تفتحـــت الكتابــــة عــن نسيـــــم
نسيـــم المســـك فـــي خلق الكريـــم[3]
أبا نصـــر رسمــت لهــا رسومــا
تخـــال رسومهـــا وضـــح النجـــوم
وقد كانـــت عفـــت فأثـــرت[4] منهـــا
سراجـــاً لاح فـــي الليـــل البهيـــم
فنحـــت من الصناعـــة كـــل بـــاب
فســـارَّة[5] فـــي طريـــــق مستقيـــم
فكتـــاب الزمـــان ولســـت منهـــم
إذا رامـــوا مرامـــك فـــي همـــوم

---

1 **هو الفتح بن خاقان صاحب كتاب قلائد العقيان. سبقت الإشارة إليه.**
2 **البحر الوافر.**
3 **في النفح: ((كريم)).**
4 **نفسه: ((فأنرت)).**
5 **نفسه: ((فصار)).**

فمـــا قـــس بأبـــدع منـــك لفظـــــاً
ولا سحبـــان مثلـــك فـــي العلـــوم[1]

وفاته

في السابع والعشرين من رمضان المعظم سنة أربعين وخمسمائة [2] وهو ابن أربع وثمانين سنة.

***

---

[1] أي: أن قسّ بن ساعدة الإيادي لا يفوقك فصاحة، ولا يضاهيك سحبان وائـــل في العلم والمعرفة.

[2] الموافق لـ 1145م.

ومـــن ترجمـــة القضـــاة

***

عبد الله بن أحمد[1]

ابن محمد بن سعيد بن أيّوب بن الحسن بن مُنْخل بن زيد الغافقي؛
من أهل غرناطة وأعيانها؛ يكنى أبا محمد، وينسب إلى غافق
ابن الشاهد[2] بن عَكّ بن عدنان لا إلى حِصْن غافق.

حاله

من **العايد**: كان رجلاً صحيح المذهب، سليم الصدر، قليل المصانعة، كثير الحركة والهشة، والجدة، ملازم الاجتهاد والعكوف، لا يفتر عن النسخ والتقييد والمطالعة، على حال الكبرة، قديم التعين والأصالة، ولي القضاء عمره بمواضع كثيرة، منها **بيرة، ورندة،** ثم **مالقة**، مضافاً إلى الخطابة بها.

---

[1] في الزيتونة: ((أبي أحمد)).
[2] في الإسكوريال: ((الشاهك)).

مشيخته

حج في حدود سبعة وثمانين وستماية[1]، وروى عن جلة من أهل **المشرق**، كالإمام **تقي الدين بن دقيق العيد**، والحافظ **أبي محمد عبد المؤمن الدمياطي**، **وشمس الدين المصنف**[2] **أبي عبد الله ابن عبد السلام**. وأجازه من أهل **المغرب** شيخ الجماعة **بالأندلس أبو جعفر بن الزبير**، والقاضي **ابن أبي الأحوص**، والخطيب **أبو الحسن بن فضيلة**، الأستاذ **أبو الحسن ابن الصّايغ الإشبيلي**، **وأبو جعفر الطباع**، وغيرهم.

تواليفه

ألف كتاباً سماه بـ((**المنهاج في ترتيب مسائل الفقيه المشاور أبي عبد الله بن الحاج**)).

---

[1] **الموافق لـ 1288م.**
[2] **في الإسكوريال: ((المضف)).**

مولـده

ولـد **بغرناطة** فـي حـدود ستيـن وستماية [1].

وفاتـه

تـوفي **بغرناطة** يـوم عاشـوراء مـن عـام أحـد وثلاثيـن وسبعمايـة [2].

***

[1] **الموافـق لـ 1261م.**

[2] **الموافـق لـ 1330م.**

عبد الله بن محمد

ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنين المُرِّي [1]؛
يكنى أبا خالد

حاله

كان فقيهاً جليلاً، وولي القضاء ببعض جهات **غرناطة**.

مشيخته

أخذ الفقه عن **أبي جعفر بن هلال، وأبي محمد بن سماك** القاضي. والعربية عن **الخضر بن رضوان العبدري**. والحديث عن الحافظ **أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية**، والإمام **أبي الحسن علي بن أحمد**، والقاضي **أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض**؛ أيام قضائه **بغرناطة**.

---

[1] **وردت هذه الترجمة في هامش اللوحة 224 من مخطوط الإسكوريال؛ بينما سقطت في مخطوط الزيتونة.**

مولـده

ولـد سنـة سبـع وتسعيـن وأربعمايـة [1].

وفاته

تـوفي فـي ذي قعـدة سنـة أربـع وأربعيـن وخمسمايـة [2].

***

[1] الموافـق لـ 1103م.
[2] الموافـق لـ 1149م.

عبد الله بن يحيى

ابن محمد [1] بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن محمد بن يحيى ابن زكريا الأنصاري [2]؛ يكنى أبا محمد؛ من أهل غرناطة؛ شرقي الأصل، مرسيه؛ من بيوتاته النبيهة؛ وقد مرّ ذكر أخيه.

حاله

كان على طريقة حسنة من دماثه الأخلاق، وسلامة السجية، والتزام الحشمة، والاشتغال بما يعني. وُلِّيَ القضاء دون العشرين سنة، وتصرف فيه عمره بالجهات **الأندلسية**، فأظهر فيه عدلاً ونزاهة، ولم يختلف عليه اثنان مدة حياته، من أهل المعرفة بالأحكام، والتقدم في عقد الشرط، وصناعة الفرايض، علماً وعملاً، ثاقب الذهن، نافذاً في صنعة العدد.

مشيخته

قرأ على أبيه القاضي **أبي بكر بن زكريا**، وله رواية عالية من أعلام من أهل **المشرق والغرب**. وقرأ على **أبي الحسن بن فضيلة** الولي الصالح، والقاضي **أبي عبد الله**

---

[1] في الزيتونة: ((عمر)).
[2] له ترجمه في تاريخ قضاة الأندلس.

ابن هشام الألشي، والأستاذ **أبي جعفر بن الزبير**، والحاج **أبي محمد** [1] **بن جابر، وأبي بكر القللوسي**. وقرأ العدد وما أشبهه على الأستاذ التعاليمي **أبي عبد الله الرقام**، ولازمه، [وأجازه] [2] طايفة كبيرة. وأخبرني ولده الفاضل **أبو بكر**؛ قال: ورد سؤال من **تونس** مع تاجر وصل في مركب إلى مدينة **المنكب** أيام قضائه بها، في رجل فرط في إخراج زكاة ماله سنين متعددة، سميت في السؤال مع نسبة قدر المال، وطلب في السؤال، أن يكون عملها بالأربعة الأعداد المتناسبة، إذ عملها بذلك، أصعب من عملها بالجبر والمقابلة، فعملها وأخرجها بالعملين، وعبر عنها بعبارة حسنة، وكتبها في بطاقة بخط جميل، فذكر التاجر أنه لم يبق **بتونس** فقيه، إلاّ ونسخ منها نسخة، واستحسنها.

---

[1] **في الزيتونة: ((العلوي)).**
[2] **هذه الإضافة من الزيتونة.**

مولده

ولد يوم الخميس السابع عشر [1] لجمادى الآخرة عام خمسة وسبعين وستماية [2].

وفاته

توفي قاضياً **ببسطة** في التاسع عشر من رمضان عام خمسة وأربعين وسبعماية [3].

***

[1] ذكر في تاريخ قضاة الأندلس: أن تاريخ ((مولده منتصف شهر جمادى الآخرة عام 675هـ)).
[2] الموافق لـ 1276م.
[3] الموافق لـ 1344م.

عبد الله بن محمد

ابن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أبي جمرة الأزدي؛ من أهل مرسيه؛ نزيل غرناطة؛ يكنى أبا محمد؛ وبيته بمرسية من أعلام بيوتاتها؛ شهير التعين والأصالة؛ ينكح [1] فيه الأمراء.

حاله

كان من أعلام وقته فضلاً وعدالة وصلاحا ووقاراً، طاهر النشأة، عف الطعمة، كثير الحياء، مليح التخلق. نشأ **بمرسيه**، ثم انتقل إلى **غرناطة** فتولى القضاء **ببيرة** وجهاتها، ثم جاز إلى **سبتة**، وانعقدت بينه وبين رؤسايها المصاهرة في بعض بناته. ثم آب إلى **غرناطة** عند رجوع إيالة **سبتة** إلى أميرها، فتقدم خطيبا بها.

مشيخته

روى بالإجازة عن الخطيب الحافظ **أبي الربيع بن سالم** وأمثاله.

---

[1] أي يتزوج الأمراء بنات هذا البيت.

وفاته

الغريبة المستحسنة. قال بعض شيوخنا، كنت أسمعه عند سجوده، وتبتله وضراعته إلى الله. يقول اللهم أمتني ميتة حسنة، ويكرر ذلك. فأجاب الله دعاءه، وتوفاه على أتم وجوه التأنيب طهارة وخشوعاً وخضوعاً وتأهباً، وزماناً ومكاناً، عندما صعد أول درج من أدراج المنبر، يوم الجمعة الثالث والعشرين لشوال من عام أحد عشر وسبعماية [1]؛ فكان يوماً مشهوداً لا عهد بمثله، ما رُئِي أكثر باكياً منه، وأكثر الناس من الثناء عليه.

***

[1] **الموافق لـ 1311م.**

عبد الله بن سليمان

ابن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله
الأنصاري الحارثي الأزدي [1]؛ يكنى أبا محمد.

حاله

من **الصلة**: قال القاضي المحدث الجليل العالم: كان فقيهاً جليلاً أصولياً، نحوياً، كاتباً، أديباً، شاعراً، متفنناً في العلوم، ورعاً، ديناً، حافظاً، ثبتاً، فاضلاً. وكان يدرس **كتاب سيبويه، ومستصفى أبي حامد** [2]، ويميل إلى الاجتهاد في نظره، ويغلب طريقة الظاهرية [3]، مشهوراً بالعقل والفضل، معظماً عند الملوك، معلوم القدر لديهم، يخطب في مجالس الأمراء والمحافل الجمهورية، مقدماً في ذلك، بلاغة وفصاحة إلى أبعد مضمار. وللملوك **الموحدين**

---

[1] له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، وتاريخ قضاة الأندلس، وبغية الوعاة، وشذرات الذهب، والوافي بالوفيات، والديباج المذهب، ونفح الطيب.
[2] في النفح: ((أبي حامد الغزالي)).
[3] أي المذهب الظاهري.

به اعتناء كبير. وهو كان أستاذ **الناصر** [1] وإخوته، وكان له عند **المنصور** والدهم، بذلك أكرم أثرة، مع ما كان مشهوراً به من العلم والدين والفضل. ولي القضاء **بإشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة**؛ فتظاهر بالعدل، وعرف بما أبطن من الدين والفضل، وكان من العلماء العاملين، سنياً، مجانباً لأهل البدع والأهواء، بارع الخط، حسن التقييد.

مشيخته

تردد في طلب العلم، فسمع **ببلنسية وشاطبة ومرسية وألمرية وقرطبة وإشبيلية ومالقة**، وغيرها من البلاد **الأندلسية**، وتحصل له سماع جم لم يشاركه فيه أحد من **أهل المغرب**. قرأ القرآن على أبيه، وعلى **أبي محمد عبد الصمد الغساني**، وأخذ عن **ابن حميد كتاب سيبويه** تفقهاً. وعن غيره، وسمع عن **ابن بشكوال**، وقرأ أكثر

[1] هو الخليفة الموحدي محمد الناصر لدين الله ابن يعقوب المنصور (حكم من سنة 595هـ/1199م إلى سنة 610هـ/1213م).

من ستين تأليفاً بين كبار وصغار، وكمل له على **أبي محمد بن عبد الله**، بين قراءة وسماع نحو من سنة وثلاثين تأليفاً، منها **الصحيحان**. وأكثر عن **ابن حبيش، والسهيلي، وابن الفخار،** وغيرهم. واستيفاء مشيخته يشق.

شعره

قال الأستاذ: أنشدنيه ابنه **أبو القاسم**، ونقلت من خطه [1]:

أتدري أنك الخطاء حقاً
وأنك بالذي تدري[2] رهين
وتعتب[3] الألى[4] فعلوا وقالوا
وذاك الظن والإفك[5] المبين

[1] البحر الوافر.
[2] في تاريخ قضاة الأندلس، والنفح: ((تأتي)).
[3] في الإسكوريال: ((وتغتابوا)). وفي تاريخ قضاة الأندلس، ونفح الطيب: ((تغتاب)).
[4] في تاريخ قضاة الأندلس: ((الورى)).
[5] نفسه: ((والإثم)).

مولده

في محرم سنة ثمان وأربعين وخمسماية [1].

وفاته

كان آخر عمره قد أعيد إلى **مرسية**، قصدها من الحضرة، فمات **بغرناطة** سحر يوم الخميس الثاني لربيع الأول اثنتي عشرة وستماية [2]، ونقل منها في تابوته الذي ألحد فيه، يوم السبت التاسع عشر لشعبان من السنة إلى **مالقة**؛ فدفن بها.

***

[1] الموافق لـ 1153م. جاء في التكملة لكتاب الصلة، وبغية الوعاة أنه ولد سنة 549هـ.

[2] الموافق لـ 1215م.

عبد الله بن يحيى

ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري؛
من أهل قرطبة؛ يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن ربيع.

حاله

كان رحمه الله أديبا، كاتباً شاعراً، نحوياً، فقيهاً أصولياً، مشاركاً في علوم، محباً في القراءة، وطياً [1] عند المناظرة [2]، متناصفا، سنياً، أشعري المذهب والنسب، مصمماً على طريقة الأشعرية، ملتزماً لمذهب أهل السنة المالكي، من بقايا الناس وعليتهم، ومن آخر طلبة **الأندلس** المشاركين الجلة، المصممين على مذهب أهل السنة، المنافرين للمذاهب الفلسفية، والمبتدعة، والزيغ. ولي قضاء مواضع من **الأندلس**، منها: **مدينة شريش ورندة ومالقة**، وأم وخطب بجامعها. ثم ولي قضاء الجماعة [3] بحضرة **غرناطة**، وعقد بها مجلسا للإقراء. فانتفع

---

[1] في الزيتونة: ((مرضياً)).
[2] هكذا.
[3] خطة قاضي الجماعة في المغرب والأندلس تقابلها في المشرق رتبة قاضي القضاة. لأن الأحكام في بلاد المغرب تتم وفق المذهب المالكي؛ وقاضي الجماعة يكون في حاضرة الدولة.

به طلبتها، واستمر على ذلك، وكانت ولايته **غرناطة** نحواً من سبعة أعوام.

مشيخته

أخذ عن أبيه **أبي عامر** وتفقه به، وعن الخطيب **أبي جعفر بن يحيى الحميري**، وتلا عليه، وتأدب به، وعن الأستاذ **أبي الحسن بن خروف**، وروى مع هؤلاء عن القاضي **أبي القاسم بن بقي**، **وأبي محمد بن حوط الله، وأبي عبد الله بن أصبغ** وغيرهم، وأجاز له الشيخ المسن **أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الغافقي الشقوري،** وله به علو، وبالأستاذ الخطيب المسن **أبي جعفر بن يحيى** المتقدم.

وفاته

توفي في السابع عشر لشوال سنة ست وستين وستماية [1]. ولم يخلف بعده مثله، ولا من يقاربه.

***

[1] **الموافق لـ 1267م.**

عبد الله بن إبراهيم

ابن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي؛ من ولد عاصم ابن مُسْلم؛ الداخل في طلعة بَلْج؛ الملقَّب بالعِريان؛ أخو الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، شقيقه؛ يكنى أبا محمد.

حاله

كان طبيباً ماهراً، كاتباً شاعراً، ذاكراً للغة، صنع [1] اليدين، متقدماً في أقرانه نباهة وفصاحة [2]، معدوم النظير في الشجاعة والإقدام، يحضر الغزوات، فارساً وراجلاً، ولقي بفحص **غرناطة**[3] ليلا، **نصرانياً** يتجسس؛ فأسره وجرَّه، وأدخله البلد؛ ولم يلتفت إلى ثمنه، استكتاماً لتلك الفعلة.

مشيخته

أخذ القرآن عن الأستاذ **أبي عبد الله بن مستقور**[4]، وروى عن **أبي يحيى بن عبد الرحيم، وأبي الوليد العطار، وأبي القاسم بن ربيع] وأبي الخطار بن خليل**،

---

[1] أي ماهر اليدين. وجاء في الزيتونة: ((كأصابع)).
[2] سقطت هذه الكلمة في الزيتونة؛ بينما كتب في الإسكوريال: ((فصا)).
[3] هو مرج غرناطة الشهير بالخصوبة والإخضرار.
[4] حرفت في الزيتونة، والإسكوريال؛ حيث كتب في الأولى: ((مسفور))؛ وفي الثانية: ((مسمغور)).

وأخذ عن **أبي عمر بن حوط الله بمالقة، وابن أبي ريحانه.** **وبسبتة** على **أبي بكر بن]** [1] **مشليون**. وأجاز له **أبو بكر بن محرز، وأبو الحسن الشاري**. وأخذ عن الأستاذ الناقد **أبي الحسن علي بن محمد الكناني.**

مولده

ولد **بغرناطة** لسبع عشرة ليلة خلت من ذي قعدة سنة ثلاث وأربعين وستماية [2].

وفاته

توفي بها سحر أول يوم من ذي قعدة سنة ثلاث وثمانين وستماية [3].

***

---

[1] **ما جاء بين الحاصرتين ورد في الزيتونة، وسقط في الإسكوريال.**
[2] **الموافق لـ 1245م.**
[3] **الموافق لـ 1284م.**

عبد الله بن موسى

ابن عبد الرحمن بن حمّاد الصّنهاجي؛ يكنى أبا يحيى.

حاله

طالب نبيل فاضل، ورع زاهد، مؤثر في الدنيا بما تملكه، تال لكتاب الله في جميع الأوقات.

أخباره [في الإيثار] [1]

وجه له السيد [**أبو إسحاق**][2] ابن الخليفة **أبي يعقوب**[3] خمسماية دُنَيْر[4] ليصلح بها من شأنه. فصرف جميعها على أهل الستر في أقل من شهر. ومرّ بفتى في **إشبيلية**، وأعوان القاضي يحملونه إلى السجن؛ وهو يبكي فسأله؛ فقال: أنا غريب، وطولبت بخمسين دنيراً، وبيدي عقود، وطولبت بضامن؛ فلم أجده؛ فقال له: الله؛ قال

---

[1] سقطت هذه العبارة في الإسكوريال.
[2] هذه الإضافة من الزيتونة.
[3] هو الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن بن علي. سبقت الإشارة إليه.
[4] في الزيتونة: ((دينار)).

نعم، قال فدفع له خمسين دنيراً؛ قال أشهد لك بها، فضجر؛ وقال إن الله إذا أعطى عبده شيئاً لم يشهد به عليه، وتركه وانصرف لشأنه، وكانت عنده معرفة وأدب.

مولده

بغرناطة في سنة إحدى وعشرين وخمسماية [1].

***

[1] الموافق لـ 1127م.

***

عبد الله بن إبراهيم

ابن عبد الله الأزدي [1]؛ من أهل بلش؛ يكنى أبا محمد، ويعرف بابن المرابع [2].

حاله

من نبهاء أدباء البادية، خشن الظاهر، منطو على لوذعية، متوارية في مظهر جفوة، كثير الانطباع عند الخبرة، قادر على النظم والنثر، متوسط الطبقة فيهما، مسترفد بالشعر، سيال القريحة، مرهوب الهجاء، مشهور المكان ببلده، يعيش من الخدم [3] المخزنية، بين خارص [4] وشاهد وجد بذلك وقته، يوسط [5] رقاعته، فتنجح الوسيلة، [ويتمشى له بين الرضا والسخط الغرض] [6].

---

[1] لـه ترجمـة في نفـح الطيـب.
[2] في الزيتونـة: ((ابـن الربيـع)).
[3] نفسـه: ((الخدمـة)).
[4] نفسـه: ((خـارج)).
[5] نفسـه: ((يوسـع)).
[6] نفسـه: ((وينزلـه بيـن السخـط والـرضى)).

وجرى ذكره في **التاج** بما نصه: طويل القوادم والخوافي، كلف على كبر سنه بعقايل القوافي، شاب في الأدب وشب، ونشق ريح البيان لما هب، فحاول [1] رفيعه [2]، وجزله، وأجاد جده وأحكم هزله. فإن مدح صدح، وإن وصف أنصف، وإن عصف قصف. وإن أنشأ ودون، وتقلب في أفانين البلاغة وتلون، أفسد ما شاء الله وكون، فهو شيخ الطريقة الأدبية وفتاها، وخطيب حفلها [3] كلما أتاها، لا يتوقف عليه من أغراضها غرض، ولا يضيع لديه منها مفترضٍ. ولم تزل بروقه تتألق، ومعانيه بأذيال الإحسان تتعلق. حتى برز في أبطال الكلام وفرسانه، وذعرت القلوب لسطوة [4] لسانه، وألقت إليه الصناعة زمامها، ووقفت عليه أحكامها. وعبر البحر، منتجعاً بسعره [5]، ومنفقاً في سوق الكساد من شعره فأبرق وأرعد، وحذر وتوعد [6]، وبلغ جهد إمكانه، في

---

[1] هكذا في النفح؛ بينما كتب في الإسكوريال: ((فحاور)).

[2] في النفح: ((رقيقه)).

[3] حرفت في الزيتونة؛ فكتبت: ((حافه)).

[4] في النفح: ((بسطوة)).

[5] نفسه: ((بشعره)).

[6] نفسه: ((وأوعد)).

التعريف بمكانه، فما حرك، ولا هز، وذل في طلب الرفد وقد عز، وما برح أن رجع إلى وطنه الذي اعتاده، رجوع الحديث إلى قتاده.

شعره

قال في **التاج**: وقد أثبت من نزعاته، وبعض مخترعاته، ما يدل على سعة باعه، ونهضة ذراعه. فمن النسيب قوله [1]:

ما للمحـــب دواء يذهـــب الألمـــا
عنه سوى لمم فيه ارتشاف لمـــا
ولا يـــــرد عليـــه نـــوم مقلتـــه
إلا الدنـــو إلى من شفـــه سقمـــا
يا حاكمـــاً والهوى فينـــا يؤيـــده
هواك في بما ترضـــاه قد حكمـــا
أشغلتني بـــك شُغْلاً شاغلا فلمـــا[2]
تناسى فديتك عـــني بعد ذاك لمـــا

---

[1] البحر البسيط.
[2] جعلها د. طويل: ((فَلِمَ)).

ملكت روحي فأرفق قد علمت بما
يلقى ولا حجة تبقى لمن علمـــا
ما غبت عني إلا غاب عن بصـــري
بدراً إذا لاح يجلي نوره الظلمـــا
ما لحت لي فدنا طرفي لغيرك يـــا
مولى لحا فيه جفني النوم قد حرما
طوعاً لطيعك لا أعصيك فافض بمـــا
ترضاه أرضى بما ترضى ولا جرمـــا
إن الهوى يقتضي ذلاً لغيرك لـــو
أفـــادني فيك قربـــاً يبرد الألمـــا
سلمـــت من كل عيب يا محمد لا
كن قلب صبك من عينيك ما سلما

ومن مخاطباته الأدبية. ما كتب به إلى شيخ الصوفية ببلده مع طالع من ولده [1]:

مماليكـــم قـــد زاد فيكـــم مرابـــع
من الأفق الكـــوني باليمـــن طالـــع

---

[1] **البحر الطويل.**

بأنواركم يهـــدى إلى سبل الهـــدى
ويسمـــوا لما تسمـــو إليه المطالـــع
فواســـوه منكـــم بالدعـــاء فإنـــه
مجـــاب بفضل اللـــه للخلق نافـــع
أفـــاض عليـــه اللـــه من بركاتكـــم
وأبقاكم ذو العـــرش ما جن ساجـــع[1]

فوقع له الشيخ المخاطب بها. **أبو جعفر بن الزيات** رحمه الله، بما نصه[2]:

عـــسى اللـــه يؤتيه من العلم حصة
تصوب على الألبـــاب منها ينابـــع
ويجعلـــــه طرفـــاً لكـــل سجيـــة
مطهـــــرة للنـــاس فيهـــا منافـــع
ويلحقـــه فـــي الصالحـــات بجده
فيثـــني عليـــه الكـــل دان وشاســـع

[1] في الزيتونـة: ((شافـع)).
[2] البحـر الطويـل.

وذو العرش جل إسما عميم نوالــه

وخير الورى في نص ما قلت شافع

فمــا أنــت دونـــي يا أبــاه مهنــأ

بـــه فالسرور الكــل بابنك جامـــع

ولـه يستدعي إلى الباكور[1]:

بـــدار بـــدار قـــد آن البـــدار

إلـــى أكـــواس باكـــور تـــدار

تبـــدت رافـــلات في مســـوح

له لـــون الديـــاجي مستعـــار

وقـــد رقمـــت بياضاً في سواد

كأن الليـــل خالطـــه النهـــار

وقد نضجـــت وما طبخت بنار

وهل يحتـــاج للباكـــور نـــار

ولا تحتـــاج مضغـــاً لا وليس[2]

عجيـــب لا يشـــق له غبـــار

---

[1] البحـر الوافـر.

[2] في الإسكوريـال: ((لا لسـر)).

فقل للخلق قل للضرس دعني
ففي البلـــع اكتفاء واقتصـــار

وممـا وقـع لـه أثنـاء مقامـات تشهـد باقتـداره، مقطوعـة سهلـة وهـي [1]:

رعى الله عهداً حوى ما حوى
لأهـــل الوداد وأهل الهـــوى
أرهـــم أموراً حـــلا وردهـــا
وأعطاهم السؤل [كيف نـــوا][2]
ولما حلا الوصل صالوا لـــه
ورامـــوه ملـــواً ومـــاء روا[3]
وأوردهـــم ســـرا أسرارهـــم
ووروداً إلـــى الكـــــل ذا دوا[4]

---

[1] البحـر المتقـارب.
[2] هكـذا. وحرفـت في الإسكوريـال؛ فكتبـت: ((كـلا بهـوه)). بينمـا كتبـت في النفـح: ((السـؤل كـلا سـوا)).
[3] في النفـح: ((رامـوه مـأوى ومـاء روى)).
[4] ورد هـذا البيـت في نفـح الطيـب هكـذا:
((وأوردهـم سـرَّ أسرارهـم * ورودَّ إلـى كـلِّ داءٍ دَوا))

ومـــا أمـــل طـــال إلا وهي

ولا أمـــل[1] صـــال إلا هـــوا

وقال يرثي ديكاً فقده، ويصف الوجد الذي وجده، ويبكي من عدم أذانه، إلى غير ذلك من مستطرف شانه [2]:

أوودي به الحتف لما جاءه الأجـــل

ديكـــاً فلا عـــوض منه ولا بـــدل

قد كان لي أمل في أن يعيش فلـــم

يثبت مع الحتف في بغيا لها أمـــل[3]

فقدتـــه فلعمـــــري إنهـــا عظـــة

وبالواعـــظ تذري دمعهـــا المقـــل

كأن مطـــرف وشـــى فـــوق ملبسه

عليه من كل حســـن باهـــر حلـــل

كأن إكليـــل كسرى فـــوق مفرقـــه

وتاجه فهـــو عالي الشكل محتفـــل

---

[1] في النفـح: ((آمـلٌ)).
[2] البحـر البسيـط.
[3] في النفـح: ((في بُقيـاه لي أمـل)).

مؤقت لم يكن بطريق[1] له خطأ
فيما يرتب من ورد ولا خطل[2]

كأن زرقيل[3] فيما مر علمه
علم المواقيت فيما[4] رتب الأول

يرحل الليل يحيى بالصراخ فما
يصده كلل عنه ولا ملل

رأيته قد وهنت[5] منه القوى فهوى
للأرض فعلا يريه الشارب الثمل

لو يفتدى بديوك الأرض قل له
ذاك الفدا[6] ولكن فاجأ الأجل

قالوا الدواء فلم يغن الدوا[7] ولم
ينفعه من ذاك ما قالوا وما فعلوا

---

[1] في النفح: ((يُحْزى)).
[2] نفسه: ((خلل)).
[3] نفسه: ((زرقال)). والمقصود هو الفلكي النابغة إبراهيم بن يحيى بن النقاش الزرقالي القرطبي؛ مخترع الأجهزة الفلكية الدقيقة في عصره؛ مثل الزرقالية والصفيحة.
[4] نفسه: ((مما)).
[5] نفسه: (وهت)).
[6] نفسه: ((الفداء)).
[7] نفسه: ((الدواء)).

أملت فيه ثواباً أجـــر محتســـــب

[إن قلت ذاك][1] صح القول والعمـــل

وأمره السلطان **أبو عبد الله** سادس الملوك **النصريين** في بعض أسفاره، وقد نظر إلى **شلير** [2]. وتردى بالثلج وتعمم، وكمل ما أراد من بزته [3] وتمم، أن ينظم أبياتاً في في وصفه، فقال بديهة [4]:

وشيـــخ جليـــل القدر طال عمـــره

وما عنـــده علم بطـــول ولا قصـــر

عليه لبـــاس أبيـــض باهـــر السَّنـــا

وليس بثوب أحكمتـــه يـــد البشـــر

وطـــوراً[5] تـــراه كلـــه كاسيـــاً بـــه

وكسوته فيها لأهـــل النـــهى عبـــر

---

[1] في النفـح: ((إن نلـت ذلـك)).

[2] يسمى أيضاً جبل الثلج؛ وهو الذي يطل على غرناطة. سبقت الإشارة إليه.

[3] في الزيتونـة: ((حرتـه)).

[4] البحـر الطويـل.

[5] في النفـح: ((فطـوراً)).

وطـــوراً ثراه عارياً ليس يشتـــكي[1]

لحر[2] ولا بـــرد من الشمس والقمـــر

وكم مرت الأيـــام وهو كما تـــرى

على حاله لم يشك ضعفاً ولا كبـــر

فذاك[3] شليـــر شيخ غرناطـــة الـــتي

لبهجتهـــا في الأرض ذكر قد انتشر[4]

بها ملـــك [سامي المراقي أطاعـــه][5]

كبار ملوك الأرض في حالة الصغر

تـــولاه رب العـــرش منه بعصمـــة

تقيه مدى الأيام من كل ما ضـــرر

---

[1] في النفـح: ((يكتـسي)).

[2] نفســه: ((بحـر)).

[3] نفســه: ((وذاك)).

[4] نفســه: ((اشتـهر)).

[5] في الزيتونـة: ((ســاس البرابـر طاعـة)).

نثره

ونثره كثير ما بين مخاطبات وخطب [ومقطعات][1] ولعب، وزرديات شأنها عجب. فمن ذلك ما خاطب به الرئيس **أبا سعيد بن نصر** يستجدي أضحية:

يقول شاكر الأيادي: وذاكر فخر كل نادي، وناشر غرر الغرر للعاكف والبادي، والرايح والغادي، اسمعوا مني حديثاً تلذه الأسماع، ويستطرفه الاستماع. ويشهد بحسنه الإجماع. ويجب عليه الاجتماع. وهو من الأحاديث التي لم تتفق إلا لمثلي ولا ذكرت عن أحد قبلي. وذلك يا معشر الألباء، والخلصاء الأحباء. أني دخلت في هذه الأيام داري. في بعض أدواري، لأقضي من أخذ الغذاء أوطاري. على حسب أطواري. فقالت لي ربة البيت: لم جئت. وبما أتيت. قلت: جيت لكذا كذا فهات الغدا، فقالت: لا غذا لك عندي اليوم. ولو أودى بك الصوم. حتى تسل الاستخارة، وتفعل كما فعل زوج الجارة، طيب الله نجاره. وملأ بالأرزاق وجاره. قلت: وما فعل

[1] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

قريني. وأرني من العلامة ما أحببت أن تريني. قالت: إنه فكر في العيد. ونظر في أسباب التعييد. وفعل في ذلك ما يستحسنه القريب والبعيد؛ وأنت قد نسيت ذكره، ومحوته من بالك؛ ولم تنظر إليه نظرة بعين اهتبالك. وعيد الأضحى في اليد. والنظر في شراء الأضحية اليوم أوفق من الغد. قلت: صدقت، وبالحق نطقت، بارك الله فيك، وشكر جميل تحفيك. فلقد نبهت بعلك لإقامة السنة، ورفعت عنه من الغفلة منة. والآن أسير لأبحث عما ذكرت. وأنظر في إحضار ما إليه أشرت، ويتأتى ذلك إن شاء الله بسعدك. وتنالين فيه من بلوغ الأمر غاية قصدك. والجد ليس من الهزل، والأضحية للمرأة وللرجل الغزل. قالت: دعني من الخرافات. وأخبار الزرافات. فإنك حلو اللسان، قليل الإحسان. تخذت الغربة صحبتك إلى ساسان. فتهاونت بالنسا، وأسأت فيمن أساء. وعودت أكل خبزك في غير منديل. وإيقاد الفتيل دون قنديل، وسكنى الخان، وعدم ارتفاع الدخان، فما تقيم موسما، ولا تعرف له ميسما. وأخذت معي في ذلك بطويل وعريض، وكلانا

في طرفي نقيض، إلى أن قلت لها: إزارك وردائي، فقد تفاقم بك أمر دائي، وما أظنك إلا بعض أعدائي [1]، قالت: مالك والإزار، شط بك المزار، لعلك تريد إرهانه في الأضحية والأبزار، أخرج عني بيا مقيت، لا عمرت معك ولا بقيت، أو عدمت الدين، وأخذ الورق بالعين. يلزمني صوم سنة، لا أغفيت معك سنة، إلا إن رجعت بمثل ما رجع به زوج جارتي، وأرى لك الربح في تجارتي. فقمت عنها وقد لوت رأسها وولولت [2]، وابتدرت وهرولت، وجالت في العتاب وصولت، وضمت بنتها وولدها، وقامت باللجج، والانتصار بالحجج أودها، فلم يسعني إلا أن عدوت أطوف السكك والشوارع؛ وأبارد لما غدوت بسبيله وأسارع، وأجوب الآفاق، وأسل الرفاق، وأخترق الأسواق، وأقتحم زريبة بعد زريبة، وأختبر منها البعيدة والقريبة، فما استرخصته استنقصته، وما استغليته استعليته، وما وافق غرضي، اعترضني دونه عدم عرضي، حتى انقض ثلثا يومي، وقد عييت بدوراني

[1] في الزيتونة: ((من جملة أعدائي)).
[2] نفسه: ((وولت)).

وهومي، وأنا لم أتحصل من الابتياع على فايدة، ولا عادت علي فيه من قضاء الأرب عايدة، فأومأت الإياب، وأنا أجد من خوفها، ما يجد صغار الغنم من الذئاب، إلى أن مررت بقصاب [يقصب] [1] في مجزره، قد شد في وسطه مئزره، وقصر [2] أثوابه حتى كشف عن ساقيه، وشمر عن ساعديه حتى أبدى مرفقيه، وبين يديه عنز قد شد يديه في رقبته [3]، وهو يجذبه فيبرك، ويجره فما يتحرك، ويروم سيره فيرجع القهقرى، ويعود إلى ورا، والقصاب يشد على إزاره، خيفة من فراره، وهو يقول: اقتله من جان باغ، وشيطان طاغ، ما أشده وما ألذه، وما أصده، وما أجده، وما أكثره بشحم، وما أطيبه بلحم، الطلاق يلزمه، إن كان عاين تيساً مثله أو أضحية تشبهه قبله، أضحية حفيلة، ومنحة جليلة. هنأ الله من رزقها، وأخلف عليها رزقها. فاقتحمت المزدحم، أنظر مع من نظر، وأختبر فيمن اختبر. وأنا والله لا أعرف في

---

[1] هذه الإضافة من الزيتونة.
[2] في الزيتونة: ((وربط)).
[3] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((رو قيه)).

التقليب والتخمين. ولا أفرق بين العجف والسمين، غير أني رأيت صورة دون البغل وفوق الحمار، وهيكلا يخبرك عن صورة العمار، فقلت للقصاب: كم طلبك فيه، على أن تمهل الثمن حتى أوفيه، فقال: ابغني فيه أجيرا، وكن له الآن من الذبح مجيرا، وخذه بما يرضي، لأول التقضي. قلت: استمع الصوت، ولا تخف الفوت. قال: ابتعه مني نسيه وخذه هدية، قلت: نعم، فشق لي [1] الضمير، وعاكسني فيه بالنقير والقطمير. قال تضمن لي فيه عشرين ديناراً [2] أقبضها منك لانقضاء الحول دُنَيِّراً دُنَيِّراً [3]. قلت إن هذا لكثير، فاسمح منه بإحاطة اليسير. قال والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لا أنقصك من هذا، وما قلت لك سمسمة، اللهم إن شئت السعة في الأجل، فأقضي لك ذلك دون أجل، فجلبني للابتياع منه، الإنساء في الأمد [4]. وغلبني بذلك فلم أفتقر منه لرأي والد ولا ولد، ولا أحوجت نفسي في ذلك لمشورة أحد، وقلت: قد

---

[1] في الزيتونة: ((فشقني)).
[2] في الإسكوريال: ((كباراً)).
[3] في الزيتونة: ((ديناراً ديناراً)).
[4] نفسه: ((الأجل)).

اشتريته منك، فضع البركة، ليصح النجح في الحركة. فقال: فقيه، بارك الله فيه، قد بعته لك، فاقبض متاعك، وثبت ابتياعك. وها هو في قبضك، فاشدد وثاقه، وهلم لنعقد عليك الوثاقة. فانحدرت معه لدكان التوثيق، وابتدرت من السعة إلى الضيق، وأوثقني بالشادة تحت عقد وثيق، وحملني من ركوب الدين ولحاق الشين في أوعر طريق. ثم قال لي هذا تيسك فشأنك وإياه، وما أظنك إلا تعصياه [1]، وأت بحمالين أربعة، فإنك لا تقدر أن ترفعه، ولا يتأتى لك أن يتبعك ولا أن تتبعه، ولم يبق لك من الكلفة إلا أن يحصل في محلك، فيكمل سرور أهلك. وانطلقت للحمال، وقلت هلم إلي، وقم الآن بين يدي، حتى انتهينا إلى مجزرة القصاب، والعنز يطلب فلا يصاب، فقلت: أين التيس يا أبا أويس. قال: إنه قد فر، ولا أعلم حيث استقر. قلت: أتضيع علي مالي، لتخيب آمالي، والله لا يحزنك بالعصا كمن عصا، ولا رفعتك إلى الحكام، تجري عليك منهم الأحكام. قال مالي علم به،

---

[1] في الزيتونة: ((إلاّ أنك تنعاه)).

ولا بمنقلبه، لعله فر لأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، فعليك بالبريح. فاتجهت أنادي بالأسواق، وجيران الزقاق، من ثقف لي تيساً فله البشارة، بعد ما أتى بالأمارة، وإذا برجل قد خرج من دهليز، وله هدير هزيز، وهو يقول من صاحب العنز المشوم، لا عدم به الشوم، إن وقعت عليه عيني، يرتفع الكلام بينه وبيني. قلت أنا صاحبه فما الذي دهاك مني أو بلغك عني. قال إن عنزك حين شرد، خرج مثل الأسد، وأوقع الرهج [1] في البلد، وأضر بكل أحد، ودخل في دهليز الفخارة، فقام فيه وقعد، وكان العمل فيه مطبوخاً ونيا، فلم يترك منه شيا، ومنه كانت معيشتي، وبه استقامت عيشتي، وأنت ضامن مالي، فارتفع معي إلى الوالي، والعنز مع هذا يدور وسط الجمهور، ويكر كرة العفريت المزجور، ويأتي بالكسر على ما بقي في الدهليز من الطواجن والقدور، والخلق قد انحسروا للضجيج، وكثر العياط والعجيج وأنت تعرف عفرطة الباعة، وما يحوون من الوضاعة، وأنا أحاول من

---

[1] في الزيتونة: ((الرهجة)).

أخذه ما أستطيع، وأروم الإطاعة من غير مطيع، والباعة قد أكسبته من الحماقة، ما لم يكن لي به طاقة. ورجل يقول المحتسب، واعرف ما تكتسب، وإلى من تنتسب، فقد كثر عنده بك التشكي، وصاحب الدهليز قبالته يبكي، وقد وجد [عنده] [1] عليك وجد الشكوى، وأيقن أنك كسرت الدعوى، وأمر بإحضارك، وهو في انتظارك، فشد وسطك، واحفظ إبطك، وإنك تقوم على من فتح باعه للحكم على البقعة، ونصب لأرباب البراهين على أرباب الشواهين، ورفع على طبقة، ليملأ طبقة، ثم أمسكني باليمين، حتى أوصلني للأمين، فقال لي: أرسلت التيس للفساد كأنك في نعم الله من الحساد. قلت إنه شرد، ولم أدر حيث ورد، قال: ولم لا أخذت ميثاقه، ولم تشدد وثاقه، يا شرطي طرده، واطرح يدك فيه وجرده. قلت: أتجردني الساعة، ولست من الباعة، قال: لا بد من ذاك أو تضمن ما أفسده هناك. قلت الضمان الضمان، الأمان الأمان. قال قد أمنت إن

---

[1] هذه الإضافة من الزيتونة.

ضمنت، وعليك الثقاف، حتى يقع الإنصاف، أو ضامن كاف، فابتدر أحد إخواني، وبعض جيراني، فأدى عني ما ظهر بالتقدير، وآلت الحال للتكدير. ثم أردت الانصراف بالتيس، لا كان كيانه، ولا كون مكانه، وإذا بالشرطي قد دار حولي، وقال لي كلف فعلي بأداء جعلي، فقد عطلت من أجلك شغلي، فلم يك عندي بما تكسر سورته، ولا بما تطفي جمرته، فاسترهن مئزري في بيته ليأخذ مايته[1]. وتوجهت لداري، وقد تقدمت أخباري، وقدمت بغباري، وتغير صغاري وكباري، والتيس على كاهل الحمال، يرغو كالبعير، ويزأر كالأسد إذا فصلت العير، فقلت للحمال أنزله على مهل، فهلال[2] التعييد قد استهل، فحين طرحه في الأسطوان. كرّ إلى العدوان، وصرخ كالشيطان، وهم أن يقفز الحيطان، وعلا فوق الجدار، وأقام الرهجة في الدار، ولم تبق في الزقاق عجوز إلا وصلت لتراه، وتسل عما

[1] في الزيتونة: ((هافته)).
[2] حرفت في الإسكوريال؛ فكتب: ((فهل)).

اعتراه، وتقول: بكم اشتراه، والأولاد قد [دارت به] [1]، وأرهقهم لهفه، ودخل قلوبهم خوفه، فابتدرت ربة البيت، وقالت كيت وكيت، لا خل ولا زيت، ولا حي ولا ميت، ولا موسم ولا عيد، ولا قريب ولا بعيد، سقت العفريت إلى المنزل، ورجعت بمعزل، ومن قال لك اشتره، ما لم تره، ومن قال لك سقه حتى توثقه، ومتى تفرح زوجتك، والعنز أضحيتك، ومتى تطبخ القدور وولدك منه معذور، وبأي قلب تأكل الشوية، ولم تخلص لك فيه النية ولقلة سعدها، وأخلف وعدها، والله لو كان العنز يخرج الكنز، ما عمر لي داراً، ولا قرب لي جواراً. أخرج عني يا لكع، فعل الله بك وصنع، وما حبسك عن الكباش السمان، والضأن الرفيعة الأثمان، يا قليل التحصيل، يا من لا يعرف الخياطة ولا التفصيل، أدلك على كبش سمين، واسع الصدر والجبين، أكحل عجيب، أقرن مثل كبش الخطيب، يعبق من أوداكه كل طيب، يغلب شحمه على لحمه، ويسيل الودك من

[1] هذه الإضافة من الزيتونة.

عظمه، قد علف بالشعير، ودبر عليه أحسن تدبير، لا بالصغير ولا بالكبير، تصلح منه الألوان، ويستطرف شواه في كل أوان، ويستحسن ثريده وقديده في سائر الأحيان، قلت: بيني لي قولك. لأتعرف فعلك. وأين توجد هذه الصفة، يا قليلة المعرفة. قالت: عند مولانا، وكهفنا ومأوانا الرييس الأعلى، الشهاب الأجلى، القمر الزاهر. الملك الظاهر، الذي أعز المسلمين بنعمته، وأذل المشركين بنقمته. واسترسل في المدح فأطال وفيما ثبت كفاية.

وفاته

في كاينة الطاعون ببلده **بلش**؛ في أواخر عام خمسين وسبعماية [1]؛ ودفن بها.

***

[1] **الموافق لـ 1349م.**

عبد الله بن إبراهيم

ابن وزمر الحجاري[1] الصّنهاجي ؛الأديب المصنف؛ يكنى أبا محمد.

حاله وأوليته

أبوه أديب **مدينة الفرج**[2] **بوادي الحجارة**، المصنف **للمأمون بن ذي النون**[3] **كتاب مغنيطاس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار**. وكان **أبو محمد** هذا ماهراً، كاتباً، شاعراً، رحالاً. سكن **مدينة شِلْب**[4]، بعد استيلاء العدو على بلاده بالثغر. وله في التحول أشعار وأخبار. قدم **غرناطة**، وقصد **عبد الملك بن سعيد** صاحب **القلعة**[5] من بنياتها، واستأذن عليه في زي موحش، واستخف به القاعدون ببابه، إلى أن لاطف

---

[1] نسبة إلى مدينة وادي الحجارة Guadaljara. وله ترجمة أيضاً في الغرب في حلى المغرب، ونفح الطيب، وكشف الظنون، وهدية العارفين.

[2] مدينة الفرج؛ اسم آخر لوادي الحجارة؛ تقع على فرع من فروع نهر التاجة؛ إلى الجنوب من الثغر الأعلى.

[3] هو أحد عظماء ملوك الطوائف؛ حكم طليطلة من سنة 435هـ/1043م إلى سنة 467هـ/1074م.

[4] مدينة شِلْب Silves؛ بلدة صغيرة؛ تتواجد في الغرب الأندلسي؛ وتقع في الجنوب البرتغالي. وإليها ينتمي ابن عمار الشاعر الوزير.

[5] تسمى قلعة بني سعيد أو قلعة يحصب؛ وتسمى الآن القلعة الملكية Alcala la Real سبق التعريف بها.

بعضهم، وسأله أن يعرف به القايد؛ فما بلغ عنه، أمر بإدخاله؛ فأنشده قصيدة مطلعها [1]:

عليــك أحالــني الذكــر الجميــل
فجيــت ومــن ثنايــك لي دليــل
أتيــت ولم أقدمك مــن رســول
لأن القلــب كــان هو الرســول

منها في وصف زيه البدوي المستقل وما في طيه:

ومثلــني بــدن فيــه خمــــر [2]
يخفــف بهــا [3] ومنظــره ثقيــل

فأكرم نزله، وأحسن إليه، وأقام عنده سنة، حتى ألف بالقلعة كتاب المسهب في غرايب **المغرب**، وفيه التنبيه على الحلى البلادية والعبادية. وانصرف إلى قصد **ابن هود**

---

[1] البحر الوافر.
[2] في المغرب: ((سرّ)).
[3] نفسه: ((به)).

بروطة، بعد أن عذله عن التحول عنه، فقال النفس تواقة، ومالي بالتغرب طاقة، ثم أفكر وقال [1]:

يقولـــون لي ماذا المـــلال تقيم في
محل فعند الأنـــس تذهب راحـــلا
فقلـــت لهم مثل الحمـــام إذا شـــدا
على غصن أمـــسى بآخر نـــازلا

نكبته

قال **علي بن موسى بن سعيد** [2]: ولما قصد الحجاري **روطة**، وحل لدى أميرها **المستنصر بن عماد الدولة بن هود** [3]. وتحرك لغزو من قصده من **البشكنس**، فهزم جيشه، وكان **الحجاري** أحد من أسر في تلك الوقيعة، فاستقر **ببسقاية** [4]، وبقي بها مدة، يحرك **ابن هود** بالأشعار

---

[1] البحر الطويل.
[2] هو الأديب المؤرخ صاحب التآليف العديدة ابن سعيد الأندلسي المغربي. سبقت الإشارة إليه.
[3] هو ابن عماد الدولة عبد الملك بن المستعين بن هود؛ وهو آخر ملوك الطوائف بسرقسطة؛ التي سقطت في أيدي المرابطين سنة 503هـ/1109م. فاضطر بعدها إلى اللجوء إلى بلدة روطة في حماية ملك الأراغون.
[4] هي تابعة لمملكة نبرة؛ وتسمى بالإسبانية Vizcaya؛

ويحثه على خلاصه من الإسار ؛ فلم يجد عنده ذمامة ، ولا تحرك له اهتمامه ، فخاطب **عبد الملك بن سعيد** بقوله [1] :

أصبحـــــت في بسقايـــة مسلمـــاً
إلى الأعـــــادي لا أرى مسلمـــــاً
مكلفـــــاً مـــا ليـــس في طاقـــتي
مصفـــــدا منتهـــــرا مرغمـــــا
أطلـــــب بالخدمـــــة واحســـرتي
وحالـــتي تقـــضي بـــأن أخدمـــا
[فهـــل كريـــم يرتـــجي للأسيـــــر
يفكـــــه أكـــــرم بـــــه منتمـــــا][2]

وقوله [3] :

أربيس الزمـــان أغفلـــت أمـــري
وتلـــذذت تاركـــــاً لـــي بأســـــر

[1] البحـر السريـع.
[2] هكـذا في الزيتونـة؛ بينمـا ورد هـذا البيـت في الإسكوريـال محرفـا كمـا يـلي: ((فهل كريـم يرتـجي لـه * فكـاك يـا أكرمـهم منتمـا)).
[3] البحـر الخفيـف.

ما كـــذا يعمـــل[1] الكــــــرام ولكـــن
قد جـــرى عـــلى المعـــود دهري

فاجتهـــد فـــي فدايـــه، [ولـــم يمـــر شهـــر][2] إلا وقـــد تخلـــص مـــن أســـره، واستقـــر لديـــه. فكـــان طليـــق **آل سعيـــد**. وفيهـــم يقـــول:

وحدنا سعيـــداً منجباً خير عصبـــة
هم في بـــني أعصارهم[3] كالمواســـم
مشنفـــــة أسماعهـــــم بمدايـــــح[4]
مســــــورة أيمانهـــــم بالصـــوارم
[فكم لهم في الحرب من فضل ناثـــر
وكم لهم في السلم من فضل ناظـــم][5]

---

[1] في الزيتونـة: ((ويفعل)).
[2] نفسـه: ((ولـم يمـر بـه أشهـر)).
[3] في كتـاب المغـرب: ((أزمانهـم)).
[4] نفسـه: ((بفضايـل)).
[5] سقـط هـذا البيـت في الإسكوريـال، والزيتونـة؛ بينمـا ورد في كتـاب المغـرب.

تواليفه

تواليف **الحجاري** بديعة، منها: ((**الحديقة في البديع**))؛ وهو كتاب مشهور، ومنها ((**المسهب في غرايب**[1] **المغرب**))؛ وافتتح خطبته بقوله: الحمد لله الذي جعل العباد من البلاد بمنزلة الأرواح من لأجساد، والأسياف من الأغماد. وهو في ستة مجلدات[2].

***

[1] في المغرب: ((فضايل)).
[2] توفي عبد الله بن إبراهيم بن وَزْمر الحجاري الصنهاجي في سنة 520هـ/1155م.

عبد الله بن محمد

ابن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني[1]؛ يكنى أبا محمد.

أوليته

تنظر في اسم جدِّه.

حاله

حسن الشكل. جيد الفهم، يغطي منه [رماد][2] السكون جمرة حركة، منقبض عن الناس. قليل البشاشة، حسن الخط، وسط النظم. كتب عن الأمراء **بالمغرب**، وأنشدهم، واقتضى[3] خلعهم وصكوكهم بالإقطاع والإحسان. ثم لما كانت الفتنة، كتب عن سلطان وطنه، معزز الخطة بالقيادة، وأنشدهم.

---

[1] لـه ترجمـة أيضاً في الكتيبـة الكامنـة، ونفـح الطيـب؛ أيـن ذكـر أنـه ((عبـد اللـه بـن محمـد بـن علـي بـن سعيـد بـن الخطيـب التلمسـاني)).

[2] في المغرب: ((أزمانـهـم)).

[3] في النفـح: ((وأقبـض صكوكهـم بالإقطاعـات والإحسـان، واختـال في خِلَعِهِـمْ؛ ثـم لمّـا كانـت الفتنـة...)).

مشيخته

قرأ على قاضي الجماعة، الشيخ الأستاذ الخطيب **أبي القاسم الحسني**، والأستاذ الخطيب **أبي سعيد فرج بن لب التغلبي،** واستظهر بعض [1] المبادي في العربية، واستجيز له من أدركه ميلاده من **أهل المشرق والمغرب**.

شعره

وشعره مترفع عن الوسط إلى الإجادة، بما يكفله [2] عذر الحداثة، وقد ثبت في اسم السلطان لهذا العهد، **أبي عبد الله بن نصر**[3]، أيده الله، ما يدل على جودة قريحته، وذكاء طبعه. ومما دون الذي ثبت له حيث ذكر قوله [4]:

---

[1] في النفح: ((ببعض)).
[2] في الزيتونة: ((يكلفه)). وفي النفح: ((الإجادة؛ يكلله..)).
[3] هو الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل؛ هو الذي استوزر ابن الخطيب. سبق الحديث عنه؛ وله ترجمة في الإحاطة.
[4] البحر الطويل.

لمــن طلــل بالــرقمتيــن محيــل
عفــت دمنتيـــــه شمـــأل وقبـــول
يلـــوح كباقي الوشـــم غيـــره البلى
وجادت عليه السحب وهي همـــول
فيا سعـــد مهـــلاً بالركـــاب لعلنـــا
نسايــل رعاً فالمحـــب سئـــــول
قف العيس ننظر نظرة تذهب الأسى
ويشـــفى بها بين الضلـــوع غليــل
وعرج على الوادي المقدس بالحمى[1]
فطـــاب لديـــــه مربـــــع ومقيــل
فيـــا حبذا تلـــك الديـــــار وحبـــذا
حديـــث بهـــا للعاشقيـــــن طويــل
دعوت لها سقيا الحمى [عندما سرى][2]
وميـــض وعـــرف للنسيـــم عليــل

[1] في الكتيبـة الكامنـة: ((والحمى)).
[2] ورد مكـان هذه العبـارة في الزيتونـة، والنفـح: ((الحمى وربوعـه)).

وأرسلــت دمــعي للغمـــام مساجلاً

فســال على الخديــن منه مسيــل

فأصبـــح ذاك الربـــع من بعد محله

رياضاً بها الغصن المروح[1] يميــل

لين حال رســم الدار عما عهدتـــه

فعهد الهوى في القلب ليس يحــول[2]

ومما شجاني بعد ما سكن الهــوى

بكـــاء حمامـــات لهـــن هديــــل

توســـدن فرع البان والنجــم مايــل

وقــد آن من جيش الظلام رحيــل

فيا صاحبي دع عنــك لومي فإنـــه

كـــلام على سمـــع المحـــب ثقيــل

تقـــول اصطباراً عن معاهدك الألى

وهيهـــات صبـــري[3] ما إليه سبيــل

---

[1] في الزيتونـة: ((الرطيـب)).
[2] أي يتغيـر.
[3] في الإسكوريـال: ((بـكى)).

فللـــه عينـــاً من رآنـــي ولـــلأسى
غــداة استقلــت بالخليــط[1] حمــول
يطــاول ليــل التــم مــني مسهــد[2]
وقــد بــان عني منــزل وخليــل
فيا ليــت شعري هل يعودن ما مــضى
وهل يسمحــن الدهــر وهو بخيــل[3]

نثره

أجابني لما خاطبت الجملة من الكتاب، والسلطان رضي الله عنه، بالمنكب، في رحلة أعملها بما نصه: ((ولله من فذة المعاني، حيث مشوق الفؤاد عاني، لما أنارت بها المغاني، غنين عن مطرب الأغاني، يا صاحب [4] الإذعاني، أجب بالله من دعاني، إذا صرت من كثرة الأماني، بالشوق والوجد مثل ماني. وردت

[1] في الزيتونة: ((بالمحيط)).
[2] في الإسكوريال، والزيتونة: ((مسعدا))؛ وصوبت من النفح.
[3] وردت هذه القصيدة بكاملها في النفح؛ وتعداد أبياتها خمسون بيتاً.
[4] في الإسكوريال: ((يا صاحبي)).

سحات سيدي التي أنشأت لغمام الرحمة، عند اشتداد الأزمة رياحاً، وملأت العيون محاسناً، الصدور انشراحاً، وأصبح رحيب قرطاسها، وعميم فضلها [ونوالها] [1]، وأيناسها لفرسان البلاغة، مغدى ومراحاً. فلم أدر أصحيفة نسخت مسطورة، أم روضة نفحت ممطورة، أطيب من المسك منشقا، وأحسن من السلك متسقا، فملكتها مقادة خاطري، وأودعتها سواد قلبي وناظري، وطلعت علي طلوع الصبح، على عقب السرى، وخلصت خلوص الخيال مع سنة الكرى. فلله ما جلبت من أنس، وأذهبت لطايفة الشيطان من مس، وهاجت من الشوق، الذي شب عمره عن الطوق، والوجد الذي أصبح واري الزند. فأقسم بباري النسيم، وواهب الحظوظ والقسم، لو أعطيت للنفس مقادتها، وسوغتها إرادتها، ما قنعت [2] بنيابة القرطاس والمداد، عن مباشرة الأرواح والأجساد، وإن أعرضت عقبة للشعير، ورأس المزاد [وشمخ بأنفه

---

[1] هذه الإضافة من الزيتونة.
[2] في الزيتونة: ((تمتعت)).

وزاد][1]، وما بين ذلك من علم باذخ، وطود شامخ، قد أذكرت العقاب عقابه، وصافحت النجوم هضابه، قد طمح بطرفه، وشمخ بأنفه، وسال الوقار على عطفه[2]:

ملكـت عنـان الريـح[3] راحتـه
فجيـادهـا مـن تحتـه تجـري

وأما الحمل الهايج، والبحر المتمايج، والطلل المايل، والذنب الشايل، فمساجلة مولاي في ذلك المجال، من المحال، إذ العبد قصاراه ألفاظ مركبة، غير مرتبة[4]:

هـو جهـد المقـل وافـاك مني
إن جهـد المقـل غيـر قليـل

وأقرأ على مولاي، أبقاه الله، سلاما عميماً، تنسم روضه نسيماً، ورف نظره، وعبق شميماً، والأوفر الأذكى منه عليه معادا، ما سفح السحاب إرعادا، وأبرق الغمام

---

[1] سقطت هذه العبارة في الإسكوريال؛ بينما وردت في الزيتونة.
[2] البحر الكامل.
[3] في الزيتونة: ((الرمح)).
[4] البحر الخفيف.

رعدا والحسام أبعادا، ورحمة الله وبركاته. من عبده الشبق لوجهه، عبد الله بن الخطيب، في الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة وستين وسبعماية [1].

مولده

بحضرة **غرناطة**، يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين وسبعماية [2].

***

[1] الموافق لـ 1367م.
[2] الموافق لـ 1342.

عبد الله بن محمد

ابن سارّه البكري [1]، شنتريني [2]، سكن ألمرية وغرناطة، وتردد مادحاً ومنتجعاً [شرقاً ومغرباً] [3]، ويضرب في كثير من البلاد.

حاله

كان ذا حظ صالح من النحو واللغة، وحفظ الأشعار، أديباً ماهراً، شاعراً مجيداً، مطبوع الاختراع والتوليد. تجول في شرق **الأندلس** وغربها، معلماً للنحو، ومادحاً ولاتها، وكتب عن بعضهم، وتعيش بالوراقة زماناً، وكان حسن الخط، جيد النقل والضبط.

مشيخته

روى عن **أبي الحسن بن الأخضر**.

---

[1] له ترجمة أيضاً في: وفيات الأعيان، وبغية الملتمس، وزاد المسافر، وقلائد العقيان، والتكملة لكتاب الصلة، والمطرب، والمغرب، والذخيرة، ومسالك الأبصار، وشذرات الذهب، ومعجم السفر للسلفي، وخريدة القصر (قسم المغرب)، والفلاكة والمفلوكون، ورايات المبرزين، وبغية الوعاة، ونفح الطيب.

[2] نسبة إلى شنترين؛ وتسمى بالبرتغالية: Santaren؛ تقع في الغرب الأندلسي على ضفاف نهر التاجة؛ شمال شرق إشبونة.

[3] هذه الإضافة من الزيتونة.

من روى عنه

روى عنه: **أبو بكر بن مسعود، وأبو جعفر بن الباذش، وأبو عثمان بن هارون، وأبو الطاهر التميمي، وأبو العباس بن علي اللص، وأبو العلاء بن الجنان. وأبو محمد بن يوسف القضاعي، وإبراهيم بن محمد السبتي.**

شعره

وشعره كثير [جيد][1] شهير. منه في حرفة الوراقة قوله[2]:

أما الوراقــة فــهي أيكــة[3] حرفــة
أغصانهــا[4] وثمــارهــا الحرمــان

شبهــت صاحبهــا بإبــرة[5] خايــط
يكســو العــراة وظهــره عريــان[6]

---

[1] أضيفت هذه الكلمة من الزيتونة.
[2] البحر الكامل.
[3] في الذخيرة، والمطرب: ((أنكد)).
[4] في الذخيرة: ((أوراقها)).
[5] في الذخيرة: ((بصاحب إبرة)).
[6] ورد هذا الشطر في الذخيرة، والمطرب هكذا: ((تكسو العراة وجسمها عريان)).

وقال في نجم الرحيم، وهو من التشبيه العقيم [1]:

وكوكــب أبصر العفريت مسترقــاً
فانقــضى يذكي سريعاً خلفه لهبــهْ[2]
كفــارس حلَّ إخصــاراً[3] عمامتــه
تجرهــا[4] كلهــا من خلفــه عذبــهْ

وقال منه في المواعظ [5]:

يا من يصيخ إلى داعي السِّفــاه[6] وقد
نادى به الناعيــان الشيب والكبــر
إن كنت لا تسمع الذكر ففيم تــرى[7]
في رأسك الواعيان السمع والبصــر

---

[1] البحر البسيط.
[2] ورد هذا الشطر في القلائد هكذا: ((فانقض يذكي له في أثره لهبهْ)).
[3] في القلايد: ((إحصاراً)).
[4] نفسه: ((فجرَّها)).
[5] البحر البسيط.
[6] في القلائد: ((السقاة)).
[7] ورد هذا الشطر في: القلائد، ووفيات الأعيان، والنفح هكذا:
((إن كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى)).

ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل
لم يهده الهاديـــان العين والأثــــــر
لا الدهر يبقى على حال[1] ولا الفلك الـــ
ـــأعلى ولا النيـــران الشمس والقمر
لأرحلـــن عن الدنيـــا ولو كرهـــاً[2]
فراقهـــا الثاويـــان البدو والحضـــر

وقال في موت ابنة له [3]:

ألا يا مـــوت كنـــت بنـــا رؤوفـــا
فجـــــددت الســــــرور[4] لنـــا بزورة
حمدنـــا سعيك المشكـــــور لمـــــا[5]
كفيـــــت[6] مؤنـــة وستـــرت عـــورة

[1] ورد هذا الشطر في القلائد، ووفيات الأعيان، والنفح هكذا:
((لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا...))
[2] ورد هذا الشطر في القلائد، ووفيات الأعيان، والنفح هكذا:
((ليرحلنَّ عن الدنيا إن كرهاً)).
[3] البحر الوافر.
[4] في القلائد، والنفح: ((الحياة)).
[5] ورد هذا الشطر في القلائد، والنفح هكذا: ((حماد لفعلك المشكور لما)).
[6] في القلائد: ((كففت)).

فأنكحنـــا الضريـــح بلا صـــــداق

وجهزنـــا العـــروس[1] بغير شـــورة

وفاته

توفي **عبد الله بن ساره** سنة تسع عشرة وخمسمائة [2].

***

---

[1] **في القلائـــد، والنفـح: ((الفتـاة)).**

[2] **الموافق لـ 1125م. وجـاء في وفيـات الأعيـان: ((وكانـت وفاتـه سنـة سبـع عشـرة وخمسمائـة بمدينـة ألمريـة مـن جزيـرة الأندلـس))؛ ومثـل هـذا ورد في التكملـة لكتـاب الصلـة.**

عبد الله بن محمد

الشرّاط [1] يكنى أبا محمد، من أهل مالقة.

حاله

طالب جليل، ذكي، مدرك، ظريف، كثير الصلف والختروانة [2] والإزراء بمن دونه، حاد النادرة، مرسل عنان الدعابة، شاعر مكثر، يقوم على الأدب والعربية، وله تقدم في الحساب، والبرهان على مسايله. استدعي إلى الكتابة بالباب السلطاني، واختص بولي العهد، ونيط به من العمل، وظيف نبيه [3]، وكاد ينمو عشبه، ويتأشب [4] جاهه، لو أن الليالي أمهلته، فاعتبط لأمد قريب من ظهوره، وكانت بينه وبين الوزير **أبي عبد الله بن الحكيم**، إحنة، تخلصه الحمام لأجلها، من كف انتقامه.

---

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في نثير فرائـد الجمـان.
[2] حرفت في الزيتونة؛ فكتبت: ((الخدعونة)). والختر: هو الإفساد، أو الغدر.
[3] في الزيتونـة: ((نبيـل)).
[4] أي: يتجمَّع.

شعـره

وشعـره كثيـر؛ لكـني لـم أظفـر منـه إلا باليسيـر. نقلـت من خط صاحبنا القاضي المؤرخ **أبي الحسن ابن الحسن**، من نظـم **أبي محمد الشراط**، في معنى، كان أدباء عصره، قد كلفوا بالنظم فيه، يظهر من هذه الأبيات في شمعة [1]:

وكنـــت ألفــت قبــل اليـــوم إلفــاً
أنـــادي مـــــرة فيجيــــب ألفـــــاً
وكنـــــا مثــل وصل العهد وصلا
وكنا مثل وصـــف الشهد وصفـــــا
ففـــرق بيننـــــا صـــرف الليـــالي
وسوغنا كـــؤس البيـــــن صرفـــا
فصـــرت غـــداة يوم البين شمعـــا
وسار فصـــار كالفســـل المصفـــا
فدمـــعي لا يتـــم أســـى وجســـمي
يغص[2] بنار وجـــدي ليـــس يطفـــا

---

[1] البحـر الوافـر.
[2] في الإسكوريـال: ((يغـط)).

ثـم في المعـنى أيضـاً [1]:

حالي وحالــك أضحت آية عجبــا

إن كنــت مغربـــاً أو كنت مغتربـــا[2]

إذا دنــوت فــإني مشعــر طربــاً

وإن نأيــت فــإني مشعــــل لهبــا

كــذاك الشمــع لا تنفــك[3] حالتــه

إلا إلى الناس مهما فارق الضربــا

مـن ذلـك أيضـاً [4]:

رحلتــم وخلفتــم مشوفكــم نسيــا

رهيــن هيام لا يمــوت ولا يحيــا

فضاقت علي الأرض واعتاص مذهبي

وما زلت في قومي[5] ولا ضاقت الدنيــا

وما باختيــار شتــت الدهر بيننـــا

وهل يملك الإنسان من أمره شيــاً

---

[1] **البحـر البسيـط.**
[2] **جاء هذا الشطر في نثير فرائد الجمان هكذا: ((إن كنت مُغترباً أو كنت مُقتربا)).**
[3] **في النثيـر: ((لا ينفـك)).**
[4] **البحـر الطويـل.**
[5] **في الزيتونـة: ((نـومي)).**

فذا أضلعي لم تخب من أجلكم جوى
وذا أدمعي لم تأل من بعدكم جريـــا
كأنني شمـــع في فـــــؤاد وأدمـــع
وقد فارقـــت من وصلكـــم ريـــــا

وذكر لي، أن هذا صدر عنه في مجلس أنس مع الوزير **أبي عبد الله بن عيسى بمالقة**، بحضرة طايفة من ظرفاء الأدباء.

وفاته

كان حيا سنة سبعمائة [1]، وتوفي **بغرناطة**، وهي على حاله من الكتابة، رحمه الله.

***

[1] **الموافق لـ 1300م.**

عبد الله بن يوسف

ابن رضوان بن يوسف بن رضوان النّجاري [1]؛ يكنى أبا القاسم، ويعرف باسم جدّه؛ من أهل مالقة، وصاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب.

حاله

هذا الفاضل نسيج وحده، فهماً وانطباعاً، ولوذعية، مع الدين والصون، معم، مخول في الخير، مستول على خصال حميدة، من خط وأدب وحفظ، مشارك في معارف جملة. كتب ببلده عدلاً رضى، وأنشد السلطان عند حلوله ببلده. ورحل عن بلده إلى **المغرب**، فارتسم في كتابة الإنشاء بالباب السلطاني، ثم بان فضله، ونبه قدره، ولطف محله، وعاد إلى **الأندلس**، لما جرت على سلطانه الهزيمة **بالقيروان** [2]، ولم ينتشله الدهر بعدها مع جملة من خواصه. فلما استأثر الله بالسلطان المذكور،

---

[1] في الكتيبة الكامنة: ((البخاري)). وله ترجمة أيضاً في: الكتيبة الكامنة، والتعريف بابن خلدون، ونفح الطيب، وجذوة الاقتباس.

[2] المقصود هنا هو السلطان المريني أبي الحسن؛ الذي انهزم أمام الأعراب والحفصيين في القيروان

موسوم التمحيص، وصير أمره إلى ولده [1] بعده، جنح إليه، ولحق ببابه، مقترن الوفادة، بيمن الطاير، وسعادة النصبة، مظنة الاصطناع، فحصل على الحظوة، وأصبح في الأمد القريب، محلا للبث وجليساً في الخلوة، ومؤتمنا على خطة العلامة، من رجل ناهض بالكل، جلد على العمل، حذر من الذكر، متقلص ذيل الجاه، متهيب [2]، غزير المشاركة، مطفف في حقوق الدول، عند انخفاض الأسعار، جالب لسوق الملك ما ينفق فيها، حار النادرة. مليح التندير، حلو الفكاهة. غزل مع العفة، حافظ للعيون، مقدم في باب التحسين والتنقيح، لم ينشب الملك أن أنس منه بهذه الحال، فشد عليه يد الغبطة. وأنشب فيه فيه براثن الأثرة، ورمى إليه بمقاليد الخدمة، فسما مكانه، وعلا كعبه، ونما عشه. وهو الآن بحاله الموصوفة، من مفاخر قطره. ومناقب وطنه، كثر الله مثله.

---

[1] المقصود هنا هو أبو عنان فارس بن أبي الحسن؛ الذي خطف الملك من والده.
[2] في الزيتونـة: ((متصيب)).

مشيخته

قرأ ببلده على المقري **أبي محمد بن أيوب**، والمقري الصالح **أبي عبد الله المهندس** [1]، والأستاذ **أبي عبد الله بن أبي الجيش**، والقاضي **أبي جعفر ابن عبد الحق**، وروى عن الخطيب المحدث **أبي جعفر الطنجالي**، والقاضي **أبي بكر بن منظور**. **وبغرناطة** عن جلة، منهم شيخنا رئيس الكتاب **أبو الحسن بن الجياب**، وقاضي الجماعة **أبو القاسم بن أحمد الحسني**، ولازم **بالمغرب** الرييس **أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي**، والقاضي **أبا إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى**، **وأبا العباس بن يربوع السبتي**. **وبتلمسان** عن **أبي عبد الله الآبلي**، **وأبي عبد الله بن النجار** وغيرهما. **وبتونس** عن قاضي الجماعة **أبي عبد الله بن السلام**. وعن جماعة غيرهم.

---

[1] **في الزيتونة: ((العبدرسي)).**

شعره

ونظمه ونثره متجاريان لهذا العهد في ميدان الإجادة.

أما شعره فمتناسب الوضع، سهل المأخذ، ظاهر الرواء، محكم الإمرة للتنقيح. وأما نثره فطريف السجع، كثير الدالة، مطيع لدعوة البديهة، وربما استعمل الكلام المرسل، فجرى يراعه في ميدانه ملء عنانه.

وجرى ذكره في **التاج**: أيام لم يفهق [1] حوضه، ولا أزهر روضه، ولا تباينت سماؤه ولا أرضه. بما نصه: أديب أحسن ما شاء، وفتح قليبه [2] فملأ الدلو وبل الرِّشاء [3]. وعانى على حداثته الشعر والإنشاء، وله ببلده بيت معمور بفضل وأمانة، ومجد وديانة. ونشأ هذا الفاضل على أتم العفاف والصون. فما مال إلى فساد بعد الكون. وله خط بارع. وفهم إلى الغوامض مسارع. وقد أثبت من كلامه، ونفثات أقلامه، كل محكم العقود، زارياً بنت [4]

---

[1] أي لم يمتلئ.

[2] في الزيتونة: ((قليله)). والقليب هو البئر.

[3] أي الحبل.

[4] في النفح: ((زارياً بابنة)).

العنقود. فمن ذلك قصيدة أنشدها للسلطان أمير المسلمين[1]، مهنيا بهلاك الأسطول الحربي بالزقاق الغربي[2]، أجاد أغراضها وسبك المعاني وراضها، وهي قوله[3]:

لعلكمـــا أن ترعيـــا[4] لـــي وسايـــلا
فباللـــه عوجـــا بالركـــاب وسايـــلا
بأوطـــان أوطـــار قفـــا ومـــآربى[5]
وبالحـــب خصا بالســـلام المنـــازلا
ألا فانشـــدا بين القبـــاب من الحمى
فؤاد شَجٍ[6] أضحى عن الجسم راحلا

[1] المقصود هنا هو أمير المسلمين أبو الحجاج يوسف سلطان بني الأحمر الذي حكم غرناطة من سنة 733هـ/1333م إلى سنة 755هـ/1354م. له ترجمة في الإحاطة.
[2] الزقاق الغربي هنا؛ هو مضيق جبل طارق. وكان النصارى القشتاليون قد ضيقوا عليه وحاصروه سنة 750هـ/1349م. ولكنهم فشلوا في مسعاهم، وانتشر بينهم وباء الطاعون؛ ومات أثناء ذلك ملكهم ألفونسوا الحادي عشر؛ فأفرجوا عن المضيق سنة 751هـ/1350م؛ بعد أن فقدوا معظم قوتهم.
[3] البحر الطويل.
[4] في الزيتونة: ((تعوجا)).
[5] نفسه: ((ومآرب)).
[6] نفسه: ((شجي)).

وبثـــا صباً بـــات هنالك واشرحـــا

لهم من أحاديـــثي عريضاً وطايـــلا

رعى اللـــه مثواكم على القرب والنوى

ولا زال هامي السحب في الربع هامـــلا

وهل لزمان باللوى[1] ســـقى اللـــوى

مـــآرب فما ألقى مدى الدهر حايلا

فحـــظي بعيـــد الدار منـــه بقربـــه

ويـــورد فيه مـــن مناه مناهـــــلا

لقد جـــار دهري أن[2] نـــأى بمطلبي

وظـــل بما أبقى[3] من القرب ماطـــلا

وحملـــني من صرفه ما يـــؤدني[4]

ومكـــن مني الخطـــوب شواغـــلا

---

[1] أضـاف د. طويـل بعد ((باللـوى)) كلمة قد؛ فأضحـت: ((باللـوى قـد سـقى...))
[2] في النفـح: ((إذ)).
[3] نفسـه: ((أبـغي)).
[4] في الزيتونـة: ((يـؤده)).

عتبـــت عليه فاغتـــدى لي عاتبـــــا

وقال اصخ ليلا تكـــن لي[1] عـــاذلا

أتعتبـــني إذ[2] قد أفدتـــك موقفـــــا

لدى أعظـــم الأملاك حلماً ونايـــلا[3]

مليك حبـــاه الله بالخلـــق الرضـــا

وأعلى له في المكرمات المنـــازلا

مليـــك علا فوق السماك فطرفـــه

غـــدا كهلال[4] الأفق يبصرنا عـــلا

إذا ما دجا ليـــل الخطوب فبشـــره

صباح وبدر لا يـــرى الدهر آفـــلا

نمـــاه من الأنصـــار غر أكـــابـــر

لهـــم شيـــم ملء الفضاء فضايـــلا

تلوا ســـور النعماء في حزبهم كمـــا

جلوا صور الأيـــام غـــراً جلايـــلا

---

[1] في النفـح: ((قط)).
[2] نفســه: ((أن)).
[3] في الزيتونـة: ((ودايـلاً)).
[4] في الإسكوريـال: ((بهـلال)).

تسامت لهـــم في المعلوات مراتــب

يــرى زحل دون المراتب زاحــلا

عصابة نصر اللـــه طابت أواخــرا

كما قد زكت أصلا وطابت أوايــلا

لقد كان ربع المجد من قبل خاليـاً

ومن آل نصـــر عاد يبصـــر آهــلا

إذا يوســف منهــم تلــوح يمينـــه

تقــول سحاب الجود والبأس هاطلا

كتايبـــه في الفتح تكتـــب أسطــرا

تبيـــن مـــن الأنفال فيها المسايـــلا

عواملـــه بالحـــذف تحكم في العـــدا

كما حكموا في حذف جزم عوامـــلا

يبدد جمـــع الكفـــر رعبـــا وهيبـــة

كمـــا بددت منه اليميـــن النوافـــلا

ومنها في وصفه الأسطول واللقاء:

ولما استقامــت بالزقـــاق أساطيـــ
ـــلُ[1] واستقلــت للعــود محافـــــلا
رآهـــا عـــدو الله فانفـــض جمعـــه
وأبصـــر أمـــواج البحـــار أساطلا
ومن دهـــش ظن السواحل أبحـــرا
ومن رعب خـــال البحار سواحـــلا
ومن جندكم هبت عليـــه عواصف
تدمر أدناهـــا الصـــلاب الجنـــادلا
تفرقهـــم أيـــدي سبـــا وتبيدهـــــم
فقد خلفت فيهـــم حسامـــا وذابـــلا
وعهـــدي بمر الريـــح للنـــار موقدا
فقد أطفأت تلك الحروب المشاعلا
وكان لهـــم برد العـــذاب ولم يكـــن
سلامـــاً وما كادوه قد عاد باطـــلا

[1] أضاف د. طويل: كلمة ((ثم)) بعد أساطليس؛ ثم حذف واو العطف في ((واستقلت))؛ فأضحت: ((أساطليس ثم استقلت...)).

حداهــم هواهــم للإســـار وللفنـــا

فما أفلتـــوا من ذا وذاك حبايـــــلا

فهم بين عان في القيـــود مصفــد

وفـــان عليه السيف أصبح صايـــلا

ستهلـــك ما بالبر منهــم جنودكـــم[1]

كما أهلكـــت من كان بالبحر عاجلا

وقال أيضاً يمدحه [2]:

نشـــرت لواء النصر واليمن والسعد

وأطلعت وجه اليسر والأمن والرفد

أعــدت لنـــا الدنيـــا نعيمـــاً ولـــذة

ألا للمعالي مـــا تعيــد ومـــا تبــد

بنـــوركـــم واللـــه يكـــلأ نوركـــم

تبدت لنا سبـــل السعـــادة والرشـــد

تحـــلى لكـــم بالملـــك نحـــر ولبة

فراق كذاك الجيد يـــزدان بالعقـــد

---

[1] في الزيتونـة: ((جنودهـم)).

[2] البحـر الطويـل. وهذه القصيـدة لم تـرد في الزيتونـة؛ بينمـا وردت في هامـش مخطـوط الإسكوريـال؛ ضمـن اللوحـة234.

مآثركـــم قد سطرتهـــا يـــد العـــلا
على صفحات الفخر أو مفرق الحمد
بمدحكـــم للقـــرآن[1] أثـــنى منـــزلا
وقد حزتم مجـــدا بجدكـــم سعـــــد
كفـــاكـــم فخـــارا أنـــه لكـــم أب
ومن فخـــره إن أنت تدعوه بالجـــد
ثنـــاؤكـــم هـــذا أم المســـك نافـــح
وذكركـــم أم عاطر العنبر الـــورد
أجل ذكركم أزكـــى وأذكى لناشـــق
كما أنكـــم أجـــلى وأعـــلا لمشهـــد
طلعـــت على الآفـــاق نورا وبهجة
فما أنت إلا البدر في طالع السعـــد
وفي جملـــة الأمـــلاك عز ورفعـــة
ودم في خلود الملك والنصر والسعد

[1] **حذف د. طويل لام من اللامين، ثم أضاف الألف؛ فأضحت: ((القرآن)).**

ولو أنـــني فقـــت سجـــان وايـــل
وأربيت في شعري على الشاعر الكنـــد
لما قمت بالمعشار من بعض مالكم
من الجـــود والأفضال والبذل والرفد

وقال في شيخه أبي بكر بن منظور رحمه الله [1]:

جلالـــــك أولـــى بالعـــــلا المخلـــــد[2]
وذكرك أعلى الذكـــر في كـــل مشهـــد
لمجـــدك كـــان العـــز يذخـــر والعـــلى
وأنـــك لـــلأولى بأرفـــــع ســـــؤدد
أبـــى اللـــه إلا أن تكـــــون مشرفـــــاً
بمقعـــد خيـــــر العالميـــــن محمـــــد
فهنيـــت بالفخـــــر الســـني محلـــــه
وهنيـــت بالمجـــــد الرفيـــع المجـــدد
شهـــدت بمـــا أوليتـــني من عـــوارف
وخولـــت من نعـــمي وأسديـــت من يـــد

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **جعلها د. طويل: ((المخلد)).**

وما حــزت من مجــد كريــم نجــاره
ومــا لــك من مجــد ورفعــة محتــد
لقـــد نبــأتــني بالــرواح[1] لعزكـــم
مخايــل إسعــــاد تــــروح وتغتــــد[2]
تحدثــني نفـــسي وإنـــي لصــادق
بــأن سوف تلقى كامــلا كــل مقصــد
دليــلي بهــذا أنــك الماجــد الـــذي
تســامى علــوا فــوق كــل ممجــد
ليفخــر أولــو الفخــر المنيــف بأنكــم
لهــم علــم أعــلى بــه الكــل مقتــدي
إمــام علــوم معتــلي القدر لم يــزل
رداء المعــالي والعـــوارف يرتــد[3]
وقــاض إذا الأحكــام أشكــل أمرهــا
جــلا لهــا بــرأي الحقيقــة مرشــد[4]

---

[1] في الإسكوريـال: ((باللعـام)).
[2] أضـاف د. طويـل ((اليـاء))؛ فأضحـت: ((وتغتـدي)).
[3] أضـاف د. طويـل ((اليـاء))؛ فأضحـت: ((يرتـدي)).
[4] أضـاف د. طويـل ((اليـاء))؛ فأضحـت: ((مرشـدي)).

إذا الحـــق أبـــدى نـــوره عند حكمــه

رأيـــت لـــه حـــــد الحســـام المهنــد

وإن جميـــع الخلـــق في الحـــق عنــده

سواسيـــة مـــا بيــــن دان وسيـــــد

هنيـــاً لنـــا بـــل للقضـــــاء وفضلـــه

بقـــاض حليـــم في القضـــاء مســـدد

أمـــات بـــه الرحمـــن كـــل ضلالـــة

وأحيـــــا بما أولاه شرعـــة أحمـــــد

وكايـــن تـــراه لا يــــزال مـــلازمـــا

لأمـــر بعـــرف أو لـــــزام بمسجـــــد

وما زال قـــدمـــاً للحقيقـــــة حاميـــــا

وللشرعة البيضـــاء يهـــدي ويهتـــــدي

ويمنـــــح أفضـــــالا ويـــولي أياديـــاً

وإحســـــانــــه للمعتفيـــــن بمرصــد

يقيـــــد أحـــــراراً بمنطــــق جـــوده

فما إن يـــني عن مطلـــق أو مقيـــــد

نعـــم إن يكـــن للفضل شخـــص فإنمـــا
بشيمتـــه الغـــراء في الفضـــل يبتـــدي
أيـــا ناثـــراً أســـنى المعـــارف والغنـــا
ويا طارقـــا يطوي الســـرى كل فدفـــد
ألا الـــق عصا التسيـــار واعـــش لنـــــاره
تجـــد خـــر نار عندهـــا خيـــر موقـــد

ومن مقطوعاته وقوله [1]:

تبـــرأت من حولي إليـــك وأيقـــنت
برحمـــاك آمـــالي فصـــح[2] يقيـــني
فلا أرهـــب الأيام إذ كنت ملجـــأي[3]
وحســـبي يقيـــني باليقيـــن[4] يقيـــني

ومن شعره لهذا العهد منقولا من خطه، قال مما نظمه فلان، يعني نفسه في كتاب الشفا، نفع الله به [5]:

---

[1] البحر الطويل.
[2] في الكتيبة، والنفح: ((أصَحَّ)).
[3] في النفح: ((ملجأ)).
[4] في الكتيبة: ((فاليقين)).
[5] البحر الكامل.

سل بالعلى وسنى المعارف يبهر
هل زانها إلا الأيمة معشر
وهل للمفاخر[1] غير ما شهدت به
آي الكتاب وخارتها الأعصر
هم ما هم شرفاً ونيل مراتب
يوم القيام إذا يهول المحش
ورثوا الهدى عن خير مبعوث به
فخرا هديهم للنعيم[2] الأكبر[3]
وعياض[4] الأعلى قداحاً في العلى
منهم وحوله الفخار الأظهر
بشفايه[5] تشفى الصدور وإنه
لرشاد نار به الشهاب النير[6]

[1] جعلها د. طويل: ((المفاخر)).
[2] جعلها د. طويل: ((هَدِيُّهُمُ النعيم)).
[3] ورد هذا الشطر في الزيتونة هكذا: ((ففخارهم حول العظيم الأكبر)).
[4] المقصود هو الفقيه عياض بن موسى اليحصبي السبتي (476 - 544هـ). سبق ذكره؛ وله ترجمة في الإحاطة.
[5] المقصود هو كتاب عياض: ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)).
[6] جعل د. طويل الشطر هكذا: ((لرشاد نار بالشهاب النَّيِّر)).

هو للتوالـــف روح صورتها وقـــل

هو تـــاج مفرقهـــا البـــهي الأنـــور

أفنـــت محاسنـــه المدايح مثـــل ما

لمعيـــده بعـــد الثنـــاء الأعطـــــر

ولـــه اليـــد البيضـــاء في تأليفـــه

عنـــد الجميـــع ففضلهـــا لا ينكـــر

هو مورد الهيـــم العطـــاش هفـــت

بهم أشواقهم فاعتاض منه المصدر

فبه ننال من الـــرضى ما نبتـــغي

وبكونـــه فينـــا نغـــــاث ونمطـــر

أنظر إليه تميمـــة مـــن كـــل مـــا

تخـــشى من الخطب المهول وتحذر

لكأنـــني بـــك يا عيـــــاض مهنـــأ

بالفـــوز والمـــــلأ العـــلي مبشـــر

لكأنني بـــك يـــا عيـــاض منعمـــا

بجوار أحمـــد يعتـــلي بك مظهـــر

لكأنـــني بـــك يـــا عياض متوجـــاً
تاج الكرامـــة عنـــد ربـــك تخبـــر
لكأنـــني بـــك راويـــاً من حوضـــه
إذ لا صـــدى ترويـــه إلا الكوثـــر
فعـــلى محبتـــه طويـــت ضمايـــرا
وضحت شواهدهـــا بكتبـــك تؤثـــر
ها إنهن لشرعـــة الهـــادي الرضا
صدف يصان بهن منهـــا جوهـــر
فجـــــزاك رب العالميـــن تحيـــة
يهـــب النعيـــم سريرهـــا والمنبـــر
وسقى هزيم الودق مضجعك الـــذي
ما زال بالرحـــمى يـــؤم ويعمـــر

وقال في محمل الكتب [1]:

أنا الحبر في حمل العلوم وإن تقـــل
بـــأني حـــلي عن حلاهـــن تعـــدل

[1] **البحر الطويل.**

أقيد ضروب العلم ما دمت قايمـــا

وإن لم أقــم فالعلــم عن بمعــزل

خدمــت بتقــوى اللـــه خير خليفه

فبـــوأني من قربـــه خيـــر منـــزل

أبا سالـــم لا زال في الدهـــر سالما

يسوغ من شرب المنا[1] كـــل منهـــل

وكان قد رأى ليلة الاثنين الثانية لجمادى الأولى عام ستين وسبعماية [2] في النوم، كأن الوزير **أبا علي بن عمر بن يخلف بن عمران الفدودي**، يأمره أن يجيب عن كلام من كتب إليه. فأجاب عنه بأبيات نظمها في النوم، ولم يحفظ منها غير هذين البيتين [3]:

وإنـــي لأجـــزي[4] بمـــا قـــد أتـــاه

صديقي احتمـــالا لفعل الحرفـــاء[5]

---

[1] في الزيتونـة: ((العلا)).
[2] الموافق لـ 1358م.
[3] البحـر المتقـارب.
[4] في الزيتونـة: ((لأنجـز)).
[5] جعلهـا د. طويـل: ((الحفـاء)).

بتمكيـــن ود وإثبـــــات عهــــد

وإجـــــزال حمـــــد وبـــذل حياء

ومن نظمه في التورية [1]:

وبخيـــل لمـــا دعـــــوه لسكـــنى

منـــزل بـــالجنـــان ضـــن بـــذاك

قـــال لـــي مخـــزن بداري فيـــه

جـــل مـــا لي فلســـت للدار شاك[2]

لا تعرج على الجنـــان بسكـــنى

ولتكـــن ساكنـــاً بمخـــزن مالـــك[3]

ومن ذلك أيضا [4]:

يا رب منشـــأة عجبـــت لشأنهـــا

وقد احتوت في البحر أعجب شان

سكنـــت بجنبها[5] عصابـــة شـــدة

حلـــت محـــل الروح في الجثمان

---

[1] البحر الخفيف.

[2] ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((كل ما لي فلست للدار تارك)).

[3] مالك هنا من الملائكة؛ وهو خازن جهنم)).

[4] البحر الكامل.

[5] في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب: ((بجنبيها)).

فتحركــت بــإرادة مــع أنهــا

في حسنها[1] ليســت من الحيــوان

وجــرت كمــا قد شــاء سكانهــا

فعلمــت أن الســر في السكــان

ومن ذلك أيضاً قوله [2]:

وذي خـــدع دعـــوه لاشتغـــال

ومــا عرفــوه غثــاً من سميـــن

فأظهــر[3] زهـــده وغــنى بمـــال

وجيــش الحــرص منه في كميــن

وأقســـم لا فعلـــت[4] بمــن[5] خــب

فيـــا عجبــاً لخــلاف[6] مهيـــن

يقـــد بسيـــره ويميــن حلـــف[7]

ليأكــل باليســـار وبــاليميـــــن

[1] في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب: ((جنسها)).
[2] البحر الوافر.
[3] في الكتيبة: ((فيظهر)).
[4] نفسه: ((قبلت)).
[5] في الكتيبة، والنفح: ((يمين)).
[6] نفسهما: ((لحلاف))؛ بالحاء المهملة.
[7] نفسهما: ((يغرّ بسيره ويمين حنث)).

شيء من نثره

خاطبته من مدينة **سلا** بما نصه، حسبما يظهر من غرضه [1]:

مرضـــت فأيـــامي لذاك مريضة
وبـــرؤك مقرون ببرئي اعتلالهـــا
فما راع ذاك الذات للضر رائـــع
ولا وسمت بالقســـم[2] غــر خلالهـــا

وينظر باقي الرسالة في خبر التعريف بمؤلف الكتاب [3] فراجعني عن ذلك بما نصه [4]:

مـــتى شيـــت ألقى من علايك كل ما
ينيـــل من الآمـــال خيـــر منالهـــا
كبر اعتـــلال من دعايـــك زارنـــي
وعـــادات بر لم ترم عن وصالهـــا

---

[1] البحر الطويل.
[2] في الزيتونة: ((بالضر)).
[3] أي في القسم الخامس من نسخة الإحاطة هذه.
[4] البحر الطويل.

أبقى الله ذلك الجلال الأعلى متطولاً بتأكيد البر، متفضلاً بموجبات الحمد والشكر. وردتني سماة سيدي المشتملة على معهود تشريفه، وفضله الغني عن تعريفه، متحفياً في السؤال عن شرح الحال، ومعلناً ما تحلى به من كرم الخلال، والشرف العال، والمعظم على ما يسر ذلك الجلال، الوزاري، الرياسي، أجراه الله على أفضل ما عوده، كما أعلى في كل مكرمة يده، ذلك ببركة دعايه الصالح، وحبه المخيم بين الجوانح. والله سبحانه المحمود على نعمه، ومواهب لطفه وكرمه، وهو سبحانه المسئول أن يسنى لسيدي قرار الخاطر، على ما يسره في الباطن والظاهر. بمن الله وفضله، والسلام على جلاله الأعلى ورحمة الله وبركاته. كتبه المعظم الشاكر، الداعي المحب، **ابن رضوان** وفقه الله.

ومما خاطبني به، وقد جرت بيني وبين المتغلب على دولتهم، رقاع، فيها سلم وإيقاع ما نصه: ((يا سيدي الذي علا مجده قدرا وخطرا، وسما ذكره في الأندية الحافلة ثناء وشكرا، وسما فخره في المراتب الدينية

والدنيوية حمداً وأجراً، أبقاك الله جميل السعي، أصيل الرأي، سديد الرمي، رشيد الأمر والنهي، وممدوحاً من بلغاء زمانك، بما يقصر بالنوابغ [1] والعشي، مفتوحاً لك باب القبول، عند الواحد الحق. وصلني كتابك الذي هو للإعجاز آية، وللإحسان غاية، ولشاهد الحسن تبريز، ولثوب الأدب تطريز، وفي النقد إبريز، وقفت منه على ما لا تفي العبارة بعجايبه، ولا يحيد الفضل كله عن مذاهبه، من كل أسلوب طار في الجو إعراباً وإغراباً، وملك من سحر البيان خطاباً، وحمد ثناه مطالاً وحديثاً مطاباً، شأن من قصر عن شأو البلغاء، بعد الإغياء، ووقف دون سباق البديع بعد الإعياء، فلم يشق غباره، ولا اقتفيت إلا بالوهم آثاره، فلله من سيدي إتحاف سر ما شاء، وأحكم الإنشاء، وبر الأكابر والإنشاء، فما شئت من إفصاح وكتابة، وبر ورعاية، وفهم وإفهام، وتخصيص وإبهام، وكبح لطرف النفس وقمع، وخفض في الجواب ورفع، وتحرج وتورع، وترقص وتوسع، وجماع

---

[1] في الزيتونة: ((بالتوابع)).

وأصحاب، وعتب وإعتاب، وإدلال على أحباب، إلى غير ذلك من أنواع الأغراض، والمقاصد السالمة جواهرها من الأعراض، جملة جمعت المحاسن، وأمتعت السامع والمعاين، وحلت من امتناعها مع السهولة الحرم، إلا من زاد الله تلك المعارف ظهوراً، وجعلها في شرع المكارم هدى ونوراً. وأما شكر الجناب الوزاري، أسماه الله، بحكم النيابة عن جلالكم، فقد أبلغت فيه حمدي، وبذلت ما عندي، وودي لكم ودي، ووردي لكم من المخالصة لكم وردي، وكل حالات ذلك الكمال، مجمع على تفضيله، معتمد من الثناء العاطر بإجماله وتفصيله. وأما مؤديه إليكم أخي وسيدي الفقيه المعظم، قاضي الحضرة وخطيبها، **أبو الحسن**، أدام الله عزته، وحفظ أخوته، فقد قرر من أوصاف كمالاتكم، ما لا تفي بتقريره الأمثلة من أولي العلم بتلك السجايا الغر، والشيم الزهر، وما تحليتم من التقوى والبر، والعدل والفضل، والصبر والشكر، وتحمل المتاعب في أمور الجهاد، وترك الملاذ والدعة في مرضاة رب العباد، والإعراض عن

الفانية، والإقبال على الباقية، فيا لها من صفات خلعت السعادة عليكم مطارفها، وأجزلت عوارفها، وجمعت لكم تالدها وطارفها، زكى الله ثوابها وجدد أثوابها، ووصل بالقبول أسبابها. وذكر لي أيضاً من حسناتكم، المنقبة الكبيرة، والقربة الأثيرة، في إقامة المارستان بالحضرة [1]، والتسبب في إنشاء تلك المكرمة المبتكرة، التي هي من مهمات المسلمين بالمحل الأعلى، ومن ضروريات الدين بالمزية الفضلى، وما ذخره القدر لكم من الأجر، في ذلك السعي المشكور، والعمل المبرور، فسرني لتلك المجادة، إحراز ذلك الفضل العظيم، والفوز بثوابه الكريم، وفخره العميم. ومعلوم، أبقاكم الله، ما تقدم من ضياع الغربا والضعفاء، من المضي فيما سلف هنالك، وقبل ما قدر لهم من المرتفق العظيم وبذلك، حتى أن من حفظ قول **عمر** رضي الله عنه، والله لو ضاعت نخلة بشاطئ الفرات، لخفت أن يسأل الله عنها **عمر**. لا شك في أن من تقدم من أهل الأمر هنالكم، لا بد من سؤاله عمن ضاع

[1] **المقصود هنا هو المارستان الكبير الذي شيده ابن الخطيب في غرناطة خلال وزارة الثانية؛ حيث ذكر أنه يفوق مارستان القاهرة سعة وروعة.**

لعدم القيام بهذا الواجب المغفل. والحمد لله على ما خصكم به من مزية قوله صلى الله عليه وسلم، "إذا أراد الله بخليفة خيراً، جعل له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه" . وأما **كتاب المحبة** [1] فقد وقف المعظم على ما وجهتهم منه، وقوفاً ظهر بمزية التأمل، وعلم منه ما ترك للآخر للأول، ولم يشك في أن الفضل للحاكي، وشتان بين الباكي والمتباكي. حقا لقد فاق التأليف جمعاً وترتيباً، وذهب في الطرق الصوفية مذهباً عجيباً. ولقد بهرت معانيه كالعرائس المجلوة حسناً ونضارة، وبرعت [2] بدايعه وروايعه سنى وإنارة، وألفاظاً مختارة، وكؤوسا مدارة، وغيوثاً من البركات مدرارة، أحسن بما أدته تلك الغرر السافرة، والأمثال السايرة، والخمايل الناظرة، واللآلئ الفاخرة، والنجوم الزاهرة. وأما إنه لكتاب تضمن زبدة العلوم، وثمرة الفهوم، وإن موضعه للباب اللباب، وخلاصة الألباب، وفذلكة الحساب، وفتح الملك

---

[1] كتاب المحبة؛ هو من أهم مؤلفات ابن الخطيب؛ تناول في موضوعه التصوف. وعنوانه هو ((روضة التعريف بالحب الشريف)).

[2] في الزيتونة: ((وبهرت)).

الوهاب، سنى الله لكم ولنا كماله، وبلغ الجميع منا آماله، وجعل السعي فيه خالصاً لوجهه، وكفيلاً بمعرفته بمنه وكرمه، وهو سبحانه يبقي بركتكم، ويكلأ ذاتكم الكريمة وحوزتكم، بفضله [وطوله وقوته][1] والسلام الكريم[2] يخصكم به كثيراً أثيراً، معظم مقداركم، وملتزم إجلالكم وإكباركم، **ابن رضوان**، وفقه الله، وكتب في الثامن والعشرين لرجب من عام سبعة وستين وسبعمائة))[3].

وهو الآن بحاله الموصوفة، أعانه الله. وله تردد إلى حضرة **غرناطة**، واجتياز وإلمام[4].

***

---

[1] **في الزيتونة: ((وقوته وحوله)).**

[2] **في الإسكوريال: ((الكثير))؛ وصوبت من الزيتونة.**

[3] **الموافق لـ 1365م.**

[4] **ورد في جذوة الاقتباس أن وفاة ابن رضوان حدثت في ((آنفا)) سنة 783هـ.**

عبد الله بن عبد الرحمن

ابن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن محمد بن عبد الله ابن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد ابن عمار بن ياسر؛ غرناطي، قلعي [1] الأصل؛ سكن مالقة.

حاله

قال صاحب **الطالع** [2] هو المشهور **باليربطول** [3]. زاد على أخيه بخفة الروح، وطيب النوادر، واختار سكنى **مالقة**، فما زال بها، يمشي على كواهل ما تعاقب فيها من الدول، ويقلب طرفه، مما نال من ولاياتها [4]، بين الخيل والخول، حتى أن **ابن عسكر**، قاضي **مالقة** وعالمها، كان من جملة من مدحه، وتوسل بها إلى بلوغ أغراضه عند القوم، وصنف له شجرة **الأنساب السعيدية**. وكان قبيح المنظر، مع كونه من رياحين الفضل والأدب. فمن الحكايات المتعلقة بذلك، أنه دخل يوماً على الوالي

---

[1] نسبة إلى قلعة يحصب ((قلعة بني سعيد)). عرفت من قبل.
[2] هو كتاب الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد؛ لعلي بن موسى بن سعيد الأندلسي.
[3] في الزيتونة: ((اليرطول)). وقد تكون كلمة إسبانية.
[4] نفسه: ((ولايتها)).

بغرناطة، السيد **أبي إبراهيم**[1]، وجعل يساره، وكان مختصاً به، واقتضى ذلك أن رد ظهره للشيخ الفقيه الجليل، عميد البلدة، **أبي الحسن سهل بن مالك،** ثم التفت فرد وجهه إليه، وقال اعتذر لكم بأمر ضروري فقال **أبو الحسن**، إنما تعتذر لسيدنا، فانقلب المجلس ضحكاً. ومنها أنه خرج إلى سوق الدواب مع **ابن يحيى الحضرمي** المشهور أيضاً بخفة الروح، وكان مسلطاً على **بني سعيد**، فبينما هو واقف، إذ النخاس ينادي على فرس: فَمٌ يشرب من القادوس، وعين تحصد بالمنجل، فقال له يا قايد **أبا محمد**، سر بنا من هنا لئلا تؤخذ من يدي، ولا أقدر لك بحيلة، فعلم مقصده، ولم يخفف عليه أن تلك صورته، فقال سل جارتك عنها، فمضى لأمه، وأوقع بينها وبينه، فحلف أن لا يدخل عليها الدار. قال **أبو عمران بن سعيد**، واتفق أن جزت بدار **أم الحضرمي**، فرأيته إلى ناحية، وهو كثيب منكسر، فقلت له ما خبرك يا **أبا يحيى،** فقال لي عن أمه وعن نفسه: النساء يرمين

[1] **هو أبو إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الموحدي.**

أبناء الزنا صغارا، وهذه العجوز الفاعلة الصانعة، ترميني ابن خمسين سنة، فقلت له وما سبب ذلك، فقال ابن عمك **يوسف** الجمال، لا أخذ الله له بيد، فما زلت حتى أصلحت بينها وبينه.

ومن نوادر أجوبته المسكتة، أنه كان كثير الخلطة **بمراكش** لأحد السادة، لا يفارقه، إلى أن ولي ذلك السيد، وتمول، واشتغل بدنياه عنه، فقيل له، نرى السيد فلاناً أضرب عن صحبتك ومنادمتك، فقال، كان يحتاج إلى وقتاً كان يتبخر بي، وأما اليوم فإنه يتبخر بالعود والند والعنبر. وقال له شخص كان يلقب بفسيوات في مجلس خاص، أي فائدة في **اليربطول**، وفيم ذا يحتاج إليه، فقال له لا تقل هذا، فإنه يقطع رايحة الفسا، فود أنه لم ينطق. وتكلم شخص من المترفين فقال، أمس بعنا الباذنجان التي بدار خالتي، بعشرين مثقالا، فقال لو بعتم الكريز التي فيها لساوى أكثر من ماية.

وأخباره شهيرة، قال **أبو الحسن علي بن موسى،** وقعت في رسايل الكاتب الجليل، شيخ الكتاب **أبي زيد**

الفازازي، على رسايل في حق **أبي محمد اليربطول**، ومنه إليه، فمنها في رسالة عن السيد **أبي العلاء** صاحب **قرطبة**، إلى أخيه **أبي موسى** صاحب **مالقة**، ويصلكم به إن شاء الله، القايد الأجل الأكرم، الحسيب الأمجد الأنجد، **أبو محمد** أدام الله كرامته، وكتب سلامته، وهو الأكيد الحرمة، القديم الخدمة، المرعي [الماتة والذمة] [1] المستحق البر في وجوه كثيرة، ولمعان أثيرة، منها أنه من عقب **عمار بن ياسر** رضوان الله عليه، وحسبكم هذا مجداً مؤثلاً، وشرفاً موصلاً، ومنها تعين بيته وسلفه، واختصاصهم من النجابة والظهور، بأنوه الإسم وأشرفه، وكونهم بين معتكف على مضجعه، أو مجاهد بمرهفه ومثقفه، ومنها سبقهم إلى هذا الأمر العزيز، وتميزهم بأثرة الشفوف والتمييز، ومنها الانقطاع إلى أخيكم ممد ومورده ومصدره وكرم مغيبه ومحضره؛ وهذه وسائل شتى؛ وأذمة قلما تأتى لغيره.

---

[1] **في الزيتونة: ((الأمانة والحرمة)).**

فاته

كانت وفاته **بمالقة** بعد عشرين وستماية. قال الرييس، **أبو عمر بن حكم**، شاهدته قد وصل إلى السيد **أبي محمد البياسي** أيام ثورته [1]، وهو **بشنتلية** [2] مع وفد **مالقة** بالبيعة سنة ثنتين وعشرين وستماية [3].

***

[1] المقصود هو الأمير الموحدي أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي. كان والياً على جيان بالأندلس. ولما اضطرب أمر الدولة الموحدية؛ وخروج عبد الله بن يعقوب المنصور بالأندلس؛ معلناً نفساً خليفة، وتسمى بالعادل؛ خالفه أبو محمد البياسي هذا؛ داعياً بدوره إلى نفسه وسيطر على منطقة جيان وأبدة وبياسي ثم قرطبة؛ وبقي على ذلك زهاء ثلاثة أعوام (621هـ/1224م - 623هـ/1226م؛ وبعدها ثار عليه أهـ قرطبة وقتلوه؛ بسبب محالفته للنصارى.

[2] يقع حصن شنتليه أو شنت ياله؛ بالقرب من نهر شنيل جنوبي قرطبة، وشرقي إستجة.

[3] الموافق لـ 1225م.

***

عبد الله بن عبد البر

ابن سُليمن بن محمد بن محمد بن أشعث الرُّعيني [1]، من أهل أرجدونه [2]، من كورة ريّه؛ يكنى أبا محمد، ويعرف بابن أبي المجد.

حاله

كان من أعلام الكور [3] سلفاً، وترتباً، وصلاحاً، وإنابة، ونية في الصالحين، متسع الذرع للوارد، كثير الإيثار بما تيسر، مليح التخلق، حسن السمت، طيب النفس، حسن الظن، له حظ من الطلب، من فقه وقراءات وفريضة، وخوض في طريقة الصوفية، وأدب لا بأس به، قطع عمره خطيباً وقاضياً ببلده، ووزيراً، وكتب بالدار السلطانية، في كل ذلك لم يفارق السداد.

---

[1] له ترجمة أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب؛ حيث ذكر أنه: ((عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان بن محمد بن أشعب الرعيني)).

[2] تسمى أيضاً أرشذولة Archidona؛ وهي بلدة قديمة؛ تقع في منطقة جبلية وعرة شمالي مالقة. وتعد قاعدة لكورة رُيّة.

[3] في النفح: ((الكورة)).

مشيخته

قرأ على الأستاذ الجليل **أبي جعفر بن الزبير**. رحل إليه من وطنه عام اثنين وتسعين وستماية [1]، ولازمه وانتفع به، أخذ عنه الكتاب العزيز والعربية، وسمع عليه الكثير من الحديث، وعلى الخطيب الصوفي المحقق **أبي الحسن فضل بن محمد بن فضيلة المعافري**، وعلى الخطيب المحدث **أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد**، وسمع على الشيخ القاضي الراوية **أبي محمد النبعدي**، والوزير المعمر المحدث الحسيب **أبي محمد عبد المنعم بن سماك العاملي**، والعدل الراوية **أبي الحسن بن مستقور**. وقرأ **بمالقة** على الأستاذ **أبي بكر بن الفخار**، وأجازه من أهل **المشرق** طائفة.

---

[1] **الموافق لـ 1292م.**

شعره

مما حدثني ابن أخته صاحبنا **أبو عثمن بن سعيد**.

قال: نظم الفقيه القاضي الكاتب **أبو بكر بن شبرين** ببيت الكتاب مألف الجملة، رحمهم الله، هذين البيتين [1]:

ألا يا محب المصطفى زد صبابة
وضمــخ لسان الذكــر منه بطيبه
ولا تعبـــأن بالمبطليــن فإنمــا
علامــة حــب اللــه حــب حبيبه

فأخذ الأصحاب في تذييل ذلك. فقال الشيخ **أبو الحسن ابن الجياب** رحمه الله [2]:

فمن يعمر الأوقــات طراً بذكــره
فليس نصيب في الهدى كنصيبــه
ومن كان عنه معرضاً طول دهره[3]
فكيــف يرجيــه شفيــع ذنوبـــه

[1] **البحر الطويل.**
[2] **البحر الطويل.**
[3] **في النفح: ((عمره)).**

وقال **أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية** [1]:

ألَيس الذي جلى دجا الجهل هديـــه
بنـــور أقمنـــا بعـــده نهتـــدي بـــه
ومن لم يكن من دأبه[2] شكر منعـــم
فمشهـــده[3] في النـــاس مثـــل مغيبه

وقال أبو بكر بن أرقم [4]:

نبي هدانـــا من ضلال وحيـــرة
إلى مرتـــقى سامي المحل خصيبه
فهل يذكر[5] الملهوف فضل مجيـــره
ويغمط شـــاكي الداء شكر طبيبـــه

وانتهى القول إلى الخطيب **أبي محمد بن أبي المجد** فقال رحمه الله مذيلاً كذلك [6]:

---

[1] البحر الطويل.
[2] في النفح: ((من ذاته)).
[3] أي فشهوده.
[4] البحر الطويل.
[5] في النفح: ((ينكر)).
[6] البحر الطويل.

ومن قـــال مغروراً حجابك ذكره

فذلـــك مغمـــور طريـــد عيوبـــه

وذكـــر ســـول اللـــه فرض مؤكد

وكـــل محـــق قايـــل بوجوبـــه

وقال يوماً شيخنا **أبو الحسن بن الجياب** هذين البيتين على عادة الأدباء في اختبار الأذهان [1]:

جاهـــد النفـــس جاهـــدا فـــإذا ما

فنيـــت عنـــك فـــهي عين الوجود

وليكـــن حكمـــك[2] المســـدد فيهـــا

حكـــم سعـــد[3] في قتلـــــه لليهـــود

قال، فأجابه أبو محمد بن أبي المجد [4]:

أيهـــا العـــارف المعبـــر ذوقـــا

عن معـــان غزيـــرة في الوجـــود

---

[1] البحر الخفيف.

[2] في النفح: ((حكمها)).

[3] هو الصحابي سعد بن معاذ؛ الذي أصدر الحكم في يهود بني قريضة..

[4] البحر الخفيف.

إن حـــال الفنــا[1] عن كـــل غيـــر

لمقـــام[2] المـــراد غيـــر المريـــد

كيف لي بالجهـــاد[3] غيـــر معـــان

وعـــــدوه[4] مظاهـــــر بجنـــــود

ولو أنـــي حكمـــت فيمـــن ذكرتم

حكـــم سعـــد لكنت جـــد سعيـــد

فأراهـــــا صبابـــة[5] بـــي فتونـــاً

وأرانـــي فـــي حبهـــا كيزيـــــد

ســـوف أسلـــو بحبكم[6] عن سواهـــا[7]

ولو أبـــدت فعل المحـــب الودود

---

[1] في النفـح: ((الفنـاء))؛ بالـهمـزة.
[2] نفسـه: ((كمقـام)).
[3] في الإسكوريـال: ((بالجمـاد)).
[4] في النفـح: ((وعـدوي)).
[5] في الإسكوريـال، والنفـح: ((حبابـة)).
[6] في النفـح: ((بنصحكـم عن هواهـا)).
[7] في الإسكوريـال: ((هداهـا)).

ليـــس شـــــيء ســـوى إلآهك يبقى
واعتبـــر صـــــدق ذا بقـــول لبيـــد[1]

وفاته

توفي رحمه الله، ليلة النصف من شعبان المكرم عام تسعة وثلاثين وسبعماية [2]. وكان يجمع الفقراء ويحضر طائفتهم، وتظهر عليه حال، لا يتمالك معها، وربما أوحشت من لا يعرفه بها.

***

[1] يشير إلى قول لبيد بن ربيعة:
((ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل)).
[2] الموافق لـ 1338م.

عبد الله بن فارس

ابن زيان، من بني عبد الواد، تلمساني، يكنى أبا محمد، وينتمي إلى بني زيان، من بيت أمرائهم [1]. كذا نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الطاهر...... [2] قاضي الجماعة أبي جعفر بن فركون. وله بأحواله عناية، وله إليه تردد كثير وزيارة. قال ورد الأندلس مع أبيه، وهو طفل صغير، واستقر بقتورية في ديوان غزانها [3].
ولما توفي أبوه، سلك مسلكه برهة، ورفض ذلك،
وجعل يتردد بين الولد، وانقطع لشأنه.

حاله

هذا الرجل غريب النزعة في الانقطاع عن الخلق، ينقطع ببعض **جبال بني مشرف**، واتخذ فيها كهوفاً وبيوتاً من الشعر أزيد من أربعين عاماً، وهلم جرا، منفردا، لا يداخل أحداً، ولا يلابسه من **العرب**، ويجعل الحلفاء في عنقه............... [4] أختلف فيه، فمن ناسب ذلك إلى

---

[1] سقطت هذه الترجمة في الزيتونة؛ بينما وردت في هامش مخطوط الإسكوريال؛ باللوحة 239؛ وكان بها بعض المحو والخلل.
[2] بياض في هذا الحيز.
[3] هكذا. ويبدو أنها صحفت؛ والصحيح هو: ((ديوان غزاتها))؛ بالتاء المثناة الفوقية.
[4] توجد هنا كلمات ممحاة تعذر قراءتها.

التلبيس وإلى لوثة تأتيه، وربما أثاب بشيء، ويطلبون دعاه ومكالمته، فربما أفهم، وربما أبهم.

محنته

ذكروا أنه ورث عن أخ له ما لا غنياً، وقدم **مالقة**، وقد سرق تاجر بها ذهباً عينا، فاتهم بها، فجرت عليه محنة كبيرة من الضرب الوجيع، ثم ظهرت براءته، وطلب الحاكم الجاير منه العفو، فعفا عنه، وقال لله عندي حقوق وذنوب، لعل بهذا أكفرها، وصرف عليه المال فأباه، وقال لا حاجة لي به مال سوء، وتركه وانصرف، وكان من أمر انقطاعه ما ذكر.

شـيء مـن أخبـاره

استفـاض عنـه بالجهـة المذكـورة شفـاء المـرضى، وتفريـج الكربـات............[1] إلـى غيـر ذلـك مـن أخبـار لا تحصى كثيرة. وهـو إلـى هـذا العهـد بحالـه الموصوفة، وهـو عـام سبعيـن وسبعمايـة[2].

مولـده

بتلمسـان عـام تسعيـن وستمايـة [3]. ودخـل غرناطـة غيـر مـا مـرة. قـال الفقيـه **أبـو الطاهـر** منهـا فـي عـام عشـرة وسبعمايـة [4].

***

---

[1] **هنا كلمـات ممحـاة؛ مـع حيـز قاتـم.**
[2] **الموافـق لـ 1368م.**
[3] **الموافـق لـ 1291م.**
[4] **الموافـق لـ 1310م.**

عبد الله بن فرج

ابن غزلون اليحصبي[1]؛ يعرف بابن العسّال؛ ويكنى أبا محمد؛ طليطلي الأصل. سكن غرناطة واستوطنها؛ الصالحُ المقصودُ التّربة، المَبْرور البُقْعَة، المُفْزِع لأهل المدينة عند الشّدة.

حاله

قال **ابن الصيرفي**: كان رحمه الله، فذا في وقته، غريب الجود، طرفاً في الخير والزهد والورع، له في كل جو متنفس، يضرب في كل علم بسهم، وله في الوعظ تواليف كبيرة، وأشعاره في الزهد مشهورة، جارية على ألسنة الناس، أكثرها كالأمثال جيدة الرصعة، صحيحة المباني والمعاني. وكان يلحق في الفقه. ويجلس للوعظ.

وقال **الغافقي**: كان فقيهاً جليلاً، زاهداً، متفنناً، فصيحاً لسنا، الأغلب عليه حفظ الحديث والآداب والنحو؛ حافظاً، عارفاً بالتفسير؛ شاعراً مطبوعاً. كان له مجلس،

---

[1] له ترجمة أيضاً في: الصلة، والمغرب في حلى المغرب، ورايات المبرزين؛ حيث ذكر فيهما انه: ((أبو محمد عبد الله العسال))، ومعجم السفر؛ الذي جاء فيه أنه: ((عبد الله بن محمد بن أحمد الطليطلي الواعظ المعروف بالعسال))، ثم نفح الطيب.

يقرأ عليه فيه الحفظ والتفسير، ويتكلم عليه، ويقص [1] من حفظه أحاديث. وألف في أنواع من العلوم، وكان يعظ الناس بجامع **غرناطة**، غريباً في قوته، فذا ي دهره، عزيز الوجود.

مشيخته

روى عن **أبي محمد مكي بن أبي طالب، وأبي عمرو** المقري **الداني**، **وأبي عمر بن عبد البر، وأبي إسحق إبراهيم بن مسعود الإلبيري** الزاهد، وعن أبيه **فرج**، وعن **أبي زيد الحشاء** [2] القاضي، وعن القاضي **أبي الوليد الباجي**.

---

[1] في الصلة: ((وينص)).
[2] في الزيتونة: ((النشا)).

شعـره

وشعـره كثير، ومـن أمثـل مـا روى منـه قولـه [1]:

لســـت وجيهـــاً [لـــدي إلـــهي][2]
فـــي مبـــدإ الأمـــر والمعـــاد
لـــو كنـــت وجيها[3] لما بـــراني
فـــي عالـــم الكـــون والفســـاد

وفاتـه

تـــوفي رحمـــه اللـــه يـــوم الاثنيـــن لعشـــر خلـــون مـــن رمضـــان عـــام سبعـــة وثمانيـــن وأربعمائـــة[4] [وألحـــد ضـــحى يـــوم الثلاثـــاء بعـــده بمقبـــرة **بـــاب إلبيـــرة** بيـــن الجبانتيـــن. ويعـــرف المكـــان إلـــى الآن **بمقبـــرة العســـال**. وكـــان لـــه يـــوم مشهـــود، وقـــد نيـــف عـــلى الثمانيـــن رحمـــه اللـــه، ونفـــع بـــه][5].

***

---

[1] **مخلـع البسيـط.**
[2] **في الزيتونـة: ((بـذا الأمـر)).**
[3] **جعلهـا د. طويـل: ((وجهـاً)).**
[4] **الموافـق لـ 1094م.**
[5] **هكذا في الزيتونة؛ بينما ورد ما بين حاصرتين في الإسكوريال ضمن الهامش.**

ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء

***

عبد الرحمن بن محمد[1]

ابن عبد الله [2] بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية. أمير المؤمنين الناصر لدين الله؛ الخليفة المُمَتّع، المَجْدُود، المُظَفّر، البعيد الذكر، الشهير الصيت.

حاله

كان أبيض، أشهل، حسن الوجه، عظيم الجسم، قصير الساقين. أول من تسمى أمير المؤمنين، ولي الخلافة، فعلا جده، وبعد صيته، وتوطأ ملكه، وكأن خلافته كانت شمسا نافية للظلمات، فبايعه أجداده وأعمامه وأهل بيته، على حداثة السن، وجدة العمر، فجدد الخلافة، وأحيا الدعوة، وزين الملك، ووطد الدولة، وأجرى الله

---

[1] له ترجمة أيضاً في تاريخ علماء الأندلس، وإعمال الأعلام، والحلة السيراء، وأخبار مجموعة، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والمعجب، ووفيات الأعيان، وجمهرة أنساب العرب، وأزهار الرياض، ونفح الطيب في بعض الصفحات.

[2] أضاف د. طويل اسم محمد بعد عبد الله؛ في النسخة التي اعتنى بها.

له من السعد، ما يعظم عنه الوصف، ويجل عن الذكر، وهيأ له استنزال الثوار والمنافقين، واجتثاث جراثيمهم.

بنوه

أحد عشر، منهم **الحكم** الخليفة بعده، **والمنذر**، **وعبد الله، وعبد الجبار**.

حجابه

بدر مولاه، **وموسى بن حدير**.

قضاته

جملة منهم **أسلم بن عبد العزيز**، **وأحمد بن بقي**، **ومنذر بن سعيد البلوطي**.

نقش خاتمه

عبد الرحمن بقضاء الله راض.

أمـه

أم ولد تسمى **مزنة**. وبويع له في ربيع الأول من سنة تسع وتسعين ومائتين [1].

دخوله إلبيره

قال المؤرخ، أول غزوة غزاها بعد أن استحجب بدراً مولاه، وخرج إليها يوم الخميس رابع [2] عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثلاثمائة مفوضاً إليه، ومستدعياً نصره، واستيلاف الشاردين، وتأمين الخايفين إلى ناحية **كورة جيان، وحصن المنتلون**، فاستنزل منه **سعيد بن هذيل**، وأناب إليه من كان نافراً عن الطاعة، مثل **ابن اللبانة، وابن مسرة، ودحون الأعمى** [3]، وانصرف إلى **قرطبة**، وقد تجول، وأنزل كل من بحصن من حصون **كورة**

---

[1] الموافق لـ 911م. جاء هذا التاريخ في الزيتونة؛ في الإسكوريال ذكر: (تسع وسبعين ومائتين)). وهذان التاريخان خطأ؛ لأن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المرواني الملقب بالناصر بويع سنة 300هـ/912م.

[2] في البيان المغرب: ((يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان)).

[3] هكذا في الزيتونة والإسكوريال؛ وليس ثمة ما يوافق الاسم الصحيح سوى اسم بن ميسرة. والمقصود هنا هو الفقيه الفيلسوف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ميسرة الجبلي؛ المولود سنة 269هـ/882م والمتوفي سنة 319هـ/931م. اتهم في عصر الناصر بالكفر والزندقة.

جيان، وبسطة وناجرة [1] **وإلبيرة وبجانة والبشرة** وغيرها بعد أن عرض نفسه عليها. وعلى عهده توفي **ابن حفصون** [2]. وجرت عليه هزيمة الخندق في سنة سبع وعشرين وثلاثماية [3]، وطال عمره، فملك نيفا وخمسين سنة، ووجد بخطه، أيام السرور التي صفت لي دون كدر يوم كذا ويوم كذا، فعدت، فوجدت أربعة عشر يوماً.

وفاته

في أول رمضان من سنة خمسين وثلاثمائة [4].

***

---

[1] **حرفت في الزيتونة، والإسكوريال؛ فكتبت: ((وتاجلة))؛ وصوبها عنان.**
[2] **توفي ابن حفصون سنة: 306هـ/966م.**
[3] **الموافق لـ 931م.**
[4] **الموافق لـ 961م**

عبد الرحمن بن محمد

ابن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن معاوية [1]؛ يكنى أبا المطرف، ويلقب بالمرتضى [2].

حاله

وصفته كان أبيض أشقر أقنى، مخفف البدن، مدور اللحية، خيراً، فاضلاً، من أهل الصلاح والتقى. قام بدولته **خيران العامري**، بعد أن كثر السؤال عن **بني أمية**، فلم يجد فيهم أسْدَى للخلافة منه، بورعه وعفافه، ووقاره. وخاطب في شأنه ملوك الطوائف على عهده؛ فاستجاب الكل إلى الطاعة؛ بعد أن أجمع [3] الفقهاء والشيوخ، وجعلوها شورى، وانصرفوا يريدون **قرطبة**،

---

[1] له ترجمة أيضاً في: جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، ورسائل ابن حزم، وجمهرة أنساب العرب، والمعجب، والكامل في التاريخ، وإعمال الأعلام، والذخيرة، والبيان المغرب، ونفح الطيب، وصبح الأعشى؛ أين ذكر اسم جده: ((عبد الملك)) بدلاً من ((عبد الله)).

[2] وردت هذه الترجمة في الزيتونة فقط؛ ولم ترد في الإسكوريال.

[3] في الزيتونة: ((أجمعوا))؛ فصوبها عنان.

وبدأوا [1] **بصنهاجة** بالقتال؛ فكان نزوله **بجبل شقشتر**؛ على **محجة واط**.

وفاته

يوم [2] لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع وأربعمائة [3]. وكانت الهزيمة على عساكر **المرتضى**؛ فتركوا المحلات وهربوا؛ وفشي [4] فيهم القتل، وظفرت **صنهاجة** من المتاع والأموال، بما يأخذه الوصف، وقتل **المرتضى** في تلك الهزيمة؛ فلم يوقع له على أثر، وقد بلغ سنه نحو أربعين.

***

[1] نفسه: ((أبدوا))؛ فصوبها عنان.
[2] سقط هنا ذكر اليم الذي توفي فيه المرتضى.
[3] الموافق لـ 1018م. جاء في كتاب الكامل في التاريخ؛ أنه توفي سنة 407هـ.
[4] في الزيتونة: ((وفشوا))؛ فصوبها عنان.

عبد الرحمن بن معاوية

ابن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي ابن أمية بن عبد شمس [1]؛ يكنى أبا المطرف، وقيل أبا زيد، وقيل أبا سليمان، وهو الداخل إلى الأندلس، والمجدد الخلافة بها لذريته، والملقب بصقر بني أمية [2].

حاله

قال **ابن مفرج**: كان الأمير **عبد الرحمن بن معاوية**، راجح العقل، راسخ العلم، ثابت الفهم، كثير الحزم، فذ العزم، بريئاً من العجز، مستخفاً للثقل، سريع النهضة، متصل الحركة، لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد بإبرامها برأيه. وعلى ذلك فكان شجاعاً، مقداماً، بعيد الغور، شديد الحذر، قليل الطمأنينة، بليغاً، مفوهاً، شاعراً محسنا، سمحاً، سخياً، طلق [3] اللسان، فاضل البنان، يلبس

---

[1] له ترجمة أيضاً في: أخبار مجموعة، وتاريخ افتتاح الأندلس، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس، ووفيات الأعيان، والبيان المغرب، والحلة السيراء، وصبح الأعشى، وفوات الوفيات، وكتاب العبر، ورسائل ابن حزم، ونفح الطيب.

[2] يلقب أيضاً بصقر قريش. ويلقب أيضاً بعبد الرحمن الداخل. وقد لقبه ابن الخطيب في الرجز الآتي لاحقاً بصقر قريش.

[3] في الزيتونة: ((حلو)).

البياض، ويعتم به ويؤثره. وكان أعطي هيبة من وليه وعدوه لم يعطها واحد من الملوك في زمانه. وقال غيره، وألفى الأمير **عبد الرحمن الأندلس** ثغراً من أنأى الثغور القاصية، غفلاً من سمة الملك، عاطلاً من حليه الإمامة، فأرهب أهله بالطاعة السلطانية، وحركهم بالسيرة الملوكية، ورفعهم بالآداب الوسطية [1]، فألبسهم عما قريب المودة، وأقامهم على الطريقة. وبدأ يدون الدواوين، وأقام القوانين، ورفع الأواوين. وفرض الأعطية، وأنفذ الأقضية، وعقد الألوية، وجند الأجناد، ورفع العماد، وأوثق الأوتاد، فأقام للملك آلته، وأخذ للسلطان عدته.

نبذة من أوليته

لما ظهر **بنو العباس بالمشرق**، ونجا فيمن نجا من **بني أمية**، معروفاً بصفته عندهم، وخرج بؤم **المغرب** لأمر كان في نفسه، من ملك **الأندلس**، اقتضاه حدثان. فسار حتى نزل **القيروان**، ومعه **بدر** مولاه، ثم سار حتى لحق بأخواله من **نفزة**، ثم سار بساحل **العدوة**، في كنف قوم

[1] في الزيتونة: ((الواسطية)).

من **زناته**، وبعث إلى **الأندلس بدراً**، فداخل له بها من يوثق به، وأجاز البحر إلى **المنكب**، وسأل عنها، فقال نكبوا عنها، ونزل بشاط من أحوازها، وقدم إليه أول دعوته، وعقد اللوا، وقصد **قرطبة** في خبر يطول، وحروب مبيرة، وهزم **يوسف الفهري**، واستولى على قرطبة، فبويع له بها يوم عيد الأضحى من سنة ثمان وثلاثين ومائة [1]، وهو ابن خمس وعشرين سنة.

دخوله إلبيرة

قالوا، ولما انهزم الأمير **يوسف بن عبد الرحمن الفهري**، لحق **بإلبيرة**؛ فامتنع **بحصن غرناطة**، وحاصره الأمير **عبد الرحمن بن معوية**، وأحاط به؛ فنزل على صلح، وانعقد بينهما عقد، ورهنه **يوسف** ابنيه **أبا زيد وأبا الأسود**، وشهد في الأمان وجوه العسكر، منهم **أمية ابن حمزة الفهري، وحبيب بن عبد الملك المرواني، ومالك بن عبد الله القرشي، ويحيى بن يحيى اليحصبي، ورزق بن النعمان الغسالي، وجدار بن سلامة المذحجي.**

---

[1] **الموافق لـ 755م.**

وعمر بن عبد الحميد العبدري، وثعلبة بن عبيد الجذامي، والحريش بن حوار السلمي، وعتاب بن علقمة اللخمي، وطالوت بن عمر اليحصبي، والجراح بن حبيب الأسدي، وموسى بن خالد، والحصين بن العقيلي، وعبد الرحمن ابن منعم الكلبي، إلى آخر سواهم، بتاريخ يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائة [1].

نقلت أسماء من شهد، لكونهم ممن دخل البلد، ووجب ذكره، فاجتزأت بذلك، فرارا من الإطالة، إذ هذا الأمر بعيد الأمد، والإحاطة لله.

بلاغته ونثره وشعره

قال **الرازي**: قام بين يديه رجل من جند **قنسرين**، يستنجد به، وقال له، يا ابن الخلايف الراشدين والسادات الأكرمين، إليك فررنا، وبك عذت من زمن ظلوم، ودهر غشوم، قلل المال، وذهب الحال، وصير إلي بذاك المنال، فأنت ولي الحمد، وربى المجد، والمرجو للرفد. فقال له **ابن معاوية** مسرعاً، قد سمعنا مقالتك، فلا

---

[1] **الموافق لـ 756م.**

تعودن ولا سواك لمثله، من إراقة وجهك، بتصريح المسلة، والإلحاف في الطلبة، وإذا ألم لك خطب [أو دهاك أمر، أو أحرقتك حاجة] [1] فارفعه إلينا في رقعة لا تعدو ذكياً، تستر عليك خلتك، وتكف شماتة العدو بك، بعد رفعها إلى مالكنا ومالكها، عن وجهه، بإخلاص الدعاء، وحسن النية. وأمر له بجائزة حسنة. وخرج الناس يعجبون من حسن منطقه، وبراعة أدبه.

ومن شعره قوله، وقد نظر إلى نخلة **بمنية الرصافة،** مفردة، هاجت شجنه إلى تذكر بلاد **المشرق** [2]:

تبـــدت لنا وســـط الرصافة نخلـــة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيـــهي في التغرب والنـــوى
وطول التنائي عن بنيي وعن أهلي
نشـــأت بأرض أنـــت فيها غريبـــة
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثـــلي

---

[1] هكذا في الزيتونة؛ بينما ورد عوضها في الإسكوريال: ((وأحرقك أمر)).
[2] البحر الطويل.

سقتك[1] غوادي المزن من صوبها[2] الذي
يسح ويستمــــرئ[3] السماكين بالوبـــل

وفاته

توفي **بقرطبة** يوم الثلاثاء الرابع والعشرين لربيع الآخر [4] سنة اثنتين وسبعين وماية [5]، وهو ابن تسعة وخمسين عاماً، وأربعة أشهر، وكانت مدة ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر [6]، وأخباره شهيرة.

وجرى ذكره في الرجز المسمى بقطع السلوك [7]، في ذكر هذين من **بني أمية، قولي** في ذكر الداخل [8]:

وغمــر الهــــول كقطـــع الليـــل
بفتنـــــة الفهـــري والصميـــــل

---

[1] في البيان المغرب: ((سقاك)).
[2] في النفح: ((في المنتأى)).
[3] في الحلة السيراء، والبيان المغرب، ونفح الطيب: ((يستمري)).
[4] ذكر في فوات الوفيات أنه ((توفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة)).
[5] الموافق لـ 788م.
[6] ورد في كتاب العبر أنه حكم خلال ثلاث وثلاثين سنة.
[7] هو كتاب لابن الخطيب؛ نظمه في بحر الرجز؛ يسمى أيضاً: رقم الحلل في نظم الدول.
[8] بحر الرجز.

وجلـــــت الفتنـــة في أندلـــــس

فأصبحـــــت فريســـة المفتـــرس

فأسرع السيـــر إليهـــــا وابتـــدر

وكــل شـــيء بقضـــاء وقـــــدر

صقـــر قريـــش عابـــد الرحمـــن

باني المعـــالي لبـــني مـــــروان

جـــــدد عهـــــد الخلفـــاء فيهـــا

وأســـــس الملـــك لمترفيهـــــا

ثـــــم أجـــــاب داعـــي الحمـــام

وخلــــف الأمـــر إلـــى هشـــام

وقـــام بالأمر الحفيـــد الناصـــــر

والنـــاس محصـــور بها وحاصر

فأقبـــل السعـــــد وجاء النصـــر

وأشـــرق الأمن وضـــاء القصـــر

وعـــــادت الأيـــــام في شبـــاب

وأصبـــــح العـــدو في تبـــــاب

ســطى وأعــطى وتغاضى ووفا
وكلمــــا أقـــدره اللــه عفـــا
فعــاد من خالــف فيهــا وانتــزا
وحــارب الكفــار دأبــا وغــزا
وأوقــع الــروم به في الخنــدق
فانقلــب الملــك بسعي مخفـــق
واتصلــت من بعــد ذا فتــــوح
تغــدو عــلى مثــواه أو تــروح
فاغتنمــوا السلــم لهــذا الحيــن
ووصلــت إرســال قسطنطيــــن
وساعــد السعــد فنــال واقتــنى
ثم بــنى الزهرا فيمــا قــد بنــا
حــتى إذا مــا كملــت أيامــه
سبحــان من لا ينقــضي دوامــه

***

عبد الرحمن بن إبراهيم

ابن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي؛ من أهل رندة وأعيانها؛ يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الحكيم؛ وجدّه يحيى، هو المعروف بابن الحكيم؛ وقد تقدم ذكر جملة من هذا البيت.

حاله

كان رحمه الله عين بلده المشار إليه، كثير الانقباض والعزلة، مجانباً لأهل الدنيا، نشأ على طهارة وعفة، مرضي الحال، معدوداً في أهل النزاهة والعدالة، وأفرط في باب الصدقة، بما انقطع عنه أهل الإثراء من المتصدقين، ووقفوا دون شأوه. ومن شهير ما يروى من مناقبه في هذا الباب. أنه أعتق بكل عضو من أعضائه رقبة، وفي ذلك يقول بعض أدباء عصره [1]:

أعتق بكل عضو منه رقبة
واعتد ذلك ذخراً ليوم العقبة
لا أجد منقبة مثل هذه المنقبة

[1] الرجز.

مشيخته

روى عن القاضي الجليل **أبي الحسن بن قطرال**، وعن **أبي محمد بن عبد الله بن عبد العظيم الزهري، وأبي البركات بن مودود الفارسي، وأبي الحسن الدباج،** سمع من هؤلاء وأجازوا له. وأجاز له **أبو أمية بن سعد السعود بن عفير، وأبو العباس بن مكنون الزاهد**؛ قال الأستاذ **أبو جعفر بن الزبير**، وكان شيخنا القاضي العالم الجليل **أبو الخطاب بن خليل**، يطنب في الثناء عليه، ووقفت على ما خاطبه به معرباً عن ذلك.

شعره

منقولاً من **طرفة العصر** من قصيدة يرددها المؤذنون منها [1]:

كم ذا أعلــل بالتسويــف والأمــل
قلبا تغلــب بين الوجــد والوجــل
وكــم أجرد أذيــال الصبا مرحــاً
في مسرح اللهو وفي ملعب الغــزل

[1] **البحر البسيط.**

وكم أماطـــل [نفسي بالمتـــاب][1] ولا
عزم فيوضح لي عن واضح السبـــل
ضللـــت والحـــق لا تخفى معالمه
شتان بين طريـــق الجـــد والهـــزل

وفاته

يوم الاثنين التاسع والعشرين لجمادى الأولى عام ثلاثة وسبعين وستماية [2].

***

[1] في الإسكوريال: ((نفساً بالعتاب)).
[2] الموافق لـ 1274م.

عبد الرحيم بن إبراهيم

ابن عبد الرحيم الخزرجي [1]؛ يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن القَرّس، ويُلَقّب بالمُهْر [2]، من أعيان غرناطة.

حاله[3]

كان فقيهاً جليل القدر، رفيع الذكر، عارفاً بالنحو واللغة والأدب، ماهر [4] الكتابة، رايق الشعر، بديع التوشيح، سريع البديهة، جارياً على أخلاق الملوك في مركبه وملبسه وزيه، قال **ابن مسعدة** [5]: وطيء من درجات [العز] [6] والمجد أعلاها، وفرع من الأصالة [7] منتماها. ثم علت همته إلى طلب الرياسة والملك. فارتحل إلى بلاد **العدوة**، ودعا إلى نفسه؛ فأجابه إلى ذلك الخلق الكثير، والجم الغفير، ودعوه باسم الخليفة، وحيوه بتحية

---

[1] له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، والحلة السيراء، والمغرب في حلى المغرب، وكتاب العبر، وبغية الوعاة.
[2] يعرف أيضاً بأبي قصبة.
[3] سقطت هذه الكلمة في الزيتونة، والإسكوريال؛ فوضعها عنان.
[4] في بغية الوعاة: ((باهر)).
[5] في الإسكوريال: ((أبو مسعدة)). والصحيح ابن مسعدة: وهو أحد شيوخ صاحب الترجمة؛ حيث أخذ عنه النحو؛ كما ورد في بغية الوعاة..
[6] هذه الإضافة من الزيتونة.
[7] حرفت في الزيتونة؛ فكتبت: ((البطالة)).

الملك. ثم خانته الأقدار، والدهر بالإنسان غدار، فأحاطت به جيوش **الناصر**[1] **بن المنصور**، وهو في جيش عظيم من **البربر**؛ فقطع رأسه، وهزم جيشه، وسيق إلى باب الخليفة، فعلق على **باب مراكش**، في شبكة حديد، وبقي به مدة من عشرين سنة[2].

قال **أبو جعفر بن الزبير**: كان أحد نبهاء وقته؛ لولا حدة كانت فيه، أدت به إلى ما حدثني به بعض شيوخ من صحبه. قال: خرجنا معه يوماً على باب من أبواب **مراكش**؛ برسم الفرجة، فلمّا كان عند الرجوع نظرنا إلى

---

[1] هو الخليفة الموحدي محمد الناصر بن المنصور يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي. حكم بين سنتي: 595هـ/1198م - 610هـ/1213م.

[2] ينتمي صاحب هذه المترجمة إلى قبيلة جزولة الأمازيغية؛ وهو من سكان الأندلس؛ ويتميز بعلم كبير، ومعرفته واسعة. ذهب إلى بلاد العدوة؛ حيث حضر مجلس الخليفة الموحدي يعقوب المنصور؛ أين أبدا بعض الآراء الجريئة؛ فخاف العاقبة؛ فاختفى مدة من الزمن؛ حتى توفي المنصور؛ وعندها ظهر في السوس؛ بين قبلته جزولة؛ حيث انتحل الإمامة، ودعا لنفسه؛ زاعماً أنه ((القحطاني))؛ الذي ورد في حديث للرسول صلى الله عليه وسلم؛ جاء فيه: ((أنه لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان؛ يقود الناس، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً)). هذا وذاعت دعوته بين عامة الناس في بلاد السوس؛ واستقطب عدداً غفيراً من الأتباع. وناوشته الدولة بحملات صغيرة متوالية؛ كان النصر حليفه فيها. وعلى هذا جرد له الخليفة الناصر جيشاً كبيراً؛ اكتسح جموعه، وشتت أنصاره، وتقبض عليه حيث قتل؛ في أحد الأقوال سنة 598هـ/1202م. وورد في بغية الوعاة أنه قتل سنة 601هـ؛ وجاء في التكملة أنه قتل في نحو الستمائة.

رؤوس معلقة، وتعوذنا بالله من الشر وأهله، وسألناه سبحانه العافية. قال: فأخذ يتعجب منا، وقال: هذا خور طريقة وخساسة همه، والله ما الشرف والهمة إلاّ في تلك. يعني في طلب الملك، وإن أدى الاجتهاد فيه إلى الموت دونه على تلك الصفة. قال: فما برحت الليالي والأيام، حتى شرع في ذلك، ورام الثورة، وسيق رأسه إلى **مراكش**؛ فعلق في جملة تلك الرؤوس، وكتب عليه، أو قيل فيه [1]:

لقد طمح المهر الجموح لغاية
فقطع أعناق الجياد السوابق
جرى وجرت رجلاه لكن رأسه
أتى سابقاً والجسم ليس بسابق

وكانت ثورته ببعض جهات درعة من بلاد السوس.

مشيخته

أخذ عن صهره القاضي **أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم**. وعن غيره من أهل بلده، وتفقه بهم، وبهر

---

[1] البحر الطويل.

في العقليات والعلوم القديمة، وقرأ على القاضي المحدث **أبي بكر بن أبي زمنين**، وتلا على الأستاذ الخطيب **أبي عبد الله بن عروس**، والأدب والنحو على الأستاذ الوزير **أبي يحيى بن مسعدة**. وأجازه الأستاذ الخطيب **أبو جعفر العطار**. ومن شعره في الثورة [1]:

قولـــوا لأولاد[2] عبد المؤمن بن علي
تأهبـــوا لوقـــوع الحـــادث الجلـــل
قد جاء[3] فارس[4] قحطـــان وسيدهـــا[5]
ووارث الملـــك[6] والغـــلاب للـــدول

ومن شعره القصيدة الشهيرة وهي [7]:

[1] البحر البسيط. ورد هذان البيتان ضمن أربع أبيات ذكرت في المغرب؛ حيث جاء أنها قيلت في بني عبد المؤمن؛ وهذا ما ذكر أيضاً في كتاب العبر، وكتاب الحلة السيراء.
[2] في العبر، والحلة السيراء: ((لأبناء)).
[3] في الحلة: ((أتاكم)).
[4] في العبر، والمغرب: ((سيد)).
[5] في المغرب، والحلة: ((وعالمها)). وفي العبر: ((وعاملها)).
[6] في العبر، والمغرب: ((ومنتهى القول)). وفي الحلة: ((وصاحب الوقت)).
[7] البحر الكامل.

اللـــه حســـبي لا أريـــد ســـواه
هـــل في الوجود الحـــق إلا اللـــه
ذات الإلـــه بهـــا تقـــوم دولتنـــا
هـــل كـــان يوجـــد غيـــره لولاه
يا مـــن يلـــوذ بذاتـــه أنـــت الذي
لا تطمـــع الأبصـــار في مـــرآه
لا غـــرو أنـــا قـــد رأينـــاه بهـــا
فالحـــق يظهـــر ذاتـــه وتـــــراه[1]
يا من له وجب الكمـــال بذاتـــه
فالكـــل غايـــة فـــوزهـــم[2] لقيـــاه
أنـــت الذي لمـــا تعـــالى جـــده
قصـــرت خطا الألباب دون حماه[3]
أنت الذي امتـــلأ الوجود بحمـــده
لمـــا غدا مـــلآن مـــن نعمـــــاه

---

[1] في الزيتونـة: ((لا غرو أنـا قد رأينـاه بالحق يظهـر يظهر ذاتـه وتـراه)).
[2] نفسـه: ((قدرهـم)).
[3] سقـط هـذا البيـت في الزيتونـة.

أنت الذي اخترع الوجود بأسـره
مـا بيـن أعـلاه إلى أدنـاه
أنـت الذي خصصتنـا بوجودنـا
أنـت الـذي عـرفتنـا معنـاه[1]
أنت الـذي لو لم تلـح أنـواره
لم تعـرف الأضـداد والأشبـاه
لـم أفـش ما أودعتنيـه إنـه
ما صـان سـر الحـق من أفشاه
عجز الأنـام عن امتداحـك إنـه
تتضـاءل الأفكـار دون مـداه
من كـان يعلـم أنك الحق الـذي
بهـر العقـول فحسبـه وكفـاه
لـم ينقطـع أحـد إليـك محبـة
إلا وأصبـح حامـدا عقبـاه
وهـي طويلـة...........

***

[1] سقط هذا البيت في الزيتونـة.

....

....[1]

مـن أهـل غـرناطـة؛ يكـنى أبـا ورد، ويعـرف بابـن القصجـة؛

عريـم رواء الحسن، قريـب العهـد بالنجعـة،

فـارق وطنـه وعيصـه، واستقبـل **المغـرب**.....[2] الوفـادة، وقـدم عـلى **الأنـدلـس** فـي أخريـات دولـة الثـاني[3] مـن **الملـوك النصـريـين**، فمهـد جانـب البرّ لـه، وقـرب مجلسـه، ورعـى وسيلتـه، وكـان عـلى عمـل بـر، مـن صـوم واعتكـاف وجهـاد.

نباهتـه

ووقـف بـي ولـده الشريـف **أبـو زيـد عبـد الرحيـم**، عـلى رسالـة كتـب بهـا أمـير **مكـة** عـلى عهـده إلـى سلطـان **الأنـدلـس** ثـاني **الملـوك النصـريـين** رحمهـم اللـه، وعـبر فيهـا عـن نفسـه، مـن **عبـد اللـه المؤيـد باللـه محمـد بـن سعـد الحرسـني**، فـي

---

[1] فـراغ فـي هـذا الحيـز. وهـذ الترجمـة موجـودة كمـا هـي فـي الإسكوريـال؛ ضمـن هامـش اللوحـة 242؛ بينمـا هـي ساقطـة فـي الزيتونـة. ومـن خـلال سيـاق النـص يتبيـن أن هـذا الفـراغ محـي منـه اسـم صاحـب الترجمـة؛ وهـو الشريـف أبـو القاسـم.

[2] فـراغ فـي هـذا الحيـز أيضـاً.

[3] أي ثـاني سلاطيـن بـن الأحمـر؛ وهـو أبـو عبـد اللـه محمـد بـن محمـد بـن يوسـف بـن نصـر. سبـق ذكـره؛ ولـه ترجمـة فـي الإحاطـة.

غرض المواصلة والمودة والمراجعة عن بر صدر عن السلطان رحمه الله من فصولها: ثم أنكم رضي الله عنكم، بالغنم في الإحسان للسيد **الشريف أبي القاسم** الذي انتسب إلينا، وأويتموه من أجلنا، وأكرمتموه، ورفعتموه احتراماً لبيته الشريف، جعل الله عملكم معه وسيلة بين يدي جدنا عليه السلام وهي طويلة وتحميدها ظريف، من شنشنة أحوال تلك البال **بمكة** المباركة.

وفاته

توفي شهيداً في الوقيعة بين **المسلمين والنصارى** بظاهر **ألمرية**؛ عندما وقع الصريخ لإنجادها، ورفع العدو **البرجلوني** عنها في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول عام عشرة وسبعمائة [1].

***

[1] **الموافق لـ 1310م.**

ومن ترجمة المقربين والعلماء والطلبة النجباء من ترجمة الطارئين منهم.

عبد الرحمن بن عبد الله [1]

ابن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسن [2] بن سعدون بن رضوان ابن فتوح الخثعمي؛ مالقي؛ [يكنى] [3] أبا زيد، وأبا القاسم، وأبا الحسين؛ وهي قليلة، شهر بالسهيلي.

حاله

كان مقرياً مجوداً، متحققاً بمعرفة التفسير، غواصاً على المعاني البديعة، ظريف التهدي إلى المقاصد الغريبة [4]، محدثاً واسع الرواية، ضابطاً لما يحدث به، حافظاً متقدما، ذاكراً للأدب والتواريخ والأشعار والأنساب، مبرزاً في الفهم، ذكياً، أديباً كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، نحوياً عارفاً بارعاً، يقظاً، يغلب عليه علم

---

[1] له ترجمة أيضاً في: بغية الملتمس، والتكملة لكتاب الصلة، والمطرب، والمغرب في حلى المغرب، ووفيات الأعيان، وزاد المسافر، والديباج المذهب، وشذرات الذهب، والفلاكة والمفلوكون، وبغية الوعاة، والنجوم الزاهرة، ونفح الطيب.

[2] في وفيات الأعيان: ((حسين)).

[3] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ بينما وردت في الزيتونة.

[4] في الزيتونة: ((الطريفة)).

العربية والأدب. استدعي آخراً إلى التدريس **بمراكش**، فانتقل إليها من **مالقة**، محل إقرائه، ومتبوأ إفادته، فأخذ بها الناس عنه، إلى حين وفاته.

مشيخته

تلا بالحرمين على خال أبيه الخطيب **أبي الحسن بن عباس، وبالسبع على أبي داود بن يحيى، وعلى أبي علي منصور بن علاء، وأبي العباس بن خلف بن رضي،** وروى عن **أبي بكر بن طاهر، وابن العربي، وابن قندلة، وأبي الحسن شريح، وابن عيسى، ويونس بن مغيث، وأبي الحسن بن الطراوة،** وأكثر عنه في علوم اللسان، **وأبي عبد الله** حفيد [1] **مكي**، **وابن أخت غانم**، **وابن معمر، وابن نجاح، وأبي العباس بن يوسف بن يمن الله، وأبوي القاسم بن الأبرش، وابن الرماك، وأبوي محمد بن رشد، والقاسم بن دحمان، وأبوي مروان بن بونة، وأبي عبد الله بن بحر.** وناظر في **المدونة** على **ابن هشام**. وأجاز

[1] **سقطت هذه الكلمة في الزيتونة؛ بينما وردت في الإسكوريال.**

له ولم يلقه، **أبو العباس عباد بن سرحان، وأبو القاسم ابن ورد.**

من روى عنه

روى عنه **أبو إسحاق الزوالي، وأبو إسحاق الجاني، وأبو أمية بن عفير، وأبو بكر بن دحمان، وابن قنتوال، والمحمدون بن طلحة، وابن عبد العزيز، وابن علي جويحمات، وأبو جعفر بن عبد المجيد، والحفار وسهل بن مالك، وابن العفاص، وابن أبي العافية، وأبو الحسن السراج، وأبو سليمان بن حوط الله، والسمائي. وابن عياش الأندرشي، وابن عطية، وابن يربوع، وابن رشيد، وابن ناجح، وابن جمهور، وأبو عبد الله بن عياش الكاتب، وابن الجذع، وأبو علي الشلوبين، وسالم بن صالح، وأبو القاسم بن بقي، وأبو القاسم بن الطيلسان، وعبد الرحيم بن الفرس، وابن الملجوم، وأبو الكرم جودى، وأبو محمد بن حوط الله،** إلى جملة لا يحصرها الحد.

دخل غرناطة

وكان كثير التأميل والمدح **لأبي الحسن بن أضحى** قاضيها ورييسها [1]. وله في مدحه أشعار كثيرة، وذكر لي من أرخ في **الغرناطيين**، وأخبرني بذلك صاحبنا القاضي **أبو الحسن بن الحسن** كتابة عمن يثق به.

تواليفه

منها كتاب ((**الشريف** [2] **والإعلام بما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام**)). ومنها شرح آية الوصية، ومنها ((**الروض الآنِفْ** [3] **والمشرع الرَّوا فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واحتوى**)). وابتدأ إملاءه في محرم سنة تسع وستين

---

[1] هو الوزير أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى أحد الثوار بالأندلس؛ أيام المرابطين. له ترجمة في الإحاطة.

[2] في وفيات الأعيان: ((التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام)). وفي التكملة: ((التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء الأعلام))، وفي بغية الوعاة: ((التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام)).

[3] في وفيات الأعيان، وبغية الوعاة، والمغرب في حلى المغرب: ((روض الأُنُف)).

وخمسماية [1]، وفرغ منه في جمادى منها. ومنها ((**حلية النبيل في معارضة ما في السبيل**)). إلى غير ذلك.

شعره

قال **أبو عبد الله بن عبد الملك**: أنشدني **أبو محمد القطان**، قال أنشدني **أبو علي الرندي**، قال **أنشدني أبو القاسم السهيلي** لنفسه [2]:

أسايل عن جيرانه من لقيته
وأعرض عن ذكراه والحال تنطق
ومالي إلى جيرانه من صبابة
ولكن قلبي[3] عن صبوح[4] يوفق[5]

[1] الموافق لـ 1173م.
[2] البحر الطويل.
[3] في النفح: ((نفسي)).
[4] في الزيتونة: ((هواء)).
[5] في بغية الملتمس: ((يُرْفق))، وفي النفح: ((تُرَقّق)).

ونقلت من خط الفقيه القاضي **أبي الحسن بن الحسن**، من شعر **أبي القاسم السهيلي**، مذيلاً بيت **أبي العافية**؛ في قطعة لزومية [1]:

ولما رأيت الدهر تسطو خطوبه
بكل جليد في الورى وهدان[2]
ولم أر من حرز ألوذ بظله
ولا من له بالحادثات يدان
فزعت إلى من تملك[3] الدهر كفه
ومن ليس ذو ملكله بمران
وأعرضت عن ذكر الورى متبرماً
إلى الرب من قاص هناك ودان
وناديته سراً ليرحم عبرتي
وقلت رجائي قادني وهدان

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **جعلها د. طويل: ((أو هداني)).**
[3] **جعلها د. طويل: ((من مَلَّك)).**

ولم أدعـــه حـــتى تطاول مفضلاً

عـــلي بإلهـــام الدعـــــاء وعـــان[1]

وقلـــت أرجـــي عطفـــه متمثـــلاً

ببيـــت لعبـــــد صايـــل بـــــردان[2]

تغطيـــت من دهـــري بظل جناحه

فعسى ترى[3] دهـــري وليس بـــراني

قلت، وما ضره، غفر الله له، لو سلمت أبياته من بردان، ولكن أبت صناعة النحو إلا أن تخرج أعناقها.

ومن شعره قوله [4]:

تواضـــع إذا كنـــت تبـــغي العـــلا

وكنـــت[5] راسيـــاً عند صفو الغضب

---

[1] كررت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((وهدان)).

[2] هذا الشطر مختل الوزن.

[3] جعلها د. طويل: ((عسى أن ترى)).

[4] البحر المتقارب.

[5] جعلها د. طويل: ((كُنْ)).

فخفـض الفـتى نفسـه رفعـة
لـه واعتبـر برسـوب الذهـب

وشعره كثير، وكتابته كذلك، وكلاهما من نمط يقصر عن الإجادة. وقال ملغزاً في محمل الكتب، وهو مما استحسن من مقاصده [1]:

حامـل للعلـوم غيـر فقيـه
ليس يرجـوا أمـراً ولا يتقيـه
يحمـل العلـم فاتحـاً قدميـه
فـإذا التقتـا[2] فـلا علـم فيـه

ومن ذلك قوله في المجنبات [3]:

شغـف الـفؤاد نواعـم أبكـار
بـردت فـؤاد الصب وهي حـرار

[1] البحر الخفيف.
[2] في الزيتونـة: ((انضمتـا)). وهي أسلم.
[3] البحر الكامل.

أذكى مـــن المســـك العتيـــق لنـــا
نشقاً وألـــذ مـــن صبا حين تـــدار[1]
وكأن من صافي اللجيـــن بطونهـــا[2]
وكأنمـــــا ألـــوانهـــــن نضـــــار
صفت البواطن والظواهـــر كلهـــا[3]
لكـــن حكـــت ألوانهـــا الأزهـــــار
عجبـــاً[4] لها وهـــي النعيم تصوغهـــا
نـــار وأيـــن مـــن النعيـــم النـــار

ومن شعره وثبت في الصلة [5]:

إذا قلـــت يومـــا سلام عليـــك
ففيهـــا شفـــاء وفيهـــا سقـــــام
شفـــا إذ قلتهـــــا مقبـــــلا
وإن قلتهـــا مدبـــرا فالحمـــام

[1] ورد هذا البيت في المطرب هكذا:
((أذكى من المسك الفتيق لناشق * وألذ من صهباء حين تدار)).
[2] جاء هذا الشطر في المطرب هكذا: ((وكأنما صافي اللجين قلوبها))
[3] في المطرب: ((مثلها)).
[4] نفسه: ((عجبٌ)).
[5] البحر المتقارب.

فأعجب لحـــل اختـــلا فيهمـــا
وهــذا ســـلام وهــذا ســـلام

مولـده

عـام سبعـة أو ثمانيـة وخمسمايـة [1].

وفاتـه

وتـوفي فـي **مراكـش** سحـر ليلـة الخامـس والعشريـن مـن شعبـان أحـد وثمانيـن وخمسمايـة [2]، ودفـن لظهـره بجبانـة الشيـوخ خـارج **مراكـش**، وكـان قـد عمـي سبعـة [عشـرة] [3] عامـاً مـن عمـره.

***

[1] الموافـق لـ 1113م أو 1114م. جـاء في التكملـة أنـه ولـه سنـة 509هـ؛ وقيـل في سنـة 507هـ أو 508هـ. وفي وفيـات الأعيـان: ((ومولـده سنـة ثمـان وخمسمائـة بمدينـة مالقـة؛ وهـذا ورد أيضـاً في المغـرب.

[2] الموافـق لـ 1185م. وفي بغيـة الملتمـس: تـوفي سنـة 583هـ.

[3] سقطـت هـذه الكلمـة في الإسكوريـال؛ بينمـا وردت في الزيتونـة.

عبد الرحمن بن هانئ

اللخمي [1]، يكنى أبا المطرف، من أهل فرقر، من قرى إقليم غرناطة.

حاله

كان فقيهاً فاضلاً، وتجول في بلاد المشرق. قال أنشدني إمام الجامع [2] بالبصرة [3]:

بــلاء ليــس بشبهــه بــلاء
عــداوة غيــر ذي حسب ودين
ينيلــك منه عرضــاً لم يصنه
ويرتع منك في عرض مصون

***

[1] جاءت هذه الترجمة المختصرة في موضعها بالزيتونة؛ بينما أثبتها الناسخ في الإسكوريال ضمن هامش اللوحة 244؛ ثم قال: (قلت سقط هنا في جملة من اختصرتهم: عبد الرحمن بن هاني اللخمي))؛ ثم أورد البيتين أعلاه.
[2] في الإسكوريال: ((الصلاة)).
[3] البحر الوافر.

عبد الرحمن بن أحمد

ابن أحمد بن محمد الأزدي [1]، من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن القصير [2].

حاله

كان فقيهاً............ [3] جليلاً، بارع الأدب، عارفاً بالوثيقة، نقاداً لها، صاحب رواية ودراية، تقلب ببلاد **الأندلس**، وأخذ الناس عنه **بمرسية** وغيرها. ورحل إلى مدينة **فاس**، **وإفريقية**، وأخذ بها، وولي القضاء **بتقرش** [4] من **بلاد الجريد**.

مشيخته

روى عن أبيه القاضي **أبي الحسن بن أحمد**، وعن عمه **أبي مروان**، وعن **أبوي الحسن بن دري، وابن الباذش، وأبي الوليد بن رشد، وأبي إسحق بن رشيق**

---

[1] **وردت هذه الترجمة في هامش مخطوط الإسكوريال؛ ضمن اللوحة 244؛ بينما سقطت في الزيتونة. وله أيضاً ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، والديباج المذهب، وأزهار الرياض، وجذوة الاقتباس.**

[2] **في جذوة الاقتباس: ((ابن النصير)).**

[3] **ترك عنان هنا فراغاً؛ ذاكراً أن كلماته غير مقروءة؛ غير أنها واردة في أزهار الرياض هكذا: ((كان فقيهاً مشاوراً، رفيع القدر، جليلاً)).**

[4] **في أزهار الرياض: ((وولي قضاء تقيوس؛ ببلاد الجريد)).**

الطليطلي نزيل **وادي آش**، **وأبي بكر بن العربي**، **وأبي الحسن بن وهب** [1]، **وأبي محمد عبد الحق بن عطية**، **وأبي عبد الله بن أبي الخصال**، **وأبي الحسن يونس بن مغيث**، **وأبي القاسم بن ورد**، **وأبي بكر بن مسعود الخشني**، **وأبي القاسم بن بقي**، **وأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض**، وغيرهم.

تواليفه

له تواليف وخطب ورسائل ومقامات، وجمع مناقب من أدركه من أهل عصره، واختصر **كتاب الجمل** [2] **لابن خاقان الإصبهاني**، وغير ذلك، وألف **برنامجاً** يضم رواياته.

من روى عنه

روى عنه **ابن الملجوم** [3]، واستوفى خبره

[1] في التكملة، والأزهار: ((موهب)).
[2] في الأزهار: ((الحيل)).
[3] نفسه: ((أبو القاسم بن الملجوم)).

وفاته

ركب البحر قاصداً الحج؛ فتوفي شهيداً في البحر. قتله **الروم بمرسى تونس**؛ مع جماعة من المسلمين، صبح يوم الأحد، في العشر الوسط من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسماية [1].

***

[1] **الموافق لـ 1180م. وفي التكملة: ((فاستشهد بمرسى تونس سنة 576هـ.**

عبد الرحمن بن إبراهيم

ابن محمد الأنصاري؛ يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الفصال.

حاله

هذا الرجل فاضل عريق في العدالة، ذكي، نبيل، مختصر الجرم، شعلة من شعل الإدراك، مليح المحاورة، عظيم الكفاية، طالب متقن، قرأ على مشيخة بلده، واختص منهم بمولى النعمة على أبناء جنسه، **أبي سعيد ابن لب**، واستظهر من حفظه كتباً كثيرة، منها كتاب التفريع في الفروع، وارتسم في العدول، وتعاطى لهذا العهد الأدب، فبرز في فنه.

أدبه

مما جمع فيه بين نظمه ونثره، وقوله يخاطب الكتاب، ويسحر ببراعته الألباب [1]:

لعــل نسيــم الريح يسري عليلــه

فأهدي صحيــح الود طــي سقيــم

[1] البحر الطويل.

لتحمـــــلا عــني وأزكـــى تحيـــة
لقيتــــه كهـــف[1] مانــع ورقيــم
ويذكر ما بين الجوانح من جـــوى
وشـــــوق إليهـــم مقعـــد ومقيــــم[2]

يا كتاب المحل السامي، والإمام المتسامي، وواكف الأدب البسامي، أناشدكم بانتظامي في محبتكم وارتسامي، وأقسم بحقكم علي وحبذا إقسامي، ألا ما أمددتم بأذهانكم الثاقبة، وأسعدتم بأفكاركم النيرة الواقبة، على إخراج هذا المسمى، وشرح ما أبهمه المعمى[3]، فلعمري لقد أحرق مزاجي، وفرق امتزاجي، وأظلم به وهاجي، وغطى على مرآة ابتهاجي، فأعينوني بقوة ما استطعتم، وأقطعوني من مددكم ما قطعتم، وآتوني بذلك كله إعانة وسداً. وإلاّ فها هو بين يديكم، ففكوا غلقه، واسردوا خلقه، واجمعوا مضغه المتباينة وعلقه، حتى يستقيم

[1] جعلها د. طويل: ((لقيت ككهف..))
[2] هذا البيت سقط في الزيتونة؛ وورد في الإسكوريال.
[3] أضيفت من الزيتونة.

جسداً قايماً بذاته، متصفاً بصفاته المذكورة ولذاته، قايلاً بتسليه أسلوباً مصحفاً كان أو مقلوباً. وإن تأبى عليكم وتمنع، وأدركه الحياء [فتستر] [1] وتقنع، وضرب على إذان الشهدا، وربط على قلوبهم من الإرشاد له والاهتدا، فابعثوا أحدكم إلى المدينة ليسأل عنه خدينه [2]:

أحـــاجي ذوي العلم والحلم ممـــن
تـــرى شعلـــة الفهـــم من زنـــده
عن اســـم هو الموت مهمـــا دنـــا
وإن بـــات يبـــكى عـــلى فقـــــده
لـــذيـــــذ وليـــس بـــذي طعـــــم
ويومـــر بالغســـل مـــن بعـــــده
وأطيـــــب مـــا يجتنيـــه الفـــتى
لـــدى ربـــة الحســـن أو عبـــــده
مضجعـــه عشـــر الثلـــــث في
حســـاب المصحـــف مـــن خـــده

---
[1] أضيفت من الزيتونـة.
[2] البحـر المتقـارب.

وإن شيت قـل مطعم ذمــه الــر
ســول وحــض على بعـــده
وقد جـاء في الذكــر إخراجــه
لقــــوم نــبي عــلى عهـــده
وتصحيــــف ضــــد لـــه آخــر
يبـــارك للنحــــل فــــي شهــده
وتصحيــــف مقلوبــــه ربــــه
تــــردد م قبــــــل فــــي رده
فهاكــم معانيــه قــــد بــــدت
كنــــار الكريــــم عــلى نجــده

وكتب للولد أسعده الله، يتوسل إليه، ويروم قضاء حاجته[1]:

أيهــا السيــد العزيــز تصـــــدق
في المقــام العــلي لي بالوسيلـــة
عند رب الوزارتيــن أطــال الـــ
ــلـــهُ أيّامـــــه حسانـــاً جميلـــة

[1] البحر الخفيف.

علـــه أن يجيــرني مـــن زمـــان

مسني الضـــر من خطاه الثقيلـــة

واستطالت علي بالنهـــب جـــوراً

مـــن يديـــه الخفيفـــة المستطيلـــة

لم تـــدع لي بضاعة غير مزجـــا

ةٍ ونـــزر أهـــون بـــه من قليلـــه

وإذا مـــا وفى لي الكيـــل يومـــا

حشفـــاً مـــا يكيلـــه ســـوء كيلـــه

فشفى بي غليلـــه لا شـــفى بـــي

دون ابنايـــه الجميـــع غليلـــــه

من لهذا الزمـــان مـــذ نال مـــنِّي

ليـــس لي بالزمـــان والله حيلـــة

غير أن يشفع الوزيـــر ويـــدعي[1]

عبـــده أو خـــديمـــه أو خليلـــــه

[1] **جعلها د. طويل: ((ويدعو)).**

دمت يا بن الوزير في عزك السا
مـــي ودامــت به الليالي[1] كفيلـــة

سيدي الذي بعزة جاهه أصول [2]، وبتوسلي بعنايته أبلغ المأمول والسول، وأروم لما أنا أحوم عليه الوصول، ببركة المشفوع إليه والرسول، المرغوب من مجدك السامي الصريح، والمؤمل من ذلك الوجه السني الصبيح، أن تقوم بين نجوى الشفاعة، هذه الرقاعة، وتعين بذاتك الفاضلة النافعة، من لسانك مصقاعة، حتى ينجلي حالي عن بلج، وأتنسم من مهبات القبول طيب الأرج، وتتطلع مستبشرات فرحتي من ثنيات الفرج، فإن سيد الجماعة الأعلى، وملاذ هذه البسيطة وفحلها الأجلى، فسح الله تعالى في ميدان هذا الوجود بوجوده، وأضفى على هذا القطر ملابس الستر برأيه السديد وسعوده، وبلغه في جميعكم غاية أمله ومقصوده، قلما تضيع عنده شفاعة الأكبر من ولده، أو يخيب لديه من توسل إليه بأزكى قطع

---
[1] في الزيتونة: ((الأيام)).
[2] نفسه: ((أطول)).

كبده، وبحقك ألا ما أمرت هذه الرقعة بالمثول بين يدي ذلك الزكي الذات الطاهر البقعة، وقل لها قبل الحلول بين يدي هذا المولى الكريم، والموئل الرحيم، بعظيم التوقير والتبجيل، واعلمي يا أيتها السايل، أن هذا الرجل هو المؤمل، بعد الله تعالى في هذا الجيل، والحجة البالغة في تبليغ راجيه أقصى ما يؤملونه بالتعجيل، وخاتمة كلام البلاغة، وتمام الفصاحة، الموقف عليه ذلك كله بالتسجيل، وغرة صفح دين الإسلام المؤيد بالتحجيل. وهذا هو مدبر فلك الخلافة العالية بإيالته، وحافظ بدر سمايها السامية بهالته، فقري بالمثول بين يديه عيناً، ولقد قضيت على الأيام بذلك ديناً، وإذا قيل ما وسيلة مؤملك، وحاجة متوسلك، فوسيلته تشيعه في أهل ذلك المعنى، وحاجته يتكفل بها مجدكم الصميم ويعنى، وليست تكون بحرمة جاهكم من العرض الأدنى، وتمن فإن للإنسان هنالك ما تمنى، وتولى تكليف مرسلي بحسب ما وسعكم، وأنتم الأعلون، والله معكم. ثم أثن العنان، والله المستعان، وأعيدي السلام، ثم عودي بسلام)).

وخاطب قاضي الحضرة، وقد أنكر عليه لباس ثوب أصفر: ((أبقى الله المثابة العلية، ومثلها أعلى، وقدحها في المعلوات المعلى، ما لها أمرت، لا زالت بركاتها تنثال، ولأمر ما يجب الأمثال، بتغيير ثوبي الفاقع اللون، وإحالته عن معتاده في الكون، وإلحاقه بالأسود الجون أصبغة حداداً، وأيام سيدي أيام سرور، وبنو الزمان بعدله ضاحك ومسرور، ما هكذا شيمة البرور، بل لو استطعنا أن نزهو له كالميلاد، ونتزيا في أيامه بزي الأعياد، ونرفل من المشروع في محبر وموروس، ونتجلى في حلل العروس، حتى تقر عين سيدي بكتيبة دفاعه، وقيمة [1] نوافله وإشفاعه، ففي علم سيدي الذي به الاهتداء، وبفضله [2] الاقتداء، تفضيل الأصفر الفاقع، حيثما وقع من المواقع، فهو مهما حضر نزهة الحاضرين، وكفاه فاقع لونها تسر الناظرين. ولقد اعتمه **جبريل** عليه السلام، وبه تطرز المحبرات والأعلام، وإنه لزي الظرفاء، وشارة أهل

---

[1] في الزيتونة: ((قيم)).
[2] في الإسكوريال: ((بعلمه))

الرفاء، اللهم إلاّ إن كان سيدي، دام له [1] البقاء، وساعده الارتقاء، ينهي أهل التبريز، عن مقاربة لون الذهب الإبريز، خيفة أن تميل له منهم ضريبة، فيزنوا بريبة، فنعم إذا ونعمى عين، وسمعاً وطاعة لهذا الأمر الهين اللين، أتبعك لا زيداً وعمراً، ولا أعصى لك أمراً، ثم لا ألبس بعدها إلاّ طمراً، وأتجرد لطاعتك تجريداً، وأسلك إليك فقيراً ومزيداً، ولا أتعرض للسخط بلبس شفيف، استنشق هباه، وألبس عباه، وأبرأ من لباس زي ينشئ عتابا، يلقى على لسان مثل هذا كتاباً، وأتوب منه متاباً، ولولا أني الليلة صفر اليدين، ومعتقل الدين، لباكرت به من حانوت صباغ رأس خابية، وقاع مظلمة جابية، فأصيره حالكاً، ولا ألبسه حتى استفتي فيه مالكاً، ولعلي أجد فأرضي سيدي بالتزيي بشارته، والعمل بمقتضى إشارته، والله تعالى يبقيه للحسنات، ينبه عليها، ويومي بعمله [2] وحظه إليها، والسلام)).

---

[1] في الزيتونة: ((أدام الله له)).
[2] نفسه: ((بعلمه)).

وخاطبني وقد قدم في شهادة المواريث بحضرة **غرناطة** [1]:

يــا منتــهى الغايــات دامــت لنا
غايتــك القصــوى بــلا فــوت
طلبــت إحيــائــي بكم فانتــهى
مــن قبلــه حــالي إلى المــوت
وحق ذلــك[2] الجــاه جــاه العــلا
لا مــــت إلا أن أتــى وقـــت[3]

مولاي الذي أتأذى [4] من جور الزمان بذمام جلاله، وأتعوذ من نقص شهادة المواريث بتمام كماله، شهادة يأباها المعسر والحي، ويود أن لا يوافيه أجله عليها الحي، مناقضة لما العبد بسبيله، غير مربح قطميرها من قليله، فإن ظهر لمولاي إعفاء عبده، فمن عنده، والله تعالى يمتع الجميع بدوام سعده، والسلام الكريم، يختص بالطاهر من

[1] البحر السريع.
[2] جعلها د. طويل: ((ذاك)).
[3] أضاف د. طويل ((الياء))؛ فأضحت: ((وقتي)).
[4] في الإسكوريال: ((أتلذذ)). والأخرى أرجح.

ذاته ومجده، ورحمة الله وبركاته، من عبد إنعامكم **ابن الفصال** لطف الله به [1]:

قد كنت أسترزق الأحياء ما رزقوا
شيئـــاً ولا وفوني[2] بعــض أقــوات
فكيــف حــالي لمــا أن شكوتهــم
رجعت أطلــب قوتي عند أمــوات[3]

والسلام يعود على جناب مولاي ورحمة الله وبركاته)).

وخاطب أحد أصحابه، وقد استخفى لأمر قرف به، برسالة افتتحا بأبيات على حرف الصاد، أجابه المذكور عن ذلك بما نصه، وفيه إشارة لغلط وقع في الإعراب [4]:

يا شعلة من ذكـــاء أرسلت شـــررا
إلى قريـــب من الأرجاء بعد قــص

---

[1] **البحر البسيط.**
[2] **أضاف د. طويل: ((ما))؛ فغدت: ((شيئاً ولا ما وفوني...)).**
[3] **أضاف د. طويل: ((الياء))؛ فأضحت: ((أمواتي)).**
[4] **البحر البسيط.**

وشبهة حملت دعوى السفـــاح على
فحل يليــق به مضمونهـــا وخـــص
رحمـــاك بي فلقد جرعتني غصصا
أثار تعريضهـــا المكتـــوم من غص
بليتـــني بنكـــاة القـــرح في كبـــدي
كمثـــل مرتجـــف المجذوم بالبرص

أيها الأخ الذي رقى ومسح، ثم فصح، وغش ونصح، ومزق ثم نصح، وتلاعب بأطراف الكلام المشقق فما أفصح، ما لسحاتك ذات الجيد المنصوص، وهم سمة الودّ المرصوص، على تعدل إلى التأويلات عن النصوص؛ وتؤنس على العموم، وتوحش على الخصوص، لا در دره من باب بر ضاع مفتاحه، وتأنيس حر سبق بالسجن استفتاحه، ومن الذي أنهى إلى أخي خبر ثقافي، ووثيقة تحبيسي وإيقافي، وقد أبى ذلك سعد فرعه باسق، وعز عقده متناسق: و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ

[بِنَبَإٍ][1]﴾.[2]، بل المثوى والحمد الله جنات وغرف، والمنتهى مجد وشرف، فإن كان وليي مكترثاً فيحق له السرور، أو شامتاً، فلي الظل وله الحرور. أنا لا أزن والحمد لله بها من هناه، ولما أدين بها من عزي ومناه، ولا تمر لي ببال فلست بذي سيف، ولست بنكال نفسي أرق شيمة، وأكرم مشيمة، وعيني أغزر ديمة، لو كان يسئل لسان عن إنسان، أو مجاولته بملعبه خوان، أوقفني إخوان لا بمأزق عدوان، لارتسمت منه بديوان. لا يغني في حرب عوان، عين هذا الشكل والحمد لله فراره، وعنوان هذا الحد غراره. وأما كوني من جملة الصفرة. وممن أجهز سيدي الفقار على ذي الفقرة، فأقسم لو ضرب القتيل ببعض البقرة[3]، لتعين مقدار تلك الغفرة. اللهم لو كنت مثل سيدي ممن تتضاءل النخلة السحوق

---

[1] لم ترد كلمة بنبإ في الإسكوريال؛ بينما وردت في الزيتونة.

[2] الآية كاملة هكذا: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ). سورة الحجرات؛ الآية: 6.

[3] إشارة إلى قوله تعالى في قوم موسى عليه السلام؛ حين أمرهم بضرب القتيل ببعض أجزاء البقرة المذبوحة: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ المَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). سورة البقرة؛ الآية: 73.

لقامته، ويعترف [1] **عوج** لديه بقماءته ودمامته، مقبل الظعن كالبدور في سحاب الخدور، وخليفة السيد الذي بلغت سراويله تُنْدوة العدو الأيد، لطلت بباع مديد، وساعدني الخلق بساعد شديد، وأنا لي جسم شحت، يحف به بخت، وحسب مثلي أن يعلم في ميدان هوى، تسل فيه سيوف اللحاظ على ذوي الحفاظ، وتشرع سيوف القدود. إلى شكاة الصدود [2]، وتسطو أولو الجفون السود بالأسود، فكيف أخشى تبعة تزل عن صفاتي، وتنافي صفاتي، ولا تطمع أسبابها في التفاتي، ولا تستعمل في حربها قنا ألفاتي. والله يشكر سيدي على اهتباله، ويحل كريم سباله، على ما ظهر لأجلي من شغف باله، إذ رفع ما يتصب، وغير ما لو غيره الحجاج، لكان مع الهيبة يحصب [3]، ونكت بأن نفقت بالحظ سوقي. وظهر لأجله

[1] في الإسكوريال: ((يغترف)).
[2] في الزيتونة: ((الصمود)).
[3] حرفت في الزيتونة؛ فكتبت: ((يصب)).

فسوقي [1] ويا حبذا هو من شفيع رفيع، ووسيلة لا يخالفها الرعي، ولا يخيب لها السعي. ولله در القايل [2]:

لله بالإنسان في تعليمه
بوساطة القلم الكريم عناية
فالخط خط والكتابة لم تزل
في الدهر عن معنى الكمال كناية

وما أقرب يا سيدي هذه الدعوى لشهامتك. وكبر هامتك[3]:

لو كنت حاضرهم بخندق بلج
ولحمل ما قد أبرموه فصال
لخصصت بالدعوى التي عموا بها
ولقيل[4] فصل جلاه الفصال

---

[1] **في الإسكوريال: ((بسوقي)).**
[2] **البحر الكامل.**
[3] **البحر الكامل.**
[4] **في الزيتونة: ((ولقلت)).**

وتركت فرعون بن موسى عبـــرة
تتقدمنـــــــه بسيفـــــــه الأوصـــال

فاحمد الله الذي نجاك من حضور وليمتها، ولم تشهد يوم حليمتها. وأما اعتذارك عما يقل من تفقد الكنز، ومنتطح العنز، فورع في سيدي أتم من أن يتهم بغيبة، ولسانه أعف من أن ينسب إلى ريبة، لما اتصل به من فضل ضريبة، ومقاصد في الخير غريبة، إنما يستخف سيدي أفرط التهم، رمي العوامل بالتهم، فيجري أصح مجرى أختها، ويلبسها ثياب تحتها، بحيث لا إثم يترتب، ولا هو ممن تعتبه، وعلى الرجال فجنايته عذبة الجناء، ومقاصده مستطرفة [1] لفصح أو كنى. أبقاه الله رب نفاضة وجرادة، ولا أخلى مبرده القاطع من برادة، وعوده الخير عادة، ولا أعدمه بركة وسعادة، بفضل الله، والسلام عليه من وليه المستزيد من ورش [2] وليه، لا بل من قلايد حليه. **محمد بن فركون القرشي**. ورحمة الله وبركاته)).

[1] في الزيتونة: ((مستظرفة)).
[2] في الإسكوريال: ((رش))؛ وفي الزيتونة: ((لورش))؛ فعدلها عنان هكذا.

فراجعه المترجم بما نصه، وقد اتهم أن ذلك من إملايي [1]:

يا ملبس النصح ثوب الغش متهما
يلوي النصيحة عنه غير منتكص
وجاهــلاً باتخــاذ الهزل مأدبــة
أشــد ما يتوقى محمل الرخــص
نصحته فقصــاني فانقلبــت إلــى
حال يغص بها من جملة الغصص
بالأمس أنكرت آيات القصاص له
واليوم يسمــع فيه سورة القصص

ممن استعرت يا بابلي هذا السحر، ولم تسكن بناصية السحر، ولا أعملت إلى **بابل هاروت** امتطاء ظهر، ومن أين جيت بقلايد ذلك النحر، أمن البحر، أو مما وراء النهر. ما لمثل هذه الأريحية الفاتقة، استنشقنا مهبك، ولا قبل هذه البارقة الفايقة، استكثرنا غيك. يا أيها الساحر ادع لنا ربك. أأضغاث أحلام ما تريه الأقلام، أم في لحظة

---

[1] **البحر البسيط.**

تلد الأيام، فرايد الأعلام. لقد عهدت بربعك محسن دعابة، ما فرعت شعابه، أو مصيباً في صبابة، ما قرعت بابه، ولا استرجعت قبل أن أعبر عبابه. اللهم إلا أن تكون تلك الآيات البينات، من بنات يراعتك، لا براعتك ومفترس تلك الزهر، الطالعة كالكواكب الزهر، مختلس يد استطاعتك، لا زراعتك، وإلا فنطرح مصايد التعليم والإنشاء، وننتظر معنى قوله عز وجل، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾[1] أو نتوسل في مقام الإلحاح والإلحاف. أن ننقل من غايلة الحسد إلى الإنصاف، وحسبي أن أطلعت بالحديقة الأنيقة، ووقفت من مثلي تلك الطريقة على حقيقة، فألفيت بها بياناً قد وضح تبياناً أو أطلق عناناً، ومحاسن وجدت إحساناً، فتمثلت إنساناً، سرح لساناً، وأجهد بناناً، إلا أن صادح أيكتها يتململ في قيظ، ويكاد يتميز من الغيظ، فيفيض ويغيض، ويهيض وينهض، ثم يهيض، ويأخذ في طويل وعريض، بتسبيب وتعريض،

---

[1] **الآيـة كاملـة هكـذا: (يُـؤْتِي الحِكْمَـة مَـنْ يَشَـاءَ وَمَـنْ يُـؤتَ الحِكْمَـة فقدْ أوتِيَ خَيْـراً كَثِيـراً وَمَـا يَذّكّـرُ إلاّ أولُـوا الألْبَـابِ). سـورة البقـرة؛ الآيـة: 269.**

ويتناهض في ذلك بغير مهيض، وفاتن كمايمها [1] تسأل عن الصادح، ويتلقف عصا استعجاله ما يفكه المادح، ويحرق بناره زند القادح، ويتعاطى من نفسه بالإعجاب، ويكاد ينادي من وراء حجاب، إن هذا لشيء عجاب، إيه بغير تمويه، رجع الحديث الأول، إلى [ما عليه المعول] [2]، لا در درها من نصيحة غير صحيحة، ووصية مودة صريحة، تعلقت بغير ذي قريحة، فهي استعجلتني بداهية كاتب، واستطالة ظالم عاتب [قد سل مرهفه واستنجد مترفه] [3]، وجهزها نحو كتيبته تسفر عن تحجيل، بغير تبجيل [وسحابة سجل ترمي بسجيل] [4] ما كان إلا أن استقلت، ورمتني بدائها وانسلت، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[5]، فحسبي الله، تغلب على فهمي، ورميت بسهمي، وقتلت بسلاحي، وأسكرت براحي، بريت

---

[1] في الزيتونـة: ((كماينهـا)).
[2] ورد بـدل هـذه العبـارة في الزيتونـة مـا يـلي: ((مـا إليـه أمـل)).
[3] هكـذا في الإسكوريـال؛ بينمـا وردت في الزيتونـة هكـذا: ((قد فلّ مذهبـه واستنجـد مضربـه)).
[4] في الزيتونـة: ((وسحابـة بسجيـل تـرمى بتعجيـل)).
[5] سـورة الانشقـاق؛ الآيـة: 4.

بريت، مما به دهيت، أنت أبقاك الله لم تَدْن [1] بها مني منالاً وعزاً، فكيف بها تنسب إلى بعدك وتعزا، نفسي التي هي أرق وأجدر بالمعالي وأحق، وشكلي أخف على القلوب وأدق، وشمايلي أملك فلا تسترق، ولساني هو الذي يسئل فلا يفل، وقدري يعز ويجل، عما فخرت أنت به من ملعب مايدة، ومجال رقاب متمايدة، فحاشى سيدي أن يقع منه بذلك مفخر، إلا أن يكون يلهو ويسخر، وموج بحره بالطيب [والخبيث] [2] تزخر، وعين شكلي هي بحمد الله، عين الظرف [3] المشار إليه بالبنان والطرف. وأما تعريض سيدي بصغر القامة، وتكبيره لغير إقامة، فمطرد قول، ومدامة غول، وفريضة [4] نشأ فيها عول، إذ لا مبالاة تجسم كاينا ما كان، أو ما سمعت أن السر في السكان، وإنما الجسد للروح مكان [ولم يبق إليه فقد يروح] [5]، وقد قال، ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ

[1] في الزيتونة: ((لم تدر)).
[2] هذه الكلمة سقطت في الزيتونة؛ بينما وردت في الإسكوريال.
[3] سقطت في الزيتونة؛ ووردت في الإسكوريال.
[4] في الإسكوريال: ((فراضة)).
[5] ورد في الإسكوريال بدل هذه العبارة ما يلي: ((ولم ين إليه بعد مروح)).

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾[1]، والمرء بقلبه ولسانه، لا بمستظهر عيانه، والله در القايل [2]:

لـــم يرضـــني أني بجسم هايـــل
والـــروح ما وفـــت له أغراضـــه
ولقد رضيـــت بأن جســـمي ناحل
والـــروح سابغـــة به فضفاضـــة

ولما وقع سيدي بمكتوبي على المرفوع والمنصوب، وظفرت يده بالمغصوب، والباحث المعصوب، لم يقلها [3] زلة عالم. وإني وقد وجدتها منية حالم، فعدد وأعاد، وشدد وأشاد، هلاّ عقل ما قال، وعلم أن المقيل سيكون مقال، [وزلة العالم لا تقال] [4] وأن الحرب سجال. وقبضة غيره هو المتلاعب في الحجال [5]، وبالجملة فلك الفضل يا يا سيدي، ما اعتني بمعناك، وارتفع بين معاني الكرام

---

[1] الآيـة كاملـة هكـذا: (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوح قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبّي وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً). سورة الإسراء؛ الآيـة 85.
[2] البحـر الكامـل.
[3] في الزيتونـة: ((يلقهـا)).
[4] سقطت هـذه العبـارة في الإسكوريـال؛ بينمـا وردت في الزيتونـة.
[5] في الزيتونـة: ((المجـال)).

مغناك، فمدة ركوبك الحمران لا تجارى، ولا يشق أحد لك غباراً. أبقاك الله تحفظ عرى هذا الوداد، ويشمل الجميع بركة ذلك الناد، والسلام عليك من **ابن الفصال**، ورحمتة الله وبركاته. وجعلا إلي التحكيم، وفوضا لنظري التفضيل فكتبت [1]:

بارك عليها بذكر اللــــه من قصص
واذكـــر ما[2] أتى في سورة القصص
حيث اغتدي السحر يلهو بالعقول وقـــد
أحـــال بين حـــال كيـــده وعـــص[3]
عقايـــل العقل والسحر الحلال قوت
من كافل الصون بعد الكون حجر وص[4]
وأقبلــــــت تتهـــادى كالبـــدور إذا
بسحــــر من فلك النذور في حصص

---

[1] البحـر البسيـط.
[2] أضـاف د. طويـل كلمـة ((لهـا))؛ فغـدت: ((اذكـر لهـا مـا...)).
[3] جعل د. طويـل هـذا الشطـر هكـذا:
((أحـال بين حـؤول كيـده وعـصي)).
[4] أضـاف د. طويـل اليـاء؛ فأضحـت: ((وصي)).

من للبــدور وربات الخدور بهــا
المثل غير مطيع والمثلان عــص[1]
ما قرصة البدر والشمس المنيرة أن
قيست بمن سوى[2] من جملة القرص
تا للــه ما حكمهــا يوماً بمنتقــض
كلاً ولا بدرهــا يومــاً بمنتقــص
إن قــال حكمي فيها بالسواد فقــد
أمنت ما يحذر القاضي من الغصص
أو كنت أرخصت في الترجيح[3] مجتهداً
لم يقبل الورع الفتيــا مع الرخــص

يا مدلج ليل الترجيح قف، فقد خفيت الكواكب، ويا قاضي طرف التحسين والتقبيح، تسامت والحمد لله المناكب، ويا مستوكف خبر الوقيعة من وراء أقتام القيعة[4]، تصالحت المواكب. حصحص الحق فارتفع

[1] جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((المثل غير مطيع والمثيل عصي)).
[2] حذف د. طويل: كلمة ((سوى))؛ ووضع بدلها: ((قاسها)).
[3] في الزيتونة: ((التخريج)).
[4] نفسه: ((الوقيعة)).

اللجاج، وتعارضت الأدلة فسقط الاحتجاج، ووضعت الحرب أوزارها فسكن العجاج، وطاب نحل الأقلام بأزهار الأحلام، فطاب المجاج، وقل لفرعون البيان وإن تأله، وبلد العقول وبله، وولى بالغرور ودله. أوسع الكناين [1] نشلا، ودونك أيدا شثلاً، وشحرا حثلا، لا خطماً ولا أثلاً. إن هذان لساحران إلى قوله، ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾[2]، وإن أثرت أدب الحليم مع قصة الكليم [3]، فقل لمجمل جياد التعاليم، وواضع جغرافياً الأقاليم، **أندلسا** ما علمت بلد الأجم، لا سود العجم، ومداحض السقوط، على شوك قتاد **القوط**، ولم يذر إن محل ذات العجايب والأسرار، التي تضرب إليها أباط النجاب في غير الإقليم الأول. وهذا الوطن بشهادة القلب الحول. إنما هو رسم دارس، ليس عليه من معول. فهنالك يتكلم الحق فيفصح ويعجم، ويرد المدد على النفوس الجريئة، من مطالع

---

[1] في الزيتونـة: ((الكنى)).
[2] الآيـة كاملـة هكذا: (قالُوا إنْ هَذانِ لَسَاحِران يُرِيدَانِ أنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بطَرِيقتِكُمْ المثلى). سورة طه؛ الآيـة: 63.
[3] في الزيتونـة: ((الحكيم)).

الأضواء [1] فيحدث ويلهم، ويجود خازن الأمداد، على المتوسل بوسيلة الاستعداد، فيقطع ويسهم. وأما إقليمنا الرابع والخامس، بعد أن تكافأت المناظر والملامس، وتناصف الليل الدامس واليوم الشامس، باعتدال ربيعي، ومجرى طبيعي، وذكي بليد، ومعاش وتوليد، وطريف في البداوة وتليد، ليس به برباه ولا هرم، يخدم بها درب محترم، ويشب لقرياته حرم، فيفيد روحانيا يتصرف، ورييساً يتعرض ويتعرف، كلما استنزل صاب [2]، وأعمل الانتصاب، وجلب المآرب، وأذهب الأوصاب، وعلم الجواب، وفهم الصواب. ولو فرضنا هذه المدارك ذوات أمثال، أو مسبوقة بمثال، لتلقينا منشور القضاء بامتثال، لكنا نخاف أن نميل بعض الميل، فنجني بذلك أبخس الجري وإرضاء الذميل، ونجر تنازع **الفهري** مع **الصميل**. فمن خير ميز، ومن حكم أزري به وتهكم، وما سل سيوف الخوارج في الزمن الدارج، إلا التحكيم، حتى جهل [3]

---

[1] في الزيتونة: ((الأصول)).
[2] نفسه: ((الصاب)).
[3] نفسه: ((سجل)).

الحكيم، وخلع الخطام[1]، ونزع الشكيم، وأضر بالخلق نافع، وذهب الطفل لجراه واليافع، وذم الذمام ورد الشافع، وقطر سيف قطري بكل نجيع طري، وزار الشيب الأسيد الهصور، وصلت الغزالة بمسجد الثقفي وهو محصور، وانتهبت المقاصير والقصور، إلا أن مستأهل الوظيفة الشرعية، عند الضرورة يجبر، والمنتدب للبر محي عند الله ويجبر، و﴿اجْعَلْنِي[2] عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾[3]، وهو الأوضح والأشهر، فيها به يستظهر. وأنا فإن حكمت على التعجيل، فغير مشهد على نفسي بالتسجيل، إنما هو تلفيق يرضى وتطفيل، يعتب عليه من تصدع بالحق ويمضي إلاّ أن يغضى، ورأيي فيها المراضاة والاستصلاح، وإلاّ فالسلاح والركاب الطلاح، والصلح خير، وما استدفع بمثل التسامح ضير. ومن وقف عليه، واعتبر ما

---

[1] في الزيتونة: ((الخصام)).
[2] نفسه: ((وجعلتني))؛ وهو تصحيف.
[3] الآية كاملة هكذا: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ). سورة يوسف؛ الآية: 55.

لديه، فليعلم أني صدعت وقطعت، والحق أطعت، وإن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، والسلام)).

***

عبد الرحمن بن محمد

ابن محمد بن محمد بن الحسن [1] بن محمد بن جابر بن محمد
ابن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون [2] الحضرمي؛
من ذرية عثمان أخي كريب المذكور في نبهاء ثوار الأندلس؛
وينتسب [3] سلفهم إلى وائل بن حجر؛ وحاله عند القدوم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف [4].

أوليته

قد ذكر بعض منها؛ وانتقل سلفه من مدينة **إشبيلية**؛ عن نباهة وتعين وشهرة؛ عند الحادثة بها، أو قبل ذلك، واستقر [5] **بتونس** منهم ثالث [6] **المحمدين محمد**

---

[1] في النفح: ((الحسين)).

[2] ترجمته شائعة ومنشورة في مصادر قديمة، ومراجع حديثة كثيرة؛ أهمها: كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ونفح الطيب، والضوء اللامع، والأعلام؛ للزركلي، وفلسفة ابن خلدون الاجتماعية؛ لطه حسين، ودراسات عن مقدمة ابن خلدون؛ لساطع الحصري، ومقدمة ابن خلدون؛ تحقيق على عبد الواحد وافي؛ ومنطق ابن خلدون؛ لعلي الوردي، وابن خلدون حياته وتراثه الفكري؛ لمحمد عبد الله عنان، ومؤلفات ابن خلدون؛ لعبد الرحمن بدوي، وعلم الاجتماع الخلدوني (قواعد المنهج)؛ لحسين الساعاتي، وأعمال الملتقى الدولي لابن خلدون؛ إصدار المركز الوطني للدراسات التاريخية بالجزائر، والعرب وابن خلدون؛ لأبي القاسم محمد كرو، والعمران البشري في مقدمة ابن خلدون؛ لسفيتلانا باتسييفا، وغير ذلك من المراجع العربية وأجنبية.

[3] في النفح: ((وينسب)).

[4] نفسه: ((معروفة)).

[5] نفسه: ((فاستقر)).

[6] نفسه: ((ثاني)).

ابن الحسن، وتناسلوا على سراوة [1] وحشمة ورسوم حسنة؛ وتصرف جد المترجم به لملوكها في القيادة.

حاله

هذا الرجل الفاضل حسن الخلق، جم الفضائل [2] باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، وقور المجلس، خاصيّ الزيّ، عالي الهمة، عزوف [3] عن الضيم، صعب المقادة، قوي الجأش، طامح لقنن [4] الرياسة، خاطب للحظ، متقدم في فنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الخط، مغري بالتجلة، جواد الكف، حسن العشرة، مبذول[5] المشاركة، مقيم لرسوم التعين، عاكف على على رعي خلال[6] الأصالة، مفخرة[7] من مفاخر التخوم **المغربية**.

---

[1] في النفح: ((على حشمة وسراوة)).
[2] في الإسكوريال: ((الفضل))؛ وصوبت من النفح.
[3] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((عزوب)).
[4] أي القمم.
[5] في الإسكوريال: ((بذول))؛ وصوبت من النفح.
[6] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((طلل)).
[7] في النفح: ((مفخر)).

مشيخته

قرأ القرآن ببلده على المكتب **ابن برال**، والعربية على المقري **الزواوي**[1] **وابن العربي**، وتأدب بأبيه، وأخذ عن المحدث **أبي عبد الله بن جابر الوادي آش**، وحضر مجلس القاضي **أبي عبد الله ابن عبد السلام،** وروى عن الحافظ **عبد الله**[2] **السطّي**، والرئيس **أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي**، ولازم العالم الشهير **أبا عبد الله الآبلي**، وانتفع به.

توجهه إلى المغرب

انصرف عن[3] **إفريقية** منشئه. بعد أن تعلق بالخدمة السلطانية على الحداثة وإقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة[4]. وعرف فضله، فضله، وخطبه السلطان منفق سوق العلم والأدب **أبو عنان فارس ابن علي بن عثمان**، واستقدمه، واستحضره

---

[1] في النفح: ((الزواوي وغيره)).
[2] نفسه: ((أبي عبد الله)).
[3] نفسه: ((من)).
[4] الموافق لـ 1352م.

بمجلس المذاكرة؛ فعرف حقه، وأوجب فضله، واستعمله في[1] الكتابة أوائل عام ستة وخمسين[2]، ثم عظم عليه حمل الخاصة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التأني، وشفوفه بثقوب الفهم، وجودة الإدراك، فأغروا به السلطان إغراء عضده ما جبل عليه عندئذ[3] من إغفال التحفظ، مما يريب لديه، فأصابته شدة تخلصه منها أجله؛ كانت مغربة في جفاء ذلك الملك، وهناة جواره، وإحدى العواذل لأولي الهوى في القول بفضله، [واستأثر به الاعتقال باقي أيام دولته على سنن الأشراف من الصبر][4] وعدم الخشوع، وإهمال التوسل، وإبادة المكسوب في سبيل النفقة، والإرضاخ على زمن المحنة، وجار المنزل الخشن، إلى أن أفضى الأمر إلى السعيد ولده، فأعتبه قيم الملك لحينه، وأعاده إلى رسمه. ودالت الدولة إلى السلطان **أبي سالم**؛ وكان له به الاتصال، قبل تسوغ

---

[1] في النفح: ((على)).
[2] أي سنة 756هـ؛ الموافق لـ 1355م.
[3] في النفح: ((عهدئذ)).
[4] ما بين حاصرتين وارد في الإسكوريال، وساقط في النفح.

المحنة [1]، بما أكد حظوته؛ فقلده ديوان الإنشاء مطلق الجرايات، محرر السهام، نبيه الرتبة، إلى آخر أيامه. ولما ألقت الدولة مقادها بعده إلى الوزير **عمر بن عبد الله**، مدبر الأمر وله إليه [قبل ذلك] [2] وسيلة، وفي حَليه [3] شركة، وعنده حق رابه تقصيره، عما ارتمى إليه أمله، فساء ما بينهما إلى أن آل إلى انفصاله عن الباب **المريني**.

دخوله غرناطة

ورد على **الأندلس** في أوائل [4] شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعماية [5]، واهتز له السلطان، وأركب خاصته لتلقيه، وأكرم وفادته، وخلع عليه، وأجلسه بمجلسه الخاص. ولم يدخر عنه براً ومؤاكله ومطايبة وفكاهة. وخاطبني لما حل بظاهر الحضرة؛ مخاطبة لم تحضرني الآن؛ فأجبته عنها بقولي [6]:

---

1 في الإسكوريال: ((المتيحة))؛ وصوبت من النفح.
2 هذه الإضافة من الإسكوريال؛ وسقطت في النفح.
3 هكذا في النفح؛ وفي الإسكوريال: ((جلبة)).
4 في النفح: ((أول ربيع الأول...))
5 الموافق لـ 1362م.
6 البحر الطويل.

حللـــت حلول الغيث في البلد المحل
على الطائر الميمون والرحب والسهــل
يمينـــاً بمن تعنو الوجـــوه لوجهـــه
من الشيخ والطفل المهدإ[1] والكهـــل
لقد نشـــأت عندي للقيـــاك غبطـــة
تنـــسي اغتبـــاطي بالشبيبة والأهل[2]

أقسمت [3] بمن حجت قريش لبيته، وقبر صرفت أزمة الأحياء لميته [4]؛ الذي زيازته الأمنية السنية، والعارفة والعارفة الوارفة، واللطيفة المطيفة، بين رجع الشباب يقطر ماء، ويرف نماء، ويغازل عيون الكواكب، فضلاً عن الكواعب، إشارة وإيماء، بحيث لا الوخط [5] يلم بسياج لمته، أو يقدح ذبالة [6] في ظلمته، أو يقوم حواريه في

[1] هكذا في النفح، والتعريف بابن خلدون؛ بينما جاء في الإسكوريال، وريحانة الكتاب: ((المعصب)).
[2] ورد في ريحانة الكتاب بيت آخر بعد هذا البيت جاء فيه: ((وودّي لا يحتاج فيه لشاهد وتقريري المعلوم ضرب من الجهل)).
[3] في ريحانة الكتاب: ((يميناً بربٍّ حجت قريش لبيته...))
[4] ورد هنا؛ في التعريف بابن خلدون، وريحانة الكتاب، ونفح الطيب؛ ما يلي: ((ونور ضربت الأمثال بمشكاته وزيته لو خيرت أيها الحبيب الذي زيارته...)).
[5] أي الشيب.
[6] أي فتيلة.

ملته[1]، من الأحابش وأمته، وزمانه روح وراح، ومغدى في النعيم ومراح، وقصف صراح [2]، ورفى [3] وجراح، وانتخاب [4] واقتراح، وصدور ما بها إلا انشراح، ومسرات ومسرات تردفها أفراح. وبين قدومك خليع الرسن، ممتعاً والحمد لله، باليقظة والوسن، محكماً في نسك **الجنيد**، أو فتك **الحسن**، ممتعاً بظرف المعارف، مالئاً أكف الصيارف، ماحيا بأنوار البراهين شبه الزخارف لما اخترت الشباب، وإن شاقني [5] زمنه، وأعياني ثمنه، وأجرت سحاب [6] دمعي دمنه. فالحمد لله الذي رقى [7] جنون اغترابي، وملكني أزمة آرابي، وغبطني بمائي وترابي، ومألف أترابي، وقد أغصني بلذيذ شرابي، ووقع على سطوره المعتبرة إضرابي، وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية [8]،

---

[1] في الريحانة: ((لمّته)).
[2] نفسه: ((ونصب صراح)).
[3] في التعريف، والنفح: ((ورُقي)).
[4] في النفح: ((وانتحاب))؛ بالحاء المهملة.
[5] نفسه: ((راقني)).
[6] نفسه: ((سحائب)).
[7] في الريحانة: ((وقى)).
[8] نفسه: ((الطية)).

ومنتهى الطّيّة، وملتقى للسعود [1] غير البطّيّة، وتهني الآمال الوثيرة الوطية، فما شئت من نفوس عاطشة إلى ريك، متجملة بزيك، عاقلة خطى مهريك، ومولى مكارمه نشيدة أمثالك، ومظانّ [2] مثالك، وسيصدق الخبر الخبر ما هنالك، ويسع [3] فضل مجدك في [4] التخلف عن عن الإصحار [5]، لا بل اللقاء من وراء البحار، والسلام.

ولما استقر بالحضرة؛ جرت بيني وبينه مكاتبات؛ أقطعها الظرف جانبه، وأوضح الأدب فيها مذاهبه. فمن ذلك ما خاطبته به، وقد تسرى جارية **رومية** إسمها **هند** [صبيحة الابتناء بها] [6]:

أوصيك بالشيخ أبي بكره
لا تأمنن في حالة مكره

---

[1] في الريحانة، والتعريف، والنفح: ((السعود)).
[2] في الريحانة: ((ومطابق)).
[3] نفسه: ((ويسمعني)).
[4] نفسه: ((عن)).
[5] أي الخروج إلى الصحراء.
[6] ما بين حاصرتين وارد في النفح، وساقط في الإسكوريال. والبيتان الآتيان من السريع.

واجتنـــــب الشـــــك إذا جئتــه
جنبــك الرحمـــــن من تكـــــره

سيدي؛ لا زلت تتصف بالوالج، بين الخلاخل والدمالج [1]، وتركض فوقها ركض الهمالج [2]. اخبرني كيف كانت الحال، وهل حطت بالقاع من خير البقاع الرحال، وأحكم بمرود [3] المراودة الاكتحال، وارتفع بالسقيا الإمحال، وصح الانتحال، وحصحص الحق وذهب المحال، وقد طولعت بكل بشرى وبشر، وزفت هند منك إلى بشر، فلله من عشية تمتعت من الربيع بفرش موشية، [وابتذلت منها أي وساد وحشية] [4] وقد أقبل ظبي الكناس من الديماس، ومطوق الحمام من الحمام، وقد حسنت الوجه الجميل النظرية [5]، وأزيلت عن

---

[1] الدمالج؛ مفردها دملج: وهي الحلي التي تلبها المرأة في ساعدها. أما الخلاخل؛ فمفردها خلخال: وهي الحلي التي تزين بها المرأة ساقها.
[2] الهمالج من الدواب؛ التي تتميز بسير وركض حسن وسريع.
[3] المرود: الأداة التي يكتحل بها.
[4] هكذا في الإسكوريال والزيتونة؛ بينما وردت في النفح كالتالي: ((وأبدلت ((وأبدلت منها أي آساد وحشيته)).
[5] في النفح: ((التطرية))؛ أي تنعيم الوجه وتحسينه.

الفـرع الأثيـث الإبريـة [1]، وصقلت الخدود فـهي كأنهـا الأمريـة [2]، وسلـط الدلـك علـى الجلـود، وأغريـت النـورة بالشعـر المولـود، وعـادت الأعضـاء يزلـق [3] عنهـا اللمـس، ولا تنالهـا البنـان الخمـس، والسحنـة يجـول فـي صفحتهـا الفضيـة مـاء النعيـم، والمسـواك يلـبي مـن ثنيـة التنعيـم، والقلـب يـرمي مـن الكـف الرقيـم [4] بالمقعـد المقيـم، وينظـر إلـى نجـوم الوشـوم، فيقـول إنـي سقيـم؛ وقـد تفتـح ورد الخفـر، وحكـم لـزنجي الظفيـرة بالظفـر، واتصـف أميـر الحسـن بالصـدود المغتفـر، ورش بمـاء الطيـب، ثـم أعلـق ببالـه دخـان العـود الرطيـب. وأقبلـت الغـادة يهديهـا اليمـن. وتزفهـا السعـادة، فـهي تمشـي علـى استحيـاء، وقـد ذاع طيـب الريـا، وراق حسـن المحيـا، حـتى إذا نـزع الخـف، وقبلـت الأكـف، [وصحـب [5] المزمـار] [1] وتجـاوب الـدف، وذاع

---

[1] أي أزيلت عن الشعر الكثيف قشر الرأس. وكلمـة ((الإبريـة))؛ مـا زالـت مستعملة حتى الآن في الجزائر؛ ولكن محرفة؛ فيقولون: ((هبرية))؛ بالهاء.

[2] أي كأنها المرايـا.

[3] هكذا في النفـح؛ بينمـا ورد في الزيتونـة والإسكوريـال: ((يـزل)).

[4] أي المزيـن والمرقـوم.

[5] في النفـح: ((وصخـب)).

الأرج، وارتفع الحرج، وتجوز اللوا والمنعرج، ونزل على بشر بزيارة **هند** الفرج، اهتزت الأرض وربت، وعوصيت الطباع البشرية فأبت، ولله در القائل [2]:

ومـــــرت فقالــت[3] مــتى نلتــقي
فهــش اشتياقــاً إليهــا الخبيــث
وكـــــاد يمـــــزق سـربالـــــه
فقلــت إليــك بســاق الحديـــــث[4]

فلما انسدل جنح الظلام، وانتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة الإسلام [5]، وخاطت خيوط المنام، عيون الأنام، تأتى دنو الجلسة، ومسارقة الخلسة، ثم عضة [6] النهد، وقبله الفم والخد، وإرسال اليد من النجد إلى الوهد، وكانت الإمالة القليلة قبل المد، ثم الإفاضة

---

[1] في الإسكوريال: ((وصحب المزهر))، وفي الزيتونة: ((وصحب المزمر))؛ والتصويب من النفح.
[2] هذان البيتان لبشار بن برد؛ وهما من البحر المتقارب.
[3] في ديوان بشار: ((فقلت)).
[4] هذا مأخوذ من المثل السائر: ((إليك يساق الحديث)). وشرحه موجود في مجمع الأمثال.
[5] في النفح: ((السلام)).
[6] هكذا في النفح؛ وفي الإسكوريال والزيتونة: ((عض)).

فيما يغبط ويرغب، ثم الإماطة لما يشوش ويشغب، ثم إعمال المسير إلى السرير [1]:

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنـــا
ورضت فذلـــت صعبـــة أي إذلال

هذا [2] بعد منازعة للأطواق يسيرة، يراها الغيد من حسن السيرة، ثم شرع في حلّ التكة، ونزع الشكة، وتهيئة الأرض الغرار [3] عمل السكة، ثم كان الوحي والاستعجال. وحمي الوطيس والمجال، وعلا الجزء الخفيف، وتضافرت الخصور الهيف، وتشاطر الطبع العفيف، وتواتر التقبيل، وكان الأخذ الوبيل، وامتاز الأنوك [4] من النبيل، ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل، السبيل، فيا لها من نعم متداركة، ونفوس في سبيل القحة متهالكة، ونفس يقطع حروف الحلق، وسبحان

[1] هذا البيت لامرئ القيس؛ وهو من البحر الطويل.
[2] في النفح: ((وهذا)).
[3] هكذا في الإسكوريال؛ وفي الزيتونة: ((العرار))، وفي النفح: ((العَزاز))؛ أي الأرض الصعبة.
[4] أي الأحمق.

الذي يزيد في الخلق. وعظمت الممانعة، وكثرت باليد المصانة، وطال التروغ والتزاور، وشكي التجاور [1] وهنالك تختلف الأحوال، وتعظم الأهوال، وتخسر أو تربح الأموال، فمن عصا تنقلب ثعباناً مبيناً، ونونة [2] تصير تنيناً، وبطل لم يهله [3] المعترك الهائل، والوهم الزائل، ولا حال بينه وبين قرَّته [4] الحائل، فتعدى فتكة السليك إلى فتكة البراض، وتقلد مذهب الأزارقة [5] من الخوارج في الاعتراض، ثم شق الصف، وقد خضب الكف، بعد أن كاد يصيب البريَّ [6] بطعنته، ويبوء بمقت الله ولعنته [7]:
ولعنته [7]:

طعنـــت ابن عبد اللـــه[8] طعنة ثائـــر
لها نفـــذ لـــولا الشعـــاع أضاءهـــا

---

[1] هكذا في الزيتونـة، والإسكوريـال؛ وفي النفـح: ((التحـاور)).
[2] أي حـوت النـون.
[3] في النفـح: ((يهملـه)).
[4] نفسـه: ((قرنـه)).
[5] فرقـة متطرفـة مـن الخـوارج؛ أنشأهـا نافـع بـن الأزرق.
[6] هكذا في الإسكوريـال، والزيتونـة؛ وفي النفـح: ((البـؤسي)).
[7] هذا البيـت لقيـس بـن الخطيـم؛ وهـو مـن البحـر البسيـط.
[8] هكذا في الزيتونـة والنفـح؛ وفي الإسكوريـال: ((ابـن عبـد القيـس)).

وهناك هدأ القتال، وسكن الخبال، ووقع المتوقع فاستراح البال، وتشوف إلى مذهب الثنوية، من لم يكن للتوحيد بمبال، وكثر السؤال عن البال بما بال، وجعل الجريح يقول، وقد نظر إلى دمه يسيل على قدمه [1]:

إني له عن دمي المسفوك معتذر
أقول حملته في سفكه تعبا

ومن سنان عاد عنانا، وشجاع صار هدانا [2] جباناً، جباناً، كلما شابته شائبة ريبة، أدخل يده في جيبه، فانجحرت الحية، وماتت الغريزة الحية، وهناك يزيغ البصر، ويخذل المنتصر، ويسلم الأسر، ويغلب الحصر، ويجف اللباب [3]، ويظهر العاب [4]، ويخفق الفؤاد، ويكبو ويكبو الجواد، ويسيل العرق، ويشتد الكرب والأرق، وينشأ في محل الأمن الفرق، ويدرك فرعون الغرق.

---

[1] البحر البسيط.
[2] وردت في الزيتونة والإسكوريال؛ وسقطت في النفح.
[3] في النفح: ((اللعاب)).
[4] أي العيب.

ويقوى اللجاج ويعظم الخرق. فلا تزيد الحال إلاّ شدة، ولا تعرف تلك الجارحة [1] المؤمنة إلاّ ردة [2]:

إذا لم يكن عون من اللــــه للفـــتى
فأكثـــر [3] ما يجـــني عليه اجتهـــاده

فكم مغرى بطول اللبث، وهو من الخبث، يؤمل الكرة، ليزيل المعرة، ويستنصر الخيال، ويعمل باليد الاحتيال [4]:

إنـــك لا تشكـــو إلـــى مصمـــت
فاصبر على الحمل الثقيل أو مـــت

ومعتذر بمرض أصابه، جرعه أوصابه [5]. ووجع طرقه، جلب أرقه، وخطيب أرتج عليه أحياناً، فقال سيحدث الله بعد عسر يسرا، وبعد عي بياناً، اللهم إنا

---

[1] هكذا في الإسكوريال؛ وفي الزيتونة: ((المجارحة))، وفي النفح: ((الجائحة)).
[2] البحر الطويل.
[3] في النفح: ((فأول)).
[4] بحر الرجز.
[5] أي أمراضه.

نعوذ بك من فضائح الفروج إذا استغلقت أقفالها، ولم تسم[1] بالنجيع أعفالها[2]، ومن معرات الأقدار[3] والنكول عن الأبكار، ومن النزول عن البطون والسرر، والجوارح الحسنة الغرر، قبل ثقب الدرر، ولا تجعلنا من يستحي من البكر بالغداة، وتعلم منه كلال الأداة، وهو مجال فضحت فيه رجال، وفراش شكيت فيه أو جال، وأعملت روية وارتجال. فمن قائل[4]:

أرفعه طورا على إصبعي
وراسه مضطربة[5] أسفلهْ
كالحنش المقتول يُلقى على
عود لكي يطرحَ في مزبلهْ

---

[1] في النفح: ((ولم تتسم)).
[2] هكذا في الزيتونة؛ وفي الإسكوريال، والنفح: ((أغفالها)).
[3] في النفح: ((الأقذار))؛ بالذال المعجمة.
[4] البحر السريع.
[5] في الزيتونة، والنفح: ((مضطرب)). وهو أسلم

أو قايـل [1]:

عدمــت من......[2] قــوى حســه

يــا حســرة المــرء على نفســه

تــراه قــد مــال عــلى أصلـــه

كحائــط خـــر على أســـه

وقايـل [3]:

أيحســدني إبليس داءَيْن أصبحــا

برجــلي ورأسي دُمَّــلاً وزكامــا

فليتهمـــا كانــا بــه وأزيـــده

رخــــاوة...... لا يريــد[4] قيامــا

وقائـل [5]:

أقــول....... وهـــو يرقب فتكـــة

بـــه خبت من..... وغالتك[6] داهية

---

[1] البحـر السريـع.

[2] في الفراغات الظاهرة في هذا البيت؛ وما يليه من أبيات؛ كتبت كلمات نابية.

[3] البحـر الطويـل.

[4] في النفـح: ((لا يطيـق)).

[5] البحـر الطويـل.

[6] في النفـح: ((وعالتـك))؛ بالعيـن المهملـة.

إذا لم يكن....... بخــت تعــذرت

عليه وجــوه .....من كل ناحيـــة

وقايل [1]:

تعفــف[2] فــوق........... كأنــه

رشـــاء إلى جنب الركيـــة ملتــف

كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأســـه

إلى أبويـــه ثم يدركـــه الضعــف

وقايل [3]:

تكرش....... بعد ما كان أملســـا

وكان غنيـــاً من قـــواه فأفلســــــا

وصار جوابي للمها أن مررن بي

مضى الوصل إلا منية تبعث الأســـى

---

[1] البحر الطويل.
[2] في النفح: ((تعقف)).
[3] البحر الطويل.

وقايل:

بنفـــسي من حبيتـــه فاستخـــف بـــي
ولم يخطر الهجـــران منه[1] على بـــال[2]
وقابلـــني [بالهـــزء والنجـــة][3] بعدمـــا
حططت به رجلي[4] وجـــردت سربالي
وما ارتـــجى من موســـر فوق دكـــة[5]
عرضت له شيئاً من الحشف البالي

عِلَلٌ [6] لا تزال تبكي، وعلل على الدهر تشكى، وأحاديث تقص وتحكى. فإن كنت أعزك الله من النمط الأول، ولم تقل [7]:

---

[1] في النفـح: ((يومـاً)).
[2] نفسـه: ((بـالي))؛ باليـاء في الآخـر.
[3] هكـذا في الإسكوريـال؛ زفي النفـح: ((بالغور والنجـد))؛ بينمـا سقـط هـذا البيـت في الزيتونـة.
[4] في النفـح: ((رحـلي))؛ بالحـاء المهملـة.
[5] نفسـه: ((تكـة)).
[6] نفسـه: ((همـوم)).
[7] البحـر الطويـل.

((وهـل عنـد رسـم دارس مـن معـول))[1]

فقد جنيت الثمر. واستطبت السمر، فاستدع الأبواق من أقصى المدينة، واخرج على قومك في ثياب الزينة، واستبشر بالوفود، وعرف المسمع عارفة [2] الجود، وتبجح بصلابة العود، وإنجاز الوعود، واجن رمان النهود، من أغصان القدود، واقطف ببنان [3] اللثم أقاح الثغور وورد الخدود. وإن كانت الأخرى، فاخف الكمد، وأرض الثمد، وانتظر الأمد، واكذب التوسم، واستعمل التبسم، واستكتم النسوة، وأفض فيهن الرشوة، وتقلد المغالطة وارتكب، وجئ على قميصك [4] بدم كذب، واستنجد الرحمن، واستعن على أمورك [5] بالكتمان [6]:

---

[1] هذا عجز بيت لامرئ القيس؛ وصدر البيت هكذا:
((وإنّ شفائي عبرة إن سفحتها)).
[2] في النفح: ((عازفة)).
[3] في الزيتونة: ((بنار)).
[4] هكذا في الإسكوريال؛ وفي النفح: ((قميصه))؛ بينما سقطت هده العبارة في الزيتونة.
[5] في النفح: ((أمرك)).
[6] البحر الكامل.

لا تظهـــرن لعـــاذل أو عـــــاذر
حاليـــك في [السراء والضـــراء][1]
فلرحمـــة المتفجعيـــــن حـــرارة
في القلـــب مثل شماتـــة الأعـــداء

وانتشق الأرج، وارتقب الفرج. فكم غمام [طبق وما همي] [2]: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[3]، وأملك بعدها عنان نفسك، حتى تمكنك الفرصة، وترفع إليك القصة، ولا تشتره [4] إلى عمل لا تفئ منه بتمام، وخذ عن إمام، ولله درّ [**عروة بن حزام**] [5]:

الله يعلـــم مـــا تركـــت قتالهـــم
حتى رموا مهري بأشقـــر مزبـــد

---

[1] **في النفـح: ((الضـراء والسـراء)).**
[2] **ورد في النفـح مكـان هـذه العبـارة: ((غمـام طمـا)).**
[3] **الآيـة كاملـة هكـذا: (فَلَـمْ تَقْتُلُوهُـمْ وَلَكِـنّ اللّـهَ قَتَلَهُـمْ وَمَـا رَمَيْـتَ إِذْ رَمَيْـتَ، وَلَكِـنّ اللّـهَ رَمَـى وَلِيُبْلِـيَ الْمُؤْمِنِيـنَ مِنْـهُ بَـلاَءً حَسَنـاً إِنّ اللّـهَ سَمِيـعٌ عَلِيـمٌ). سورة الأنفال؛ الآيـة: 17.**
[4] **في النفـح: ((ولا تسـرع)).**
[5] **لـم يـرد في الزيتونـة سـوى اسـم عـروة. وفي النفـح: ((واللـه درّ الحـارث ابـن هشـام)). والأبيـات مـن البحـر الكامـل.**

وعلمـــت أنـــي إن أقاتـــل دونهم
أقتل ولم يضرر عدوي مشهـــدي
ففـــررت منهـــم والأحبـــة فيهـــم
طمعـــاً لهم بعقـــاب يـــوم مفســـد

واللبانات تلين وتجمح، والمآرب تدنو وتنزح، وتحرن ثم تسمح [1]، وكم من شجاع خام [2]. ويقظ نام، ودليل أخطأ الطريق، وأضل الفريق، والله عز وجل يجعلها خلة موصولة، وشملاً أكنافه بالخير مشمولة، وبنية أركانها لركاب [3] اليمن مأمولة، حتى يكثر [4] خدم سيدي وجواريه، وأسرته وسراريه، وتضفو عليه نعمة [5] باريه، ما طورد قنيص، واقتحم عيص [6]، وأدرك مرام عويص [7]، وأعطي زاهد وحرم حريص. والسلام.

---

[1] أي تلين.
[2] أي كم من شجاع جبن.
[3] في النفح: ((لركائب)).
[4] في النفح: ((تكثر)).
[5] نفسه: ((نعم)).
[6] أي اقتحم شجراً ملتفاً.
[7] أي صعب.

توواليفه

شرح القصيدة المسماة بالبردة [1] شرحاً بديعاً، دل فيه على انفساح ذرعه، وتفنن إدراكه، وغزارة حفظه. ولخص كثيراً من كتب **ابن رشد**. وعلق للسلطان أيام نظره في العلوم [2] العقلية، تقييدا مفيداً **في المنطق**، ولخص محصل الإمام **فخر الدين بن الخطيب [الرازي]** [3]. وبذلك [4] داعبته داعبته أول لُقية [5] لقيته ببعض منازل الأشراف، في سبيل سبيل المبرة بمدينة **فاس**؛ فقلت له: لي عليك مطالبة؛ فإنك لخصت ((**محصلي**)). وألف **كتاباً في الحساب**. وشرع في هذه الأيام في شرح **الرجز** الصادر عني في **أصول الفقه**، بشيء لا غاية وراءه [6] في الكمال [7]. وأما نثره

[1] في النفح: ((شرح البردة)).
[2] نفسه: ((في العقليات)).
[3] وهو فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين؛ يعرف بابن الخطيب؛ توفي سنة 606هـ/1209م.
[4] في النفح: ((وبه)).
[5] نفسه: ((أول لقيه)).
[6] في النفح: ((فوقه)).
[7] ورد في الإسكوريال؛ ضمن آخر اللوحة 252 بعد هذه الكلمة مباشرة؛ فقرة دونها الناسخ؛ جاء فيها: ((قلت: هذا المقدار هو الذي ذكره الشيخ ابن الخطيب عن تواليف هذا الفاضل المترجم به؛ لمكان وفاة الشيخ قبل المترجم. ولو علم الشيخ رحمه الله بكتابه المشهور؛ الذي سحر به

نثره وسلطانياته، مرسلها ومسجعها [1]، فخلج بلاغة، ورياض فنون، ومعادن إبداع، يفرغ عنها يراعه الجريء، شبيهة البداءات بالخواتم، في نداوة الحروف، وقرب العهد بجرية المداد، ونفوذ أمر القريحة، واسترسال الطبع. وأما نظمه [2]، فنهض لهذا العهد قدماً في ميدان الشعر. وأُغري [3] نقده باعتبار أساليبه، فانثال عليه جوه، وهان عليه صعبه، فأتى منه بكل غريبة، من ذلك قوله يخاطب السلطان ملك **المغرب** ليلة الميلاد الكريم عام اثنين وستين وسبعمائة [4] بقصيدة طويلة [5]:

الخاص والجمهور المسمى: " بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر؛ ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " لحلاه بما يجب في حقه؛ وإن انتهى إلى غاية؛ فلا يتمادى في صدقه. لقد اخترع فيه؛ من بين المناحي مذهباً عجيباً، وطريقة مبتدعة، وأسلوباً، وسلك فيه الحديث على العلوم، وتنقيح الفهوم، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من الأعراض الذاتية والخيالات والحلوم؛ مسلكاً غريباً. رحم الله مبدعه، ومتع في أعلى عليين مخترعه)).

[1] في النفح: ((وسلطانياته السجعية)).

[2] في الإسكوريال، والزيتونة: ((شعره)).

[3] في النفح: ((الشعر ونقده)).

[4] الموافق لـ 1360م.

[5] في النفح: ((طويلة أولها)). وهي من البحر الكامل.

[1] أسرفن في هجري وفي تعذيبي
وأطلن موفــق عبــرتي ونحيبي
وأبيـــن يوم البين موقف[2] ساعـــة
لـــوداع مشغوف الفـــؤاد كئيـــب
للــــه عهد الظاعنيـــن وغـــادروا
قلـــبي رهيـــن صبابـــة ووجيـــب[3]
غربـــت ركائبهـــم ودمعي سافح
فشرقـــت بعدهـــم بماء غـــروبي[4]
يا ناقعـــاً بالعتـــب غلة شوقهـــم
رحماك في عـــذلي وفي تأنيـــبي
يستعذب الصـــب المـــلام وإنـــني
ماء المـــلام لـــديَّ غير شريـــب[5]

[1] كل ما سيرد بدءاً بهذه الحاصرة؛ وحتى الحاصرة الثانية الآتية لاحقاً؛ ساقط في الزيتونة، ووارد في الإسكوريال.
[2] في النفح: ((وقفة)).
[3] الوجيب: خفقان القلب.
[4] الغروب هنا: عرق في العين يسيل منه الدمع.
[5] أي غير عذب.

ما هاجني طرب ولا اعتاد الجوى
لــولا تذكـــــر منـــزل وحبيـــب
أهفـــو إلى الطـــلال كانت مطلعاً
للبـــدر منهـــم أو كنـــاس ربيـــب
عبثت بها أيـــدي البلى وتـــرددت
في عطفهـــا للدهر آي خطـــوب
تبـــلى معاهدهـــا وإن عهودهـــا
ليجدهـــا وصفي وحسن نسيـــبي
وإذا الديـــــار تعرضـــت لمتيـــم
هزتـــه ذكراهـــا إلـــى التشبيـــب
إيه عـــلى الصبـــر الجميـــل فإنه
ألـــوى[1] بديـــن فؤادي المنهـــوب
لم أنسهـــا والدهـــر يثني صرفـــه
ويغـــض طرفي حاســـد ورقيـــب

---

[1] **أي أنكر.**

والــدار مونقة محاسنهــا بمــا

لبســـت من الأيـــام كـــل قشيـــب[1]

يا سائـــق الأظعـــان تعتسف الفلا

وتواصــــــل الآســـاد[2] بالتأويـــب[3]

متهافتـــاً عن رحـــل كـــل مذلـــل

نشـــوان من أيـــن ومس لغـــوب

تتجـــاذب النفحات فضل ردائـــه

في ملتقاهـــا من صبـــاً وجنـــوب

إن هام من ظما الصبابة صحبـــة

نهلوا بمـــورد دمعـــه المسكـــوب[4]

في كل شعـــب منيـــة من دونهـــا

هجر الأمـــاني أو لقـــاء شعـــوب

هلا عطفـــت صدورهن إلى التي

فيهـــا لبانـــــة أعيـــــن وقلـــوب

---

[1] أي كـل جديـد.

[2] في النفـح: ((الإسـآد))؛ ومعنـاه: السيـر ليـلاً بكاملـه دون تأخيـر.

[3] التأويـب: معنـاه السيـر في النهـار كلـه إلى الليـل.

[4] جـاء في النفـح بعـد هـذا البيـت مباشـرة البيـت التـالي:

((أو تعترض مسراهم سدف الدجى * صدعوا الدجى بغرامه المشبوب)).

فتـــؤم من أكنـــاف يثرب مأمنـــا
يكفيـــك ما تخشـــاه من تثريـــب
حيـــث النبـــــوة آيهـــا مجلـــوة
تتلو مـــن الآثـــار كـــل غريـــب
سر غريـــب لم تحجبـــه[1] الثـــرى
ما كان ســـر اللـــه بالمحجـــوب
يا سيـــد الرسل الكـــرام ضراعة
تقضي من[2] نفس وتذهب حـــوبي[3]
عاقـــت ذنوبي عن جنابك والمنى
فيهـــا تعللـــني بكـــــل كـــذوب
لا كاللآلئ[4] صرفوا العزائم للتـــقى
فاستأثروا منهـــا بخيـــر نصيـــب
لم يخلصـــوا للـــه حـــتى فرقـــوا
في اللـــه بين مضاجع وجنـــوب

[1] في النفـح: ((يُحَجِّبـه)).
[2] نفسـه: ((مـنى)).
[3] أي ذنـبي وإثـمي.
[4] جعلهـا د. طويـل: ((لا كـالألى)).

هب لي شفاعتك التي أرجو بهـــا
صفحاً جميـــلاً عن قبيـــح ذنوبي
إن النجـــاة وإن أتيحت لامـــرئ
فبفضل جاهــك ليـــس بالتسبيـــب
إنـــي دعوتـــك واثقـــاً بإجابـــتي
يا خيـــر مدعـــو وخيـــر مجيـــب
قصرت في مدحي فإن يك طيبـــاً
فبما لذكـــرك من أريـــج الطيـــب
مإذا عسى يبغي المطيل وقد حوى
في مدحـــك القـــرآن كل مطيـــب
يا هــل تبلغــني الليـــالي زورة
تدني إلـــي الفـــوز بالمرغـــوب
أمحـــو خطيئـــاتي بإخلاصي بها
وأحط أوزاري وإصـــر ذنـــوبي
في فتيـــة هجروا المنى وتعودوا
إنضـــاء كـــل تجيبـــة ونجيـــب

يطوي صحائف ليلهم فوق الفــلا

ما شئت من خبب ومن تقريــب

إن رنم الحــادي بذكــرك رددوا

أنفــاس مشتــاق إليــك طــروب

أو غــرد الركــب الخلي بطيبــة

حنــوا لمغناهــا حنيــن النيــب

ورثوا اعتساف البيد عن آبائهــم

إرث الخلافــة في بــني يعقــوب

الطاعنون الخيــل وهي عوابــس

يغــشى مثــار النقــع كل سبيب

والواهبــون المقربــات هواتنــاً

من كــل خوار العنــان لعــوب

والمانعــون الجار حتى عرضهم

في منتــدى الأعــداء غير معيب

تخشى بوادرهم ويرجى حملهــم

والعز شيمــة مرتــجى ومهيــب

ومنها بعد كثير [1]:

سائل به طامي العباب وقد سرى
[تزجى بريح][2] العزم ذات هبــوب
تهديــه شهــب أسنـــة وعزائــم
يصدعن ليل الحادث المرهــوب
حتى انجلت ظلم الضلال بسعيــه
وسطا الهــدى بفريقها المغلــوب
يا ابن الإلى شادوا الخلافة بالتقى
واستأثروك بتاجهــا المعصــوب
جمعوا بحفــظ الديــن آي مناقب
كرموا بهــا في مشهــد ومغيــب
للـــه مجــدك طارفــا أو تالــدا
فلقد شهدنــا منــه كــل عجيــب
كم رهبـــة أو رغبـــة لك والعـــلا
تقتـــــاد بالترغيــب والترهيــب

[1] في النفـح: ((ومنهـا)).
[2] في التعريـف بابـن خلـدون: ((تزجيـه ريـح)).

لا زلت مســروراً بأشرف دولــة
يبدو الهــدى من أفقها المرقــوب
تحيي المعالي غاديــاً أو رائحــاً
وجديــد سعــدك ضامن المطلوب

وقال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هدية ملك **السودان**، وفيها الحيوان الغريب المسمى **بالزرافة** [1]:

قدحــت يد الأشــواق من زنــدي
وهفــت بقلــبي زفــرة الوجــــد
ونبــذت سلــواني على ثقــــة
بالقــرب فاستبدلــت بالبعــــد
ولــرب وصــــل كنــت آملــه
فاعتضــت منــه مؤلــم الصــد
لا عهــد عنــد الصبــر أطلبــه
إن الغــرام أضــاع مــن عهدي

[1] البحر الكامل.

يلـــحى العـــذول فيمـــا أعنفـــــه
وأقـــول ضـــل فأبتـــغي رشـــدي
وأعـــارض النفحــــــات أسألهـــا
برد الجـــوى فتزيـــد فـــي الوقـــد
يهـــدي الغـــرام إلـــى مسالكهـــا
لتعلـــلي بضعيـــف مـــا تهـــدي
يـــا سائـــق الوجنـــاء[1] معتسفـــــاً
طـــي الفـــــلاة لطيـــة الوجـــــد
أرح الركـــاب ففي الصبـــا نبـــأ
يغـــني عـــن المستنـــة الجـــرد
وســـل الربـــوع برامـــة خبـــراً
عـــن ساكـــني نجـــد وعـــن نجد
ما لي تلام على الهـــوى خلـــقي
وهـــي الـــتي تـــأبى سوى الحمد
لأبيت إلا الرشـــد مذ وضحـــت
بالمستعيــــن معالـــــم الرشـــــد

[1] في التعريـف: ((الأظعـان)).

نعم الخليقــة[1] في هــدى وتــقى

وبنـــــاء عز شامــخ الطـــــود

نجــل الســــراة الغــر شأنهــم

كسب العــلا بمواهــــب الوجــد

ومنها في ذكر خلوصه إليه، وما ارتكبه فيه:

للـــه مـــني إذ تـــأوبــــني

ذكـــراه وهـــو بشاهــق فـــرد

شهـــم يفــل بواتـــر[2] قضبـــا

وجمـــوع أقيـــال أولـــي أيـــد[3]

أوريـــت زنـــد العزم في طلبي

وقضيت حق المجد من قصدي

ووردت عـــن ظمـــأ مناهلـــه

فرويت من عـــز ومن رفـــد[4]

---

[1] في التعريـف، والنفـح: ((الخليفـة)).
[2] نفسهمـا: ((بواتـراً)).
[3] أي: أولي القـوة.
[4] أي: ومـن عطـاء.

هي جنـــة المـــأوى لمن كلفت

آمالـــــه بمطالـــب المجـــــد

لو لم أعــل بـــورد كوثرهـــا

مـــا قلـــت هذي جنـــة الخلـــد

من مبلـــغ قـــومي ودونهـــم

قذف النوى وتنوفـــة[1] البعـــد

إني أنفـــت عـــلى رجائهـــم

وملكـــت عز جميعهم وحدي

ومنهـا:

ورقيمـــة الأعطـــاف حاليـــــة

موشيـــــة بوشائـــــج[2] البـــرد

وحشيـــة الأنســـاب ما أنســـت

في موحـــش البيـــداء بالقـــود[3]

تسمـــو بجيـــد بالـــغ صعـــداً

شـــرف الصروح بغير ما جهد

---

[1] التنوفـة: هي الأرض البعيـدة الواسعـة؛ الـتي تخلـو مـن المـاء.
[2] في النفـح: ((بوشـاح)).
[3] في التعريـف، النفـح: ((بالقـرد)).

طالـــت رؤوس الشامخـــات به

ولربمـــا قصـــرت عن الوهـــد

قطعـــت إليك تنائفـــاً وصلـــت

آسادهـــا[1] بـــالنـــص والوخـــد[2]

تحـــدى[3] على استصعابها ذلـــلاً

وتبيـــت طـــوع القـــن والقـــد

بسعودك الـــلائي ضمـــن لنـــا

طـــول الحيـــاة بعيشـــة رغـــد

جاءتـــك في وفد الأحابـــش لا

يرجون غيـــرك مكرم الوفـــد

وافـــوك أنضـــاء تقلبهـــم

أيدي السرى بالغـــور والنجـــد

كالطيـــف يستقري مضاجعـــه

أو كالحســـام يســـل من غمـــد

---

[1] في النفـح: ((إسآدهـا)).

[2] النـص، والوَخْد: ضربـان مـن السيـر السريـع.

[3] في النفـح: ((تخـدي)). بالخـاء المعجمـة، واليـاء في الآخـر.

يثنــون بالحسنى التي سبقــت

مــن غيــر إنكــار ولا جحــد

ويــرون لحظك من وفادتهــم

فخـــراً على الأتـــراك والهنـــد

يا مستعينـــاً جـــل في شـــرف

عن رتبة المنصور والمهـــدي

جـــازاك ربـــك عن خليقتـــه

خير الجزاء فنعـــم ما يُسْـــدي[1]

وبقيـــــت للدنيـــا وساكنهـــا

في عـــزة أبـــداً وفي سعـــد][2]

وقال يخاطب[3] صدر الدولة[4] فيما يظهر من غرض المنظوم[5]:

---

[1] في النفح: ((مـا تسـدي)).

[2] كل مـا وارد بيـن الحاصرة الأولى وهـذه الحاصرة الأخيـرة؛ وارد في الإسكوريـال، وساقط في الزيتونـة.

[3] في النفـح: ((وقـال يخاطـب عمـر بـن عبـد اللـه مدبـر ملـك المغرب)).

[4] صدر الدولة هنا: هو الوزير عمر بن عبد الله؛ مدبـر ملـك المغرب آنـذاك.

[5] البحـر الكامـل.

يا سيد الفضلاء دعوة مشفــق
نادى لشكوى البث خير سميــع
مـــالي وللإقصــــاء بعد تعلــة
بالقـــرب كنت لها أجل شفيــع
وأرى الليالي رنقت لي صافيا
منها فأصبح في الأجاج شـــروعي
ولقد خلصت إليك بالقرب التي
ليس الزمان لشملها بصـــدوع
ووثقت منك بأي وعد صــــادق
إني المصون وأنت غير مضيع
وسما بنفسي للخليفـــة طاعـــة
دون الأنـــام هواك قبل نـــزوع
حتى انتحاني الكاشحون بسعيهم
فصددتهم عني وكنت منيـــعي
رغمت نفوسهم[1] بنجح وسائلي
وتقطعت أنفاسهـــم بصنيـــعي

[1] في الإسكوريـال، والنفـح: ((أنوفهـم)).

وبغوا بما نقموا علي خلائقي

حسداً فراموني بكــل شنيــع

لا تطمعنهــم ببــذل في الــتي

قد صننتها عنهم بفضل قنــوع

أنى أضام وفي يدي القلم الذي

ما كان طيعــه لهــم بمطيــع

ولي الخصائص ليس تأبى رتبة

حسبي بعلمك[1] ذاك من تفريعي

قسماً بمجــدك وهو خير أليــة[2]

اعتدهــا لفــؤادي المصــدوع

إني لتصطحب الهموم بمضجــعي[3]

فتحول ما بيني وبين هجــوعي

عطفاً علي بوحدتي عن معشر

نفث الإباء صدودهم في روعي

---

[1] في النفـح: ((بعلـمي)).
[2] الأليـة: القسـم.
[3] ورد هـذا الشطـر في الزيتونـة هكـذا: ((إنـي ليضطجـع اللـوم بمضجـعي)).

أغـــدو إذا باكرتهـــم متجلـــداً

وأروح أعثر في فضول دمـــوعي

حيران أوجس عند نفسي خيفة

فتسر في الأوهام كل مـــروع

أطـــوي على الزفرات قلباً إده[1]

حمل الهموم تجول بين ضلـــوعي

ولقد أقول لصرف دهر رابني

بحوادث جاءت على تنويـــع

مهلاً عليك فليس خطبك ضائري

فلقـــد لبست له أجـــن دروع

إني ظفرت بعصمة من أوحد

بذ الجميع بفضله المجمـــوع

---

[1] في النفـح: ((آداه)).

وأنشد السلطان أمير المسلمين **أبا عبد الله ابن أمير المسلمين أبا الحجاج،** لأول قدومه ليلة الميلاد الكريم، من عام أربعة وستين وسبعمائة [1]:

[حي المعاهد كانت قبل تحييني
بواكف الدمع يرويها ويظميني
إن الألى نزحت داري ودارهم
تحملوا القلب في آثارهم دوني
وقفت أنشد صبراً ضاع بعدهم
فيهم وأسأل رسماً لا يناجيـــني
أمثل الربع من شوق وألثمـــه
وكيف والفكر يدنيه ويقصيـــني
وينهب الوجد مني كل لؤلـــؤة
ما زال جفني[2] عليها غير مأمون
سقت جفــوني مغاني الربع بعدهم
فالدمع وقف على أطلاله الجون

---

[1] **الموافق لـ 1362م. والقصيـدة مـن البحـر البسيـط.**
[2] **في التعريـف: ((قلـبي)).**

قد كان للقلب عن داعي الهوى شغــل

لو أن قلبي إلى السلوان يدعوني

أحبابنا هل لعهد الوصل[1] مدكــر

منكم وهل نسمة منكم تحييــني

ما لي وللطيف لا يعتاد[2] زائره

وللنسيــم عليــلاً[3] لا يداويــني

يا أهل نجد وما نجد وساكنهــا

حسناً سوى جنة الفردوس والعيــن

أعندكم أنــني ما مر ذكركــم

إلا انثنيــت كأن الراح تثنيــني

أصبوا إلى البرق من أنحاء أرضكــم

شوقاً ولولاكم ما كان يصبيــني[4]

يا نازحاً والمنى تدنيه من خلــدي

حتى لأحسبــه قرباً يناجيــني

---

[1] في الزيتونـة: ((الـود)).
[2] نفســه: ((يعـود)).
[3] في الزيتونـة: ((عليـل)).
[4] أي أصبـو لأجلـه.

أسلى هواك فــؤادي عن سواك ومـــا

سواك يوماً بحال عنك يسليني

ترى الليالي أنستك ادكاري يا

من لم يكن ذكره الأيام تنسيني

ومنها في ذكر التفريط :

أبعد مـــر الثلاثين التي ذهبـــت

أولي الشباب بإحساني وتحسيني

أضعت فيها نفيساً ما وردت به

إلا سراب غرور ليس يرويني

واحسرتا[1] من أمانيّ[2] كلها خدع

تريش غيي ومر الدهر يبريني

ومنها في وصف المشور [3] المبتنى [4] لهذا العهد :

يا مصنعاً شيدت منه السعود حمى

لا يطرق الدهر مبناه بتوهيـــن

---

[1] في النفح: ((واحسرتي)).

[2] نفسه: ((من أمانٍ)).

[3] المشور: هو بلاط السلطان وقصره في المغربين: الأقصى والأوسط.

[4] في النفح: ((المبني)).

صرح يحار لديه الطرف مفتتنا

فما يروقك من شكل وتلويـــن[1]

بعداً لإيوان كسرى إن مشورك السَّـــ

ـــامي لأعظم من تلك الأواوين

ودع دمشق ومغناها فقصرك ذا

أشهى إلى القلـــب من أبواب جيرون][2]

ومنها في التعريض بالوزير الذي كان انصرافه من المغرب لأجله[3]:

من مبلغ عني الصحب الإلى جهلوا

ودي وضاع حماهم إذ أضاعوني

إني أويـــت من العليـــا إلى حـــرم

كادت مغانيـــه بالبشرى تحييـــني

وإنـــني ظاعـــن لم ألـــق بعدهـــم

دهراً أشاكي ولا خصماً يشاكيني

---

[1] في النفـح: ((وتكويـن)).

[2] اعتبـاراً مـن الحاصـرة السابقـة في بدايـة القصيـدة وحـتى هـذه الحاصـرة؛ كلـه ساقط في الزيتونـة؛ ولـم يـرد مـن ذلـك كلـه سـوى القسـم الأخيـر عنـد التعريـض بالوزيـر عمـر بـن عبـد اللـه.

[3] في النفـح: ((انصرافـه بسببـه)).

لا كالـــتي أخفرت عهـــدي ليالي إذ

أقلب الطرف بين الخوف والهون

سقياً ورعياً لأيـــامي التي ظفرت

يداي منها بحـــظ غيـــر مغبـــون

ارتـــاد منهـــا مليـــاً لا يماطلـــني

وعداً وأرجو كريماً لا يعنيـــني[1]

وهـــاك منها قـــواف طيها حكـــم

مثل الأزاهر في طي الرياحيـــن

تلـــوح إن جلـــيت دراً وإن تليـــت

تثنـــي عليك بأنفـــاس البساتيـــن

عانيـــت منها بجهـــدي كل شـــاردة

لولا سعـــودك ما كانت تواتيني[2]

يمانـــع الفكـــر عنها مـــا تقسمـــه

من حزن[3] بطي الصدر مكنـــون

---

[1] ذكر في النفح بعد هذا البيت مباشرة كلمة: ((ومنها))؛ ثم أتت الأبيت الموالية.

[2] أي توافقني، وتناسبني.

[3] في التعريف، والنفح: ((من كل حزن...)).

لكن بسعـــدك ذلـــت لي شواردهـــا
فرضـــت منها بتحبيـــر وتزييـــن
بقيـــت دهرك في أمن وفي دعـــة
ودام ملكـــك في نصـــر وتمكيـــن

وهو الآن قد بدا له في التحول، طوع أمل ثاب له في الأمير **أبي عبد الله بن الأمير أبي زكريا بن حفص**، لما عاد إليه ملك **بجاية**، وطار إليه بجناح شراع، تفيأ ظله، وصك من لدنه رآه مستقراً عنده، يدعم ذلك بدعوى تقصير خفي أحس به، وجعله علة منقلبة، وتجن سار منه في مذهبه وذلك في .... [1] من عام ثمانية وستين وسبعمائة [2]. ولما بلغ **بجاية** صدق رأيه، ونجحت مخيلته، فاشتمل عليه أميرها، وولاه الحجابة بها. ولم ينشب أن

---

[1] بياض في هذا الحيز. وقد أضاف عنان هنا فقرة صغيرة؛ تكملة لما ذكر بخصوص استيلاء الأمير أبي عبد الله محمد الحفصي على بجاية؛ وذلك في رمضان سنة 765هـ/1363م. حيث غادر ابن خلدون الأندلس في هذه الفترة؛ ملبياً دعوة الأمير المذكور؛ وقد حدد ابن خلدون في ((التعريف)) تاريخ إقلاعه من ألمرية بسنة 766هـ/1364م؛ إذ وصل إلى بجاية بعد خمسة أيام من إبحاره؛؛ وبالضبط في رجب من عام 766هـ.

[2] الموافق لـ 1366م.

ظهر عليه ابن عمه **الأمير أبو العباس** صاحب **قسنطينة**، وبملك البلدة بعد مهلكه، وأجرى المترجم به على رسمه بما طرق إليه الظنة بمداخلته في الواقع. ثم ساء ما بينه وبين الأمير **أبي العباس**، وانصرف عنه، واستوطن **بسكرة**، متحولاً إلى جوار رييسها **أبي العباس بن مزني**، متعللاً برفده إلى هذا العهد. وخاطبته برسالة في هذه الأيام، تنظر في اسم المؤلف في آخر الديوان.

مولده

بمدينة **تونس** بلده، حرسها الله، في شهر رمضان من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة [1].

***

[1] **الموافق لـ 1331م.**

[عبد الرحمن بن الحاج

ابن القميي الإلبيري.

حاله

كان شاعراً مجيداً. هجا القاضي **أبا الحسن ابن توبة** قاضي **غرناطة**، ومن نصره من الفقهاء، فضربه القاضي ضرباً وجيعاً؛ وطيف به على الأسواق **بغرناطة**؛ فقال فيه الكاتب **أبو إسحاق الإلبيري الزاهد**؛ وكان يومئذ كاتباً للقاضي المذكور؛ الأبيات الشهيرة [1]:

السوط أبلغ من قول ومن قيل
ومن نباح سفيه بالأباطيل
من الدار كحر النار أبراه
يعقل التقاضي أيتعقيل][2]

***

---

[1] البحر البسيط.
[2] جاءت هذه الترجمة مختصرة في الجزء الثاني من مخطوط الزيتونة؛ ضمن اللوحة: 181؛ بينما سقطت في الإسكوريال.

عبد الرحمن بن يخلفتن

ابن أحمد بن تفليت الفازازي [1]، يكنى أبا زيد.

حاله

كان حافظاً نظاراً [ذكياً][2] ذا حظ وافر من معرفة أصول الفقه وعلم الكلام، وعناية بشأن الرواية، متبذلاً في هيئته ولباسه، قلما يرى راكباً في حضر إلاّ لضرورة، فاضلاً، سنياً، شديد [الإنكار][3] والإنحاء على أهل البدع، مبالغاً في التحذير منهم، عامر الإتاء[4]، يطلب العلم شغفاً به، وانطباعاً إليه، وحباً فيه، وحرصاً عليه، آية من آيات الله في سرعة البديهة، وارتجال النظم والنثر وفور ماده، وموالاة استعمال، لا يكاد يقيد، ولا يصرفه عنه، إلاّ نسخ أو مطالعة علم، أو مذاكرة فيه، حتى صار

---

[1] له ترجمة أيضاً في: التكملة لكتاب الصلة، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، وبغية الوعاة، ونفح الطيب، واختصار الفتح المعلى؛ وذكر أنه ((الفزاريي))؛ بالراء المهملة.

[2] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

[3] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

[4] في الإسكوريال: ((أتاه))، وفي الزيتونة: ((لأتاه))؛ فصوب عنان ذلك.

له ملكة، لا يتكلف معها الإنشاء، مع الإجادة، وتمكن البراعة. وكان متلبساً بالكتابة عن الولاة والأمراء، ملتزماً بذلك، كارهاً له، حريصاً على الانقطاع عنه، واختص بالسيد **أبي إسحاق بن المنصور**، وبأخيه **أبي العلاء**، وبملازمتهما **استحق** الذكر فيمن دخل **غرناطة**، إذ عد ممن دخلها من الأمراء.

مشيخته

روى عن أبيه **أبي سعيد، وأبي الحسن جابر بن أحمد، وابن عتيق بن مون، وأبي الحسن بن الصايغ، وأبي زيد السهيلي** [1]**، وأبي عبد الله التجيبي، وأبي عبد الله بن الفخار، وأبي محمد بن عبيد الله، وأبي المعالي محمود الخراساني، وأبي الوليد بن يزيد بن بَقِّي** [2] وغيرهم. وروى عنه ابنه **أبو عبد الله، وأبو بكر بن سيد الناس، وابن مهدي، وأبو جعفر بن علي بن غالب، وأبو**

[1] في بغية الوعاة: ((أبو القاسم السهيلي)).
[2] في التكملة: ((عن أبي الوليد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بَقّي)).

العباس بن علي بن مروان، وأبو عمرو بن سالم، وأبو القاسم عبد الرحيم بن سالم، وابنه **عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن سالم، وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران، وأبو يحيى بن سليمن بن حوط الله، وأبو محمد بن قاسم الحرار، وأبو الحسن الرعيني، وأبو علي الماقري**.

توالیفه ومنظوماته

له: ((**المعشرات الزهدية**))؛ التي ترجمها بقوله: المعشرات الزهدية، والمذكرات الحقيقية الجدية، ناطقة بألسنة الوجلين المشفقين، شايقة إلى مناهج السالكين المستبقين. نظمها متبركاً بعبادتهم [1] متيمناً بأغراضهم وإشاراتهم، قابضاً عنان الدعوى عن مداناتهم ومجاراتهم، مهتدياً إهداء السنن الخمس، بالأشعة الواضحة من إشاراتهم، مخلداً دون أفقهم العالي، إلى حضيضه، جامعاً لحسن أقواله، وقبح أفعاله، بين الشيء ونقضيه **عبد الرحمن**. وله المعشرات الحبية، وترجمتها النفحات القلبية، واللفحات الشوقية، منظومة على ألسنة الذاهبين

---

[1] في الإسكوريال: ((بعبداتهم)).

وجداً، الذايبين كمداً وجهداً، الذين غربوا، وبقيت أنوارهم، واحتجبوا وظهرت آثارهم، ونطقوا وصمتت أخبارهم، ووفوا العبودية حقها، ومحضوا المحبة مستحقها، نظم من نسج على منوالهم، ولم يشاركهم إلاّ في أقوالهم فلان. والقصايد، في مدح **النبي** صلى الله عليه وسلم، التي كل قصيدة منها عشرون بيتاً، وترجمتها الوسايل المتقبلة، والآثار المسلمة المقبلة، مودعة في العشرنية [1] النبيوية، والحقايق اللفظية والمعنوية، نظم من اعتقدها من أزكى الأعمال، وأعدها لما يستقبله من مدهش الأهوال، وفرع خاطره لها، على توالي القواطع، وتتابع الأشغال، ورجال بركة خاتم الرسالة، وغاية السؤدد والجلالة، محو ما لسلفه من خطأ في الفعل، وزلل في المقال، والله سبحانه ولي القبول للتوبة، والمنان بتسويغ هذه المنة المطلوبة، فذلك يسير في جنب[2] قدرته، ومعهود رحمته الواسعة ومغفرته.

---

[1] **في الزيتونة: ((العشرية)).**
[2] **نفسه: جانب.**

شعـره

وشعـره كثيـر جـداً، ونثـره مشهـور وموجـود. فمـن شعـره في غـرض الشكـر لله عز وجـل، علـى غيـث جاء بعـد قحـط [1]:

نعـــم الإلـــه بشكـــره تتقيـــد
فالله يشكـــر في النوال ويحمـــد
مـــدت إليه أكفنـــا محتاجـــة
فأنالهـــا من جـــوده ما نعهـــد
وأغاثتـــــا بغمايـــم وكافـــة
بالبشر تشرق والبشاير تـــرعد
حملت إلى ظما البسيطة ريـــة
فلهـــا عليـــه منـــة لا تجحـــد
فالجو براق والشعاع مفضض
والماء فياض الأثير معسجـــد

[1] البحـر الكامـل.

والأرض في حلي الأتي كأنما
نطـــف الغمــــام لؤلؤ[1] وزبرجد
والروض مطلول الخمايل باسم
القضـــب لينـــه الحمايــل ميد
تاهت عقول الناس في حركاتها
ألشكرهـــا أم سكرهـــا تتـــأود
فيقـــول أربـــاب البطالة تنثني
ويقول أربـــاب الحقيقة تسجد
وإذا اهتديت إلى الصواب فإنها
في شكر خالقهـــا تقوم وتقعـــد
هذا هو الفضل الذي لا ينقضي
هذا هو الجـــود الذي لا ينفــد
احضر فؤادك للقيام بشكـــره
إن كنـــت تعلـــم قدر ما تتقلـــد

[1] أضـاف د. طويـل واو العطـف؛ فأضحـت: ((ولؤلـؤ)).

وانفض يديك من العباد فكلهم

عجز الحــل وأنت جهلا تعقــد

وإذا افتقرت إلى سواه فإنما الــ

ــذِي بخاطرك المجال الأبعــد

نعم الإلـــه كما تشاهد حجــة

والغائبـــات أجــل ممـــا يشهــد

فانظر إلى آثار رحمتـــه التي

لا يمتـــرى فيهـــا ولا يتـــردد

يا ليت شعري والدليـــل مبلغ

من أي وجه يستريب الملحـــد[1]

من ذا الذي يرتاب إن إلهـــه

أحد وألسنـــة الجمـــاد توحـــد

كل يصـــرح حالـــه ومقالـــه

أن ليـــس إلا اللـــه رب يعبـــد

---

[1] **حرفت في الإسكوريـال؛ فكتبـت: ((المحلـد)).**

ومن شعره أيضاً قوله [1]:

عجبـــاً لمن ترك الحقيقـــة جانبـــاً
وغـــدا لأرباب الصواب مجانبـــا
وابتـــاع بالحق المصحح حاضـــرا
ما شـــاء للزور المعلل عايبـــــا
من بعد ما قد صـــار أنفذ أسهمـــا
وأشد عاديـــة[2] وأمضى قاضبـــا
لا تخدعنـــك سوابـــق من سابـــق
حتى ترى الإحضـــار منه عواقبا
فلربمـــا اشتـــــد الخيـــال وعاقـــه
دون الصواب هوى وأصبح غالبا
ولكـــم إمـــام قـــد أضـــر بفهمتـــه
كتب تعـــب من الضلال كتايبـــا
فانحـــرف بأفـــلاطـــون وأرسطـــا
طاليس ودونهما تسلك طريقاً لاحبا[3]

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] في الإسكوريـال: ((عاليـة))، وفي الزيتونـة: ((عليـه))؛ فصوبهـا عنـان.
[3] أي: تسلـك طريقـاً واضحـاً. وهـذا البيـت مختـل الـوزن.

ودع الفلاسفـــة الذميـــم جميعهـــم
ومقالهـــم تأتى الأحـــق الواجبـــا
يا طالب البرهـــان في أوضاعهـــم
أعـــزز علي بـــأن تعمـــر جانبـــا
أعرضـــت عن شط النجاة ملججـــاً
في بحر هلك ليس ينجي عاطبـــا
وصفا الدليـــل فما نفعت بصفـــوه
حتى جعلـــت له الحبـــر[1] شايبـــا
فانظـــر بعقلك هل ترى متفلسفـــا
فيمـــن تـــرى إلا دعيـــاً كاذبـــا
أعيتـــه أعبـــاء الشريعـــة شـــدة
فارتـــد مسلوبـــا ويحسب سالبـــا
واللـــه أســـل[2] عصمـــة وكفايـــة
من أن أكـــون عن المحجة ناكبـــا

---
[1] في الإسكوريـال: ((اللجيـن)).
[2] جعلهـا د. طويـل: ((أسـأل)).

ومن شعره [1]:

إليك مـــددت الكـــف في كل شـــدة

ومنك وجدت اللطف في كل نايـــب

وأنـــت مـــــلاذ والأنـــام بمعـــزل[2]

وهل مستحيـــل في الرجاء[3] كرآيب

فحقق رجائي فيك يا رب واكفـــني

شماتة[4] عـــدو أو إســـاءة صاحـــب

ومن أيـــن أخشـــى من عدو إساءة

وسترك ضاف من جميـــع الجوانب

وكـــم كربـــة نجينـــي من غمارها

وكانـــت شجا بين الحشا والترائـــب

[فـــلا قـــوة عنـــدي ولا ليَ حيلـــة][5]

سوى حسن ظني بالجميل المواهب

---

[1] **البحـر الطويـل.**

[2] **سقطت هـذه الكلمـة في الإسكوريـال؛ بينمـا وردت في الزيتونـة.**

[3] **حـذف د. طويـل الهمـزة؛ فجعلهـا: ((الرجـا))؛ مـن أجـل الـوزن.**

[4] **جعلهـا د. طويـل: ((شمـات))؛ مـن أجـل الـوزن.**

[5] **هكـذا في الزيتونـة؛ بينمـا ورد هـذا الشطـر في الإسكوريـال هكـذا: ((فـلا قـوة عنـدي إلى حيلـة)).**

فيـــا منجيَ المضطـــر عند دعائـــه

أغثـــني فقد ســـدت عليّ مذاهـــب[1]

رجاؤك رأس المال عندي وربحـــه

وزهد[2] في المخلوق أسنى المواهب

إذا عجزوا عن نفعهم في نفوسهـــم

فتأميلهم بعـــض الظنـــون الكواذب

فيا محسنـــا فيما مضى أنت قـــادر

على اللطف في حالي وحسن العواقب

وإني لأرجـــو منك ما أنـــت أهلـــه

وإن كنت حطا [في][3] كثير المعايب

[فصلِّ على المختار من آل هاشـــم

إمام الورى عند اشتـــداد النوائـــب][4]

---

[1] أضـاف د. طويـل اليـاي في الآخـر؛ فغدت: ((مذاهـبي)).
[2] جعلهـا د. طويـل: ((وزهـده)).
[3] هـذه الإضافـة مـن الزيتونـة.
[4] ورد هـذا البيـت في الزيتونـة؛ بينمـا سقـط في الإسكوريـال.

وقال في مُدَّعي قراءة الخط دون نظر [1]:

[وأدور مياس العواطف أصبحـــت
محاسنه في الناس كالنوع في الجنس][2]
يدبر على القرطـــاس أُنْمُـــلَ كفِّـــه
فيدرك أخفى الخط في أيسر اللمس
فقال فريـــق سحـــر بابـــل عنـــده
وقال فريق ليس هـــذا مـــن الإنس
فقلت لهـــم لم تفهموا[3] ســـر دركـــه
على أنه للعقـــل أجلى من الشمـــس
ستكفـــه[4] حـــب القلوب فأصبحـــت
مداركهـــا أجفـــان أنملـــه الخمـــس

---

[1] **البحـر الطويـل.**
[2] **ورد هـذا البيـت في الزيتونـة؛ بينمـا سقـط في الإسكوريـال.**
[3] **في الزيتونـة: ((تداركـوا)).**
[4] **نفسـه: ((فتكفـه)).**

وفاته

استقدمه **المأمون** [1] على حال وحشة؛ كانت بينه وبينه؛ فورد ورود الرضا على **مراكش**؛ في شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة [2]. وتوفي في ذي قعدة بعده [3]، ودفن بجبانة الشيوخ مع أخيه **عبد الله** وقرنائهما. رحم الله جميعهم.

***

((انتهى السفر التاسع بحمد الله))

---

[1] هو الخليفة الموحدي أبو العلاء المأمون ابن الخليفة يعقوب المنصور. له ترجمة في الإحاطة.

[2] الموافق لـ 1229م.

[3] ذكر في نفح الطيب أنه ((توف بمراكش سنة 637هـ))، وورد في بغية الوعاة، ونفح الطيب: أنه ولد ((بعد الخمسين وخمسمائة)).

***

عبد الرحمن بن أسباط [1]

الكاتب المُنْجِب؛ كاتب أُمير المسلمين يوسف بن تاشُفين.

حاله

لحق به **بالعدوة**، فاتصل بخدمته، وأغراه **بالأندلس**، إذ ألقى إليه أمورها على صورتها، حتى كان ما فرغ الله عز وجل، من استيلائه على ممالكها، وخلعه لرؤسايها. وكان عبد الرحمن قبل اتصاله به، مقدوراً عليه في رزقه، يتحرف بالنسخ، ولم يكن حسن الخط، ولا معرب اللفظ، إلى أن تسير للكتابة في باب الديوان **بألمرية**، ورأى خلال ذلك، في نومه، شخصاً يوقظه، ويقول له قم يا صاحب ربع الدنيا، وقص رؤياه على صاحب له بمثواه، فبشره؛ فطلب من ذلك الحين السمو بنفسه، فأجاز البحر، وتعلق بحاشية الحرّة العليا **زينب** [2]، فاستكتبته.

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكويال، وسقطت في الزيتونة.

[2] هي زينب بنت إسحاق النفزاوية؛ كانت تتمتع بجمال خلاب، وذكاء حاد. تزوجها في بداية الأمر الأمير أبو بكر اللمتوني؛ ولما عزم على العودة إلى عمق الصحراء؛ طلقها شفقة عليها من خونة بلاده؛ فتزوجها

فلما توفيت الحرّة، أقره أمير المسلمين كاتباً، فنال ما شاء، مما ترتمي إليه الهمم، جاهاً ومالاً وشهرة. وكان رجلاً حصيفاً، سكوتاً، عاقلاً، مجدي الجاه، حسن الوساطة، شهير المكانة.

وفاته

توفي فجأة **بمدينة سبتة**، في عام سبعة وثمانين وأربعمائة [1]. وتقلد الكتابة بعده، **أبو بكر بن القصير**. ذكره **ابن الصيرفي**.

***

من بعده ابن عمه وخليفته يوسف بن تاشفين؛ فأضحت من أحب نسائه لديه؛ وأنجبت له ولده الفضل.

[1] الموافق لـ 1094م.

عبد الرحمن بن محمد

ابن عبد الله بن مالك المعافري [1]، وتكرر مالك في نسبه.

أوليته

قالوا: من ولد **عقبة بن نعيم** الداخل إلى **الأندلس**، من **جند دمشق**، نزيل **قرية شكنب** من إقليم **تاجرة الجمل** من عمل بلدنا **لوشة**، **غرناطي** يكنى **أبا محمد**.

حاله

كان **أبو محمد** هذا أحد وزراء **الأندلس**، كثير الصنايع، جزل المواهب، عظيم المكارم، على سنن عظماء الملوك، وأخلاق السادة الكرام. لم ير بعده مثله في حال [2] **الأندلس**، ذاكراً للفقه والحديث، بارعاً في الأدب [3]، شاعراً مجيداً وكاتباً بليغا، حلو الكتابة والشعر، هشاً مع وقار، ليناً على مضاء، عالي الهمة، كثير الخدم والأمل [4]. من آثاره المائلة إلى اليوم الحمام، بجوفي الجامع

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال؛ وسقطت في الزيتونة. ولته أيضاً ترجمة في التكملة لكتاب الصلة، وقلائد العقيان، ونفح الطيب.

[2] في النفح: ((رجال)).

[3] نفسه: ((الآداب)).

[4] نفسه: ((الخدم والأهل)).

الأعظم من **غرناطة**. بدأ بناه أول يوم من جمادى الأولى سنة تسع وخمسماية [1]. شرع في الزيادة في سقف الجامع من صحنه سنة ست عشرة [2]، وعوض أرجل قسيه، أعمدة الرخام، وجلب الروس [3] والموايد من **قرطبة**، وفرش صحنه بكذان الصخيرة [4]. ومن مكارمه أنه لما ولي مستخلص **غرناطة وإشبيلية**؛، وجهه أميره **علي بن يوسف بن تاشفين** إلى **طرطوشة؛** برسم بنايها، وإصلاح خللها؛ فلمّا استوفى الغاية فيها، قلده، واستصحب جملة من ماله لمؤنته المختصة به، فلما احتلها سأل قاضيها، فكتب إليه جملة من أهلها ممن ضعف حاله وقل تصرفه، من ذوي البيوتات، فاستعملهم أمناء في كل وجه جميل، ووسع أرزاقهم، حتى كمل له ما أراد من عمله. ومن عجز أن يستعمله، وصله من ماله، وصدر عنها وقد أنعش خلقاً كثيراً.

---

[1] **الموافق لـ 1115م.**

[2] **أي سنة 516هـ/1122م**

[3] **أي ((الرؤوس))؛ وقد اتبع في الأصل الرسم المغربي الذي يخفف الهمزة.**

[4] **في النفح: ((الصخر)). والكذّان: هي حجارة رخوة.**

شعـره

مـن قولـه فـي مجلس أطربـه سماعـه، وبسطه احتشـاد الأنس فيه واجتماعه [1]:

لا تلمـــني إذا طربـــت لشجـــو[2]

يبعث الأنس فالكريـــم طـــروب

ليس شق الجيـــوب حقـــاً علينـــا

إنمـــا الحـــق[3] أن تشـــق القلـــوب

وقـال: وقـد قطـف غـلام من غلمانـه نـوارة، ومـد بهـا يـده إلـى **أبي نصر الفتـح بـن عبيـد اللـه** [4]. فقـال **أبـو نصـر** [5]:

وبـــدر بـــدا والطرف مطلـــع حسنه

وفي كفه من رايق النـــور كوكـــب

يـــروح لتعذيـــب النفوس ويغتـــدي

ويطلـــع في أفـــق الجمال ويغـــرب

---

[1] البحـر الخفيـف.

[2] في القلائـــد: ((لشـدو)).

[3] في النفـح: ((الشـأن)).

[4] هو أبو نصر الفتح بن خاقان؛ صاحب كتاب قلائد العقيان. سبقت الإشارة إليه.

[5] البحـر الطويـل. نسـب البيتـان في نفـح الطيـب إلى محمـد بـن مالـك.

فقال أبو محمد بن مالك [1]:

ويحسد[2] منه الغصن أي مهفهف
يجيء على مثل الكئيب ويذهب

نثره

قال **أبو نصر**: كتبت إليه مودعاً، فكتب [3] إلي مستدعياً، وأخبرني رسوله [4] أنه لما قرأ الكتاب وضعه، وما سوى ولا فكر ولا روى: ((يا سيدي؛، جرت الأيام [5] بجمع افتراقك، وكان الله جارك في انطلاقك [6]، انطلاقك [6]، فغيرك روع بالظعن، وأوقد للوداع جامح [7] جامح [7] الشجن، فأنت [8] من أبناء هذا الزمن، خليفة الخضر، لا يستقر [9] على وطن، كأنك والله يختار لك ما

[1] البحر الطويل.
[2] في القلائد: ((ويحسن)).
[3] نفسه: ((فجاوبني جواباً مستبدعاً)).
[4] نفسه: ((رسولي)).
[5] نفسه: ((الأقدار)).
[6] اقتبس هذا القول عن البحري؛ وفي قوله:
((اللهُ جارُكَ في انطلاقكْ * تِلْقاءَ شامِكَ أو عراقكْ))
[7] في القلائد، والنفح: ((جاحم)).
[8] نفسهما: ((فإنك)).
[9] في القلائد: ((لا تستقر)).

ما تأتيه وما تدعه، موكل [بفضاء الأرض تذرعه][1]، فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع، أن يعدك[2] من العواري السريعة الارتجاع[3]، فلا يأسف على قلة الثوا وينشد[4]:

((وفارقت حتى ما أبـــالي من النـــوى)).

وفاته

اعتل **بإشبيلية** فانتقل إلى **غرناطة**، فزادت علته بها، وتوفي رحمه الله بها في غرة شعبان سنة ثمان[5] عشرة وخمسمائة[6]، ودفن إثر صلاة الظهر من يوم الجمعة المذكورة بمقبرة **باب إلبيرة**، وحضر جنازته الخاصة والعامة.

---

[1] ما بين حاصرتين هو عجز بيت لابن زريق البغدادي؛ وصدر البيت هكذا: ((كأنما هو في حل ومرتحل)).

[2] في القلائـد: ((يعتدك)).

[3] نفسه: ((الاسترجاع)).

[4] البحر الطويل.

[5] صوبها د. طويل؛ فكتبها: ((ثماني)).

[6] الموافق لـ 1124م.

ومن رثاه

رثاه ذو الوزارتين **أبو عبد الله بن أبي الخصال** رحمه الله، فقال [1]:

إن كنــت تشفق من نــزوح نواه
فهنــــاك مقبـــــرة وذا مثـــــواه
قســم زمانــك عبــرة أو عبــرة
وأحــل تشوقــه عــلى ذكــــراه
وأعــدده ما امتدت حياتــك غايبــاً
أو عــاتبــاً إن لــم تــزر زرنــاه
أو نــائمــاً غلبــت عليــه رقــدة
لمسهــد لــم تغتمــض عينــــاه
أو كوكبــاً سرت الركــاب بنــوره
فمــضى وبلغنــــا المحــل سنــاه
فمــتى تبعــد والنفــوس تــزوره
ومــتى تغيــب والقلــوب تـــراه

1 **البحر الكامل.**

يا واحــداً عدل الجميــع وأصلحت
دنيـــا الجميــع ودينهــم دنيــاه
طالــت أذاتــك بالحيــاء كرامــة
واللـــه يكــرم عبـــده بــــأذاه
لشهـــادة التوحيــد بيــن لسانــه
وجنانــــه نـــور يــرى مســراه
وبوجهـــه سيــمى أغـــر محجــل
مهمــا بــدا لــم تلتبــس سيمــاه
وكأنمــا هـــو فـــي الحياة سكينـــة
لولا اهتـــزاز فـــي النــدى يغشـــاه
وكأنـــه لحـــظ العفـــاة تـــوجعـــا
فتلازمـــت فـــوق الفـــؤاد يـــداه
أبـــدى رضي الرحمن عنك ثناؤهم
إن الثنــــاء علامـــــة لرضـــــاه
يا ذا الـــذي شغـــف القلـــوب بـــه
وذا لا ترتجيـــه وذاك لا تخشــــاه

مـــــا ذاك إلا أنـــه فـــرع زكـــا
وســـع الجميـــع بظلـــه وحنـــاه
فاليـــوم أودى كـــل مـــن أحببتـــه
ونـــعى إلـــى النفـــس من ينعـــاه
مإذا يؤمـــل فـــي دمشـــق مسهـــد
قـــد كنـــت ناظـــره وكـــن تـــراه
يعتـــاد قبـــرك للبكـــا أسفـــاً بمـــا
قـــد كـــان أضحكـــه الـــذي أبكـــاه
يا تربة حـــل الوزيـــر ضريحهـــا
سقـــاك بـــل صـــلى عليـــك اللـــه
وســـرى إليـــك ومنك ذكر ساطـــع
كالمســـك عـــاطـــرة به الأفـــواه

***

عبد الرحمن بن عبد الملك

اليَنشْتي [1]، يكنى أبا بكر، أصله من مدينة باغة [2]، ونشأ بلوشة، وهو محسوب من الغرناطيين.

حاله

كان شيخاً يبدو على مخيلته النبل والدهاء، مع قصور أدواته. ينتحل النظم والنثر، في أراجيز يتوصل بها إلى غرضه، من التصرف في العمل.

وجرى ذكره في **التاج المحلى**، وغيره بما نصه: قارض [3] هاج، مداهن مداج، أخبث من نظر من طرف خفي، وأغدر من تلبس بشعار وفي، إلى مكيدة مبثوتة الحبايل، وإغراء يقطع بين الشعوب والقبايل، من شيوخ طريقة العمل، المتقلبين من أحوالها، بين الصحو والثمل، المتعللين برسومها، حين اختلط المرعي والهمل [4]. وهو ناظم أرجاز، ومستعمل حقيقة ومجاز. نظم مختصر السيرة،

---

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في نفـح الطيـب.

[2] تسـمى بالإسبانيـة: Priego؛ تابعـة لإقليـم غرناطـة؛ وتقـع شمـال لوشـة؛ بالقـرب مـن قلعـة يحصـب.

[3] في النفـح: ((مـادح)).

[4] نفسـه: ((بالهمـل)). الهمـل هـو الـذي تـرك مهمـلاً دون راع.

في الألفاظ اليسيرة، ونظم رجزاً في الزجر والفال، نبه به تلك الطريقة بعد الإغفال، فمن نظمه ما خاطبني، به مستدعياً إلى إعذار ولده [1]:

أريـــــد مـــن سيدي الأعلى تكلفـــه
على[2] الوصول إلى داري صباح غد
يزيـــدني شرفـــاً منـــه ويبصــــر لي
صناعـــة القاطع الحجام في ولـــدي

فأجبته [3]:

يـــا سيدي الأوحد الأسمى ومعتمدي
وذا الوسيلـــة مـــن أهـــل ومن بلـــد[4]
دعوت في يوم الاثنين الصحاب ضحى
وفيه ما ليس في بيـــت[5] ولا أحـــد

---

[1] البحـر البسيـط.
[2] في النفـح: ((إلى)).
[3] البحـر البسيـط.
[4] في النفـح: ((مـن أهـلي ومـن بلـدي)).
[5] نفسـه: ((سبـت)).

يوم السـلام على المـولى وخدمتـه

فاصفح وإن عثرت رجلي فخذ بيدي

والعـذر أوضح من نار على علـم

فعد إن غبت عن لوم وعـن فنـد[1]

بقيـت في ظل عيـش لا نفـاد له

مصاحبا غير محصـور إلى أمـد

ومنه أيضاً [2]:

قـل لابن سيـد والديـه لقد عـلا

وتجـاوز المقـدار فيمـا يفخـر

ما سـاد والـده فيحمـد أمـره

إلا صغيـر العنـز حـتى يكبـر

وصدرت عنه مقطوعات في غير هذا المعنى مما عذب به المجنى، منها قوله [3]:

---

[1] أي عن لوم و تخطئة.

[2] البحر الكامل.

[3] البحر الكامل.

إن الولايـــة رفعـــــة لكنهــــا

أبـــــدا إذا حققتهـــــا تنتقــــل[1]

فانظر فضايل من مضى من أهلهــا

تجــد الفضايــل كلهــا لا تعــزل

وقـال [2]:

هنيــا أبــا إسحــق دمــت موفقــاً

سعيداً قرير العين بالعرس والعرس

فأنت كمثل البدر في الحسن والـــتي

تملكتها في الحسن أسنى من الشمس

وقالوا عجيـــب نور بدرين ظاهـــر

فقلت نعم إن ألـــف الجنس للجنـــس

وكتب إلي [3]:

إذا ضاق ذرعـــي بالزمان شكوتـــه

لمولاي من آل الخطيـــب فينفـــرج

---

[1] **في النفح: ((تتنقل)). وهو أسلم.**
[2] **البحر الطويل.**
[3] **البحر الطويل.**

هو العـــدة العظمى هو السيد الـــذي
بأوصافه الحسنى المكـــارم تبتهـــج
وزيـــر علا ذاتـــاً وقدرا ومنصبـــا
فمن دونه أعـــلا الكواكب ينـــدرج
وفي بابـــه نلت الأمـــاني وقـــادني
دليل رشـــادي حيـــث رافقني الفرج
فـــلا زال في سعـــد وعز ونعمـــة
تصان به الأموال والأهل والمهـــج

وفاته

توفي في الطاعون عام خمسين وسبعماية[1] **بغرناطة**.

***

[1] **الموافق لـ 1349م.**

وفي سائر الأسماء التي بمعنى عبد الله وعبد الرحمن، وأولاد الأمراء.

***

عبد الأعلى بن موسى

ابن نُصير[1]، مولى لخم.

أوليته

أبوه المنسوب إليه فتح **الأندلس**. ومحله من الدين والشهرة وعظم الصيت، معروف.

حاله

كان **عبد الأعلى** أميراً على سنن أبيه في الفضل والدين، وهو الذي باشر فتح **غرناطة ومالقة**؛ واستحق الذكر لذلك. قال **الرازي**: وكان **موسى بن نصير**، قد أخرج ابنه **عبد الأعلى** فيمن رتبه من الرجال إلى **إلبيرة وتدمير**؛ لفتحها، ومضى إلى **إلبيرة**؛ ففتحها، وضم بها إلى **غرناطة** اليهود؛ مستظهراً بهم على النصر، ثم مضى إلى **كورة ريُّه**؛ ففتحها.

***

[1] سقطت هذه الترجمة في الزيتونة؛ بينما وردت في الإسكوريال. ولصاحب الترجمة ذكر في نفح الطيب.

عبد الحليم بن عمر

ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَحْيُو، يكنى أبا محمد، أوليته معروفة.

وفسد ما بين أبيه وبين جده، أمير المسلمين، بما أوجب انتباذه إلى سكنى مدينة **سجلماسة**، معززة له ألقاب السلطان بها، مدوخاً ما بأحوازها من أماكن الرياسة، منسوبة إليه بها الآثار، كالسد الكبير الشهير، وقصور الملك. فلما نزل عنها على حكم أخيه أمير المسلمين **أبي الحسن**، وأمضى قتلته بالفصاد، نشأ ولده، وهم عدة بباب عمهم، يسعهم رفده، ويقودهم ولده، ثم جلاهم إلى **الأندلس** إبنه السلطان **أبو عنان**، عندما تصير الأمر إليه، فاستقروا **بغرناطة**، تحت برّ وجراية، قلقاً بمكانهم من جلاهم ومن بعده، لإشارة عيون الترشيح إليهم، مغازلة من كثب، وقعودهم بحيث تعثر فيهم المظنة، إلى أن كان من أمرهم ما هو معروف.

حالـه

هـذا الرجـل مـن أهـل الخير والعفـاف والصيانـة، ودمـث الخلـق، وحسـن المداراة، يألـف أهـل الفضـل، خاطـب للرتبـة بكـل جهـد وحيلـة، وسـد عنـه بـاب الأطمـاع؛ حـذر مـن كـان لـه الأمـر بالأندلـس مـن لـدن وصولـه. كـي لا تختلـف أحـوال هـذا الوطـن فـي صـرف وجـوه أهلـه إلـى غـزو عـدو الملـة، ومحـولـي القبلـة، وإعراضهـم عـن الإغمـاض فـي الفتنـة المسلمـة، وربمـا يميـت عنهـم الحركـات والهمـوم؛ فثقفـوا مـن فيهـا عليهـم، إلـى أن تبـرأ ساحتهـم ويظـن بـه السكـون.

فلمـا دالـت الدولـة، وكانـت للأخابـث الكـرة، واستقـرت بيـد الرئيـس الغـادر الكـرة، وكـان مـا تقـدم الإلمـاع بـه مـن عمـل السلطـان **أبـي سالـم** ملـك **المغـرب**، علـى إجـازة السلطـان ولـي ملـك **الأندلـس**، المزعـج عنهـا بعلـة البغـي، ذهـب الدايـل الأخـرق إلـى المقارضـة، فعندمـا استقـر السلطـان **أبـو عبـد اللـه بجبـل الفتـح**، حـاول إجـازة **الأميـر عبـد الحليـم** إلى **تلمسـان** بعـد مفاوضـة. فكـان ذلـك فـي أخريـات ذي

قعدة، وقد قضي الأمر في السلطان **أبي سالم**، وانحلت العقدة، وانتكثت المريرة، وولى الناس الرجل المعتوه، وفد إلى **تلمسان** من لم يرض محله من الإدالة، ولا قويت نفسه على العوض، ولا صابرت غض المخافة، وحرك ذلك من عزمه، وقد أنجده السلطان مستدعيه بما في طوقه.

ولما اتصل خبره بالقايم بالأمر **بفاس**، ومعول التدبير على سلطانه. أعمل النظر فيهم، زعموا بتسليم الأمر، ثم حذر من لحق به من أضداده، فصمم على الحصار، واستراب **بالقبيل المريني**، وأكثف الحجاب دونهم بما يحرك أنفتهم، فنفروا عنه بواحدة أول عام ثلاثة وستين وسبعماية [1]، واتفق رأيهم على الأمير **عبد الحليم،** فتوجهت إليه وجهوهم اتفاقاً، وانثالوا عليه اضطراراً، ونازل **البلد الجديد**، دار الملك من مدينة **فاس**، يوم السبت السادس لشهر المحرم من العام. واضطربت المحلات بظاهره، وخرج إليه أهل المدينة القدمى؛ فأخذ بيعتهم،

---
[1] **الموافق لـ 1361م.**

وخاطب الجهات، فألقت إليه قواعدها باليد، ووصلت إليه مخاطبتها. ومن ذلك ما خوطب به من **مدينة سلا**، وأنا يومئذ بها[1]:

يـــا إمـــام الهـــــدى وأي إمـــــام
أوضح الحق بعد إخفاء رسمـــه
أنـــت عبـــد الحليـــم حلمـــك نرجـــو
فالمسمى له نصيـــب من اسمـــه

وسلك مسلكاً حسناً في الناس، وفسح الآمال، وأجمل اللقاء، وتحمل الجفاء، واستفز الخاصة بجميل التأتي وأخذ العفو، والتظاهر بإقامة رسوم الديانة، وحارب البلد المحصور في يوم السبت الثالث عشر لشهر الله المحرم المذكور.

كانت الملاقاة التي برز فيها وزير الملك ومدير رحاه بمن اشتملت عليه البلدة من **الروم** والجند الرحل، واستكثر من آلات الظهور وعدد التهويل؛ فكانت بين

[1] **البحر الخفيف.**

الفريقين حرب مرة تولى كبرها الناشبة؛ فأرسلت على القوم حواصب النبل، غارت لها الخيل، واقشعرت الوجوه، وتقهقرت المواكب. وعندها برز السلطان المعتوه، مصاحبة له نسمة الإقدام، وتهور الشجاعة عند مفارقة الخلال الصحية، وتوالت الشدات، وتكالبت الطايفة المحصورة؛ فتمرست بأختها.

ووقعت الهزيمة ضحوة اليوم المذكور على قبيل **بني مرين** ومن لف لفهم، فصرفوا الوجوه إلى **مدينة تازي**، واستقر بها سلطانهم، ودخلت **مكناسة** في أمرهم، وضاق ذرع **فاس** للملك بهم، إلى أن وصل الأمير المستدعى، طية الصبر، وأجدى دفع الدين، ودخل البلد في يوم الاثنين الثاني والعشرين لصفر من العام. وكان اللقاء بين جيش السلطان، لنظر الوزير، مطعم الإمهال ومعود الصنع. وبين جيش **بني مرين**، لنظر الأخ **عبد المؤمن** ابن السلطان **أبي علي**. فرحل القوم من **مكناسة**، وفرّ عنهم الكثير من الأولياء، وأخذوا العرصة، واستقروا أخيراً ببلد أبيهم **سجلماسة**؛ فكانت بين القوم مهادنة.

وعلى أثرها تعصب للأخ **عبد المؤمن** معظم **عرب** الجهة، وقد برز إليهم في شأن استخلاص الجباية، فرجعوا به إلى **سجلماسة**. وخرج لمدافعتهم الأمير **عبد الحليم**، بمن معه من أشياخ **قبيله والعرب** أولى مظاهر، فكانت بينهم حرب أجلت عن هزيمة الأمير **عبد الحليم**، واستلحم للسيف جملة من المشاهير. كالشيخ الخاطب في حبله، خدن النكر وقادح زند الفتنة، الداين بالحمل على الدول على التفصيل والجملة، المعتمد بالمغرب بالرأي والمشورة، **يحيى رحو بن مسطى** وغيره. وأذعن **عبد الحليم**؛ بعدها للخلع، وخرج عن الأمر لأخيه، وأبقي عليه، وتحرج من قتله. وتعرف لهذا الوقت صرفه عنه إلى الأرض **الحجازية** على صحراء القبلة، فانتهى أمره إلى هذه الغاية.

دخوله غرناطة

قدم على الحضرة مع الجملة من إخوته وبني عمه في............ [1] جلاهم السلطان **أبو عنان**، عندما تصير له الأمر، فاستقروا بها، يناهز **عبد الحليم** منهم بلوغ أشده.

وفاته

وتوفي............... [2] وستين وسبعماية [3].

***

[1] بياض موجود هنا في المخطوط.

[2] بياض أيضاً في المخطوط.

[3] لقد محي جزء من تاريخ وفاته؛ وما بقي يفد بأنه توفي ×لال سنوات غير محددة من المائة السابعة. ولكن ابن خلدون في كتابه العبر ذكر أنه مات أثناء عودته من الحج بالقرب من الإسكندرية سنة 766هـ. الموافق لـ 1364م

عبد المؤمن بن عمر

ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَحْيُو [1]؛ أخو الأمير عبد الحليم؛ يكنى أبا محمد.

حاله

كان رجلاً وقوراً، سكوناً، نحيفاً، آية الله في جمود الكف، وإيثار المسك، قليل المداخلة للناس، مشتغلا بما يغنيه من خويصة نفسه، موصوفاً ببسالة وإقدام، حسن الهيئة. دخل **الأندلس** مع أخيه، وعلى رسمه، وتحرك معه، وابن أخ لهما، فتولى كثيراً من أمره، ولقي الهول دونه. ولما استقروا **بسجلماسة**، كان ما تقرر من توبته على أمره، والعمل على خلعه، معتذراً زعموا إليه، موفيا حقه، موجبا تجلته إلى حين انصرافه، ووصل **الأندلس** خطابه، يعرف بذلك بما نصه في المدرجة.

---

[1] **سقطت هذه الترجمة في الزيتونة؛ ووردت في الإسكوريال.**

ولـم ينشب أن أحس بحركة جيش السلطان **بفـاس** إليه ؛ فخاطب عميد **الهساكـرة** [1]، **عامر بـن محمـد الهنتـاتي**، وعـرض نفسه عليه، فاستدعـاه. وبـذل لـه أمانـاً. ولّما تحصـل عنـده، قبـض عليـه، وثقفـه، وشـد عليـه يـده، وحصـل عـلى طلبـه دهِيَّـة، مـن التوعـد بمكانـه، واتخـاذ اليـد عنـد السلطـان بكـف عاديتـه إلـى هـذا التاريـخ.

***

[1] أي رئيـس قبيلـة هسكـورة الأمازيغيـة.

ومن الأفراد أيضاً في هذا الحرف وهم طارؤون

***

عبد الحق بن علي

ابن عثمن بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق [1]؛ الأمير المُخاف بعد أبيه أمير المسلمين أبي الحسن بمدينة الجزائر؛ بعد ما توجّه إلى المغرب، وجرت عليه الهزيمة من بني زيان.

حاله

كان صبيا ظاهر السكون والأدب، في سن المراهقة، لم ينشب أن نازله جيش عدوه، ومالأه أهل البلد، وأخذ من معه لأنفسهم وله الأمان، فنزل عنها ولحق **بالأندلس**. قال في **كتاب طرفة العصر**: وفي ليلة العاشر من شهر ربيع الأول اثنين وخمسين وسبعمائة [2]، اتصل الخبر من جهة الساحل، بنزول الأمير **عبد الحق** ابن أمير المسلمين **أبي الحسن** ومن معه، بساحل **شلوبانية** [3]، مفلتين من دهق الشدة، بما كان من منازلة جيش **بني زيان مدينة**

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال؛ بينما سقطت في الزيتونة.

[2] الموافق لـ 1351م.

[3] تسمى بالإسبانية Salobrena؛ وهي بلدة صغيرة تطل على البحر الأبيض المتوسط؛ في الجهة لجنوبية؛ من غرناطة. وقد ذكرت من قبل.

الجزائر، وقيام أهلها بدعوتهم؛ لما سموه من المطاولة، ونَهَكهُم من الفتنة، وامتنع الأمير ومن معه بقصبتها، وأخذوا لأنفسهم عهداً؛ فنزلوا وركبوا البحر، فرافقتهم السلامة، وشملهم ستر العصمة. ولحين اتصل بالسلطان خبره، بادر إليه بمركبين ثقيلي الحلية، وما يناسب ذلك من بزة، وعجل من خدامه بمن يقوم ببره، وأصحبه إلى منزل كرامته، ولرابع يوم من وصوله، كان قدومه، وبرز له السلطان بروزاً فخماً. ونزل له، قارضاً إياه أحسن القرض، بما أسلفه من يد، وأسداه من طول، وأقام ضيفاً في جواره، إلى أن استدعاه أخوه ملك **المغرب**؛ فانصرف عن رضى منه، ولم ينشب أن هلك مغتالاً في جملة أرداهم الترشيح

***

عبد الواحد بن زكريا

ابن أحمد اللحياني [1]، يكنى أبا ملك [2]، وبيتُه في الموحدين الملوك بتونس؛ وأبوه سلطان إفريقية؛ المُتَرَقِّي إليها من رتبة الشياخة الموحدية.

حاله

كان رجلاً طُوالاً نحيفا، فاضلاً حسيباً، مقيماً للرسوم الحسبية، حسن العشرة، معتدل الطريقة، نشأ **بالبلاد المشرقية**، ثم اتصل بوطنه **إفريقية**، وتقلد الإمارة بها برهة يسيرة، ثم فرّ عنها ولحق **بالمغرب**، وجاز إلى **الأندلس**، وقدم على سلطانها، فرحب به، وقابله بالبر، ونوه محله، وأطلق جرايته، ثم ارتحل أدراجه إلى **العدوة**، ووقعت بيني وبينه صحبة، أنشدته عند وداعه [3]:

---

[1] **وردت هذه الترجمة في الإسكوريال؛ بينما سقطت في الزيتونة. وتوجد أخبار صاحبها أيضاً في نفح الطيب، وأزهار الرياض.**

[2] **في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((أبا مالك)).**

[3] **البحر المتقارب.**

أبا ملــك أنــت نجــل الملــوك
غيــوث النــدى وليوث النــزال

ومثلــــك يرتــاح للمكرمــات
ومالــك بيــن الورى من مثــال

عزيــــز بأنفسنـــا أن نــرى
ركابــك مــؤذنــة بــارتحــال

وقد خبــرت منك خلقاً كريمــاً
أنــاف عــلى درجــات الكمال

وفــازت لديــك بساعات أنس
كما زار في النوم[1] طيف الخيــال

فلـــــولا[2] تعللنــــا أننــــا
نــزورك فــوق بساط الجــلال

---

[1] في النفـح، والأزهـار: ((في الليـل)).
[2] نفسهمـا: ((نبتـغي)).

ونبلـــغ فيـــك الـــذي نشتـــهي[1]

وذاك عـــلى السهـــل[2] المنـــــال

لمـــا فتـــرت أنفـــس من أسى

ولا برحـــت أدمـــع في انهمـــال

تلقتـــك حيث احتللـــت السعـــود

وكـــان لـــك اللـــه على[3] كل حال

***

---

[1] في النفـح، والأزهـار: ((نبتـغي)).

[2] نفسهمـا: ((وذاك عـلى اللـه سهـل...)).

[3] في النفـح، والأزهـار: ((في))؛ وهـو أسلـم.

ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأماثل والكبرا

***

عبد الحق بن عثمن

ابن محمد بن عبد الحق بن مَحْيُو[1]؛ يكنى أبا إدريس؛ شيخ الغزاة بالأندلس.

حاله

كان شجاعاً عفيفاً تقياً، وقوراً جلداً، معروف الحق، بعيد الصيت. نازع الأمر قومه **بالمغرب**، وانتزى بمدينة **تازي**، على السلطان **أبي الربيع**، وأخذ بها البيعة لنفسه. ثم ضاق ذرعه، فعبر فيمن معه إلى **تلمسان**. ولما هلك **أبو الربيع**، وولي السلطان **أبو سعيد**، قدم للكتب في شأنه إلى سلطان **الأندلس**، وقد تعرف عزمه على اللحاق، ولم ينشب أن لحق **بألمرية** من **تلمسان**، فثقف بها، قضاء لحق من خاطب في شأنه. ثم بدا للسلطان في أمره، فأوعز لرقبايه في الغفلة عنه، وفرّ فلحق **ببلاد**

[1] سقطت هذه الترجمة في الزيتونة؛ بينما وردت في الإسكوريال.

النصري [1] فأقام بها، إلى أن كانت الوقيعة بالسلطان **بغرناطة**، بأحواز قرية العطشا على يد طالب الملك أمير المسلمين **أبي الوليد**، وأسر يومئذ شيخ الغزاة **حمو بن عبد الحق**، وترجح الرأي في إطلاقه وصرفه، إعلانا للتهديد. فنجحت الحيلة، وعزل عن الخطة، واستدعي **عبد الحق** هذا إليها، فوصل **غرناطة**، وقدم شيخاً على الغزاة. ولما تغلب السلطان **أبو الوليد** على الأمر، واستوسق له، وكان ممن شمله أمانه، فأقره مرؤساً بالشيخ **أبي سعيد عثمن بن أبي العلاء** برهة. ثم لحق بأميره المخلوع **نصر**، المستقر موادعاً **بوادي آش**، وأوقع بجيش المسلمين مظاهر **الطاغية**، الوقيعة الشنيعة **بقرمونة**، وأقام لديه مدة. ثم لحق **بأرض النصري**، وأجاز البحر إلى **سبتة**. مظاهراً لأميرها **أبي عمرو يحيى بن أبي طالب العزفي**، وقد كشف القناع في منابذة طاعة السلطان، ملك **المغرب**، وكان أملك لما بيده، وأتيح له ظفر عظيم على الجيش المضيق على **سبتة**، فبيته وهزمه. وتخلص له ولده،

[1] يقصد بلاد قشتالة النصرانية.

الكاين بمضرب أمير الجيش في بيت من الخشب رهينة، فصرف عليه، فما شئت من ذياع شهرة، وبعد صيت، وكرم أحدوثة. ثم بدا له في التحول إلى **تلمسان**، فانتقل إليها، وأقام في إيالة ملكها **عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين** [1] إلى آخر عمره.

وفاته

توفي يوم دخول مدينة **تلمسان** عنوة، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وثلثين وسبعماية [2]، قتل على باب منزله، يدافع عن نفسه، وعلى ذلك فلم يشهر عنه يومئذ كبير عناء، وكوِّر واستلحم، وحز رأسه. وكان أسوة أميرها في المحيا والممات، رحم الله جميعهم، فانتقل بانتقاله وقتل بمقتله. وكان أيضاً علماً من أعلام الحروب، ومثلاً في الأبطال، وليثاً من ليوث النزال.

***

---

[1] هو ((أبو تاشفين))، وليس ((بن تاشفين))؛ لأنه لقبه.
[2] الموافق لـ 1337م.

عبد الملك بن علي

ابن هُذيل الفزاري[1]، وعبد الله أخوه.

حالهما

قال **ابن مسعدة**: **أبو محمد، وأبو مروان** توليا خطة الوزارة في **الدولة الحبوسية**[2]، ثم توليا القيادة بثغور **الأندلس**، وقهرا ما جاورهما من العدو، وغلباه، وسقياه كأس المنايا، وجرعاه، ولم يزالا قائمين على ذلك، ظاهرين علمين، إلى أن استشهدا رحمهما الله.

***

[1] لم ترد هذه الترجمة في الزيتونة؛ بينما وردت في الإسكوريال.
[2] نسبة إلى حبوس بن ماكسن الصنهاجي؛ أول أمراء دولة غرناطة أيام الطوائف.

عبد القهار بن مفرج

ابن عبد القهار بن هزيل الفزاري [1].

حاله

قال **ابن مسعدة**، كان بارع الأدب، شاعراً، نحوياً، لغوياً، كاتباً متوقد الذهن، عنده معرفة بالطب، ثم اعتزل الناس، وانقبض، وقصد سكنى **البشارات** [2]، لينفرد بها، ويخفي نفسه؛ فراراً من الخدمة؛ فتهيأ له المراد.

شعره

وكان شاعرا جيد القريحة سريع الخاطر، ومن شعره [3]:

يـــا صـــاح لا تعـــرض لزوجيـــة
كـــل البـــلا مـــن أجلهـــا يعتـــري

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال، وسقطت في الزيتونة.
[2] البشارات Alpujarras: منطقة جبلية تقع جنوب سفح جبل شلير؛ ولا تبعد كثيراً عن البحر الأبيض المتوسط. سبق ذكرها.
[3] البحر السريع.

الفقــر والــذل وطــول الأســــى
لســـت بمـــا أذكــره مفتـــري
مـــا في فــم المرأة شيء ســوى
اشتر لـــي واشتــر لـــي واشتـــر

***

***

عبد الحق بن غالب

[ابن عطية] [1] بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام ابن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن خالد ابن خفاف بن أسلم بن مكتوم الجاربي [2].

أوليته

من ولد **زيد بن محارب بن عطية**، نَزَلَ جَدُّه **عطية ابن خفاف بقرية قسلة** من **زاويه غرناطة**؛ فأنسل كثيراً ممن له خطر، وفيه فضل.

حاله

كان **عبد الحق** فقيها، عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه، والنحو والأدب واللغة، مقيداً حسن التقييد، له نظم ونثر، ولي القضاء بمدينة **ألمرية** في المحرم

---

[1] هذه الإضافة من الزيتونة.

[2] يكنى أبا محمد. وله ترجمة أيضاً في: كتاب الصلة، وقلائد العقيان، وبغية الملتمس، وفوات الوفيات، وبغية الوعاة، ومعجم أصحاب القاضي الصدفي، والحلة السيراء، والمغرب، وروايات المبرزين، والديباج المذهب، ونفح الطيب.

سنة تسع وعشرين وخمسماية [1]، وكان غاية في الدهاء والذكاء، والتهمم بالعلم، سري الهمة في اقتناء الكتب. توخى الحق، وعدل في الحكم، وأعز الخطة.

مشيخته

روى عن الحافظ أبيه، **وأبوي علي الغساني والصدفي، وأبي عبد الله محمد بن فرج** مولى **الطلاع، وأبي المطرف الشعبي، وأبي الحسين بن البيان، وأبي القاسم بن الحصار المقري،** وغيرهم.

تواليفه

ألف كتابه المسمى بـ((**الوجيز في التفسير**))؛ فأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيته كل مطار. وألف برنامجاً ضمنه مروياته، وأسماء شيوخه، وجَرَز وأجاد.

شعره

قال **الملاحي**: ما حدثني به غير واحد من أشياخه عنه؛ قوله[2]:

---

[1] **الموافق لـ 1134م.**
[2] **البحر البسيط.**

وليلـــة جيت[1] فيها الجـــذع مرتديـــاً[2]
بالسيـــف أسحب أذيـــالا من الظلـــم
والنجم حيران في بحر الدجا غرق
والبـــدر في طيلسان الليل كالعلـــم[3]
كأنمـــا الليـــل زنـــجي بكـــاهلـــه
جـــرح فيثغـــب[4] أحيانـــا لـــه بـــدم

وقال يندب عهد شبابه [5]:

سقياً لعهـــد شبـــاب ظلت أمرح في
ريعانـــه وليالي العيـــش أسحـــار
أيام روض الصبا لم تـــذو أغصنه
ورونق العمر غض والهوى حمـــار[6]

---

[1] في الزيتونـة: ((بـات)).
[2] جـاء هـذا الشطـر في القلائد، وروايـات المبرزيـن، والنفـح هكـذا: ((وليلـةٍ جُبْتُ فيهـا الجَـزْع مُرْتدِيـاً)).
[3] جـاء هـذا الشطـر في القلائد هكـذا: ((والبـرق فـوق رداء الليـل كالعلـم))؛ وفي الرايـات والنفـح: ((والبـرق في طيلسـان الليـل كالعلـم)).
[4] في القلائد، والرايات، والنفح: ((فيثعـب))؛ بالعين المهملة.ومعناها: يجري ويسيـل.
[5] البحـر البسيـط.
[6] في القلائـــد، والنفـح: ((والـهـوى جـار)).

والنفـــس تركض في تضمين ثرتها[1]
طرفـــاً له في زمان اللهو إحضـــار[2]
عهـــداً كريمـــاً لبسنـــا منه أرديـــة
كانـــت عيوناً ومحيـــت فهي آثـــار[3]
مضى وأبـــقى بقلبيي منه نار أسى
كـــوني سلاماً أو برداً[4] فيه يا نـــار
أبعد أن نعمـــت نفسي وأصبـــح في
ليل الشبـــاب لصبـــح الشيب إسفار
ونازعتني الليالي وانثنـــت كســـراً[5]
عن ضيغـــم مالـــه نـــاب وأظفـــار

---

[1] **في النفـح: ((في تضمير شرتهـا))؛ أي حدتهـا.**
[2] **في القلائـــد: ((في رهـان اللهـو إحضـار)).**
[3] **جـاء هـذا البيت في القلائـــد، والنفـح هكـذا:**
((عهـداً كريمـاً لبسنا منه أرديـة * كانـت عيانـاً ومحَّـتْ فهي آثـار)).
[4] **في القلائـــد، والنفـح: ((وبـرداً)).**
[5] **ورد هـذا الشطـر في القلائـــد، والنفـح هكـذا:**
((وقارعتـني الليـالي فانثنـت كسـرا)).

إلاّ ســـلاح خـــلال أخلصـــت فلها
في منهل المجــد إيـــراد وإصـــدار
أصبو إلى روض عيش روضه خَضِلٌ[1]
أو ينثني بي عـــن اللقيـــا[2] إقصـــار
إذاً تعطلـــت[3] كـــفى من شبـــا قلـــم
آثـــاره في رياض العلـــم أزهـــار

من روى عنه

روى عنه **أبو بكر بن أبي جمرة، وأبو محمد بن عبد الله، وأبو القاسم بن حبيش، وأبو جعفر بن مضاء، وأبو محمد عبد المنعم، وأبو جعفر بن حكم**، وغيرهم.

مولده

ولد سنة إحدى وثمانين وأربعماية [4].

---

[1] ورد هذا الشطر في القلائــد هكذا:
((أصبو إلى خفض عيش دَوحُه خَضِلٌ)).
[2] في القلائــد، والنفح: ((العَلْياء)).
[3] نفسهما: ((فَعَطَّلْت)).
[4] الموافق لـ 1088م.

وفاته

توفي في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسماية [1] بمدينة **لورقة** [2]. قصد **مرسية** [3] يتولى قضاءها؛ فصد عنها، وصرف منها إلى **لورقة**، اعتداء عليه.

***

[1] الموافق لـ 1151م.

[2] جاء في كتاب الصلة أنه توفي سنة 542هـ؛ دون تحديد المدينة التي توفي فيها. وذكر في كتاب بغية الملتمس أن وفاته قد تكون حدثت في مدينة لورقة سنة 542هـ أو سنة 541هـ؛ وجاء في كتاب بغية الوعاة أنه توفي بأورفة؛ في 25 رمضان سنة 542هـ أو في 541هـ؛ وربما في 546هـ؛ بينما ذكر في فوات الوفيات أنه توفي سنة 542 بحصن لورقة.

[3] في القلائد والنفح: ((قصد لورقة)).

عبد المنعم بن محمد

ابن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي [1]؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا محمد، ويعرف بابن الفرس؛ وقد تقدم ذكر طايفة من أهل بيته.

حاله

كان حافظاً جليلاً، فقيهاً، عارفاً بالنحو واللغة، كاتباً بارعاً، شاعراً مطبوعاً، شهير الذكر، عالي الصيت. ولي القضاء **بمدينة شقر**، ثم **بمدينة وادي آش**، ثم **بجيان**، ثم **بغرناطة**، ثم عزل عنها، ثم وليها الولاية التي كان من مضمن ظهيره بها، قول **المنصور** [2] له، أقول لك ما قاله **موسى** عليه السلام لأخيه **هرون**: ﴿ **اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[3]، وجعل إليه النظر في الحسبة، والشرطة، وغير ذلك؛ فكان إليه النظر

---

[1] له ترجمة أيضاً في: التكملة لكتاب الصلة، وتاريخ قضاة الأندلس، وبغية الوعاة، والمقتضب في كتاب تحفة القادم، والديباج المذهب، وروايات المبرزين، والذيل والتكملة، ونفح الطيب.

[2] هو الخليفة الموحدي المنصور يعقوب بن يوسف. سبق التعريف به.

[3] الآية كاملة هكذا: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي، وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ). سورة الأعراف؛ الآية: 142.

في الدماء فما دونها، ولم يكن يُقطع أمرٌ دونه ببلده وما يرجع إليه.

وقال ابن عبد الملك: كان من بيت علم وجلالة، مستبحراً في فنون المعارف، على تفاريقها، متحققاً بها، نافذاً فيها، ذكي القلب، حافظاً للفقه. استظهر أوان طلبه للكتابين [1]، **المدونة، وكتاب سيبويه** وغيرهما، وعني به أبوه وجدّه عناية تامة. وقال **أبوة الربيع بن سالم**: سمعت **أبا بكر بن الجد**، وحسبك [2] شاهداً، يقول غير ما مرة: ما أعلم **بالأندلس**، أحفظ **لمذهب مالك** من **عبد المنعم بن الفرس**، بعد **أبي عبد الله بن زرقون.**

مشيخته

روى عن أبيه الحافظ **أبي عبد الله**، وعن جدّه **أبي القاسم**، سمع عليهما وقرأ، وعن **أبي بكر بن النفيس، وأبي الحسن بن هذيل، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي محمد عبد الجبار بن موسى الجذامي، وأبي عامر محمد بن**

---

[1] في الذيل والتكملة: ((الكتابين)).
[2] نفسه: ((وحسبك به)).

أحمد الشلبي، وأبي العباس أحمد وأخيه أبي الحسن ابني زيادة الله. هذه جملة من لقي من الشيوخ وشافهه وسمع منه، وأجاز له من غير لقاء وبعضهم باللقاء من غير قراءة، **ابن ورد، وابن بقي، وأبو عبد الله بن سليمن التونسي، وأبو جعفر بن قبلال، وأبو الحسن بن الباذش، ويونس بن مغيث، وابن معمر، وشريح، وابن الوحيدي، وأبو عبد الله بن صاف، والرشاطي، والحميري، وابن واضاح، وابن موهب، وأبو مروان الباجي، وأبو العباس بن خلف بن عيشون، وأبو بكر بن طاهر، وجعفر بن مكي، وابن العربي، ومساعد بن أحمد بن مساعد، وعبد الحق بن عطية، وأبو مروان بن قزمان، وابن أبي الخصال، وعياض بن موسى، والمازري،** وغيرهم.

توالیفه

ألف عدة تواليف، منها ((**كتاب الأحكام**)) [1]، ألفه وهو ابن خمسة وعشرين عاماً، فاستوفى ووفى، واختصر ((**الأحكام السلطانية**))، **و((كتاب النسب)) لأبي عبيد بن سلام، و((ناسخ القرآن ومنسوخه)) لابن شاهين**، و((**كتاب المحتسب**)) لابن جني. وألف **كتاباً في المسايل التي اختلف فيها النحويون من أهل البصرة والكوفة، وكتاباً في صناعة الجدل، ورد على ابن غرسية في رسالته في تفضيل العجم على العرب. وكتب بخطه من كتب العربية واللغة والأدب والطب** وغير ذلك.

من روى عنه

حدث عنه الحافظ أبو محمد القرطبي، وأبو علي الرندي، وإبنا حوط الله، وأبو الربيع بن سالم، والجم الغفير.

---

[1] **في الذيل والتكملة: ((أن ((أحكام القرآن)) من أجل مصنفاته.**

شعـره [1]

[[2] أبى ما بقلبي اليـــوم أن يتكتمـــا
وحسبك بالدمع السفـــوح مترجمـــا
وأعجب به من أخرس بات مفصحا
يبيـــن للواشيـــن ما كـــان مبهمـــا
فكـــم عبرة في نهـــر شقر بعثتهـــا
سباقا فأمسى النهر مختضبـــا دمـــا
يرجع ترجيـــع الأنين اضطـــراره
كشكوى الجريـــح للجريـــح تألمـــا
كملـــن بصحبي في قوفة[3] الدمع ناثر
شقايـــق نعمـــان على متن أرقمـــا
وللـــه ليـــل قـــد لبســـت ظلامـــه
رادا[4] بـــأنـــوار النجـــوم منمنمــــــا

[1] البحـر الطويـل.
[2] مـن هنـا؛ وحـتى الحاصرة الثانيـة؛ كلـه ساقط في الزيتونـة، ووارد في الإسكوريـال.
[3] جعلهـا د. طويـل: ((فوقـه)).
[4] جعلهـا د. طويـل: ((رداءً)).

أنـــاوح فيــه الورق فوق غصونها
فكم أورق منهــن قد بات معجمـــا
وممـــالي إلا للفرقديـــن[1] مصاحـــب
ويا بعــد حـــالي في الصبابة منهما
أبيت شتيت الشمل والشمل فيهمـــا
جميع كما أبصرت عقــدا منظمـــا
فيا قاصـــداً تدمير عرج مصافحـــا
نسألك[2] رسمـــا بالعقيـــق ومعلمـــا
وأعلم بأبـــواب الســـلام صبابـــتي
كما كان عرف المسك بالمسك علما
وإن طفت في تلك الأجارع لا تضع
بحـــق هواها إن لم تلـــم[3] مسلمـــا
وما ضرهـــا لو جاذبـــت ظبية النقا
فضـــول رداء قد تغشتـــه معلمـــا

[1] **جعلها د. طويل: ((الفرقدين)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((نُسائِلْكَ)).**
[3] **جعلها د. طويل: ((إنْ تُلِمَّ))؛ بعد حذف كلمة: ((لم)).**

فيثني قضيبــاً أثمــر البدر مايســاً
بحقف مسيــل لفه السيــل مظلمــا
وما كنت إلا البـــدر وافي غمامـــة
فما لاح حتى غـــاب فيهـــا مغيمـــا
وما ذاك من هجـــر ولكـــن لشقوة
أبت أن يكون الوصـــل منها متمما
فياليتني أصبحت في الشعر لفظـــة
ترددني مهمـــــا أردت تفهمـــــا
وللـــه مـــا أذكـــى نسيمـــك نفحـــة
أأنت أعرت للروض[1] طيباً تنسمـــا
وللـــه مـــا أشـــفى لقـــاك[2] للجـــوى
كأنك قد أصبحت عيسى بن مريما
وما الـــراح بالماء القراح مشوبـــة
بأطيـــب من ذكراك إن خامرت فما

---

[1] جعلها د. طويل: ((الروض)).
[2] جعلها د. طويل: ((لقاءك)).

فمـــالي وللأيـــام قـــد كان شملنـــا
جميعاً فأضحى في يديهـــا مقسمـــاً
وما[1] جنيت الطيب من شه د وصلها
جنيت من التبديد للوصـــل علقمـــا
وقد ذقت طعـــم البين حتى كأنـــني
لألفة من أهـــواه ما ذقت مطعمـــا
فمن لفـــؤاد شطـــره حـــازه الهوى
وشطر لإحـــراز الثواب مسلمـــــا
ويا ليـــت أن الدار حان   مزارهـــا
فلو صـــح قرب الدار أدركت مغنما
ولو صح قرب الدار لي لجعلته
إلى مرتقى السلوان والصبـــر سلما
فقد طال ما ناديت سراً وجهرة
عـــسى وطن يدنـــو بهم ولعلمـــا؟

[1] جعلها د. طويل: ((لمـا)).

ومن شعره [1]:

ســـلام على من شفـــني بعـــد داره
وأصبحت مشغوفـــاً بقرب مـــزاره
ومن هو في عيني ألـــذ من الكرى
وفي النفس أشهى من أمان المكاره
ســـلام عليـــه كلمـــــا ذر شـــارق
ينـــم كعـــرف الزهـــر غب فطاره
لعمرك ما أخشـــى غـــداة وداعنـــا
وقد سعرت في القلب شعلـــة ناره
وســـال على الخدين دمـــع كأنـــه
بقيـــة ظـــل للروض[2] في جلنـــاره
وعانقـــت منه غصـــن بان منعمـــاً
ولاحظت منه الصبح عند اشتهاره
وأصبحت في أرض وقلبي بغيرهـــا
وما حال مسلوب الفـــؤاد مكـــاره

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **جعلها د. طويل: ((الروض)).**

نأى وجـــه من أهوى فأظلم أفقـــه
وقد غاب عن عينيه شمس نهـــاره
سل البرق عن شوقي يخبرك بالذي
ألاقيـــه من بـــرح الهـــوى وأواره
وهـــل هـــو إلا نار وجدي وكلمـــا
تنفست عم الجـــو ضوء شـــراره][1]

ومن شعره أيضاً رحمة الله عليه [2]:

أقـــرأ عـــلى شِنْجـــلٍ[3] سلامـــا
أطيـــــب مـــن عرفـــه نسيمـــا
مـــن مغـــرم القلـــب ليس ينسى
منظـــــره الرايـــق الـــوسيمـــا
إذا رأى منظـــــرا ســـــــواه
عـــاف الجـــنى منه والشميمـــا
وإن أتى مشربـــــاً حميـــــداً
كـــــان وإن راقـــــه ذميمـــــا

---

[1] ما بين الحاصرتين من شعر؛ كله ورد في الإسكوريال؛ بينما سقط في الزيتونة.
[2] مخلـع البسيـط.
[3] هو اسم آخر لنهر شنيل؛ أحد فروع الوادي الكبير. وقد سبقت الإشارة إليه.

وقـف بنجـد وقـف صـب

يستذكـر الخـدن والحميمـا

واندب أراكـا بشعب رضـوى

قـد رجعـت بعدنـا مشيمـا

واذكـر شبابـا مضى سريعـا

أصبحـت مـن بعـده سقيمـا

هيهـات ولَّى وجـاء شيـب

وكيـف للقلـب أن يهيمـا

ما يصلـح الشيب غيـر تقوى

تحجـب عن وجهـه الجحيمـا

في كـل يـوم لـه ارتحـال

أعجـب بـه ظاعنـاً مقيمـا

مـا العمـر إلاّ لديـه ديـن

قـد آن أن يقـضيَ الغريمـا

فعـد إلى توبـة نصـوح

وارج إلهـاً بنـا رحيمـا

قــد سبــق الوعــد منه حــتى

أطمــع ذا الشقـــوة النعيمــا

مولـده

في سنة أربع وعشرين وخمسمائة [1].

وفاته

عصر يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسماية [2]. وشهد دفنه ببار إلبيرة الجم الغفير؛ وازدحم الناس على نعشه حتى حملوه على أكفهم ومزَّقوه. أمر أن يكتب على قبره [3]:

عليــك ســلام اللــه يــا من يسلــم

ورحمتــه مــا زرتــني تترحــم

---

[1] الموافق لـ 1129م.

[2] الموافق لـ 1200م. وجاء في الديباج المذهب أنه توفي سنة 599هـ.

[3] البحر الطويل.

أتحسبني وحـــدي نقلـــت إلى هنـــا
ستلحـــق بي عمـــا قريـــب فتعلـــم
فيـــا[1] لمن يمـــسي لدنيـــاه مؤثـــرا
ويهمـــل أخـــراه ستشـــقى وتنـــدم
فـــلا تفلاحـــن إلا بتقديـــم طاعـــة
فـــذاك الذي ينـــجي غـــدا ويسلـــم

***

[1] جعلها د. طويل: ((ألا قل)).

ومـن غيـــر الأصليـيـــن

***

عبـد الحكيـم بـن الحسيـن

ابـن عبـد الملـك بـن يحيى بـن باسيـو بـن تـاوْرْت التِّنْمـالي البِدرازتيني [1]، ثـم الواغريـني. أصلـه مـن تينْمَلّلْ [2]؛ مـن نظـر مراكش، وانتقـل جـدّه عبـد الملـك مع الخليفـة عبـد المؤمـن بـن علـي إلى إقليـم بجاية. ونشأ عبـد الملك ببجايـة، وانتقـل إلـى تونـس فـي حـدود خمسة وثمانيـن [3]. وورد أبـو محمـد الأندلس فـي حـدود سبعمائـة [4].

حالـه

من تعريف شيخنا **أبي البركات**: كان من أهل المعرفة، بالفقه وأصوله، على طريقة المتأخرين. وكان مع ذلك رجلاً كريم النفس، صادق اللهجة، سليم الصدر،

[1] وردت هذه الترجمـة في الإسكوريـال؛ بينمـا سقطت في الزيتونـة.
[2] وهي بلـدة في بـلاد السـوس بالمغرب الأقصى؛ بجبـال الأطلـس الواقعـة جنـوب غربي مراكش. وهي موطـن ابـن تومـرت ومركـز دعوتـه، ومدفنـه.
[3] أي في سنـة 685هـ/1286م.
[4] أي في حـدود سنـة 700هـ/1300م.

منصفاً في المذاكرة. قلت يجمع هذا الرجل إلى ما وصفه به، الأصالة ببلده **إفريقية**، وثبت اسمه في **عايد الصلة** بما نصه: الشيخ الأستاذ القاضي؛ يكنى **أبا محمد**. كان رحمه الله من أهل العلم بالفقه، والقيام على الأصلين، صحيح الباطن، سليم الصدر، من أهل الدين والعدالة والأصالة. بثّ في **الأندلس** علم أصول الفقه، وانتفع [به][1]. وتصرف في القضاء في جهات.

مشيخته

منقولاً من خط ولده الفقيه **أبي عبد الله** صاحبنا، الكاتب بالدار السلطانية، قرأ ببلده على الفقيه الصدر **أبي علي بن عنوان**، والشيخ **أبي الطاهر بن سرور**، والإمام **أبي علي ناصر الدين المشدالي**، والشيخ **أبي الشمل جماعة الحلبي**، والشيخ **أبي الحجاج بن قسوم** وغيرهم.

---

[1] أضاف عنان هذه الكلمة.

] ومن خط المحدث **أبي بكر بن الزيات**، يحمل عن **أبي الطاهر بن سرور**، وعن **أبي إسحق بن عبد الرفيع** [[1].

توالیفه

من تواليفه: ((**المعاني المبتكرة الفكرية في ترتيب المعالم الفقهية**)). و((**الإيجاز في دلالة المجاز**))، و((**نصرة الحق**))، و((**رد الباغي في مسألة الصدقة ببعض الأضحية**))، و((**الكراس المرسوم** [2] **بالمباحث البديعة في مقتضى الأمر من الشريعة**)).

مولده

ببجاية في أحد لجمادى الأولى من عام ثلاثة وستين وستمائة [3].

---

[1] ما بين حاصرتين؛ وضع أصلاً في نهاية الفقرة الخاصة بـ((تواليفه))؛ ولكن عنان نقلها إلى هذا الموضع من فقرة ((مشيخته)).
[2] جعلها د. طويل: ((الموسوم))؛ بالواو بعد الميم.
[3] الموافق لـ 1264م.

وفاته

وتوفي قاضيا **بشالش** [1] يوم الجمعة، و الرابع عشر لجمادى الأولى من عام ثلاثة وعشرين وسبعماية [2]. ودفن **بجبانة باب إلبيرة؛** بمقربة من قبر ولي الله **أبي عبد الله التونسي**. وكانت جنازته مشهورة.

***

[1] ربما تكون هذه البلدة قد اندثرت.
[2] الموافق لـ 1323م.

***

عبد الملك بن حبيب

ابـن سليمـن بـن هـارون بـن جلهمـة [1] بـن العبـاس بـن مـرداس السلـمي [2]؛ أصلـه مـن قريـة قـورت؛ قيـل حصـن واط؛ مـن خـارج غرناطـة؛ وبهـا نشـأ وقـرأ.

حالـه

قـال **ابـن عبـد البـر**: كـان جماعـاً للعلـم، كثيـر الكتـب، طويـل اللسـان، فقيهـاً، نحويـاً، عروضيـاً، شاعـراً، نسابـة، إخبارياً. وكـان أكثـر مـن يختلـف إليـه، الملـوك وأبناؤهـم. قـال **ابـن مخلـوف**: كـان يـأتي إلـى معـالي الأمـور. وقـال غيـره، رأيتـه يخـرج مـن الجامـع، وخلفـه نحـو مـن ثلاثمائـة، بيـن طالـب حديـث، وفرايـض، وفقـه، وإعـراب، وقـد رتـب الـدول عليـه، كـل يـوم ثلاثيـن دولـة، لا يقـرأ عليـه فيهـا شـيء

[1] هكذا في الإسكوريال، والزيتونة، وترتيب المدارك. وفي قضاة الأندلس: ((جاهمة)).

[2] يكنى أبـا مـروان؛ ولـه ترجمـة أيضاً في: تاريـخ قضـاة الأندلـس، وجـذوة المقتبس، والمغرب في حلى المغرب، وبغية الوعاة، وبغية الملتمس، ومطمح الأنفس، والبيان المغرب، والديباج المذهب، ومعجم البلدان، ونفح الطيب.

إلاّ تواليفه، **وموطأ مالك**. وكان يلبس الخز والسعيد [1]. قال **ابن نمير**: وإنما كان يفعله إجلالاً للعلم، وتوقيراً له. وكان يلبس إلى جسمه ثوب شعر، وكان صواماً قواماً. وقال **المغامي** [2]: لو رأيت ما كان على **باب ابن حبيب**، لازدريت غيره. وزعم **الزبيدي**: أنه نعي إلى **سُحنون** [3] فاسترجع، وقال مات عالم **الأندلس**. قال **ابن الفرضي**: جمع إلى إمامته في الفقه، التبحبح في الأدب، والتفنن في ضروب العلوم، وكان فقيها مفتياً. قال **ابن خلف أبو القاسم الغافقي**: كان له أرض وزيتون **بقرية بيرة** من طوق **غرناطة**، حبس جميع ذلك على مسجد **قرطبة**. وله **ببيرة** مسجد ينسب إليه. وكان يهبط من **قرية قورت** يوم الاثنين والخميس إلى مسجده **ببيرة**؛ فيقرأ عليه، وينصرف إلى قريته.

---

[1] **في الزيتونة: ((السعيري)).**

[2] **هو إبراهيم بن المنذر المغامي.**

[3] **هو القاضي عبد السلام بن سعيد بن حبب الشوفي؛ الملقب بسُحنون؛ من كبار علماء المالكية في بلاد المغرب؛ جاهد واجتهد لنشر هذا المذهب وترسيخه في هذه الديار خلال القرن الثالث الهجري. وتوفي بالقيروان سنة 240هـ/951م..**

مشيخته

روى عن: **صعصعة بن سلام، والغازي**[1] **بن قيس، وزياد بن عبد الرحمن.** ورحل إلى **المشرق** سنة ثمان ومائتين. وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت رحلته من قريته بفحص **غرناطة**[2]. وسمع فيها من **عبد الملك بن الماجشون**، **ومطرف بن عبد الله، وأصبغ بن الفرج،** وابنه **موسى**، وجماعة سواهم، وأقام في رحلته ثلاثة أعوام وشهوراً. وعاد إلى **إلبيرة**، إلى أن رحله **عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة**، في رمضان سنة ثمان[3] عشرة ومائتين[4].

من روى عنه

سمع منه: إبناه **محمد وعبد الله، وسعيد بن نمر، وأحمد بن راشد، وإبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن شعيب، ومحمد بن فطيس.** وروى عنه من عظماء

---

[1] في معجم البلدان: ((والغار بن قيس)).
[2] **La Vega de Granada**؛ وقد سبق التعريف بهذا البسيط الأخضر المجاور لغرناطة؛ في الجهة الجنوبية الشرقية منها.
[3] صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((ثماني)).
[4] الموافق لـ 833م.

القرطبيين: **مطرف بن عيسى، وبقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، والمقامي** في جماعة.

تواليفه

قال **أبو الفضل عياض بن موسى**، في كتابه في أصحاب **مالك**[1] قال: بعضهم، قلت **لعبد الملك بن حبيب.** كم كتبك التي ألفت؛ قال: ألف كتاب وخمسون كتاباً. قال عبد الأعلى: منها كتب المواعظ سبعة، وكتب الفضايل سبعة، وكتب أجواد قريش وأخبارها وأنسابها خمسة عشر كتاباً، وكتب السلطان وسيرة الإمام ثمانية كتب، وكتب الباه والنساء ثمانية، وغير ذلك. ومن كتب سماعاته في الحديث والفقه، وتواليفه في **الطب، وتفسير القرآن،** ستون كتاباً. **وكتاب المغازي، والناسخ والمنسوخ**، **ورغايب القرآن، وكتاب الرهون والحدثان**[2]، خمسة وتسعون كتاباً، **وكتاب مقام** رسول الله صلى الله عليه وسلم، اثنان وعشرون كتاباً، وكتاب في **النسب**، **وفي**

---

[1] **هو كتاب: ((ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك)).**
[2] **كتب في الإسكوريال: ((المغازي)) للمرة الثانية؛ وتم التصويب من الزيتونة.**

النجوم، **وكتاب الجامع**، وهي كتب فيها **مناسك النبي**، **وكتاب الرغايب، وكتاب الورع في المال، وكتاب الربا. وكتاب الحكم والعدل بالجوارح. ومن المشهورات** الكتاب المسمى **بالواضحة**. ومن تواليفه كتاب **إعراب القرآن**، **وكتاب الحسبة في الأمراض**، **وكتاب الفرايض، وكتاب السخاء واصطناع المعروف، وكتاب كراهية الغناء**.

شعره

أنشد **ابن الفرضي** مما كتب بها إلى أهله من **المشرق** سنة عشر ومايتين [1]:

أحـــب بلاد الغرب والغرب موطني
ألا كــــل غــربي إلـــي حبيــب
فيا جســداً أضنـــاه شـــوق كأنـــه
إذا انتضيــت عنه الثيــاب قضيب
ويا كبــداً عــادت زمانــا[2] كأنمــا
يلذغهـــا بالكاويـــات طبيــب

[1] البحر الطويل.
[2] في الإسكوريال: ((أزمانـاً))؛ وصوبت من المدارك.

بليـــت وأبـــلاني اغتـــرابي ونأيـــه
وطـــول مقامي بالحجـــاز أجـــوب
وأهلي بأقصى مغرب الشمس دارهم
ومن دونهـــم بحـــر أجش مهيـــب
وهـــــول كريـــه ليلـــه كنهـــاره
وسيـــر حثيـــث للـــركـــاب دؤوب
فمـــا الـــداء إلا أن تكـــون بغربـــة
وحسبـــك داء أن يقـــال غريـــب
فيا ليت شعـــري هل أبيتـــن ليلـــة
بأكنـــاف نهـــر الثلج حين يصوب
وحولي أصحـــابي[1] وبنـــتي وأمهـــا
ومعشر أهلي والـــرؤوف مجيـــب

---

[1] في الإسكوريـال: ((وأصحـابي))؛ وصوبـت مـن المـدارك.

وكتب إلى الأمير **عبد الرحمن** في ليلة عاشوراء [1]:

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشــوراء[2]
واذكره لا زلت في الأحياء[3] مذكورا
قال الرســول[4] صلاة اللــه تشملــه
قولا وجدنــا عليــه الحق والنــورا
من بات في ليــل عاشوراء ذا سعة
يكــن بعيشــه في الحــول محبــورا
فارغــب فديتــك فيمــا فيه رغبتنــا[5]
خير الــورى كلــم حيــاً ومقبــورا

وفاته

توفي في ذي الحجة سنة ثمانٍ وثلاثين. وقيل تسعٍ وثلاثين ومايتين [6]. قال **ابن خلف**: كان يقول في دعائه،

---

[1] البحر البسيط. وكتب هذه الأبيات إلى أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم (الثاني).
[2] في النفح، والبيان المغرب: ((عاشورا)).
[3] في البيان: ((في لأخيار))، وفي النفح: ((في التاريخ)).
[4] في النفح: ((النبي)).
[5] في البيان: ((رَغَّبَنَا)).
[6] الموافق لـ 853م. وجاء في جذوة المقتبس، وبغية الملتمس أنه توفي بقرطبة في شهر رمضان سنة 238هـ. وقيل يم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة 239هـ.

إن كنت يا رب راضياً عني، فاقبضني إليك قبل انقضاء سنة ثمان وثلاثين، فقبضه الله في أحب الشهور إليه، رمضان من عام ثمانية وثلاثين، وهو ابن أربع وستين سنة [1]، وصلى عليه ولده **محمد**، ودفن بمقبرة **أم سلمة** بقبلي محراب مسجد الضيافة من **قرطبة**. قالوا: والخبر متصل، إنه وجد جسده وكفنه وافرين لم يتغيرا بعد وفاته، بتسع وأربعين سنة، وقطعت من كفنه قطعة رفعت إلى الأمير **عبد الله**؛ وذاك عندما دفن **محمد بن وضاح** إلى جنبه؛ رحمهم الله. ورثاه **أبو عبد الله الرشاش** وغيره، فقال:

لئـــن أخـــذت منا المنايـــا مهذبـــا
وقـــد قل[2] فيهـــا من يقال المهـــذب
لقد طاب فيه الموت والموت غبطة
لمن هـــو مغمـــوم الفـــؤاد معـــذب

---

[1] **جاء في مطمح الأنفس أنه توفي في رمضان سنة 238هـ؛ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. وذكر في معجم البلدان أنه توفي سنة 238هـ؛ بعلة الحصى؛ عن أربع وستين سنة.**

[2] **هكذا في الإسكوريال؛ وفي الزيتونة: ((قيل)).**

ولأحمد بن ساهي فيه:

ماذا تضمــن قبــر أنــت ساكنـــه
من التقى والنــدى يا خيــر مفقــود
عجبت للأرض في أن غيبتك وقــد
ملأتهـــا حكماً في البيض والســـود

قلت [1]: فلو لم يكن من المفاخر **الغرناطية** إلاّ هذا الحبر لكفى.

***

[1] هكذا في الإسكوريال؛ وفي الزيتونة: ((قال ابن الخطيب)).

ومـن الطارئيـــن عليهـــا

***

عبد الواحد بن محمد

ابـن علي بـن أبي السـداد الأمـوي المالقي [1]، الشهيـر بالباهـلي.

حالـه

كـان رحمـه الله بعيـد المدى، منقطـع القريـن فـي الديـن المتيـن والصـلاح. وسكـون النفـس، وليـن الجانـب، والتواضـع، وحسـن الخلـق، إلـى وسامـة الصـورة، وملاحـة الشيبـة، وطيـب القـراءة، مـولى النعمـة علـى الطلبـة مـن أهـل بلـده، أستـاذاً حافـلاً، متفننـاً، مضطلعـاً، إمامـاً فـي القـراءات، حايـزاً خَصْـل السبـاق إتقانـاً، وأداء، ومعرفـة، وروايـة، وتحقيقـاً. ماهـراً فـي صناعـة النحـو، فقيهـاً، أصوليـاً، حسـن التعليـم، مستمـر القـراءة، فسيـح التحليـق، نافعـاً، متحببـاً، مقسـوم الأزمنـة علـى العلـم وأهلـه، كثيـر الخضـوع

---

[1] لـه ذكـر فـي نفـح الطيـب.

والخشوع، قريب الدمعة، أقرأ عمره، وخطب بالمسجد الأعظم من **مالقة** وأخذ عنه الكثير من **أهل الأندلس**.

مشيخته

قرأ على الأستاذ الإمام **أبي جعفر بن الزبير**، وكان من مفاخره. وعلى القاضي **أبي علي بن أبي الأحوص**، وعلى المقرئ الضرير **أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن سالم بن خلف السهيلي**، والراوية **أبي الحجاج ابن أبي ريحانة المربلي**. وكتب له بالإجازة العامة، الراوية **أبو الوليد العطار**، والإمام **أبو عبد الله بن سمعون الطائي**. وسمع على الراوية **أبي عمر عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري**، وقرأ على القاضي **أبي القاسم، قاسم بن أحمد بن حسن الحجري** الشهير **بالسكوت المالقي**، وأخذ عن الشيخ الصالح **أبي جعفر أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي**، وغيرهم ممن يطول ذكرهم. ويحمل عن خاله ولي الله **أبي محمد عبد العظيم بن** ولي الله **محمد بن أبي الحجاج بن الشيخ** رحمه الله.

توا ليفه

شرح التيسير في القراءات. وله تواليف غيره في **القرآن والفقه**.**شعره**

حدث الشيخ الفقيه القاضي **أبو الحجاج المنتشافري**. قال: رأيت في النوم **أبا محمد الباهلي** أيام قراءتي عليه **بمالقة** في المسجد الجامع بها، وهو قائم يذكر الناس ويعظهم. فعقلت من قوله، أتحسبونني غنياً فقيراً، أنا فقير، أنا، فاستيقظت وقصصتها عليه، فاستغفر الله، وقال: يا بني حقاً ما رأيت. ثم رفع إليّ ثاني يوم تعريفه، رقعة فيها مكتوب [1]:

لئـــن ظن قوم من أهل الدنا
بـــأن لهـــم قـــوة أو غنـــا
لقد غلطوا ويحهم بجمع مالهم[2]
فتاهوا عقولا وعموا أعينـــا

[1] البحر المتقارب.
[2] جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((لقد غَلِطوا جَمْع مالهم)).

فـــلا تحسبوني أرى رأيهـــم
فإني ضعيــف فقيــر أنـــا
وليس افتقاري وفقري معـــا
إلى الخلق[1] فما[2] عند خلق غنا
ولكن إلى خالــقي وحـــده
وفي ذاك عز ونيــل المنـــا
فمن ذل للحق يرقى العـــلا
ومن ذل للخلق يلـــق العنـــا

وفاته

ببلده **مالقة** رضي الله عنه، ونفع به. في خامس ذي القعدة من عام خمسة وسبعماية[3]. وكان الحفل في جنازته عظيماً. وحف الناس بنعشه، وحمله الطلبة وأهل العلم على رؤوسهم. سكن **غرناطة** وأقرأ بها.

***

---

[1] هكذا في الزيتونة؛ وفي الإسكوريال: ((الحلق))؛ بالحاء المهملة
[2] جعلها د. طويل: ((ما)).
[3] الموافق لـ 1305م.

ومن الكتاب والشعراء في هذا الحرف

***

عبد الحق بن محمد

ابن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة
ابن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المجاربي [1]؛
صاحبنا الكاتب للدولة الغادرة.

حاله

كان هذا الرجل في حال الدعة التي استصحبها، وقبل أن تبعته أيدي الفضول، بعفاف وطهارة، إلى خصل خط، نشط البنان، جلد على العمل. ونظمه وسط، ونثره جمهورى [2] عامي، مبين عن الأغراض. وولي ببلده الخطابة والقضاء...... [3] في الحداثة. ثم انتقل إلى **غرناطة**،

---

[1] له ترجمة أيضاً في: الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب؛ حيث ذكر أنه من تلاميذ لسان الدين ابن الخطيب؛ حيث سمي: ((القاضي الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن ابن غالب بن عطية المحاربي)).

[2] كتب في الإسكوريال: ((جهوزي))؛ وصوبها عنان.

[3] بياض هنا في مخطوط الإسكوريال. بينما كتب في نفح الطيب: ((وولي الخطابة بالمسجد الأعظم والقضاء سنتين ببلده في حداثة السن)).

فجاجأت [1] به الكتابة السلطانية باختياري، مستظهرة منه ببطل كفاية، وباذل حمل كلفة، فانتقل [2] رئيساً في غرض إعانتي، وانتشالي من الكلفة [3]، على القلعة، وانتشر النظم، واستأثر به الاصطناع، كشفت الخبرة منه عن سَوْءَة لا توارى، وعورة لا يرتاب في أشنوعتها ولا يتمارى، فسبحان من علم النفس فجورها وتقواها [4]، إذ لصق بالدايل [5] الفاسق، فكان آلة انتقامه، وجارحة صيده، وأحبولة كيده، فسفك الدماء، وهتك الأستار، ومزق الأسباب، وبدل الأرض الضعف وإلمام المرض، والترفع عن الابتذال، والأنفة من الاستخدام، فرفع الكل، ولطف من الدولة محله. ثم لما حال الأمر، وحتم التمحيص، وتسورت غير الأرض، وهو يزقه في أذنه، فيؤم [6] النصيحة، وينحله [7] لقب الهداية، ويبلغ في شد

---

[1] أي دُعي للكتابة السلطانية باختياري.
[2] في النفح: ((فاستقلَّ)).
[3] نفسه: ((من هفوة الكلفة على جلل الضعف...))
[4] إحالة إلى قوله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا). سورة الشمس؛ الآيتان: 7 - 8.
[5] في النفح: ((بالداهي)).
[6] نفسه: ((زقوم النصيحة)).
[7] نفسه: ((ويستحله)).

أزره إلى الغاية: "عنوان عقل التى اختياره. يجري في جميل [1] دعوته". طوالاً، أخرق، يسيء السمع، وينسى [2] الإجابة، بدوياً، قحاً، جهورياً، ذاهلاً عن عواقب الدنيا والآخرة: طرفاً في سوء العهد، وقلة الوفاء، مردوداً في الحافزة، منسلخاً من آية السعادة، تشهد عليه بالحمل [3] يده، ويقيم عليه الحجج شرهه، وتبوه [4] هفوات الندم جهالته. ثم أسلم المحروم مصطنعه، أحوج ما كان إليه، وتبرأ منه، ولحقته بعده مطالبة مالية. لقي لأجلها ضغطاً، وهو الآن بحال خزيٍ، واحتقاب تبعات، خلصنا الله من ورطات الدنيا والآخرة.

---

[1] في النفح: ((سبيل)).
[2] نفسه: ((فيسيء)).
[3] نفسه: ((بالجهل)).
[4] نفسه: ((وتبوئه)).

أوليته وشيوخه

وبسط كثير من مجمل حاله حسبما نقلت من خطه.

قال يخاطبني بما نصه [1]:

يا سيــداً فــاق في مجد وفي شــرف
وفــات سبقاً بفضل الذات والسلــف
وفاضــلا عن سبيــل الــذم منحرفــاً
وعن سبيل المعالي غيــر منحــرف
وتحفــــة الزمــــن الآتــي[2] فلقــــد
أربى[3] بما حازه منهــا على التحــف
ومعدنــاً لنفيــس الــدر فهــو لمــا
حــواه منه لدى التشبيــه كالصـــدف
وبحــر بعلــم جميع الناس مغتــرف
منــه ونيــل المعالي حظ مغتــرف[4]

[1] البحر البسيط.
[2] في النفح: ((الآتي بـه)).
[3] نفسـه: ((ربـا)).
[4] نفسـه: ((خيـر مؤتلـف)).

وسابقـــاً بـــذ أهـــل العصـــر قاطبـــة
فالكـــل في ذاك منهـــم غيـــر مختلـــف
من ذا يخالـــف في نـــار على علـــم
أو يجحد الشمس نوراً وهو غير خف
ما أنـــت إلا وحيد العصـــر في شيـــم
وفي ذكـــاء وفي علـــم وفي ظـــرف
للـــه مـــن منتـــم للمجـــد منتســـب
بالفضـــل متســـم بالعلـــم متصـــف
للـــه من حســـب عـــد ومـــن كـــرم
قد شـــاده السلـــف الأخيار للخلـــف
أيـــه أيا من بـــه تبـــأى[1] الـــوزارة إذ
كنت الأحق بها في الـــذات والشـــرف
يا صاحب القلم الأعلى الذي جمعـــت
فيه المعالي ببعض[2] البعض لم أصـــف

---

[1] أي **تفتخر.**

[2] **في النفح: ((فبعض)).**

يا من يقصـــر وصفي في علاه ولـــو
أنسى مديح حبيـــب[1] في أبي دلـــف
شرفتـــني عندما استدعيت من قبـــلي[2]
نظمـــا تدونـــه في أبـــدع الصحـــف
وربمـــا راق ثغـــــر في مباسمـــه[3]
حـــتى إذا نالـــه إلمـــــام مرتشـــف
أجـــل قـــدرك أن تـــرضى لمنتجـــع
بســـوء كيلتـــه حظـــا مع الحشـــف
هـــذا ولـــو أنـــني فيمـــا أتيـــت بـــه
نافحت في الطيب زهر الروضة الأنف
لكنت أفضي إلى التقصير من خجـــل
أخليـــت[4] بالبعض مما تستحـــق أف
فحسبي العجـــز عما قد أشـــرت بـــه
والعجز[5] حتماً قصارى كل معتـــرف

---

[1] هو الشاعر العربي أبو تمام حبيب بن أوس الطائي. سبقت الإشارة إليه.
[2] في النفح: ((نظمي)).
[3] نفسه: ((تبسنه)).
[4] نفسه: ((إذ لست)).
[5] نفسه: (فالعجز)).

لكن أجبـــت إلى المطلـــوب ممتثـــلا
وإن غدوت بمرقى[1] القوم كالهـــدف
فانظر إليها بعيـــن الصفح عن زلـــل
واجعـــل تصفحها من جملة الكلـــف
بقيـــت للدهـــــر تطويـــه وتنشـــره
تسمو من العز باسم غيـــر منصرف

جيتك؛ أعزك الله، ببضاعة مزجاة[2]، وأعلقت رجايي من قبولك بأمنية مرتجاة، وما مثلك يعامل بسقط المتاع، ولا يرضى له بالحشف مع بخس المد والصاع. لكن فضلك يغضي عن التقصير ويسمح، ويتجاوز عن الخطإ ويصفح، وأنت في كل حال إلى الأدنى من الله أجنح. ولولا أن إشارتك واجبة الامتثال، والمسارعة إليها مقدمة على ساير الأعمال، لما أتيت بها تمشي على استحياء، ولا عرضت نفسي أن أقف موقف حشمة وحياء، فما مثلي

---

[1] في النفح: (بمرمى)).

[2] إحالة إلى قوله تعالى: (فلمّا دَخَلُوا عَلَيْه قالُوا يَا أيّهَا العَزِيزُ مَسّنَا وَأَهْلَنَا الضّرُّ وَجِئْنَا ببضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدّقْ عَلَيْنَا إنّ اللّهَ يَجْزِي المُتَصَدّقِينَ). سورة يوسف؛ الآية: 88.

فيما أعرضه عليك، أو أقدمه من هذا الهذر بين يديك، إلاّ مثل من أهدى الخرز لجالب الدّر، أو عارض للوشل موج البحر، أو كاثر بالحصى عدد الأنجم الزهر. على أني لو نظمت الشِّعْرَى شِعْراً، وجئتك بالسحر الحلال نظماً ونثراً، ونافحتك بمثل تلك الروضة الأدبية، التي تعبق أزاهرها نثراً، لما وصفتك ببعض البعض من نفايس حلاك، ولا وفيت ما يجب من نشر مآثر علاك. فما عسى أن أقول في تلك المآثر العلمية، والذات الموسومة باسم التعريف والعَلَمِيَّة، أو أعبر عنه في وصف تلك المحاسن الأدبية، والمفاخر الحسبية. إن وصفت مالك من شرف الذات، ملت إلى الاختصار، وقلت آية من الآيات. وإن ذهبت إلى ذكر مفاخرك الباهرة الآيات، بلغت في مدى الفخر والحسب إلى أبعد الغايات، وإن حليتك ببعض الحُلَى والصفات، سلبت محاسن الروض الأريج النفحات. فكم لك من التصانيف الرايقة، والبدائع الفائقة، والآداب البارعة، والمحاسن الجامعة، فما شيت من حدايق ذات بهجة، كأنما جادتها سحب نيسان، وجنات ثمراتها

﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾[1]، تزري ببدايع بديع الزمان، وتخجل الروض كما يخجل الورد ابتسام الأقحوان. نظم كما انتشر الدر، ونثر تتمنى الجوزاء، أن تتقلده والأنجم الزهر، ومعان أرق من نسيم الأسحار، تهب على صفحات الأزهار. فأهلاً بك يا روضة الآداب، ورب البلاغة، التي شمس آياتها لا تتوارى بالحجاب، فما أنت إلاّ حسنة الزمان، ومالك أزمة البيان، وسباق غايات الحسن والإحسان. وقد وجدت مكان القول ذا سعة في أوصافك، وما في تحليك بالفضائل واتصافك. لكني رأيت أني لو مددت في ذلك باع الإطناب، وأتيت فيه بالعجب العجاب، فليس لي إلاّ تقصير عن المطاولة وإمساك، والعجز عن درك الإدراك إدراك. إيه أيها السيد الأعلى، والفاضل الذي له في قداح الفخر، القدح المعلى، فإنك أمرت أن أعرض عليك لتعريف بنفسي ومولدي، وذكر

[1] الآية كاملة هكذا: (وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ). سورة الرعد؛ الآية: 4.

أشياخي الذين بأنوارهم أقتدي، فعلمت أن هذا إنما هو تهمم منك بشأني، وجري على معتاد الفضل الذي يقصر عنه لساني، وفضل جميل لا أزال أجري في الثناء عليه ملء عناني. وإلا فمن أنا في الناس حتى أنسب، أو من يذهب إلا أنت هذا المذهب.

أما التعريف بنفسي، فأبدأ فيه باسم أبي. هو **أبو القاسم محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي.** وجدي **عطية** هو الداخل إلى **الأندلس** عام الفتح، نزل **بإلبيرة**، وبها تفرع من تفرع من عقبه، إلى أن انتقلوا إلى **غرناطة**، فتأثل بها حالهم، واستمر بها استيطانهم، إلى حدود المائة السابعة، فتسبب في الانتقال من بقي منهم، وهو جدي الأقرب الأنساب، وقضى ارتحاله إلى مدينة **وادي آش**، و﴿ **لكل أجل كتاب** ﴾[1]. وذلك أنه استقضي

---

[1] **الآية كاملة هكذا: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ). سورة الرعد؛ الآية: 38.**

بنظر ما في دولة أمير المسلمين **الغالب بالله** [1]، أول ملوك هذه **الدولة النصرية**، نصر الله خلفها، ورحم سلفها، فاتخذ فيها صهراً ونسباً، وكان ذلك لاستيطانه بها سبباً، واستمر مقامه بها إلى أن ارتحل إلى **المشرق** لأداء الفريضة؛ فكان إلى أشرف الحالات مرتحله، وقضى في إيابه من الحج أمله. واستمرت به الاستيطان. وتعذرت بعوده إلى **غرناطة** بعدما نبت فيها الأوطان. على أنه لم يعدم من الله الستر الجميل، ولا حظ من عنايته بإيصال النعمة كفيل، فإنه سبحانه حفظ من سلف فيمن خلف، وجعلهم في حال الاغتراب، فيمن اشتهر بنباهة الحال واتصف، وقيض لمصاهرتهم من خيار المجد والشرف، وبذلك حفظ الله بيتهم، وشمل باتصال النعمة حيهم وميتهم. فالحمد لله، بجميع محامده، على جميل عوايده. وتخلف **بوادي آش** أبي وأعمامي، تغمدهم الله وإياي برحمته، وجمع شملنا في جنته.

---

[1] **هو أبو عبد الله محمد بن يوسف؛ أول سلاطين غرناطة من بني نصر. له ترجمة في الإحاطة.**

وأما التعريف بهم، فأنت أبقاك الله، بمن سلف قديماً منهم أعلم، وسبيلك في معرفتهم أجدى وأقوم، بما وهبكم الله من عوارف المعارف، وجعل لكم من الإحاطة بالتالد منها والطارف. وأما من يقع به تعريف، ممن بعدهم، فمن اقتفى رسمهم في الطريقة العلمية، ولم يتجاوز جدهم وهو جدي **أبو بكر عبد الله بن طلحة** ورابع أجدادي. كان رحمه الله ممن جرى على سنن آبايه، وقام بالعلم أحسن قيام، ونهض بأعبايه. ألف كتاباً في "**الرقايق**"، ففات في شأوه سبق السابق، وتصدر ببلده للفتيا، وانتفع به الناس، وكان شيخهم المقدم. ولم أقف على تاريخ مولده ولا وفاته، غير أنه توفي في حدود المائة الخامسة رحمه الله، وأما من بيني وبينه من الآباء، كجدي الأقرب وأبيه ومن خلفه من بنيه. فما منهم من بلغ رتبة السابق، ولا قصر أيضا عن درجة اللاحق، وإنما أخذ في الطلب بنصيب، ورمى فيه بسهم مصيب.

وأما مولدي؛ **فبوادي آش** في أواخر عام تسعة وسبعماية [1]. وفي عام ثلاثة وعشرين [2]، ابتدأت القراءة على الأستاذ **أبي عبد الله الطرسوني** وغيره ممن يأتي ذكره. ثم كتبت بعد ستة أعوام على من وليها من القضاة أولى العدالة والسير المرتضاة، ولم يطل العهد حتى تقدمت في جامعها الأعظم خطيباً وإماماً، وارتسمت في هذه الخطة التي ما زالت على من أحسن تماماً، وذلك في أواخر عام ثمانية وثلاثين [3]. ثم وليت القضاء بها، وبما يرجع إليها من النظر، في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وأربعين [4]، واستمرت الولاية إلى حين انتقالي للحضرة، آخر رجب من عام ستة وخمسين [5]، أسأل الله الإقالة والصفح عما اقترفت من خطإ أو زلل، أو ارتكبته من عمد وسهو، في قول أو عمل بمنه.

---

[1] **الموافق لأواخر 1309م.**
[2] **أي 723هـ/1323م.**
[3] **أي 738هـ/1337م.**
[4] **أي 743هـ/1342م.**
[5] **أي 756هـ/1355م.**

وأما أشياخي، فإني قرأت بالحضرة على الأستاذ الخطيب **أبي الحسن القيجاطي**. والأستاذ الخطيب **أبي القاسم بن جزي**. **وبمالقة** على الأستاذ القاضي **أبي عمرو ابن منظور**. **وبألمرية** على الأستاذ القاضي **أبي الحسن بن أبي العيش**، وسيدي القاضي **أبي البركات بن الحاج**، والأستاذ **أبي عثمن بن ليون، وبوادي آش** على الأستاذ القاضي **أبي عبد الله بن غالب**، والأستاذ **أبي عامر بن عبد العظيم**. على كل هؤلاء قرأت قراءة تفقه، وعرضت على أكثرهم جملة كتب في النحو والفقه والأدب، أكبرها كتاب **المقامات للحريري**. وأما من لقيته من المشايخ واستفدت، منهم: **أبو الحسن بن الجياب** بالحضرة، **وبمالقة** القاضي **أبو عبد الله بن بكر**، والقاضي **أبو عبد الله بن عياش**، والأستاذ **أبو عبد الله بن حفيد الأمين**. ومن لقيته لقاء بترك، سيدي **أبو جعفر بن الزيات ببلش، وبمالقة** الخطيب **أبو عبد الله الساحلي**، والصوفي **أبو الطاهر بن صفوان**، والمقري **أبو القاسم بن درهم. وبألمرية** الخطيب **أبو القاسم بن شعيب**، والخطيب **ابن فرحون**. ولقيت

أيضا القاضي **أبا جعفر بن فركون القرشي،** والقاضي الخطيب **أبا محمد بن الصايغ.** وممن رأيته **بوادي آش**، وأنا إذ ذاك في المكتب، وأخذت بحظ من التبرك به، سيدي **أبو عبد الله الطنجالي؛** نفع الله به. والحمد لله رب العالمين.

شعره

من مطولاته قوله. ومن خطه نقلت [1]:

ألا أيها الليل البطيء الكواكب
متى ينجلي صبح بنيل المآرب
وحتى متى أرعى النجوم مراقبا
فمن طالع منها على إثر غارب[2]
أحدث نفسي أن أرى الركب سايرا
وذنبي يقصيني بأقصى المغارب

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **أخذ هذا القول من بيت لابن خفاجة جاء فيه:**
((وحتى متى أرعى الكواكب ساهراً * فمن طالع أخرى الليالي وغارب)).

فلا فــزت من نيــل الأماني بطايــل
ولا قمت من[1] حق الحبيب بواجــب
وكم[2] حدثتني النفس أن أبلــغ المــنى
وكــم عللتني بالأمــاني الكــواذب
وما قصـــرت بي عن زيـــارة قبـــره
معاهــد أنـــس من وصال الكواعب
ولا حب أوطان نبـــت بي ربوعهـــا
ولا ذكــر خــل[3] فيهـــا وصاحـــب
ولكـــن ذنـــوب أثقلتـــني فهـــا أنـــا
من الوجد قد ضاقت علي مذاهـــب
إليك رســـول اللـــه شـــوقي مجـــدد[4]
فيا ليتني يممـــت صدر الركايـــب
وأعملت[5] في تلك الأباطـــح والـــربى
ســـراي مجـــداً بين تلك السباســـب

---

[1] في النفـح: ((في)).
[2] نفسـه: ((فكـم)).
[3] نفسـه: ((ولا ذكـر خِـلّ حَـلَّ)).
[4] نفسـه: ((مُجَـدّداً)).
[5] نفسـه: ((فأعلمـت)).

وقضيــت مــن لثــم البقيــع لبانــتي

وجبت الفلى ما بين ماش وراكــب

ورويــت مــن مــاء زمــزم[1] غلــتي

فللـــه مـــا أشهـــاه يومـــاً لشـــارب

حبيـــبي شفيـــعي منتهى غايــتي التي

أرجي ومن يرجـــوه ليس بخايـــب

محمـــد المختـــار والحاشـــر الـــذي

بأحمـــد حاز الحمد[2] من كل جانـــب

رؤوف رحيـــم خصه[3] اللـــه باسمـــه

وأعظـــم لاج[4] في الثنـــاء وعاقـــب

رســـول كريـــم رفـــع اللـــه قـــدره

وأعلى له قـــدرا رفيـــع الجوانـــب

---

[1] **في النفـح: ((بزمـزم)).**
[2] **نفسـه: ((المجـد)).**
[3] **نفسـه: ((خصنـا)).**
[4] **نفسـه: ((وأعْظَمْ بمـاح))؛ وهـو مـن أسمـاء رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسلـم. ومـن أسمائـه عليـه السـلام أيضـاً: العاقـب، والحاشـر. وقـد ذكـرا فـي البيتيـن الحـالي والسابـق.**

وشرفــه أصـــلاً وفرعـــاً ومحتـــداً

يزاحـــم آفـــاق الســـهى بالمناكـــب[1]

سراج الهدى ذو الجاه والمجد والعـــلا

وخير الورى الهادي الكريم المناسب

هو المصطفى المختـــار من آل هاشم

وذو الحسب العدل[2] الرفيع المناصب

هو الأمد الأقــصى هو الملجــأ الذي

ينـــال بـــه مرغوبـــه كل راغـــب

إمـــام النبييـــــن الكـــــرام وإنـــه

لكالبـــدر فيهـــم بين تلك المواكـــب

بشيــر[3] نذيــر مفضـــل متطـــــول

ســـراج منيـــر بذ نـــور الكواكـــب

شريـــف منيـــف باهر الفضل كامـــل

نفيـــس المعالي والحلى والمناقـــب

---

[1] في النفح: ((السما بالكواكب)).
[2] نفسه: ((العِدِّ)).
[3] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((نشير)). بينما كتب في النفح: ((شريف)).

عظيـــم المزايـــا ما لـــه من مماثـــل[1]

كريـــم السجايا مالـــه من مناســـب

مـــلاذ منيـــع ملجـــأ عاصـــم لمـــن

يلـــوذ بـــه من بيـــن آت وذاهـــب

حليـــم[2] جميل الخلـــق والخلق ما لـــه

نظيـــر ووصف الله حجـــة غالـــب

وناهيـــاك من فـــرع نمتـــه أصولـــه

إلى خير مجد من لؤي بن غالـــب

أولي الحســـب العـــد الرفيـــع جنابـــه

بدور الدياجي أو بـــور[3] الركايـــب

له معجـــزات مالهـــا من معـــارض

وآيـــات صدق ما لها من مغالـــب

تهدي[4] بهن الخلـــق شرقـــا ومغربـــاً

وما ذاك عمن حـــاد عنها بعايـــب[5]

---

[1] في النفـح: ((مماثـل)).
[2] في الإسكوريال: ((حلميل))؛ وهو تحريف. بينما كتب في النفح: ((جليل)).
[3] في النفـح: ((أو صـدور الكتائـب)).
[4] نفسـه: ((تحـدى)).
[5] نفسـه: ((بغائـب))؛ بالغيـن المعجمـة.

فدونكهـــا كالأنجـــم الزهـــر[1] عـــدة
ونـــور سنى لا تختفي[2] للمراقـــب
فإحصارهـــا[3] مهما تتبعـــت معـــوز
وهل بعد نور الشمـــس نور لطالب
لقـــد شـــرف اللـــه الوجـــود بمرسل
له في مقام الرسل أعلى المراتـــب
وشرف شهـــراً فيـــه مولـــده الـــذي
جلا نوره الأسنى دياجي الغياهـــب
فشهـــر ربيـــع في الشهـــور مقـــدم
فلا غـــرو أن للفخر[4] ضربة لازب[5]
فللـــه منـــه ليلـــة قـــد تـــــلألأت
بنـــور شهاب نير[6] الأفـــق ثاقـــب[7]
ثاقـــب[7]

---

[1] في النفـح: ((الشهـب)).
[2] نفســه: ((يختـفي))؛ بالمثنـاة التحتيـة.
[3] نفســه: ((وإحصاؤهـا)).
[4] نفســه: ((الفخـر)).
[5] أي ضربـة لا بـد منهـا.
[6] في النفـح: ((بيـن)).
[7] نفســه: ((شاهب)).

ليهـــن أميـــر المسلميـــن بها المـــنى
وأن نال من مولاه أسنى الرغايـــب
على حيـــن أحياهـــا بذكـــر حبيبـــه
وذكـــر الكرام الطاهرين الأطايـــب
وألــــــف شملـــاً للمحبيـــن فيهـــــم
فسار على نهج من الرشـــد لاَحِب[1]
فسوف يجـــازي عن كريم صنيعـــه
بتخليـــد سلطان وحســـن عواقـــب
وسوف يريـــه اللـــه فـــي لَهْم[2] دينـــه
غرايـــب صنع فوق كل الغرايـــب
فيحمـــي حمى الإسلام عمن يرومـــه
بسمر العوالي أو ببيض القواضـــب[3]
ويعتز ديـــن الله شرقـــا ومغربـــــا
بما سوف يبقى ذكره في العجايـــب

---

[1] أي الواسع الواضح.
[2] في النفح: ((نصر)).
[3] أي السيوف القواطع.

إلـــهي مـــالي بعد رحمـــاك مطلـــب
أراه بعيـــن الرشد أسنى المطالـــب
سوى زورة القبـــر الشريـــف وإنها[1]
لموهبـــة فاتـــت[2] جميع المواهـــب
عليـــه ســـلام اللـــه ما لاح كوكـــب
وما فارق[3] الأظعان حادي الركايب

وقال في غرض المدح والتهنئة بعرض الجيش، وتضمن ذلك وصف حاله في انتقاله إلى الحضرة [4]:

يا قاطع البيد يطوي السهـــل والجبـــلا
ومنضيا في الفيافي الخيل والإبـــلا
يبـــكي في آفـــاق[5] أرض لا يونســـه[6]
إلا تذكـــر عهـــد للحبيـــب خـــلا

---

1 في النفـح: ((وإنـهـا)).
2 نفسـه: ((فاقـت)).
3 نفسـه: ((رافـق)).
4 البحـر البسيـط.
5 جعلهـا د. طويـل: ((بآفـاق)).
6 جعلهـا د. طويـل: ((لا يؤنسـه)).

أو ظبية أذكرت عهد التواصل تحـــ
ـــكي اللحاظ[1] التي عاهدت والمقلا
أستغفــر اللــه في تلك اللحــاظ فقــد
أربى بها الحسن عن ضرب المها مثلا
أو هادل فوق غصــن البان تحسبــه
صبــا لفقــد حبيــب بان قد ثكــلا
أو لامــع البــرق إذ تحــكي إنارتــه
كفــا خضيبــاً مشيرا بالذي عــذلا
مــاذا عسى أن يقضي من زمانك في
قطع المهامه ترجو أن تنــال عــلا
وكــم معالــم أرض أو مجاهلهـــا
قطعتها لا تمــل الريــث والعجــلا
إن كنت تأمــل عــزاً لا نظيــر لــه
وتبتغي السؤل فيما شيت والأمــلا

---

[1] جعلها د. طويل: ((للحاظ)).

فالعز مرسى بعيــد لا ينــال ســوى
بعزم من شــد عزم البين وارتحـــلا
والـــدر في صـــدف قلــت نفاستـــه
ولـــم يبـــن فخـــره إلا إذا انتقـــلا
فاربأ بنفسك عن أهــل وعن وطـــن
..................................[1]
وانس الديـــار التي منهـــا نأى وطني
وعهــد أنس به قلب المحب ســـلا
وعـــد عن ذكر محبوب شغـــت بـــه
ولا تلـــمَّ بـــه مدحـــا ولا غـــزلا
واقصد إلى الحضرة العليا وحط بهـــا
رحلاً ولا تبـــغ عن أرجائها حـــولا
غرناطـــة لا عفـــا رســـم بهـــا أبـــداً
ولا ســـلا قلب من يبغي بها بـــدلا
فـــهي التي شرف اللـــه الأنام بمـــن
في مقعد الملك من حمرائها نـــزلا

---

[1] **بيـاض في هذا الحيز؛ موجـود في المخطـوط.**

خليفـــة اللـــه مولانـــــا وموئلنـــــا
وخيـــر من أمن الأرجـــاء والسبـــلا
محمـــد بن أبي الحجاج أفضـــل من
قد قـــام فينـــا بحـــق الله إذ عـــدلا
من آل نصر أولى السلك الذي بَهَرَتْ
عُـــلاه كالشمس لما حلت الحمـــلا
هو الذي شـــرف اللـــه البـــلاد ومـــن
فيهـــا بدولتـــه إذ فاقـــت الـــدولا
أقـــــام عـــدلا ورفقـــا في رعيتـــه
وكان أرحـــم من آوى ومن كفـــلا
فهـــو المجـــار به من لا مجيـــر لـــه
لم يخش إحن الليالي فادحـــا جلـــلا
إن المدائـــح طـــراً لا تـــفي أبـــدا
ببعض ما قد تحلا من نفيس عُـــلا
بالحـــزم والفهـــم والإقـــدام شيمتـــه
والجـــود مما على أوصافه اشتملا

إن قـــال أجمـــل في قـــول وأبدعـــه
والفعـــل أجمـــل منـــه كلما فعـــلا
يولي الجميـــل ويعـــطي عـــزَّ نايلـــه
من قد رجاه ولا استجدى ولا سألا
من سائلي عن بـــني نصر فما أحـــد
منهـــم بأبلـــغ منهـــم كلمـــا سُئِـــلا
هـــم الذين إذا ما استمنحـــوا منحـــوا
أسنى العطا[1] وأبدوا بعـــده الخجـــلا
هـــم الألى مهـــدوا أرجـــاء أندلـــس
إذ حكموا في الأعادي البيض والأملا
فإن تســـل عنهـــم يوم الرهـــان فلـــم
يعـــدل بأحدثهـــم في سنه بطـــلا
من ذا يجـــاريهـــم في كل مكرمـــة
أيشبـــه البحـــر في تمثيله الوشـــلا
مولاي يا خير من للنصر قد رفعـــت
راياتـــه ولـــواء الفخـــر قد حمـــلا

[1] جعلها د. طويل: ((العطاء)).

لله عيـــني لمّـــا أبصرتــــك وقـــد

أعددت بين يديـــك الخيل والخـــولا

وأنـــت في قبـــة يسمـــو بهـــا عمـــد

أقـــام منا دامر[1] الديـــن فاعتـــدلا

والجيش يعش عيون الخلـــق منظـــره

لما اكتسى منـــك نور الحق مكتملا

لا غرو أن شعاع الشمس يشمـــل مـــا

أضـــحى عليه إذا ما لاح منســـدلا

ورايـــة النصـــر والتأييـــد خافقـــة

قد أسبـــل الله منها النصر فانسدلا

والخيـــل قد كسيـــت أثـــواب زينتهـــا

فمـــن براقعهـــا قـــد ألبست حلـــلا

ترى الحمـــاة عليها يـــوم عرضهـــم

يمشون من فرط زهو مشية الخيلا

[1] جعلها د. طويل: ((لأمر)).

فمـــن رمـــاة قسي العـــرب عدتهـــا
تحكي الأهلة مهما نورهـــا اكتمـــلا
ومن كمـــاة شـــداد البـــأس شأنهـــم
أن يعملوا البيض والخطيـــة الذبلا
بسعـــدك انتظمت تلك الجيـــوش لأن
أسهمت في نظمهـــا أسلافك الأولا
وخلـــد اللـــه ملكـــا أنـــت ناصـــره
ما عاقبـــت بكر من دهرنا الأصلا
لا زلت تـــزداد بها[1] نعمى مضاعفـــة
لتمـــلأ الأرض منها السهل والجبلا

ومن ذلك قوله [2]:

يا عاذلي في الهوى أقصر عن العذل
وعن حديثي مع المحبـــوب لا تسـل

---

[1] **جعلها د. طويل: ((بي)).**
[2] **البحر البسيط.**

فكيف أصــــغي إلى عذل العذول وقد

تقلــص القلـــب مني صايـــد المقل

تملكتـــه كمـــا شـــاءت بنظرتهـــا

فتانـــة الطـــرف والألحـــاظ تتهـــدل

معبـــرة عن نفيـــس الـــدر فاضحـــة

بقدهـــا الغـــض ألمياس في الميـــل

من نـــور غرتهـــا شمس تروق سنى

تحتل منها محل الشمس في الحمل

يا حبـــذا عهدنـــا والشمـــل منتظـــم

بجانـــب الغـــور في أيامنـــا الأول

أيـــام أعيـــن هـــذا الدهـــر نائمـــة

عنـــا وأحداثـــه منـــا على وجـــل

وحبـــذا أربـــع قد طال مـــا نظمـــت

عقد التواصل في عيش بها خضـــل

قضيت منها أماني النفس في دعـــة

من الزمـــان موفى الأنـــس والجذل

سطى الغمـــام رباهـــا كل منهمـــر
وكـــم سطتها دموعي كل منهمـــل
وجادهـــا من سماء الجود صوب حياً
بالعارض الهطل ابن العارض الهطل
خليفـــة اللـــه والمـــاحي بسيرتـــه
رسم الضلال ومحيي واضح السبل
محمـــد بن أبي الحجـــاج أفضل من
سارت أحاديث علياه سرى المثـــل
والباعث الجيش في سهل وفي جبـــل
حتى تغص نواحي السهل والجبـــل
من آل نصـــر أولي الفخر الذين لهم
مزيـــة أورثت من خاتـــم الرســـل
مهمـــا أردت غناء في الأمـــور به
شاهدت منه جميع الخلق في رجـــل
لـــن يستظـــل بعليـــاه أخـــو أمـــل
إلا غـــدا تحـــت ظل منه منســـدل

ولا استجـــار به مـــن لا مجيـــر له

إلا كفـــاه انتيـــاب الحادث الجلـــل

يُنْـــمَى إلى معشر شـــاد الآلـــه لهـــم

ملكاً على سالف الأعصار لم يـــزل

بملكهـــم قد تحلى الدهـــر فهـــو بـــه

واللـــه واليه لا يخشى من العطـــل

هـــم الألى نصـــروا أرجاء أندلـــس

بالمشـــرفيـــات والخطيـــة الذبـــل

هم الألى مهدوا دين الهدى فسمـــت

في الخـــق ملته العليـــا على الملـــل

من أمهـــم صادي الآمـــال نال بهـــم

جـــودا كفيلا له بالمعـــل والنهـــل

أو أمهم ضاحياً أضحى يجرر مـــن

فضل النوال ذيول الوشي والحلـــل

إن الفضايـــل أضحـــت لاسمه تبعـــاً
كالنعــــــت والتأكيـــد والبــــــدل[1]
مولاي خذها تروق السامعيـــن لهـــا
بما أجادتـــه من مدح ومن غـــزل
لكنني باعتبـــار عظـــم ملكـــك لـــم
أجــد لعمري في مدحي ولم أطـــل
فإن خبـــرت كذاك الخلـــق أجمعهـــم
سيـــان محتفـــل أو غيـــر محتفـــل
لا زلت فخـــر ملوك الأرض كلهـــم
تسمو بك الدولة العليا[2] على الـــدول
ودمـــت للدهـــر تطويـــه وتنشـــره
مبلغـــا كلمـــا تبـــغي مـــن الأمـــل

[1] جعل د. طويـل هـذا الشطر هكذا: ((كالنّعـت والعطـف والتَّـأكيـد والبـدل))؛ بعد إضافـة كلمـة: ((والعطـف)).
[2] جعلهـا د. طويـل: ((العليـاء))؛ بالهمـزة في الآخـر.

ومن ذلك ما نظمه لينقش في بعض المباني التي أنشأتها [1]:

أنا مصنــع قد فــاق كل المصانــع
فمــا منزل زهى[2] بمثــل بدائــع

فرســمي إذا حققتــه واعترتــــه[3]
لكــل المعاني جامــع أي جامــع

فقد جمــع اللـــه المحاســن كلهــــا
لــدي فيــا للـــه إبــداع صانــع[4]

ظل كما[5] جمعت كل الفضائل في الذي
بسكناي قــد وافــاه أيمــن طالــع

وزيــر أميــر المسلميــن وحسبــه
مزيـــة فخـــر ما لهـــا من مدافـــع

وذو القلـــم الأعلى الذي فعله لمـــن
يؤملـــه مثـــل السيـــوف القواطـــع

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في الكتيبـة الكامنـة: ((يـزهى)).
[3] في الكتيبـة الكامنـة: ((واعتبرتـه)).
[4] نفسـه: ((صانـعي)).
[5] حذف د. طويل كلمة ((ظل))؛ فأضحت: كما جمعت))؛ من أجل سلامة الوزن.

ومطلـــع آيـــات البيـــان لمبصـــــر
كشمس الضحى حلت بأسنى المطالع
وإنسان عين الدهر قـــرت لنـــا بـــه
عيون طابت منه ذكرى المسامـــع
هو ابن الخطيـــب السيد المنتمي إلى
كرام سمـــوا ما بين كهـــل ويافـــع
لقد كنت لـــولا عطفـــة من حنانـــه[1]
أعـــد زمانـــا في الرسوم البلاقـــع
فصيـــرني معـــنى كريمـــا ومربعـــا[2]
لشمـــل بأنـــس من حبيبي جامـــع
فهـــا أنـــا روض يـــروق نسيمـــه[3]
كما رق طبعـــاً ما له من منـــازع
وقـــد جمعتنـــا نسبة الطبـــع عندما
وقعـــت لمـــرآه بأســـنى المواقـــع

---

[1] في الكتيبـة: ((جنابـه)).
[2] نفسـه: ((ومرتعاً)).
[3] جاء هذا الشطر في الكتيبـة هكذا: ((فهـا أنـا ذو روض يـروق جمالـه))

فأشبــه إزهــاري بطيــب ثنايــه
وفضــل هــواي[1] باعتدال الطبايــع
فلا زلــت معمــوراً به في مســرة
معــداً لأفــراح وسعــد مطالــع
ولا زال من قــد حلــني أو يحلــني
موفى الأماني من جميل الصنايــع
ودام لمــولانــا المؤيــــد سعــده
فمــن نــوره[2] لنــا كــل ساطــع

وفي التهنئة بإبلال من مرض [3]:

الآن قد قامــت الدنيــا على قــدم
لما استقــل رئيــس السيف والقلــم
والآن قد عــادت الدنيــا لبهجتهــا
مذ أنست بــرؤه من طارق الألــم

[1] في الكتيبـة: ((هـوائي)).
[2] في الكتيبـة: ((فمـن نـوره يبـدو لنـا...)).
[3] البحـر البسيـط.

والآن قد عمـــت البشرى براحتـــه

فلم تزل للورى من أعظـــم النعـــم

لا سيما عند مثـــلي ممن اتضحـــت

منه دلايـــل صـــدق غيـــر متهـــم

فكيف لي وأيـــادي فضله ملكـــت

رقي بما أجزلـــت من وافر القســـم

وصيرتني في أهـــلي وفي وطـــني

وبيـــن أهـــل النهى ناراً على علـــم

وأحسبـــت أملي الأقـــصى لغايتـــه

إذ صرت من جاهه المأمول في حرم

ومإذا[1] عسى أن أوفي من ثنـــئي أو

أنهـــي إلى مجـــده من فاضل الشيم

ولو ملكت زمام الفضل طوع يدي

قصرت في ضمن منثور ومنتظـــم

---

[1] **حذف د. طويل الواو؛ فغدت: ((مـاذا)).**

يهنيك بشرى قد استبشرت مذ وردت

بها لعمـــرك وهو البـــر في الضيـــم

ومـــذ دعـــت هذ[1] البشرى بتهنيـــة

فنحن أولى ومحض العهد والكـــرم

لا زلت للعـــزة القعســـاء ممتطيـــا

مستصحبا لعـــلاء غيـــر منصـــرم

دمـــت بدر ســـنى تهـــدي إنارتـــه

في حيث يعضل خطب أو يحار عم

ولا عدمـــت بفضـــل اللـــه عافيـــة

تستصحـــب النعـــم المنهلة الديـــم

وليس لهذا العهد للرجل انتحال لغير الشعر والكتابة. وغير هذا للشعر فراره. فقل أن ينتهي الشعر في الضعة والاسترذال إلى ما دون هذا النمط ؛ فهو بعير [2] ثان، شعراً وشكلاً وبلداً، لطف الله به. وهو لهذا العهد، على ما

---

[1] أضاف ذ. طويل الهاء؛ فأضحت: ((هذه)).

[2] ورد تعليق على هذه الكلمة في هامش المخطوط؛ جاء فيه: ((يريد والله أعلم أنه كان يشبه للشيخ عبد العظيم الوادي آشي الملقب بالبعير)).

تقدم من النكبة، واتصال السخط من الدولة، تغمدنا الله وإياه بلطفه، ولا نكص عنا ظل عنايته وستره.

مولده

حسبما تقدم من بسط حاله مما قيده بخطه في عام تسعة وسبعماية [1].

***

[1] **الموافق لـ 1309م.**

عبد الرزاق بن يوسف

ابن عبد الرزاق الأشعري [1]، من أهل قرية الأنجرون، من إقليم غرناطة، أبو محمد.

حاله

فقيه أديب كاتب سَري، موصوف بكرم نفس، وحسن خلق لقي أشياخاً، وأخذ عنهم.

شعره [2]

يا منعمـــاً مـــا زال مـــن أمـــه
يرفـــل في السابـــغ من أميتـــه [3]

ويـــا حسامـــاً جردتـــه العـــلا
فريـــع صرف الدهر من سكوته [4]

عبـــدك قد ســـاءت هنا حالـــه
شوقـــا لمن خلـــف من إخوتـــه

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال؛ بينما سقطت في الزيتونة.
[2] الحر السريع.
[3] جعلها د. طويل: ((أمتِّه)).
[4] جعلها د. طويل: ((سكتته)).

شوقها يبث الجمـــر فـــي قلبـــه
ويخلـــع للسهـــد[1] عـــلى مقلتـــه
فسكـــن المؤلـــم مـــن شوقـــه
وانـــس[2] المقلـــق مـــن وحشتـــه
وامنـــن عليـــه ببلـــوغ المـــنى
في علمكم من مقتـــضى بغيتـــه
وهـــاكهـــا نفثـــة ذي خجلـــة
تفهـــم مـــا يلقيـــه مـــن نفثتـــه
إذا شـــدا مـــدّاحكـــم ساجعـــاً
يحســـده الطيـــار فـــي نغمتـــه

وفاته

سنة إحدى وسبعين وخمسماية [3] عن سن عالية.

***

[1] جعلها د. طويل: ((السهد)).
[2] جعلها د. طويل: ((وأنسين)).
[3] الموافق لـ 1175م.

عبد الملك بن سعيد

ابن خلف العنسي [1]، من أهل قلعة يحصب [2]، من عمل إلبيرة.

حاله ونسبه

هو **عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمن بن محمد بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر**؛ صاحب **رسول الله** صلى الله عليه وسلم. وكان عيناً من أعيان **الأندلس**، مشاراً إليه في البيت والرأي، والجزالة والفضل؛ علقت به الآمال، ورفعت إليه المدائح، وحطت لديه الرحال، وكان من أولي الجلالة والنباهة، والطلب والكتابة الحسنة، والخط البارع. واشتمل على حظوة الأمير **يحيى بن غانية اللمتوني**، وكتب عنه. بلده **قلعة بني سعيد،** فثقفها، وجعل بها أكبر بنيه **عبد الرحمن** ضابطاً لها وحارساً، فحصنها **أبو مروان** ومهدها بالعمارة؛ فكانت في الفتنة مَثابة وأمناً. وحرزاً له ولبنيه؛ فانجلت الناس إليها من كل

---

[1] له ترجمة أيضاً في: المغرب في حلى المغرب، ورايات المبرزين، ونفح الطيب.
[2] تسمى أيضاً: قلعة بني سعيد، وقلعة الملكية، وقلعة يعقوب، والقلعة السعدية. سبق ذكرها.

مكان. ولما قبض **ابن غانية** [1] على **القمط مرين** وأصحابه **النصارى**؛ عندما وصلوا لاستنجاز الوعد في الخروج عن **جيان**، وتحصلوا بيده بإشارة **عبد الملك بن سعد،** حسبما ثبت في اسم الأمير **يحيى**، ثقفهم **بالقلعة** بيد ثقته المذكور وأمينه **أبي مروان**؛ فتحصلوا في معقل حريز، عند أمير وافر العقل، سديد الرأي. ومات **ابن غانية بغرناطة** لأيام قلائل، واختلف قومه. فنظر **أبو مروان** لنفسه، وعاهد **القمط مرين** ومن معه من الزعماء على عهود، أخذها عليهم، وعلى سلطانهم، أن يكون تحت أمن وحفظ طول مدته، فأجريت **القلعة** في الأمن والحماية، وكفّ أيدي التعدي مجرى ما لملك **النَّصري** [2] من البلاد، فشمل أهلها الأمن، واتسعت فيها العمارة، وتنكبتها النكبات، تحاشتها الغارات. ولم يزل أبو مروان بها إلى أن دخل في أمر **الموحدين**. ووصل هو وابنه إلى السيد **أبي سعيد بغرناطة**، وحضر معه غزوة **ألمرية**، ثم دخل بجملته؛ فكمل له الأمن، وأقر على **القلعة**، وأمر بسكنى **غرناطة** بولده. ثم

[1] **هو يحيى بن غانية قائد قواد المرابطين في الأندلس. سبق التعريف به.**
[2] **هكذا كتبت في الإسكوريال؛ والمقصود بها: النَّصارَى.**

وصل ثانية إلى **مراكش** صحبة السيد **أبي سعيد**، ولقي من إلبرّ ولطف المكانة عادته، واستكتب ابنه **أحمد بن أبي مروان** الخليفة في هذه الوجهة، وانتظم في جملة الكتاب والأصحاب.

محنته

وعاد **أبو مروان** وبنوه إلى **غرناطة** صحبة واليها السيد **أبي سعيد**، فبقي في جملة العسكر عند دخول **ابن مردنيش** وصهره **غرناطة**، وقد اضطربت الفتنة، وفسد ما بين السيد وبين **أبي جعفر بن أبي مروان** منهم، بما تقدم في اسمه من حديث **حفصة**[1]. ولما ظهرت دلايل التغير، وخافوا على أنفسهم، أداروا الرأي في الانحياز إلى خدمة **ابن مردنيش**، ونهاهم والدهم **أبو مروان**، وأشار عليهم بمصابرة الأمر، فلحق **عبد الرحمن بالقلعة**، وفرّ **أحمد** لما انكشف الأمر، وعثر عليه بجهة **مالقة**؛ فقتل، وانجرت بسبب ذلك النكبة على **عبد الملك** وابنه **محمد**، فبقيا **بغرناطة**، ومن يشار إليه من أهل بيتهما، واستصفيت

[1] سبقت الإشارة إليها.

أموالهما، واستخلصت ضياعهما [1]، إلى أن ورد كتاب الخليفة **أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي** بإطلاقهم ورد أموالهم، بما اقتضته السياسة؛ من استمالة من نزع منهم عن الطاعة، وأمر **عبد الملك** باستيلاف نافرهم. ولما هلك **ابن مردنش**، ورد من اتصل به صحبة المستأمنين من أولاد الأمير الهالك، فقدموا على رحب وسعة، وثاب جاه **أبي مروان**، واتصل عزه، واتسعت حظوته، إلى أن هلك بعد أن ولي **بمراكش** النظر في العدة والأسلحة، والقيام على دار الصنعة.

وفاته

بغرناطة سنة ستين وخمسماية [2].

***

[1] أي انتزعت منهما وضمت للأملاك السلطانية.
[2] الموافق لـ 1164م.

عبد العزيز بن علي[1]

ابن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يست[2]؛
من أهل غرناطة؛ يكنى أبا سلطان.

حاله

فاضل، حيي، حسن الصورة، بادي الحشمة، فاضل البيت، سريه. كتب في ديوان الأعمال[3]، وترقى إلى الكَتْب[4] مع الجملة بالدار السلطانية، وسفر في بعض الأغراض الغربية، ولازم الشيخ **أبا بكر بن عتيق**[5] **بن مقدم**؛ من شيوخ[6] الصوفية بالحضرة، فظهرت عليه آثار ذلك في نظمه ومقاصده الأدبية.

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال؛ ولم ترد في الزيتونة.
[2] في الزيتونة: ((كثت)). ولعبد العزيز بن علي هذا؛ ترجمة الكتيبة الكامنة؛ حيث سمي ((بن برشيت))؛ وله ترجمة كذلك في كتاب نفح الطيب.؛ وسمي فيه: ((بن يشت)).
[3] في النفح: ((الأعمال فأتقن)).
[4] نفسه: ((إلى الكتابة السلطانية)).
[5] نفسه: ((أبا بكر عتيق)).
[6] نفسه: ((من مشيخة)).

شعره

وشعره لا بأس به؛ ومن أمثله قوله ما أنشد له في ليلة الميلاد الأعظم [1]:

القلـــب يعشـــق والمدامـــع تنطـــق
برح الخفـــاء فكل عضو منطـــق[2]

[قلت: قد ذكرها **ابن الخطيب** في جملة ما أنشد في الميلاد الأعظم في السفر الخامس، فلا فائدة في تكرارها هنا [3]].

ومما خاطبني به [4]:

أطلـــت عتـــب زمـــان فـــل من أمل[5]
وسُمْتُـــه[6] الـــذَّمَّ في حل ومرتحـــل

---

[1] **البحر الكامل.**
[2] **في الكتيبة: ((ينطق)).**
[3] **ما كتب بين الحاصرتين؛ للناسخ كما يبدو.**
[4] **البحر البسيط.**
[5] **في الكتيبة: ((مل من أملي))، وفي النفح: ((من أملي)).**
[6] **في الكتيبة: ((وشمته)).**

عاتبته ليلين للعتب جانبه

فما تراجع عن مطل ولا بخل[1]

فعدت أمنحه العتبى[2] ليشفق بي[3]

فقال لي إن سمعي عنك في شغل

فالعتب عندي والعتبى[4] فلست أرى

أصغي لمدحك إذ لم أصغ للعذل

فقلت للنفس كُفّي عن معاتبة

لا تنقضي وجواب صيغ من وجل[5]

من يعتلق بالدنا[6] بابن الخطيب فقد

سما عن الذل واستوى[7] على الجدل

فقلت من لي[8] بتقريبي لخدمته

فقد أجاب قريبا من جوابك لي

---

[1] في الكتيبة: ((من مطل ومن نجل)).
[2] أي الرضى.
[3] في النفح: ((لي)).
[4] في الكتيبة، والنفح: ((كالعتبى)).
[5] في الكتيبة: ((من جدل)).
[6] في الكتيبة، والنفح: ((في الدُّنا)).
[7] نفسهما: ((واستولى)).
[8] في النفح: ((قلت فمن لي)).

قد اشتغلـــت عـــن الدنيـــا بآخـــرتي
وكـــان ما كـــان في أيـــامي الأول[1]
وقد رعيـــت وما أهملـــت من منح
فكيـــف يختلـــط المرعي بالهمـــل
ولســـت أرجـــع للدنيـــا وزخرفهـــا
بعد[2] شيب غدا في الرأس مشتعـــل
ألست تبصر أطماري وبعـــدي عن
نيل الحظـــوظ وإعـــداد إلى أجـــل[3]
فقـــال[4] ذلـــك قـــول صـــح مُجملُـــهُ[5]
لكن من شأنـــه التفصيـــل للجمـــل
ما أنت طالـــب[6] أمـــر تستعيـــن بـــه
على المظالـــم في حـــال[7] ومقتبـــل

---

[1] في الكتيبـة: ((مـن أيامـل الأول))؛ وفي النفـح: ((مـن أيـامي الأول)).
[2] في الكتيبـة، والنفـح: ((مـن بعـد)).
[3] في النفـح: ((وإغذاذي إلى أجـلي)).
[4] نفسـه: ((فقلـت)).
[5] في الكتيبـة: ((محملـه))؛ بالحـاء المهملـة.
[6] في النفـح: ((جالـب)).
[7] في الكتيبـة: ((في جـاه)).

ولا تحـــل حرامـــاً أو تحـــرم مـــا

أحـــل ربـــك في قـــول ولا عمـــل

ولا تَبِـــعْ آجـــل الدنيـــا بعاجلهـــا

كما الـــولاة تبيـــع اليَـــمّ بالوشـــل[1]

وأين عنـــك الرشا إن كنت[2] تطلبهـــا

هـــذا لعمري أمـــر غيـــر منفعـــل

هل أنـــت تطلـــب إلا أن تعود إلى

كتب المقام الرفيع القدر في الـــدول

فمـــا لأوحد أهـــل الكـــون[3] قاطبـــة

وأسمح الخلـــق[4] من حاف ومنتعـــل

لم يلتفت نحـــو ما تبغيـــه من وطـــر

ولم يَشِـــدَّ[5] الذي قـــد بان من خلـــل

---

[1] أي: تبيـع البحـر بالمـاء القليـل.

[2] في النفـح: ((إن ظلـت)).

[3] في الكتيبـة: ((الأرض)).

[4] نفسـه: ((النـاس)).

[5] في الكتيبـة، والنفـح: ((يَسُدَّ)).

إن لم تقـــع نظـــرة منه عليـــك فمـــا
يصبو لديـــك للذي[1] أملت من أمـــل
فدونـــك السيـــد الأعـــلى فمطلبكـــم[2]
قد نيـــط منه بفضـــل غير منفضل[3]
فقـــد خبرت بـــني الدنيـــا بأجمعهـــم
من عالـــم وحكيـــم عـــارف دول[4]
فما رأيت له في النـــاس من شبـــه
قـــل النظيـــر له عندي فلا تســـل
فقد قصدتـــك يا أسمى الورى نسبـــاً[5]
وليـــس لي عن عليـــاك من حِـــوَلِ[6]
فما ســـواك لمـــا أملـــت من أمـــل
وليس لي عنك من زيـــغ ولا ميـــل[7]

---

[1] في الكتيبـة، والنفـح:((الـذي)).
[2] جاء هذا الشطر في الكتيبة هكذا: ((فطالبـه قـلَّ النَّظيـرُ لـه عنـدي فـلا تسـلِ)).
[3] في النفـح: ((منفصـل))؛ بالصـاد المهملـة.
[4] نفسـه: ((وولـي)).
[5] جـاء هـذا الشطر في النفـح هكـذا:
((وقد قصدتـك يا أسمى الورى هممـاً)).
[6] ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((وليـس لي عن حِمَى عليـاك مـن حـول)).
وجـاء في الكتيبـة هكـذا: ((وليـي لي مـن عـلاك اليـوم مـن وجـل)).
[7] جـاء هـذا الشطر في الكتيبـة هكـذا: ((وليـس عنـدك مـن زيـغ ولا ملـل)).

فانظر لحالي فقد رق الحســود لهــا

واحسم زمانة[1] ما قد ساء من علــل

قــدم[2] لنــا ولديــن اللــه ترفعــه

ما أعقبــت بكــر الإصباح بالأصل

لا زلــت معتليــا عن كــل حادثــة

كما علت ملــة الإســلام في الملــل

***

[1] أي: مـرض مزمـن.

[2] في الكتيبـة: ((ودم لهـا))؛ وفي النفـح: ((ودم لنـا)).

عبد البر بن فرسان

ابن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الغساني [1]،
وادي آشي الأصل؛ يكنى أبا محمد.

حاله

كان من جلة الأدباء، وفحول الشعراء، وبرعة الكتاب، كتب عن الأمير **أبي زكريا يحيى بن إسحق بن محمد بن علي المسوفي الميورقي** [2]. الثائر على **منصور بني عبد المؤمن** [3]، ثم على من بعده من ذريته إلى أيام **الرشيد** [4] منهم. وانقطع [5] إليه وصحبه في حركاته. وكان آية في بعد الهمة، والذهاب بنفسه، والعنا [6]، ومواقف

[1] جاءت هذه الترجمة في الإسكوريال؛ بينما سقطت في الزيتونة. وله ترجمة أيضاً في: رايات المبرزين، والمغرب في حلى المغرب، ونفح الطيب، والتكملة لكتاب الصلة؛ وقد جاء فيه أنه توفي سنة 610هـ أو نحوها، والمقتضب، وتحفة القادم؛ وفيه أنه توفيسنة 611هـ.
[2] هو المعروف بابن غانية. وسبق التعريف به.
[3] المقصود هنا هو الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي. سبق ذكره.
[4] هو الخليفة الموحدي أبو محمد عبد الواحد بن إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي. سبقت الإشارة إليه.
[5] في النفح: ((وكان منقطعاً إليه؛ وممن صحبه في حركاته)).
[6] نفسه: ((والعناء في موقف الحرب)).

الحرب، فإنه دهم في المثل. أشبه امرءاً يعض بره، فقد كان أليق الناس بصحبة **الميورقي**، وأنسبهم إلى خدمته.

مشيخته

روى عن **أبي زيد بن السهيلي** [1].

بعض أخباره في البأو والصرامة

حدثنا شيخنا **أبو الحسن بن الجياب** عمن حدثه من أشياخه؛ قال: وجهه **الميورقي** في عشية يوم من أيام حروبه إلى المأزق. وقد طال العراك، وكاد يكل الناس عن الحرب. إلى أن يباكروها من الغد، فنفذ لما أمر به. ولما بلغ الصدر، اشتد على الناس، وذعر [2] أرباب الحفيظة، وأنهى إليهم العزم من أميرهم في الحملة. فانهزم عدوهم شرّ هزيمة، ولم يعد **أبو محمد** إلاّ في آخر الليل بالأسلاب والغنيمة. وقال له ما حملك على ما صنعت. فقال له،

---

[1] في التكملة، والمقتضب: ((روى عن أبي القاسم السهيلي)).
[2] في النفح: ((وذمّر)).

الذي عملت هو شأني. وإذا أردت من يصرف الناس عن الحرب ويذهب ريحهم. فانظر غيري.

وحدثني كذلك أن ولداً له صغيراً، تشاجر مع ترب له من أولاد أميره **أبي زكريا**؛ فنال منه ولد الأمير. وقال وما قدر أبيك. ولما بلغ ذلك أباه؛ خرج مغضباً لحينه، ولقي ولد الأمير المخاطب لولده؛ فقال حفظك الله؛ لست أشك في أني خديم أبيك؛ ولكني أحب أن أعرفك بمقداري [1] ومقداره، اعلم إن أباك وجهني رسولاً إلى الخليفة [2] **ببغداد** بكتاب عن نفسه. فلمّا بلغت **بغداد** نزلت [3] في دار اكتريت لي بسبعة دراهم في الشهر، وأجرى على سبعة دراهم في اليوم؛ وطولع بكتابي؛ وقيل من **الميورقي** الذي وجهه. فقال بعض الحاضرين، هو رجل مغربي ثائر على أستاذه. وأقمت شهراً، ثم استدعيت إلى الانصراف، ولما دخلت دار الخلافة، وتكلّمت مع من بها من الفضلاء، أرباب [4] المعارف

---

[1] **في النفح: ((بنفسي ومقداري ومقدار أبيك)).**
[2] **نفسه: ((إلى دار الخلافة)).**
[3] **نفسه: ((أنزلت)).**
[4] **نفسه: ((وأرباب)).**

والآداب، اعتذروا لي. وقالوا للخليفة، هذا رجل جُهِل مقداره؛ فأعدت إلى محل، اكتريت [1] بسبعين درهماً، وأجري علي مثلها في اليوم، ثم استدعيت، فودعت الخليفة [2]، واقتضيت ما تيسر من جوابه [3]. وصدر لي شيء له خطر [4] من صلته. وانصرفت إلى أبيك. والمعاملة الأولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الأقدار، والثانية كانت على قدري. والمنة لله. وأخبار **ابن فرسان** كثيرة.

شعره

وقد تعمم الأمير [5] بعمامة بيضاء، ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء، فقال [6]:

فديتــك بالنفــس التي قــد ملكتهـــا
بما أنـــت موليها من الكرام الغض

---

[1] في النفح: اكتري)).
[2] في الإسكوريال: ((الخلافة))؛ فصوبها عنان.
[3] في النفح: ((حوائجه)).
[4] نفسه: ((حظ)).
[5] هو ابن غانية؛ مخدوم عبد البر بن فرسان.
[6] البحر الطويل.

توددت[1] للحسن الحقيقي بهجة

فصار بها الكُلِيُّ في ذاك البعض[2]

ولما تلألأ[3] نور غرتك التي

تقسم في طول البلاد وفي العرض

تلقفتها[4] خضراء أحسن ناظر

نبت عنك إجلالا وذاك من الفرض

وأسدلت حُمْرَ[5] الملابس فوقها

بمفرق تاج المجد والشرف المحض

وأصبحت[6] بدرا طالعا في غمامة

على شفق دان إلى خضرة الأرض

ومن شعره، ولا خفاء ببراعته [7]:

ندى مخضلا ذاك الجناح المنمنما

وسقياً وإن لم تشك يأساً جعاضما[8]

---

[1] في النفح: ((تردَّيْتَ)).
[2] نفسه: ((كالبعض)).
[3] نفسه: ((تلالا)).
[4] نفسه: ((تلقَّعتها)).
[5] نفسه: ((حَمْراء)).
[6] نفسه: ((فأصبحت)).
[7] البحر الطويل.
[8] في النفح، والمقتضب: ((ياساجعاً ضما))؛ وهذا أصوب وأسلم.

أعدهن ألحانــا على سمـــع معرب
يطارح مرتاحا على القضب معجما
وطر[1] غير مقصوص الجناح مرفها
مســـوغ أشتـــات الحبوب منعمـــا

وقـال أيضـاً رحمـه اللـه[2]:

كفى حزنـــا أن الرمـــاح[3] صقيلـــة
وأن الشبـــا رهن الصـــدا بدمايـــه
وأن بيـاذيـــق[4] الجوانـــب فرزنـــت
ولـــم يعـــد رخ الدست بيت بنايـــه

***

[1] في المقتضب: ((فطر)).
[2] البحر الطويل.
[3] في المقتضب: ((الزجاج)).
[4] نفسه: ((بياديق؛ بالدال المهملة.

عبد العظيم [أو عبد المنعم] [1]

ابن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني [2]، جلياني [3]، من أهل وادي آش، وتردّد إلى غرناطة؛ يكنى أبا محمد، وأبا الفضل.

حاله

تجول ببلاد **المشرق** سائحاً، وحج، ونزل **القاهرة**، وكان أديباً، بارعاً حكيماً، ناظماً ناثراً.

تواليفه

وله مصنفات منها ((**جامع أنماط السايل في العروض والخطب والرسايل**))[4]؛ أكثر كلامه فيه نظماً ونثراً.

---

[1] سمي في النسخة التي حققها عنان في الإحاطة ((عبد العظيم))؛ بينما سمي في المصادر الأخرى ((عبد المنعم)). وتلك المصادر هي التي ترجمت له؛ مثل: التكملة لكتاب الصلة، وفوات الوفيات، والذيل والتكملة، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، ومعجم البلدان، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، ونفح الطيب، والغصون اليانعة.

[2] وردت هذه الترجمة في الإسكوريل؛ بينما سقطت في الزيتونة.

[3] نسبة إلى حصن جليانة؛ المتواجد في جهات وادي آش. وتسمى أيضاً ((جليانة التفاح)) لجودة تفاحها.

[4] في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة: ((جامع أنماط الوسائل في القريض والخطب والرسائل)).

مشيخته ومن روى عنهم

روى عنه: **أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحيم** الخطيب بضريح **الخليل**، **وأبو عبد الله بن يحيى المرسي**.

شعره

قال من شعره [1]:

ألا إنمـــا الدنيـــا بحـــار تلاطمـــت
فما أكثر الغـــرقى عـــلى الجنبـــات
وأكثـــر من[2] لاقيت[3] يغـــرق إلفـــه
وقـــل فـــتى ينجـــو[4] من الغمـــرات

وفاته

سنة ثلاث وستماية [5].

***

---

[1] **البحـر الطويـل.**
[2] **في الذيـل والتكملـة: ((مـا)).**
[3] **في التكملـة لكتـاب الصلـة: ((صاحبـت)).**
[4] **في التكملـة لكـاب الصلـة، والذيـل والتكملـة: ((ينـجي)).**
[5] **الموافـق لـ 1206م.**

***

عبد المهيمن بن محمد

ابن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ابن محمد الحضرمي [1]؛ يكنى أبا محمد؛ شيخنا الرئيس؛ صاحب القلم الأعلى بالمغرب.

حاله

من **عائد الصلة**: كان رحمه الله خاتمة الصُّدور، ذاتاً وسلفاً وتربية وجلالة. له القدح المعلى في علم العربية، والمشاركة الحسنة في الأصلين، والإمامة في الحديث، والتبريز في الأدب والتاريخ واللغة، والعروض والماسة في غير ذلك. نشأ فارس الحلبة، وعروس الوليمة، وصدر المجلس، وبيت القصيد، إلى طيب الأبوة، وقدم الأصالة، وفضل الطعمة، ووفور [2] الجاه والإغراق في النعمة، كثر الاجتهاد والملازمة، والتفنن والمطالعة، مقصور الأوقات على الإفادة والاستفادة، إلى أن دعته

---

[1] **له ترجمة أيضاً في: التعريف بابن خلدون، وكتاب العبر، وجذوة الاقتباس، ونفح الطيب، وأزهار الرياض، وتاريخ قضاة الأندلس، وفوات الوفيات.**

[2] **في الإسكوريال: ((ووفوه)).**

الدولة المرينية بالمغرب، إلى كتابة الإنشاء، فاشتملت عليه اشتمالاً، لم يفضل عنه من أوقاته، ما يلتمس فيه ما لديه، واستمرت حاله، موصوفاً بالنزاهة والصدق، رفيع الرتبة، مشيد الحظوة، مشاركاً للضيف فاضلاً، مختصر الطعمة والحلية، يغلب عليه ضجر يكاد يخل به، متصل الاجتهاد والتقييد، لا يفتر له قلم، إلى أن مضى بسبيله.

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر من تأليفنا بما نصه: تاج المفرق وفخر المغرب على المشرق، أطلع منه نور أضاءت الآفاق [1]، وأثرى [2] منه بذخيرة حملت أحاديثها الرفاق. ما شيت من مجد سامي المصاعد والمراقب، عزيز عن لحاق المجد الثاقب، وسلف زينت سماؤه بنجوم المناقب. نشأ **بسبتة** بين علم يفيده، وفخر يشيده، وطهارة يلتحف مطارفها، ورياسة يتفيأ وارفها، وأبوه رحمه الله قطب مدارها، ومقام حجها واعتمارها، فسلك الوعوث من المعارف والسهول، وبذ على حداثة سنه الكهول، فلما تحلى من الفوايد العلمية بما تحلى، واشتهر اشتهار

[1] **في النفح: ((له الآفاق)).**
[2] **نفسه: ((وأثر)).**

الصباح إذا تجلى، تنافست فيه همم الملوك الأخاير، واستأثرت به الدول على عادتها في الاستئثار بالذخاير، فاستقلت بالسياسة ذراعه، وأخدم الذوابل والسيوف يراعه، وكان عين الملك التي بها يبصر، ولسانه الذي به يسهب أو يختصر. وقد تقدمت له إلى هذه البلاد الوفادة، وجلت به عليها الإفادة، وكتب عن بعض ملوكها وانتظم في عقودها الرفيعة وسلوكها، وله في الأدب[1] الراية الخافقة، والعقود المتناسقة.

مشيخته

قرأ ببلدة [**سبتة**] على الأستاذ الإمام **أبي إسحق الغافقي المديوني**، وعلى الأستاذ المقري **أبي القاسم محمد ابن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الطيب**، والأستاذ النحوي **أبي بكر بن عبيدة الإشبيلي**، وعلى الأستاذ العارف **أبي عبد الله محمد بن عمر بن الدارج التلمساني**، وعلى ابن خال أبيه الأمير الصالح **أبي حاتم العزفي**، والعدل الرضا **أبي فارس عبد الرحمن بن إبراهيم**

[1] **في النفح: ((الآداب)).**

الجزيري. وقرأ **بغرناطة** على الشيخ العلامة **أبي جعفر بن الزبير**، وروى عن الوزير الراوية **أبي محمد عبد الله المرادي ابن المؤذن** وعلى الأستاذ **أبي بكر القللوسي**. وأخذ عن الشيخ الوزير **أبي الوليد الحضرمي القرطبي**. **وبمالقة** عن الإمام الولي **أبي عبد الله الطنجالي**. **وببلش** عن الخطيب الصالح **أبي جعفر بن الزيات**، وعن الخطيب **أبي عبد الله ابن شعيب المروي**، والعلامة **أبي الحسين بن أبي الربيع**، **وأبي الحكم بن منظور، وابن الشاط وابن رشيد، وابن خميس، وابن برطال، وابن ربيع، وابن البنا**، وسميه **ابن البنا المالقي، وابن خميس النحوي، وأبي أمية بن سعد السعود بن عفير الأمدي**. هؤلاء كلهم لقيهم وسمع منهم، وأجازوا له ما عندهم. وممن أجاز له مشافهة أو مكاتبة من أهل **المغرب**، الأستاذ **أبو عبد الله محمد بن عمر الأنصاري التلمساني ابن الدارج**، والكاتب **أبو علي الحسين بن عتيق**، وتناول تواليفه، والأديب الشهير **أبو الحكم مالك بن المرحل، والشريف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي الشرف الحسيني، وأبو بكر بن خليل**

السكوني، وأبو العباس المطري، والجزاري، وشرف الدين ابن معطي، وابن الغماز، وابن عبد الرفيع القاضي، وأبو الشمل جماعة بن مهيب، وأبو عبد الله محمد بن أحمد التجاني وأبناء عمه عمر وعلي، وابن عجلان، ومحمد بن إبراهيم القيسي السلولي ومحمد بن حماد اللبدي، وابن سيد الناس، وابنه **أبو الفتح، وابن عبد النور، والمومناني،** والخطيب **ابن صالح الكتاني، وابن عياش المالقي، والمشدالي، وابن هرون، والخلاسي، والدباغ، وابن سماك، وابن أبي السداد، وابن رزين، وابن مستقور، وأبو الحسن بن فضيلة، وأبو بكر بن محرز.** وكتب له من أهل **المشرق** جماعة منهم: **الأبرقيشي وابن أبي الفتح الشيباني، وابن حمادة، وابن الطاهري، وابن الصابوني، وابن تيمية، وابن عبد المنعم المفسر، وابن شيبان، وابن عساكر، والرضي الطبري، وابن المخزومي، وابن النحاس.** قلت من أراد استيفاءهم ينظر الأصل. فقد طال على استيفاء ما ذكره الشيخ رحمه الله. وقد ذكر

جماعة من النساء، ثم قال بعد تمام ذلك، ولو قصدنا الاستقصاء لضاق عن مجاله المتبع.

شعره

وشعره متخل عن محله من العلم والشهرة، وإن كان داخلاً تحت طور الإجادة. فمن ذلك قوله [1]:

تـــراءى سحيـــراً والنسيم عليـــل
وللنجـــم طرف بالصبـــاح كليـــل

وللفجـــر بحر [2] خاضه الليل فاعتلت
شوى أدهم الظلمـــاء منه خجـــول[3]

بريـــق بأعـــلى الرقمتيـــن كأنـــه
طلائـــع شهب في الســـواد تجـــول

فمزق ســـاجي الليـــل منه شرارة
وخرق ستـــر الغيـــم منه نصـــول

[1] هي كما تبدو قصيدة مديح للوزير الكاتب ابن الحكيم الرندي. وهي من البحر الطويل.
[2] في النفح: ((نهر)).
[3] نفسه: ((حجول)).

تبســـم ثغر الروض عند ابتسامـــه
وفاضـــت عيون للغمـــام همـــول
ومالـــت غصون البان نشوى كأنها
يـــدار عليهـــا من صبـــاه[1] شمـــول
وغنـــت على تلك الغصون حمايـــم
لهـــن حفيـــف فـــوقهـــا وهديـــل
إذا سجعت في لحنهـــا ثم قرقـــرت
يطيـــح خفيـــف دونهـــا وثقيتـــل
سقى اللـــه ربعاً لا تزال تشوقـــني
إليـــه رســـوم دونـــه وطلـــــول
جـــاد ريـــاه[2] كلمـــا ذر شـــارق
من الودق هتـــان أجـــش هطـــول
ومـــالي استسقي الغمام ومدمـــعي
سفوح على تلك العراص[3] همـــول

[1] في الإسكوريـال: حيـاه؛ وصوبـت مـن النفـح.
[2] في النفـح: ((ربـاه))؛ بالبـاء الموحـدة التحتيـة.
[3] أي علـى تلـك المساحـات الواسعـة بيـن الـدور.

وعاذلـــة ظلت[1] تلوم على الســـرى
وتكثـــر مـــن تعـــذالهـــا وتطيـــل
تقـــول إلى كـــم ذا فراق وغربـــة
ونـــأي على ما خيلـــت ورحيـــل
ذريني أسعى للتى تكســـب العـــلا
سنـــاء وتبـــقي الذكـــر وهو جميل
فإما تريـــني من ممارســـة الهـــوى
نحيـــلاً فحـــد المشـــرفي نحيـــــل
وفـــوق أنابيـــب اليراعـــة صفـــرة[2]
تزيـــن وفـــي قـــد القنـــاة ذبـــول
ولولا السرى لم يجتل البدر كامـــلاً
ولا بـــات منـــه للسعـــود نزيـــل
ولولا اغتراب المرء في طلب العلا
لما كان نحو المجـــد منه وصـــول

---

[1] في النفـح: ((باتـت)).
[2] نفسـه: ((صَعْدة)).

ولـــولا نـــوال[1] ابن الحكيـــم محمد

لأصبـــح ربع المجـــد وهو محيـــل

وزيـــر سما فـــوق السماك جلالـــة

وليـــــس لـــه إلا النجـــوم قبيـــل

من القـــوم أمـــا في النـــدى فإنهم

هضـــاب وأما في النـــدى فسيـــول

حـــووا شرف العلياء إرثاً ومكسباً

وطابـــت فـــروع منهـــم وأصـــول

وما جونـــة هطَّالـــة ذات هيـــذب

مرتهـــا شمـــال مرجـــف وقبـــول

لها زجـــل مـــن رعدهـــا ولوامـــع

مـــن البرق عنهـــا للعيـــون كلول

كما هدرت وسط القلاص وأرسلت

شقشقهـــا عنـــد الهيـــاج فحـــول

بأجـــود من كـــف الوزيـــرمحمـــد

إذا مـــا توالـــت للسنيـــن محـــول

---

[1] في النفـح: ((اغتـراب)).

ولولا[1] روضة بالحســن[2] طيبة الشذا

ينـــم عليهـــا إذخـــر وجليـــل

وقد أذكيت للزهـــر فيهـــا مجامـــر

تعطـــر منهـــا للنسيـــم ذيـــول

وفي مُقــل النُّوار للظّــل[3] عبـــرة

ترددهـــا أجفانهــــا وتُحيـــل

بأطيـــب من أخلاقـــه الغـــر كلمـــا

تفاقـــم خطـــب للزمـــان يهـــول

حويـــت أبـــا عبـــد الإلـــه مناقبـــا

تفوت يـــداً[4] من رماهـــا وتطـــول

فغرناطـــة مصر وأنـــت خصيبهـــا

ونائـــل يمنـــاك الكريمـــة نيـــل[5]

---

[1] في النفح: ((ولا)).

[2] في الإسكوريال: ((بالحزن))؛ وصوبت من النفح.

[3] في النفح: ((للطلِّ)).

[4] نفسه: ((يدي)).

[5] اقتبس هذا المعنى من قول أبي نواس الخصيب:

((أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر)).

فـــداك رجـــالٌ حالوا درك العـــلا

ببخـــل وهـــل نـــال العلاء بخيـــل

تخيرك المـــولى وزيـــرا وناصحا

فكـــان لـــه ممـــا أراد حصـــول

وألـــقى مقاليـــد الأمـــور مفوضـــا

إليـــك فلـــم يعـــدم يمينـــك ســـول

وقـــام بحفـــظ الملـــك منك مؤيـــد

نهـــوضٌ بمـــا أعيـــا ســـواك كفيل

وســـاس الرعايـــا منك أروع[1] باسل

مبيـــد العـــدا للمعتفيـــن منيـــل

وأبلـــج وقّـــاد الجبيـــن كأنمـــا

عـــلى وجنتيـــه للنضـــار مسيـــل

تهيـــم بـــه العليـــاء حـــتى كأنهـــا

بثينتـــه في الحـــب وهـــو جميـــل

له عزمـــات لو أعيـــر مضاءهـــا

حُســـام لمـــا نالـــت ظبـــاه فلـــول

---

[1] في النفـح: ((أشْـوَسُ)).

سرى ذكره في الخافقيـــن فأصبحت
إليـــه قلـــوب العالميـــن[1] تميـــل
وأعـــدى قريـــضي جـــوده وثناؤه
فأصبـــح في أقصى البـــلاد يجول
إليـــك أيـــا فخـــر الوزراة أرقلـــت
برحـــليّ هوجـــاء النجـــاء ذلـــول
فليـــت إلى لقيـــاك ناصيـــة الفـــلا
بأيـــدي ركـــاب سيرهـــن ذميـــل
تســـددني سهمـــا لكـــل ثنيـــة
ضوامـــر أشبـــاه القـــسي نحـــول
وقد لفظتني الأرض حتى رمت إلى
ذراك بِرَجْـــلِي[2] هوجـــل وهجـــول
فقيـــدت أفـــراسي بـــه وركـــائبي
ولـــذّ مقـــامٌ لي بـــه وحلـــول

[1] جاءت في الإسكوريال: ((العلمين))؛ وصوبت من النفح.
[2] في النفح: ((برحلي)).

وقـــد كنت ذا نفـــس عزوف وهمَّة
عليهــا لأحــداث الزمـــان ذحول[1]

ويهـــوى العلا حظي ويغرى بضده[2]
لـــذاك اعترتـــه رقَّـــة ونحـــول

وتـــأبى لي الأيـــــام إلا إدالـــــة
فصونـــك[3] لي إن الزمـــان مديـــل

فكل خضـــوع في جنابـــك عـــزة[4]
وكل اعتـــزاز قد عـــداك[5] خمـــول

وهي طويلة، ومن شعره [في الحنين إلى وطنه سبتة] [6]:

ســـقى ثرى سبتة بين البلاد
وعهدها المحبوب صوب العهاد

---

[1] في الإسكوريـال: ((دخـول))، وفي النفـح: ((دحـول))؛ فصـوب ذلـك عنـان)).
[2] ورد هـذا الشطر في النفـح هكـذا: ((وتـهـوى العلا حـظي وتفـرى بضـده)).
[3] في الإسكوريـال: ((بصونـك)).
[4] نفســه: ((غـرة))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[5] أي قـد جـاوزك.
[6] أضـاف عنـان العبـارة الواردة بين الحاصرتين. والقصيدة من البحر السريع.

وجـــاد منهــل الحيا ربعهــا
بوبلـــه تلـــك الـــربى والوهـــاد
وكـــم لنـــا في طـــور سينائهـــا
مـــن رائـــح للأنس في إثر غاد
وعينهـــا البيضـــاء كـــم ليلـــةٍ
بيضـــاء فيها قـــد خلت لو تعاد
وبالمنـــارة الـــتي نورهـــا
لكـــلّ مـــن ضل دليـــل وهـــاد
نـــروح منهـــا مثلمـــا نغتـــدي
للأنـــس والأفـــراح ذات ازدياد
في فتيـــة مثـــل نجـــوم الـــدجى
مـــا منهـــم إلاّ كريـــم جـــواد
ارتشفـــوا كـــأس الصفـــا بينهم
وارتضعوا أخلاف محض الوداد
وبالأيـــــــام بِنْيولِـــش[1] لقـــد
عـــدت عنها صـــروف العواد

[1] **بنيولـش: هي إحـدى الضـواحي الجميلـة بسبتـة.**

أدركـــت مـــن لبـــنى بهـــا كلما
لبانـــــة وساعدتـــني سُعـــاد
ونلـــت مـــن لذَّات دهري الـــذي
قـــد شيتـــه وللأمـــاني انقيـــاد
منـــازل مـــا إن عـــلى مُبِـــدل
هـــاءً مكـــان اللام فيهـــا انتقاد
سلوتهـــا مـــذ ضمـــنى بعدهـــا
نادى الوزيـــرابن الحكيم الجواد

ومن المقطوعات قوله [1]:

أبـــت همـــتي أن يـــراني امرؤ
على الدهر يومـــا له ذا خضوع
ومـــا ذاك إلا لأني اتقيـــت
بعـــزِّ القناعـــة ذلَّ القنـــوع[2]

---
[1] البحـر المتقـارب.
[2] هكـذا في الإسكوريـال، وفي النفـح: ((الخشـوع)).

ومن ذلك في المشط والنشفة من آلات الحمَّام [1]:

إني حســدت المشــط والنشف الذي
لهمــا مزايــا القــرب دوني مخلصهْ
فأنامــل مــن ذا تباشــر صدغــه
ومراشــف مــن ذا تُقَبِّــلُ أخْمَصَــهْ

نثره

وقع هنا بياض مقدار وَجْهَة في أصل الشيخ.

مولده

ولد ببلده سبتة في عام ستة وسبعين وستماية [2].

---

[1] البحر الكامل.
[2] الموافق لـ 1277م.

وفاته

وتوفي **بتونس** في الثاني عشر لشوال من عام تسعة وأربعين وسبعماية [1] في وقيعة الطاعون العام، بعد أن أصابته نبوة من مخدومه السلطان **أبي الحسن** [2]، ثم استعتبه وتلطف له. وكانت جنازته مشهورة، ودفن **بالزّلاج**؛ من جبانات خارج **تونس**. رحمة الله.

***

[1] الموافق لـ 1348م.

[2] هو السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق. سبق الحديث عنه.

عبد المهيمن بن محمد

الأشجعي البلزوذي [1]، نزيل مراكش.

حاله

من كتاب(**المؤتمن**) [2]، وقال، كان شاعرا مكثرا، سهل الشعر، سريعه، كثيرا ما يستجدي به، وكان يتقلد مذهب **أبي محمد علي بن حزم** الفقيه الظاهري، ويصول بلسانه على من نافره. دخل **الأندلس**، وجال في بلادها، بعد دخوله **مراكش**، وكان أصله من **بلَّذوذ**. ورد **مالقة** أيام قضاء **أبي جعفر بن مسعدة،** وأطال بها لسانه؛ فحمل عليه هنالك حملاً أذاه، إلى أن كان مآل أمره ما أخبرني به شيوخ **مالقة**، وأنسيته الآن، فتوصَّل إلى مآل أمره من جهة من بقي بها الآن من الشيوخ، نقلت اسمه ونسبه من خطِّه.

---

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال، وسقطت في الزيتونة.

[2] كتاب المؤتمن في أنباء أبناء الزمن؛ ألفه أبو البركات بن الحاج. سبقت الإشارة إليه.

شعـره [1]

أمــا على ذي شــرك   في صيدنــا مــن درك
تصيدنــا لواحـــظ   ومــا لهــا مــن حــرك
والبــدر إن غاب فمــن   يجلــو ظــلام الحلـــك
قد تــاب القلــب[2] فمــا   يــدري إن لــم تــدرك[3]
عــدا السقــام أو عـــدا   وعــد الــذي لــم يأفــك
أولــن[4] يكــن حــلٌّ دمي   فلتبــطى[5] أو أتـــرك
حاربــت مــن لا قــدرة   لديــه في المعتـــرك
يفــلُّ غــرب سيفـــه   سيــف لحــاظ فتـــك
يــا لفــتى يــا قبلــتي   يا حجــتي يــا نســك[6]
إن عظــم الحــزن فمــا   أرجــل حســن فلـــك[7]
أو أهديــــت الـــحيَّ   فــلا بــن عبــد الملــك[8]

---

[1] مجزوء الرجز.
[2] جعلها د. طويل: ((القلب)).
[3] جعلها د. طويل: ((تدركي))؛ بإضافة ياء المخاطبة.
[4] جعلها د. طويل: ((أولم)).
[5] جعلها د. طويل: ((فلتبطي)).
[6] جعلها د. طويل: ((نسكي))؛ بإضافة ياء المخاطبة.
[7] جعلها د. طويل: ((الفلك)).
[8] هذا الشطر مختل.

خطيب ومران للذي سلك على سلك
رُكن التُّقا محمد ذو النُّبل والطبع الزَّك[1]
منفردٌ في جوده بماله المشترك
يا نوق هذا بابه فهو أجلُّ مبرك
وأنت يا حادية قَرُبتِ ما أسعدك
فبرِّكي وكبِّري وأبركي وبرك
فقد أتينا بشراً له صفات الملك
كفك يهمي ملكت كأنها لم تملك
قصيدتي لو لم تنل منك حلى لم تسبك
أبكيت ديمة الندا فزهرها ذو ضحك
لكنني يا سيدي من فاقتي في شرك

وشعره على هذه الوتيرة. حدثني أبي، قال: رايته رجلاً طوالاً، شديد الأدمة، حليق الرأس، دمينه، عاريه، كثير الاستجداء، والتهاتر مع المحابين من أدباء وقته، يناضل عن مذهب الظاهرية بجهده.

---

[1] **جعلها د. طويل: ((الزكي)).**

وفاته

من خط الشيخ **أبي بكر بن شبرين**: وفي عام سبعة وتسعين وستماية [1] توفي **بفاس** الأديب **عبد المهيمن المكناسي**، المكتنى **بأبي الجيوش البلذوذي**؛ وكان ذا هذر وخرق، طوافاً على البلاد، ينظم شعراً ضعيفاً، يستمنح به الناس، وآلت حاله إلى أن سعي به **لأبي فارس عزوز الملزوزي** [2] الشاعر، شاعر السلطان **أبي يعقوب** وخديمه، وذكر له أنه هجاه، فألقى إلى السلطان ما أوجب سجنه، ثم ضربت عنقه صبراً، نفعه الله.

***

---

[1] **الموافق لـ 1297م.**

[2] **حرّف الاسم في الإسكوريال؛ فكتب: ((الملزومي))؛ وصوبه عنان.ز**

عبد العزيز بن عبد الواحد

ابن الملزوزي،[1] من أهل العدوة الغربية؛ يكنى أبا فارس، ويعرف بعزّوز.

حاله

كان شاعراً مكثراً سيال القريحة، منحط الطبقة، متجنداً، عظيم الكفاية والجرأة، جسوراً على الأمراء، علق بخدمة الملوك من **آل عبد الحق** وأبنايهم، ووقف أشعاره عليهم، وأكثر النظم في وقايعهم وحروبهم، وخلط المعرب باللسان **الزناتي** في مخاطباتهم، فعرف بهم، ونال عريضاً من دنياهم، وجماً من تقريبهم. واحتل بظاهر **غرناطة** في جملة السلطان، أمير المسلمين **أبي يعقوب**، وأمير المسلمين أبيه، واستحق الذكر بذلك.

[1] وردت هذه الترجمة في الإسكوريال؛ وسقطت في الزيتونة. وسمي في مخطوط الإسكوريال كما يلي: ((عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد الملزمي))؛ وهذا تحريف. وقد أثبت عنان الاسم أعلاه نقلا عن مخطوط أرجوزة هذا الشاعر المسماة: (نظم السلوك). والملزوزي: نسبة إلى القبيلة الأمازيغة الزناتية ملزوزة.

شعـره

مـن ذلـك أرجـوزة نظمهـا **بالخضـراء** في شـوال سنـة أربـع وثمانيـن وستماية [1]، ورفعهـاً إلى السلطـان أميـر المسلميـن **أبي يوسـف بـن عبـد الحـق**، سماهـا: (بنظـم السلـوك، في الأنبيـاء والخلفـاء والملـوك) لـم يقصـر فيهـا عـن إجـادة.

ومـن شعـره

قـال مخبـراً عـن الأميـر **أبي مالـك عبـد الواحـد ابـن أميـر المسلميـن أبي يوسـف** [2]:

دعاني يوماً والسما قد ارتدت بالسحايب
والغيـــث يبكي بالدموع السواكـــب
كأنه عاشق صد عنـــه حبيبـــه
ففاضت دموعه عليه وكثر نحيبـــه
ولـــم يـــــرق لـــه مدمـــــع
كأنـــه لم يبق لـــه فيـــه مطمـــع

[1] الموافـق لـ 1285م.
[2] بحـر الرجـز.

فكـــان الوعـــد حسرتـــه

والبـــرق لوعتـــه وزفرتـــه

فقـال لي ما أحسـن هـذا اليـوم

لو كان في غيـر شهـر الصوم

فاقتـرح غايـة الاقتـراح عـلي

وقـال قل فيه شعـراً بين يـدي

فأنشدته هذه الأبيات[1]:

اليـوم يـوم نزهـة وعقـار

وتقـرب الآمـال والأوطـار

أو ما ترى شمس النهار قد اختفـت

وتستـرت عن أعين النظـار

والغيـث سـح غمامـه فكأنـه

دنف بـكى من شـدة التذكـار

والبـرق لاح من السماء كأنـه

سيـف تألـق في سماء غبـار

[1] البحر الكامل.

لا شيء أحسن فيه من نيل المنى
بمدامتــه[1] تبدو كشعلــة نـــار
لولا صيام عاقــني عن شربهـــا
لخلعــت في هذا النهار عــذار[2]
لو كان يمكــن أن يعار أعرتـــه
وأصوم شهراً في مكان نهـــار
لكن تركت سروره ومدامه
حــتى أكــون لديــه ذا أفكـــار
ونديرها في الكأس بين نواهــد
تجلو الهمــوم بنغمـــة الأوتـــار
فجفونهـــا تغنيــك عن أكواسها
وخدودهـــا تغنيك عن أزهـــار

[1] **جعلها د. طويل: ((بمدامة)).**
[2] **أضاف د. طويل ياء المخاطبة؛ فغدت: ((عذاري)).**

فشكره لما سمعه غاية الشكر، وقال أسكرتنا بشعرك من غير سكر. قال، وأتيته بهذه الأبيات [1]:

أعلمت بعـــدك زفـــرتي وأنيـــني
وصبابـــتي يوم النـــوى وشجـــون[2]

أودعت إذ ودعت وجداً في الحشـــا
ما إن تـــزال سهامـــه تصميـــن[3]

ورقيب شوقـــك حاضـــر مترقـــب
إن رمت صبراً بالأسى يغريـــني

من بعد بعـــدك ما ركنـــت لراحـــة
يوماً ولا غاضت عليك شـــؤوني

قد كنت أبكي الدمع أبيض ناصعـــاً
فاليـــوم تبـــكي بالدمـــاء جفـــوني

قل للذيـــن قد ادعوا فرط الهـــوى
إن شيتـــم علـــم الهوى فسلـــوني

---

[1] البحر الكامل

[2] أضاف د. طويل ياء المخاطبة؛ فغدت: ((وشجوني)).

[3] أضاف د. طويل ياء المخاطبة؛ فغدت: ((تصميني)).

إنـــي أخـــذت كثيـــره عن عـــروة

ورويـــت سايـــره عن المجنـــون

هذي روايتنـــا عن أشياخ الهـــوى

فـــإن ادعيتـــم غيرهـــا فـــأروني

يا ساكـــني أكنـــاف رملة عالـــج

ظفرت بظبيكـــم الغريـــر يميـــني

كم بات في جنح الظـــلام معانقي

ومجنت في صفروى[1] إلى مجنون

في روضـــة نم النسيـــم بعرفهـــــا

وكذاك عرف الروض غير مصون

والورق من فوق الغصون ترنمـــت

فتريـــك بالألحـــان أي فنـــــون

تصغي الغصون لما تقول فتنثـــني

طرباً لها فأعجـــب لميل غصـــون

والأرض قد لبست غلايل سنـــدس

قـــد كللـــت باللؤلـــــؤ المكنـــون

---

[1] جعلها د. طويل: ((في صُفْر)).

تاهت على زهر السمـــاء بزهرها

وعلى البـــدور بوجهها الميمـــون

قال **أبو فارس**، وكان أمير المسلمين **أبو يوسف** سار إلى مدينة **سلا**، فبويع بها ولده **أبو يعقوب**، وذلك في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام أحد وسبعين وستماية [1]، يوم مولد **النبي** صلى الله عليه وسلم. فأنشدته يوم بيعته هذه القصيدة ورفعتها إليه [2]:

يا ظبيـــة الوعســـاء قد برح الخفـــا

إني صبـــرت على غرامك[3] ما كفى

كم قد عصيت على هـــواك عـــواذلي

وأناب بالتبعيـــد منـــك وبالجفـــــا

حملتـــني ما لا أطيـــق من الهـــوى

وسقيتـــني من عنـــج لحظك قرقفـــا[4]

---

[1] **الموافق لـ 1272م.**
[2] **البحر الكامل.**
[3] **هكذا في الإسكوريال؛ وفي نظم السلوك: ((فراقك)).**
[4] **القرقف: هو الخمر.**

وكسوتني ثــوب النحول فمنظـــري
للناظريـــن عن البيـــان قـــد اختفـــا
هـــذا قتيلـــــك فارحميـــه فإنـــه
قد صار من فرط النحـــول على شفا
لهـــفي على زمـــن تقضى بالحمـــا
وعلى محـــل بالإجيـــرع قـــد عفـــا
أتـــرى يعود الشَّمـــل كيف عهدتـــه
ويصيـــر بعـــد فراقـــه متألقـــــا
للـــه درك يـــا ســـلا مـــن بلـــــدة
من لـــم يعاين مثل حسنك ما اشتفـــا
قد حُـــزتِ بـــراً ثـــم بحـــراً طامياً
وبـــذاك زدت ملاحة وتزخرفـــا
فـــإذا رأيـــت بهـــا القطائـــع خلتها
طيراً يحوم على الـــورود مرفرفـــا
والجاذفيـــن عـــلى الركيـــم كأنهـــم
قـــوم قد اتخـــذوا إمامـــاً مسرفـــا

جعـــل الصَّــلاة لهــم ركوعاً كلهـــا
وأتى ليشرع في السجــود مخففـــا

والمـــوج[1] يـــأتي كالجبـــال عبابـــه
فتظنـــه فـــوق المنـــازل مشرفـــا

حـــتى إذا مـــا المـــوج أبصر حـــده
غضَّ العنـــان عن السُّـــرى وتوقفـــا

فكأنـــه جيـــش تعـــاظـــم كثـــــرة
قـــد جـــاء مزدحمـــاً يبايع يوسفـــا

ملـــك بـــه ترضى الخلافـــة والعلا
وبـــه تجـــدد في الرياســـة ما عفـــا

من لم يزل يسبي الفوارس في الوغى
إن ســـل في يوم الكريهـــة مرهفـــا

ألفـــت محبتـــه القلـــوب لأنـــــه
ملك لنا بالجـــود أضحى متحفـــا

ألـــقى إليـــه الأمـــر والـــده الـــذي
عن كل خطـــب في الورى ما استنكفـــا

---

[1] في الإسكوريـال: ((والمـوت))؛ وصوبـت مـن نظـم السلـوك.

يعقــوب الملــك الهمــام المجتبــا
الماجــد الأوفى الرحيــم الأرأفــا
يهــواه مــن دون البنيــن كأنمــا
يعقــوب يعقــوب ويوسف يوسفــا
طــوبى لمــن في النــاس قبل كفــه
والويــل منــه لمن غــدا متوقفــا
أعطــاك ربــك وارتضــاك لخلقــه
فاقتــل بسيفــك مــن أبا وتخلفــا
وامــدد يمينــك للوفـــود فكلهــم
لليــوم عــاد مــؤمــلاً متشوفــا
فايــوم لا تخــشى النعــاج ذيابهــا
ويعــود مــن يسطــو بها متعطفــا
صلــح الزمــان فــلا عــدو يتــقى
لم يخــش خلــق في علاك تخوفــا
لــم لا وعدلــك للبريــة شامــل
طبعــاً وغيــرك لا يــزال تكلفــا

يا مـــن ســـررت بملكـــه وعلايـــه
اليـــوم أعلـــم أن دهـــري أنصفـــا
فـــإذا ملكـــت فكـــن وفياً حازمـــــاً
واعلـــم بأن الملـــك يصلـــح بالوفـــا
وأفـــض بذلك للوجـــود وكن لهـــم
كهفـــاً وكـــن ببعيدهـــم مستعطفـــا
فالجـــود يصلـــح ما تعلَـــم في العُلا
وســـواه يفسد في الخلافـــة ما صفـــا
إن البريَّـــة فـــي يديـــك زمامهـــا
فاحـــذر فديتـــك أن تكـــون مُعَنِّفـــا
يا مـــن تسربـــل بالمكـــارم والعـــلا
مـــا زال حاسدكـــم يريـــد تأسفـــــا
خذها إليـــك قصيـــدة مـــن شاعـــر
في نظـــم فخرك كيف شا[1] تصرفـــا
خضع الكـــلام لـــه فصـــار كعبـــده
ما شـــاء يصنـــع ناظمـــاً ومؤلفـــا

[1] أضاف د. طويل الهمزة؛ فغدت: ((شاء)).

لا زالت الأمجـــاد تخـــدم مجدكـــم

ما زارت الحجـــاج مروة والصفـــا

ومن شعره في رثاء الأمير **أبي مالك** [1]:

سهـــم المنيَّـــة أيـــن منـــه فـــرار

مـــن في البرية من رجاه يجـــار

حكـــم الزمان على الخلايـــق بالفنـــا

فالـــدار لا يبـــقى بهـــا ديـــــار

عش ما تشاء فإن غايتـــك الـــردى

يبلى الزمـــان وتذهـــب الأعمار

فاحـــذر مسالمـــة الزمـــان وأمنـــه

إن الزمـــان بأهلـــه غـــــدَّار

وانظر إلى الأمراء قد سكنوا الثـــرى

وعليهـــم كـــأس المنـــون تـــدار

تركوا القصـــور لغيرهـــم وترحلـــوا

ومـــن اللُّحـــود عليهـــم أستـــار [2]

---

[1] **البحـر الكامـل.**

[2] **هكـذا تكـرر هـذا الشطـر في الإسكوريـال؛ ويبـدو أنـه نتيجتة سهـو.**

قـــد وســـدوا بعد الحريـــر جنـــادلا
ومـــن اللحـــود عليهـــم أستـــار
مُنعوا السُّرى للقباب وأسكنوا بطن الثرى[1]
حكمـــت بـــذاك عليهـــم الأقـــدار
لـــم تنفع الجرد الجيـــاد ولا القنـــا
يوم الـــرَّدى والعسكـــر الجـــرَّار
في موت عبد الواحد الملك الرِّضـــا
لجميـــع أمـــلاك الورى إنـــذار
أن ليـــس يبـــقى في الملوك مملـــك
إلا أتتـــــه منيَّـــة وبـــــوار
ناديتـــه والحـــزن خامـــر مهجتي
والقلـــب فيـــه لوعـــة وأوار
يا من ببطـــن الأرض أصبـــح آفلا
أتغيـــب في بطن الثَّـــرى الأقمار
أين الذين عهدت صفـــو ودادهـــم
هل فيهـــم بعـــد الردى لـــك جار

[1] جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((مُنعوا القباب وأسكنوا بطن الثرى)).

تركوك في بطـــن الثَّـــرى وتشاغلوا
بعُـــلا ســـواك فهجرهـــم إنكـــار
لمـــا وقفـــــت بقبـــــره مترحِّمـــا
حان العـــزا[1] وهاجـــني استعبـــار
فبكيـــت دمعـــا لـــو بكـــت بمثالـــه
غـــرٌّ السَّحـــاب[2] لم تكـــن أمطار
يـــا زايريـــه استغفـــروا لمليككـــم
ملـــك الملـــوك فإنـــه غفَّـــار

وفاته

توفي خنقاً بسجن **فاس**؛ بسعاية به، جناها تهوُّره في وسط عام سبعة وتسعين وستمائة[3]، وقد كان جُعل له النَّظر في أمور الحسبة ببلاد **المغرب**.

***

[1] أضاف د. طويل الهمزة في ألاخر؛ فأضحت: ((العزاء)).
[2] جعلها د. طويل: ((السحائب)).
[3] الموافق لـ 1297م.

***

عبد العزيـز بـن عبـد الله

ابـن عبـد العزيـز الأسـري العـراقي؛ مـن أهـل وادي آش، نـزل سلفـه طُـرُّش من أحوازهـا، وجـدُّه استوطنهـا، وذكـروا أنـه كان لـه بهـا سبعـون غلامـا.
وجدُّه للأم أبـو الحسـن بـن عمـر؛ شـارح الموطـأ ومسلـم؛ ومُصَنّف غيـر ذلك.
كذا نقلتـه عـن أبي عبـد الله العـراقي، قريبـه.

حالـه

كـان طبيباً، شاعـراً مجيداً، حسـن الخـط، طريـف العمـل، مشاركـاً في معـارف، تـولّى أعمـالاً نبيهـة.

شعـره

نقلتـه مـن خطّـه مـا نصـه [1]:

صرفــت لخيــر صدر في الزمان
عريــق في أصالتـــــه عِنــــان
كريــم المنتــمي مــن خيــر بيت
سليــلُ مجــادة ورفيــع شـــان

[1] البحـر الوافـر.

رحيــب بنــا[1] فضــل غيــر وان
عــن الأفضـــال في هــذا الأوان
ومــن هــذا أذاك هــو ابن عيسى
محمــد المُعــان عــلى المعــان
أبــو عبــدلي إنـــه[2] المنتــمي من
مُســاوي الفضل في سُرى[3] العنان
ذراني في مجادتــــه محبَّــا
فهــشَّ لمــا بــه يحــوي جنــان[4]
فأُنْــسٌ ثــم بَشــرٌ بالأمــاني
ورفــعٌ بعــد تــأنيــس مكــان
وســرٌّ الله مــا أولى ليُــــرَ[5]
وليــس كمــن رآني فازدران
ويوجــب ذو الفضايــل كــل فضل
بمــا فيهــا ترشَّحــت الأوان

---

[1] جعلها د. طويل: ((بان)).
[2] جعلها د. طويل: ((أبو عبد الإله)).
[3] جعلها د. طويل: ((سرو)).
[4] جعلها د. طويل: ((حناني)).
[5] جعلها د. طويل: ((لرأى)).

وكـــم   زهـــر رآه وســـط روض
وكـــم   هـــاذٍ   يـــدي بيـــن الدِّنـــان
بمالقـــة   وبالأقطــــــار   أضحــت
معاليكـــم   مُشَيَّـــدة   المبــــــان
فأَبـــدوا   الالـــه   لســـوف يـــأتي
لكـــم مـــنّى سوابـــق   في الرهـــان
قـــواف[1] مـــن   الحكـــم   قـــواف
مُحامـــد   للسَّمـــــاع   وللعِيـــان
يفـــوق   نظيمهـــا   من كل   معـــنى
سلـــوك   الدُّر من   حَلْي   الحِســـان
مـــتى خفَّ ازدحـــام من همـــومي
ورُجيـــت الأمـــان[2] مَـــعْ أمـــــان
شكـــرت   اللـــه ثم صفا فـــــؤادي
وأُمْـــلي مـــا تحـــبُّ على   لســـان[3]

---

[1] **جعلها د. طويل: ((قواف كم منَ...)).**
[2] **جعلها د. طويل: ((الأماني)).**
[3] **جعلها د. طويل: ((لساني)).**

فهأنـــذا ببِّركـــم غـــذائي ولـــي
منكـــم عـــلى بُعـــــدي تـــــدان
محبُّـــك حيـــث كنـــت بـــلا سُلُـــوٍّ
وضيفـــك في البعاد وفي التَّـــوان
ثنـــائي ثابـــت يبـــقى بقـــــايي
ومن بعدي على طـــول الزمـــان
ومـــا تهـــبُ الأكـــفُّ قـــراك فان
وما تهب الطُّـــروس فغيـــر فـــان
هنيئـــاً بالنَّزاهـــة فـــي ســــرور
ومـــع من لا له في الفضـــل ثـــان
فـــلا زالـــت مسرتـــه تُـــوالي
ولا زالـــت تُـــزفُّ لـــك التَّهـــان

وفاته

بِبلـدة **وادي آش** ؛ عـام خمسة عشر وسبعماية[1].

***

[1] **الموافق لـ 1315م**

عبد القادر بن عبد الله

ابن عبد الملك بن سوّار المحاربي.

حاله

هذا الرجل دَمِث الأخلاق، بعض خدمه، وأقام **بغرناطة** أياماً يحاضر محاضرة يُتَأَنَّس به من أجلها الطالب، وينتظم بها مع أولي سكون، وقور. خدم أبوه **بغرناطة** كاتباً للغزاة، منوَّهاً به، مشهوراً بكرم وظرف. وانتقل إلى العدوة، ونشأ ابنه المذكور بها، وارتسم بخدمة ولي العهد الأمير **أبي زيَّان**، وورد على **الأندلس** في وسط عام سبعة وخمسين وسبعماية[1] في الخصوصية من أهل طريقه، وينقل حكايات مستطرفة. فمنم ذلك أن الشيخ **عبد الرحمن بن حسن القروي الفاسي**؛ كان مع **أبي القاسم الزياني بجامع القرويين** ليلة سبع وعشرين من رمضان؛ فدخل[2] عليهم **ابن عبدون المكناسي**، فتلقاه **الزياني**

---

[1] **الموافق لـ 1356م.**

[2] **في الإسكوريال: ((دخل))؛ وصوبها عنان.**

وتأيده، وتوجهوا إلى الثُّريَّا **بالقرويين** وقد أوقدت، وهي تحتوي على نحو ألف كاس من الزجاج، فأنشد **الزياني**[1]:

أنظــر إلى ناريَّــة نورهــا

يَصـْـدعُ بــالألإ حجــب الغَسَــق.

فقال ابن عبدون [2]:

كأنهــا في شكلهــا زهــرة

انتظــم النــور بهــا فاتَّسـق

وحُكيت القصة للأديب الشهير **أبي الحكم مالك بن المُرحَّل**، فقال: لو حضرت أنا لقلت [3]:

أعيذُهــا مــــن شــر ما يُتَّــقى

من فجــأة العيــن بربِّ الفلَــق

واستُنْشِدَ من شعره في الثامن والعشرين لربيع الآخر من العام بقصر نَجْد، فقال من حكايات، إن السلطان أمير المسلمين وجد يوماً على رجل أمر بتنكيله، ثم عطف

---

[1] **البحر السريع.**
[2] **البحر السريع.**
[3] **البحر السريع.**

عليه في الحال وأحسن إليه، وكان حاضراً مجلسه **أبو الحسن المزدغي** رحمه الله، فأنشده بديهة [1]:

لا تونسنـــك من عثمـــن سطوتُـــه
وإن تطايـــر من أثوابـــه الشـــرر
فـــإن سطـــوتـــــه واللـــه يكـــلأُه
كالبَـــرْق والرَّعد يأتي بعده المطـــر

قال المترجم به، فحدثني بذلك والدي، فتعقَّبْتُها عليه عام تسعة وعشرين وسبعماية، لموجب جرَّ ذلك بقولي [2]:

لا تَيْأَسَن من رجا كَهْـــف المـــلوك أي
سعيد المرتـــجى لَّلنفـــع والضَّـــرر
وإن بدا منه سخـــطٌ أو رأيت لـــه
من سطـــوة أقبلت ترميك بالشَّـــرر

---

[1] البحـر البسيـط.
[2] البحـر البسيـط.

فإنمـــا شيء مثل الرعــد يتبعُــه
برقٌ ومــن بعــده يَنْهــل المطــر

وأنشدني لبعض الأحداث من طلبة **فاس**، يخاطب صاحبنا الفقيه الكاتب **أبا عبد الله بن جُزَي**، وقد توعده على مَطْلٍ باستِنْسَاخ كتاب كان يتناول له وهو بديع [1]:

إذا ما أتت أبطـــال قيس وعامــر
وأقيـــال عبس من بغمام[2] وقســـور[3]
تصادمني وسط الفـــلا لا تهولـــني
فكيـــف أُبالي بابــن جزءٍ مُصَغَّــر

مولده

بفاس؛ في العشر الأول لذي حجة عام تسعة وسبعماية[4].

***

---

[1] البحر الطويل.
[2] يعتقد د. طويل أنه يقصد بغام بن الحارث بن عبد الله بن عمران؛ الذي يعتبر أول من أغار على الفرس من ناحية عمان.
[3] ويعتقد د. طويل أيضاً أن الشاعر يقصد: قسْوَرَة بن معلل بن الحجاج ابن جذيمة؛ الذي ولي سجستان في عهد بني أمية.
[4] الموافق لـ 1309م.

***

عبد الأعلى بن معلا

يكنى أبا المَعَلى الإلبيري، من قُرَى القلعة [1]، ونشأ بالحاضرة؛ وكان ينسب إلى خَوْلان.

ويذكر أنه أسلم على يدي رجل من **خولان**، فتولاه وانتسب إليه، وخرج إلى **إلبيرة**، ونشأ بها، وشُغِف بكتب **عبد الملك بن حبيب**، ولم يكن أحد في عصره يشبهه في فضله وزهده وورعه، وتواضعه وانقباضه، وتستُّره. أرسل إليه **حسين بن عبد العزيز** أخو **هاشم بن عبد العزيز**، وهو **بإلبيرة** يرغب إليه في أن يشهد جنازة ابنة توفيت له، كان يُشْغف بها، فتعذَّر عليه إذ خشي الشُّهرة.

وقال لبعض جلسائه، ما علمت أن حُسَيْناً يعرفني، وعمل على الخروج من **إلبيرة**، وتهيأ للخروج للحج، فحج، فلما كان منصرفه، ونزل في بعض السَّواحل، وجد هنالك مركبين يُشحنان، فرغب كل من أصحاب

[1] المقصود بها قلعة يحصب، أو قلعة بني سعيد؛ وقد سبق ذكرها.

المركبين، أن يركب عنده، وتنافسا في ذلك، حتى خُشي أن تقع الفتنة بينهم، فاهتم لذلك، ثم اصْطَلح أرباب المركبين، على أن يُخْرِج كل واحد منهما قارِبه إلى البرّ، فمن سبق قاربُه إليه دخل عنده. ونزل في منصرفه **ببجاية**[1]؛ وسكنها إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين[2].

***

---

[1] الصحيح: ((ببجانـة))؛ وهي في كورة إلبيرة بالأندلس. أما بجاية فهي بالمغرب الأوسط؛ وأنشأها الناصر بن علناس بن حماد ابن زيري بعد وفاة صاحب الترجمة؛ أي في سنة4578هـ.

[2] الموافق لـ 335م.

عبد المنعم بن علي

ابن عبد المنعم بن إبراهيم بن سيرراي بن طفيل
يكنى أبا العرب، ويشهر بالحاج، ويُدْعَى بكُنْيَتِه.

حاله

كان عالماً فاضلاً صالحا، منقطعاً متبتلاً، بارع الخطِّ، مجتهداً في العبادة، صاحب مُكاشفات، وكرامات. نَبذ الدنيا وراءَ ظهره، ولم يتلبَّس منها بشيء. ولا اكتسب مالاً ولا زوجة، ووَرث عن أبيه مالاً خرج عن جميعه، وقطع زمن فتايه في السّياحة وخدمة الصالحين، وزمان شيخوخته، في العُزلة والمراقبة، والتزام الخَلْوة. ورحل إلى الحج، وقرأ بالمشرق، وخدم مشايخ من الصالحين، منهم **الفَخْر الفارسي**، **وأبو عبد الله القرطبي** وغيرهما، وكان كثير الإقامة بالعُدْوة، وفشا أمره عند ملوكها، فكانوا يزورونه، ويتبرَّكون به، فيَعرِض عنهم، وهو أعظم الأسباب في جواز **أهل المغرب** لنُصرة من **بالأندلس** في أول **الدولة النَّصرية**، إذ كان **الرُّوم** قد طمعوا في استخلاصها،

فكان يحرّض على ذلك، حتى عزم صاحب **العدوة** على الجواز، وأخذ في الحركة، بعد استدعاء سلطان **الأندلس** إياه. وعندما تعرَّف **يَغْمُور**[1] **بن زيَّان** ملك **تلمسان** ذلك كله على بلاده بما منع من الحركة؛ فخاطبه **الحاج أبو العرب** مخاطبته المشهورة، التي كفَّت عدوانه، واقتصرته عما ذهب إليه.

وكان حياً في صفر عام ثلاثة وستين وستماية [2]، وهو تاريخ مخاطبته **أبا يحيى يغمور بن زيان.**

***

[1] يقصد يغمراسن بن زيان.
[2] الموافق لـ 1264م.

***

عبد الحق بن إبراهيم

ابن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين العكّي [1]؛ مُرسي، رقوطي [2] الأصل؛ سكن بآخرة مكة؛ يكنى أبا محمد، ويعرف بابن سبعين.

حاله

قال **ابن عبد الملك**: درس العربية والأدب **بالأندلس**، عند جماعة من شيوخها. ثم انتقل إلى **سبتة**، وانتحل التصوف، بإشارة بعض أصحابه، وعكف برهة على مطالعة كتبه، وتعرَّض بعد لإسماعها، والتكلم على بعض معانيها، فمالت إليه العامة، وغشيت محلَّه. ثم فصل عن **سبتة**، وتجول في **بلاد المغرب** منقطعاً إلى طريقة التصوف، داعياً إليها، محرضاً عليها. ثم رحل إلى **المشرق**،

[1] في الزيتونة: ((الحكي)). ولابن سبعين هذ؛ ترجمة أيضاً في وفيات الوفيات، والبداية والنهية، ونفح الطيب. ومقدمة كتاب ابن سبعين للدكتور عبد الرحمن بدوي.

[2] نسبة إلى بلدة رقوطة المتواجدة في الشمال الغربي من مرسية؛ وبالقرب من نهر شقورة Ricate.

وحج حِجَجاً، وشاع ذكره، وعظم صيته هنالك، وكثر أتباعه على مذهبه، الذي يدعو إليه من التصوف نحلة. ارتسموا بها من غير تحصيل لها، وصنَّف في ذلك أوضاعاً كثيرة، تلقوها منه، وتقلدوها عنه، وبثُّوها في البلاد شرقاً وغرباً، ولا يخلو أحد منها بطايل، وهي إلى وساوس المخبولين، وهذيان المَمْروضين أقرب منها إلى منازع أهل العِلْم، ولَفَظَه غير ما بلد وصُقع، لما كان يرمى به من بلايا الله أعلم بحقيقتها، وهو المطلع على سريرته فيها. وكان حسن الأخلاق، صبوراً على الأذى، آية في الإيثار، أبدع الناس خطاًّ.

وقال **أبو العباس الغُبْريني** في كتاب ((**عُنوان الدّراية**)) [1] عند ذكره: وله علم وحكمة ومعرفة، ونباهة وبلاغة وفصاحة. ورحل إلى **العدوة**، وسكن **بجاية** مدة، ولقيه من أصحابنا ناس [2] كثير، وأخذوا عنه، وانتفعوا به في فنون خاصة له، مشاركة في معقول العلوم ومنقولها،

---

[1] عنوانه بالكامل: ((عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية)).
[2] في عنوان الدراية: ((أناس))، وفي النفح: ((ولقي من أصحابنا ناساً كثير)).

ووجاهة لسان، وطلاقة قلم، وفهم جَنَان [1]، وهو آخر [2] الفضلاء، وله أتباع كثيرة من الفقراء، ومن عامّة الناس، وله موضوعات كثيرة، موجودة بأيدي الناس [3]، وله فيها ألغاز وإشارات بحروف أبي جاد، وله تسميات مخصوصات [4] في كُتبه هي نوع من الرُّموز وله تسْميات ظاهرة كالأسامي [5] المعهودة، وله شعر في التحقيق، وفي مراقي أهل الطريق، وكتابته مستحسنة في طريقة [6] الأدباء. وله من الفضل والمزية، ملازمته لبيت الله الحرام، والتزامه الاعتمار على الدوام، وحجته [7] مع الحجاج في كل عام، وهذه مزية لا يُعرف قدرها ولا يرام. ولقد مشى به **للمغاربة** بحظ في الحرم الشريف، لم يكن لهم في غير مدته. وكان أصحاب [8] **مكة** شرفها الله، يهتدون بأفعاله، بأفعاله، ويعتمدون على مقاله.

---

[1] أي فهم قلب.
[2] في النفح: ((وهو أحد العلماء الفضلاء)).
[3] نفسه: ((أصحابه)).
[4] نفسه: ((مخصوصة)).
[5] في الإسكوريال: ((كالأساري))؛ وصوبت في الزيتونة.
[6] في الإسكوريال، والنفح: ((طريق)).
[7] في النفح: ((وحجّه)).
[8] نفسه: ((أهل)).

قلت: وأغراض الناس في هذا الرجل متباينة، بعيدة عن الاعتدال، فمنهم الموهن[1] المُكَفَّر، ومنهم المقلّد المُعَظَّم، وحصل لطرفي هذين الاعتقادين من الشهرة والذياع ما لم يقع لغيره. والذي يقرب من الحق، أنه كان من أبناء الأصالة ببلده، ووُلّى أبوه خطة المدينة، وبيته نبيه، ونشأ تَرِفاً مبجَّلاً، في ظل جاه، وعزّ نعمة، لم تفارق معها نفسه البلد، ثم قرأ وشدا. ونظر في العلوم العقلية، وأخذ التحقيق عن **أبي إسحق بن دهاق**، وبرع في **طريقة الشَّوذية**[2]، وتجرد واشتهر، وعظُم أتباعه، وكان وسيماً جميلاً، ملوكي البزَّة، عزيز النفس، قليل التصنع، يتولى خدمته الكثير من الفقراء السَّفارة، أولي العبا والدقاقيس، ويحفون[3] به في السّكك، فلا يعدم ناقداً، ولا ولا يفقد متحاملاً. ولما توفرت دواعي[4] النقد عليه من الفقهاء زِياًّ وانتباذاً ونِحْلة وصُحبةً واصطلاحاً، كثر عليه التأويل، ووجهت لألفاظه المعاريض، وفُلّيت موضوعاته،

---

[1] في الإسكوريال، والنفح: ((المرهق)).
[2] الشوذية: هي إحدى الطرق الصوفية.
[3] في الزيتونة: ((يحتفوا)).
[4] في الإسكوريال: ((داعي))؛ وصوبت من الزيتونة.

وتعاورته الوحشة، ولقيه فحول من منتابى تلك النَّحلة، قصر أكثرهم عن مداه في الإدراك والاضطّلاع، والخوض في بحار تلك الأغراض، وساءت منه لهم في الملاطفة السيرة، فانصرفوا عنه مكظومين [1] يُنَدّرون [2] في الآفاق عليه من سوء القِيلة، ما لا شيء فوقه. ورحل إلى **المشرق**، وجرت بينه وبين الكثير من أعلامه خطوب. ثم نزل **مكة** شرفها الله تعالى واختارها قراراً، وتلمَّذ له أميرها، فبلغ من التعظيم الغاية، وعاقه الخوف من أمير المدينة المعظمة النبوية، عن القدوم عليها، إلى أن توفي، فعظم عليه الحمل لأجل ذلك، وقُبحت الأُحْدوثة.

شهرته ومحله من الإدراك

أما اضطلاعه، فمن وقف على (**البُدّ**) من كتبه، رأى سعة ذرعه وانفساح مدى نظره، لما اضطلع به من الآراء والأوضاع والأسماء، والوقوف على الأقوال، والتعمق في الفلسفة، والقيام على مذاهب المتكلمين،

[1] في النفح: ((مكلومين)).
[2] في الزيتونة: ((يتندرون)).

بما [1] يقضي منه العجب. ولما وردت على **سبتة** المسائل **الصّقلية** [2]، وكانت جملة من المسايل الحِكَمية، وجهها علماء **الروم** تبكيتاً [3] **للمسلمين**، انتدب إلى الجواب عنها، على فتي من سنه، وبديهة من فكرته. وحدثني شيخنا **أبو البركات** [4]، قال: حدثني أشياخنا من أهل **المشرق**، أن الأمير **أبا عبد الله بن هود**، سالم **طاغية النصارى**، فنكث عهده [5]، ولم يف بشرطه، فاضطره ذلك إلى مخاطبته [6] إلى **القومس** الأعظم **برومة**، فوكل **أبا طالب بن سبعين**، أخا **أبي محمد** [7]، المتكلم عنه، والاستظهار بالعقود بين يديه، قال: فلما [8] بلغ باب ذلك ذلك الشخص المذكور **برومة**، وهو بلد لا تصل إليه **المسلمون**، ونظر إلى ما بيده، وسُئل عن نفسه، كلم ذلك **القس** من دنا منه محله من علمايهم بكلام، ترجم **لأبي**

---

[1] في النفح: ((منه)).
[2] في الزيتونة: ((العقلية)).
[3] نفسه: ((تنكيثاً)).
[4] هو أبو البركات ابن الحاج البلفيقي. له ترجمة في الإحاطة.
[5] في النفح: ((فنكث به)).
[6] نفسه: ((مخاطبة القس الأعظم برومة)).
[7] نفسه: ((أبي محمد عبد الحق بن سبعين في التكلم عنه)).
[8] نفسه: ((فلما بلغ ذلك الشخص رومة)).

طالب بما معناه، اعلموا أن أخا هذا ليس **للمسلمين** اليوم أعلم بالله منه.

دعواه وإزراؤه

وقد شُهر عنه في هذا الباب كثير والله أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه أو غير ذلك. فقد ذكروا أنه قال ؛ وقد مرّ ذكر الشيخ **أبي مدين** رحمه الله: ((**شُعيب** عبد عمل، ونحن عبيد حضرة)). وقال **لأبي الحسن الشّشتري** عندما لقيه ؛ وقد سأله عن وجهته، وأخبره بقصده الشيخ **أبا أحمد**، إن كنت تريد الجنة فشأنك ومن قصدت، وإن كنت تريد ربّ الجنة فهلم إلينا، وفي ((**كتاب البُدّ**)) ما يتشوف إليه من هذا الغرض عند ذكره حكماء الملة. وأما ما يُنسب إليه من آثار **السّيمياء** والتصريف فكثير.

تواليفه

وتواليفه كثيرة تشذ عن الإحصاء، منها كتابه المسمى **بالبُدّ بُدٌّ العارف**، وكتاب **الدَّرج**، وكتاب **الصفر**، **والأجوبة اليمنية**، **والكلُّ والإحاطة**. وأما رسايله في الأذكار، **كالنورية في ترتيب السلوك**، وفي الوصايا

والعقايد فكثير، يشتمل على ما يشهد بتعظيم النبوة، وإيثار الورع، كقوله من رسالة: سلام الله عليك ورحمته. سلام الله عليك ثم سلام مناجاتك. سلام الله ورحمته المتدة على عوالمك كلها، السلام عليك أيها **النبي** ورحمة الله وبركاتها، وصلى الله عليك كصلاة **إبراهيم** من حيث شريعتك، وكصلاة أعز ملائكته من حيث حقيقتك، وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته. السلام عليك يا حبيبه [1]. السلام عليك يا قياس الكمال، ومقدمة السعد [2]، ونتيجة الحمد، وبرهان المحمود، ومن إذا نظر الذهن إليه قد أُنعم العيد [3]، السلام عليك يا من من هو الشرط في كمال الأولياء، وأسرار مشروطات الأزكياء الأتقياء. السلام عليك يا من جاوز في السماء [4] مقام الرسل والأنبياء، وزاد رفعة، واستولى على ذوات الملأ الأعلى، ولم يسعه في وجهته تلك إلاّ ملاحظة الرفيق

---

[1] **في النفح: ((يا حبيب الله)).**
[2] **نفسه: ((العلم)).**
[3] **نفسه: ((ومن إذا نظر الذهن إليه قرأ " نعم العبد ")).**
[4] **نفسه: ((السماوات)).**

الأعلى، وذلك قوله: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾[1]؛ إلى الأخرى والأولى، لا إلى الآخرة والأولى[2]، وبلغ الغاية والمطلوب، التي عجزت عنه قوة ماهية النهى، وزاد بعد ذلك، حتى نظر تحته من ينظر دونه سدرة المنتهى، إلى استغراق كثير، أفضى إلى حال من مقام.

ومن وصاياه يخاطب تلاميذه وأتباعه : حفظكم الله، حافظوا على الصلوات، وجاهدوا النفس في اجتناب الشهوات، وكونوا أوابين، توابين، واستعينوا على الخيرات بمكارم الأخلاق، واعملوا على نيل الدرجات السنية، ولا تغفلوا عن الأعمال السنية، وحصلو مخصص الأعمال الإلهية ومهملها، وذوقوا مفصل الذات الروحانية ومحملها، ولازموا المودة في الله بينكم، وعليكم بالاستقامة على الطريقة، وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة، ولا تفرقوا بينهما، لأنهما من الأسماء المترادفة، واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا، وقولوا عليها وعلى أهلها

---

[1] سورة الأعلى؛ الآية: 1.

[2] الآيتان هكذا: (والآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقى * إنّ هَذا لَفِي الصّحُفِ الأولَى). سورة الأعلى؛ الآيتان: 17 - 18.

لعنة الله، لأنها حقيقة كما سمي اللديغ سليما، وأهلها مهملون حد الحلال والحرام، مستخفون بشهر الصوم والحجج وعاشوراء والإحرام، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ومنها:

واعلموا أن القريب إلي منكم، من لا يخالف سنة أهل السنة ويوافق طاعة رب العزة والمِنَّة، ويؤمن بالحشر والنار والجنَّة، ويفضل الرؤية على كل نعمة، ويعلم أن الرضوان بعدها، أجلُّ كل رحمة، ثم يطلب الذَّات بعد الأدب مع الصفات والأفعال، ويغبط نفسه بالمشاهدة في النوم والبرزخ والأحوال، وكل مخالف سخيف، متهم منه الفساد، وإن كان من إخوانكم، فاهجروه في الله، ولا تلتفتوا إليه، ولا تُسْلموا له في شيء، ولا تسلموا عليه حتى يستغفر الله العظيم بمحضر الكل منهم، ويرضى عن نفسه وحاله وعنكم، ويخرج من صفاته المذمومة، ويترك نظام دعوته المحرومة. وأنا مذ أشهدت الله العظيم، أني قد خرجت من كل مُخالف متخلّف العقل واللسان، ولا

نسبة بيتي وبيته في الدنيا والآخرة، فمن زلَّ قدمه يستغفر الله، ولا يخدعه قدمه، وأمثال هذا كثير.

دخوله غرناطة

أخبرني غير واحد من أصحابنا المعتنين بهذا، أنه دخل غرناطة في رحلته، وأظنه يجتاز إلى سبتة، وأنه حل وسطه، على اصطلاح الفقراء، برابطة العُقاب[1] من خارجها، في جملة من أتباعه.

شعره

وشعره كثير، مما حضرني منه الآن قوله [2]:

كم ذا تموه بالشَّعبين والعلم
والأمر أوضح من نار على علم[3]

---

[1] هو رباط مخصص للعبادة؛ يقع شرقي غرناطة؛ ولا يبعد عنها. سبقت الإشارة إليه.
[2] البحر البسيط.
[3] أي على جبل.

وكم تعبِّــر عــن سلــع وكاظمــة
وعن زرود وجيران بــذي سلَــم

ظللت تُسئل[1] عن نجــد وأنت بهــا
وعن تِهامــة هــذا فعــل مُتَّهــم

في الحيِّ حتى ولا سوى ليلى وتسألها[2]
عنهــا سؤالــك وهم جــرَّ للعَدَم

وفاته

توفي **بمكة** شرفها الله تعالى يوم الخميس التاسع لشوال من عام تسعة وستين وستماية [3].

***

---

[1] في النفح: ((ظللت تسأل)).
[2] جاء هذا الشطر في النفح هكذا: ((في الحيِّ حَيٌّ سوى ليلى فتسأله)).
[3] الموافق لـ 1270م

وفيما يسمى بإحدى عيون الإسلام من الأسماء العينية؛ وهم: عتيق وعمر وعثمن وعلي؛ وأُوّلاً الأمراء والملوك؛ وهم ما بين طارئ وأُصلي وغريب

***

عمر بن حفصون

ابن عمر بن جعفر الإسلامي بن شمسم [1] بن دميان [2] ابن فرغلوش بن أذفونش [3]؛ كبير الثوار، وعظيم المنتزين؛ ومنازع الخلفاء بالأندلس.

أوليته وحاله

قال صاحب التاريخ: أصله من **رُندة**، من **كورة تاكُرُنّا**؛ وجده **جعفر إسلامي** [4]، وانتقل إلى **رندة**، لأمر دار عليه بها في أيام **الحكم بن هشام**، فسكن **قرية طَرجيلة** من **كورة ريُّه** المجاورة **لحصن أُوطة**. فاستوطن بها، وأَنْسَل بها **عمر**، ثم أنسل بها **عمر حَفْصاً**؛ وفُخّم فقيل

---

[1] هذا الاسم أضيف من الإسكوريال؛ بينما لم يذكر فيما عن عرف عن نسب عمر بن حفصون.

[2] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((ذبيان))؛ فصوبها عنان.

[3] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((أريوس))؛ فصوبها عنان. ولعمر بن حفصون ترجمة أيضاً في: تاريخ افتتاح الأندلس، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس، وكتاب المقتبس، والبيان المغرب، وكتاب العبر.

[4] المقصود هنا أن جده جعفر هو أول من أسلم من أسلافه.

حَفْصُون. ثم أنسل **عمر** هذا الثاير مع أخوة له، منهم **أيوب وجعفر**. ولما ترعرع **عمر**، ظهر له من شراسته وعتُوّه، ما لم يعدم معه أبواه هرباً عن مواضعهما فزالا عن وطنهما. فذكر أنه لم يمسك من حين كان عن أحد ممن ناظره، ولا سكت عن أقبح ما يمكن من السَّب لمن عاتبه، وأنه قتل أحد جيرانه على سبب يسير دافعه عنه، فتغرب لذلك عن الموضع زماناً.

وذكر **ابن القوطِّية**: أن عامل **ريُّه** [1]، عاقبه في جناية، وفرّ إلى **العدوة**، وصار يتهرب عند خياط كان من أهل **ريُّه**. فبينا هو جالس في حانوته يوماً، إذ أتاه شخص بثوب يقطعه، فقام إليه الخياط؛ فسأل ذلك الشخص الخياط عن **عمر**؛ فقال له هو رجل من جيراني؛ فقال الشيخ متى عهدك **بريُّه**؛ فقال له، منذ أربعين يوماً، فقال له، أتعرف جبلاً يقال له **ببُشتر** [2]، فقال أنا ساكن عند أهله [3]، فقال أله حركة، قال لا، قال الشيخ قد أذن ذلك. ثم قال،

---

[1] **يعرف: بدونكير؛ من بني خالد.**

[2] **ثمة جبل ومدينة يسميان ببشتر؛ وهما في كورة ريه؛ ويتواجدان في الشمال الغربي متن مالقة.**

[3] **في تاريخ افتتاح الأندلس: ((عند اصله)).**

تعرف فيما يجاوره رجلاً يقال له **عمر بن حفصون**؛ ففزع من قوله؛ فأَحدَّ الشيخ النظر فيه وقال، يا منحوس، تحارب الفقر بالإبرة، إرجع إلى بلدك، فأنت صاحب **بني أمية**، وستملك ملكاً عظيماً، فقام من فوره، وأخذ خبزة [1] في كمه، ورجع إلى **الأندلس**. فداخل الرجال، حتى ضبط الجبل المذكور، وانضوى إليه كل من يتوقع التهمة على نفسه، أو تشهره إلى الانتزاء بطبعه، وضمَّ إلى القلعة كل من كان حولها من العجم والمولدين. ثم تملك حصن **أوطة وميجش**، ثم تلمك **قمارش وأرجدونة** [2]. ثم اتسع نظره، حتى تملك **كورة ريه**، **والخضراء**، **وإلبيرة**، إلى **بسطة وأُبَّدة وبياسة وقبرة**، إلى **حصن بلي**، المطل على **قرطبة**. وأشرق الخلافة بريقها، وقطع الزمان من استكانة إلى عهد، وكشف الوجه في خَتْر، وتَشْمير الساعد عن حرب، وحسر اللّثام عن أيد وبسطة وشد الحزام على جهد وصبر ونازله الخلايف والقُواد، فلم يحل بطايل،

---

[1] في تاريخ افتتاح الأندلس: ((فأخذ خبزتين من الخباز وألقاهما في كمه)).
[2] تتواجد قمارش بالقرب من مالقة؛ في الجهة الشمالية منها. أما أرجدونة أو أرشدونة فهي في الولاية نفسها؛ وتقع شرقي ببشتر.

وأصابته جراحات مثخنة في الوقايع وأصبحت فتنته سمر الركاب، وحديث الرفاق، شدَّة أسر، وثقل وطأة، وسعة ذَرْع، واتصال حبل، وطول إملاءٍ، استغرق بها السنين، وطوى الأعمار، وأَوْرَث ذلك ولده بعده، وعند الله جزاء وحساب، وإن امتد المآب، لا إله إلا هو.

دخوله غرناطة وإلبيرة

قال **ابن الفيَّاض** وغيره: ودخل **إلبيرة** مرات، عندما ثار بدعوته، قاتل، وانضوى إلى **حصن منتشافر**[1]، من إقليم **برجيلة قيس**، في نحو ستة آلاف، وتغلب على **يحيى ابن صقالة**، ثم نازله **سَوَّار بن حمدون** أمير **العرب بغرناطة**، حتى غلبه، وأخذه أسيراً، ثم أوقع بجَعْد ومن معه من أهل **إلبيرة** وقايع مستأصلة، وتملك بعدها **بيَّاسة وأُبَّدة**، في أخبار تطول. قال **أبو مروان**: قصد **ابن حفصون** حاضرة **إلبيرة** وحصونها، وناصب الحرب **سوَّاراً**، وقد استمد **سوار** رجالات **العرب**، من كورتي:[2]

---

[1] يسمى هذا الحصن أيضاً: ((منت شقند)). و((منت شاقر)). ويتواجد على الجبل المطل سهل غرناطة.
[2] هكذا: والصواب: كور.

جيان وريه وإلبيرة، فوقعت الهزيمة على **ابن حفصون**، وجرح جراحات مُثخنة، وأُصيب جماعة من فرسانه، وانقلب منهزماً؛ فغضب عند ذلك على أهل **إلبيرة** فأغرمهم مغرماً فدحهم، واستعمل عليهم، **حفص بن المرَّة**، فلم يزل يعمل الحيل على **سوار**، حتى أوقع به، وأتى بجثته إلى **إلبيرة**، وحمل رأسه إلى **بُبَشتر**، واستشرى داؤه، وأعيا أمره، فاتصل ملكه بالقواعد والأقطار، وغلب أكثر المدن، ما بين الموسَّطة والغرب، وأحدق ملكه **بقرطبة**، وحجر عليها الخيل من **حصن بُلي**[1]، من حصون **قبرة**، فجلت الكَنْبَانية وامتد إلى بنيان المعاقل. ولما رأى الأمير **محمد**[2] ما أحاط به منه، تأهب إلى غزوه، ونزل **حصن بلي**، وناهضه، فأوقع به، وهزمه وألجأه إلى أن سلم في حصنه، فلما خرج منه بمن معه، تطيرهم ريح

---

[1] يقع حصن بلي، أو بلاي Poley أو Polei في الشمال الغربي من مدينة لوشة؛ وإلى الشرق من قبرة؛ بالقرب متن نهر شنيل. قامت في موضعها اليم بلدة أجيلار Aguilar.

[2] أشار عنان إلى خطأ وقع فيه ابن الخطيب؛ ذاكراً أن الأمير محمد بن عبد الرحمن كان قد توفي سنة272هـ؛ وعليه لا يمكن أن يكون هو الذي غزى ابن حفصون. إذ أن الذي تولى ذلك هو ولده الأمير عبد الله المنتصب على عرش الأندلس سنة 275هـ.

الفرار والسيوف تأخذهم، استولى الخليفة [1] على الحصن.
وفي ذلك يقول **أحمد بن عبد ربه**، شاعر دولتهم [2]:

ولـــه يــــوم بــلي وقعـــــة
لم تدع للكفــر رأساً في ثبـــج
لم يجـــد إبليـــس في حومتهـــا
نفعـــاً من رهبـــة حيث بلـــج
دفعتهـــم حملـــة السيـــل إلى
كافـــح الأمواج مخضّ اللجـــج[3]
فتـــح اللـــه عـــلى الديـــن بـــه
وعـــلى الإســـلام يا عامر تتـــج

وكان هذا الفتح سنة سبع وسبعين ومائتين [4]. ثم استخلص مدينة **إستِجَّة**.

---

[1] الصواب: الأمير؛ لأن الخلافة لم تعلن في زمنه.
[2] بحر الرمل.
[3] جعلها د. طويل: ((مَخْضِ لِلُّجَجِ)).
[4] الموافق لـ 890م. وأشار عنان هنا أيضاً إلى خطأ وقع فيه ابن الخطيب؛ ذاكراً أن المعركة التي وقعت بين الأمير عبد الله بن محمد، وابن حفصون؛ حدثت في ربيع الأول سنة 278هـ. وليس كما ورد أعلاه.

وفاته

قال: ومن هذا العهد، أدبر أمر **ابن حفصون**، وتوقَّف ظهوره، بعد تخبط شديد، ولجاج كبير، وشرٍّ مبير، وكانت وفاته بِبُشْتر، موضع انتزائه على عهد الخليفة[1] **عبد الرحمن** في سنة ست وثلاثمائة[2]، بعد مرض شمل النفخ به جسده، حتى تشقَّق جلده، وانتقل أمره إلى ولده **جعفر**، ثم إلى ولده **سليمان**، ثم إلى ولده **حفص**. وعلى **حفص** انقرض أمرهم.

***

[1] **لم يتلقب الأمير عبد الرحمن الثالث في هذه الآونة بلقب خليفة؛ ولم يحدث هذا إلاّ في سنة 316هـ.**

[2] **الموافق لـ 918م.**

عمر بن محمد

ابن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي [1]؛ بطليوسي،
مكناسي الأصل، من مكناسة الجوف؛ الأمير بالثغر الغربي؛
الملقب من ألقاب السلطنة بالمتوكل على الله؛
المكنى بأبي محمد؛ المنبز بابن الأفطس.

أوليته

قال **ابن حيان**: كان جدهم **عبد الله بن مسْلمة** المعروف **بابن الأفْطَس**، أصله من **فحص البلوط** [2]، من قوم لا يدعون نباهة؛ غير أنه كان من أهل المعرفة التامة، والعقل، والدهاء، والسياسة. ثم كان هذا الصقع الغربي، **بطليوس** وأعمالها، **وشَنْتَرين والأُشْبونة**، وجميع الثغر الجوفي في أمر الجماعة، رجل من **عبيد الحكم المستنصر** [3]، يسمى **سابور**. فلما وقعت الفتنة، وانشقّت العصا، انتزى **سابور** على ما كان بيده، وكان عبد الله يدبر أمره إلى أن

[1] له ترجمة أيضاً في: المغرب في حلى المغرب، ورايات المبرزين، وإعمال الأعلام، والذيل والتكملة، وقلائد العقيان، والذخيرة، والمعجب، والحلة السيراء، وفوات الوفيات، ونفح الطيب.

[2] يقع فحص البلوط Las Pedroches بالقرب من قرطبة؛ في منبسط مليء بأشجار البلوط. وسكان هذا الفحص من الأمازيغ.

[3] هو الحكم المستنصر. وكتب في الإسكوريال: ((المنتصر))؛ وهو تحريف.

هلك سابور، وترك ولدين لم يبلغا الحلم؛ فاشتمل **عبد الله** على الأمر، واستأثر به على ولديه، فحصل على ملك **غرب الأندلس**، واستقام أمره، إلى أن مضى بسبيله، وأعقبه ابنه **المظفر محمد بن عبد الله**، وكان ملكاً شهيراً عالماً شجاعاً أديباً، وهو مؤلف **الكتاب الكبير** المسمى **بالمظفري**، فاستقامت أموره إلى أن توفي؛ [1] فقام بأمره ولده **عمر** هذا المترجم به.

حاله

قال **ابن عبد الملك**: كان أديباً بارع الخطّ، حافظاً للغة، جواداً، راعياً حقوق بلده، مواخياً [2] لهم، محبباً فيهم، مرت لهم معه أيام هدنة وتفضل إلى حين القبض عليه.

وقال **الفتح** في **قلائده**: ملك جند الكتائب والجنود، وعقد الألوية والبنود، وأمر الأيام فائتمرت، وطافت بكعبته الآمال واعتمرت، إلى لسن وفصاحة، ورحب

---

[1] توفي في إحدى عشر بقيت من جمادى الأولى؛ سنة 437هـ/1045م.
[2] في الذيل والتكملة: ((موجباً)).

جناب للوافدين [1] وساحة، ونظم يزري بالدُّر النظيم، ونشر تسري رقته سرى النسيم، وأيام كأنها من حسنها جمع، وليال كان فيها على الأنس حضور ومجتمع، راقت إشراقاً وتبلجاً، وسالت مكارمه فيها أنهاراً وخلجاً، إلى أن عادت الأيام عليه بمعهود العدوان، ودبت إليه دبيبها لصاحب الإيوان، وانبرت إليه انبراءها **لابن زهير** وراء عمان.

شعره

بلغه أنه ذكر في مجلس **المنصور يحيى** أخيه بسوء، فكتب إليه بما نصه [2]:

فما بالهم لا أنعم الله بالهم
ينيطون[3] بي ذماً وقد علموا فضلي
يسيئون لي في القول جهلاً وضلَّة
وإني لا أرجو أن يسيئهم[4] فعلي

[1] في القلائد: ((للوافد)).
[2] البحر الطويل.
[3] في الحلة، والفوات: ((ينوطون)).
[4] في القلائد، والذخيرة، والحلة، والفوات: ((وإني لأرجو أن يسوءهم)).

لئن كان حقاً ما أذاعــوا فلا مشت[1]

إلى غاية العلياء من بعدهــا رجلي

ولم ألــق أضيافي بوجه طلاقــة

ولم أمنح العافين في زمن المحــل[2]

وكيف وراحي درس كل غريبــة[3]

وورد التقى شمي وحرب العدى نقلي

ولي خلق في السخط كالشَّرْي[4] طعمــه

وعند الرضى أحلى جنى من جنى النحل

فيا أيها السَّــاقي أخاه على النــوى

كؤوس القلى مهلاً[5] رويدك بالعــل

لنطفئ[6] ناراً أضرمت في صدورنـــا[7]

[فمثلي لا يُقْلَى ومثلــك لا يَقْــلِي][8]

---

[1] في الذخيـرة، والحلـة: ((خطـت)).

[2] جاء هذا الشطر في فوات الوفيات كذا: ((ولم أسخ للعافين في الزمن المحل)).

[3] في الفـوات: ((فضيلـة)).

[4] نفسـه: ((كالشـوك)).

[5] نفسـه: ((جهـلاً)).

[6] في والقلائد: ((لتطـفئ)).

[7] في الإسكوريـال، والقلائد، والذخيـرة: ((نفوسنـا)).

[8] ورد هـذا الشطـر في والقلائد هكـذا: ((فمثلـك لا يقـلى ومثـلي لا يقـلي)).

وقد كنت تشكيني إذا جئت شاكيـــاً
فقل لي لمن أشكو صنيعك بي قـــل لي
فبـــادر إلى الأولـــى وإلا فإنـــني
سأشكوك يوم الحشر للحكم[1] العدل

وكتب جواباً **لأبي محمد بن عبدون** مع مركوب عن أبيات ثبتت في **القلايد**[2]:

بعثـــت إليـــك جنـــاحـــاً فطـــر
على خفيـــة مـــن عيـــون البشـــر
عـــلى ذلـــل من نتاج البـــروق
في ظـــل[3] مـــن نسيـــج الشَّجـــر
فحســـبي ممن[4] نأى ومن[5] دنـــا
فمن[6] غاب كـــان كمن[7] قد حضـــر

---

[1] في الحلـة: ((للملـك)).
[2] البحـر المتقـارب.
[3] في القلائد، والحلـة، والنفـح: ((في ظلـل)).
[4] في الحلـة: ((عمـن)).
[5]: في القلائد ، والحلـة، والنفـح: (مـن)).
[6] في النفـح: ((ومـن)).
[7] في القلائد ، والحلـة، والنفـح: ((كـان فـدا مـن حضـر)).

قال الفتح، أخبرني الوزير [1] **أبو أيوب بن أُمية** [2]، أنه مرّ في بعض أيامه بروض مُفْتر المباسم، معطر الرياح [3] الرياح [3] النواسم، فارتاح إلى الكون به بقية نهاره، والتنعم ببنفسجه وبهاره. فلما حصل من أنسه في وسط المدى، عمد إلى ورقة كرنب قد بلَّلَها الندى، وكتب فيها بطرف غصن، يستدعي الوزير **أبا طالب بن غانم** أحد ندمائه، ونجوم سمائه [4]:

أقبل[5] أبا طالب[6] إلينا
[واسقط سقوط النَّدى علينا][7]
فنحن عقد بغير[8] وسطى
ما لم تكن حاضراً لدينا

---

[1] في القلائد: ((الفقيه)).
[2] نفسه: ((بن أبي أمية)).
[3] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.
[4] مخلع البسيط
[5] في الذخير، والمغرب، والرايات، وإعمال الأعلام، والحلة، والفوات: ((انهض)).
[6] في المغرب، والفوات: ((أبا غانم)).
[7] ورد هذا الشطر في والقلائد هكذا: ((وقع وقوع الندى علبنا)).
[8] في المغرب، والفوات: ((من غير)).

نثره

وهو أشَفُّ من شعره، وإنه لطبقة تتاقصر عنها [1] أفذاذ الكتاب، ونهاية من نهاية الآداب، قال: كان ليلة مع خواصه للأنس معاطياً، ولمجلس كالشمس واطياً، قد تفرغ للسرور، وتفرَّغ [2] عيشاً كالأمل المزرور، والمنى قد أفصحت ورقها، وأومض برقها، والسعد تطلع مخايله، والملك يبدو زهوه وتخايُله، إذ ورد عليه كتاب بدخول **أشبونة** في طاعته، وانتظامها في سلك جماعته، فزاد في مسرته، وبسط من أسرته وأقبل خدامه [3]، وأسبل نداه على جلسائه وندامه. فقال له **ابن خيرة**، وكان يدل بالشباب، وينزل منه منزلة الأحباب، لمن تُولِّيها، ومن يكون واليها، فقال له [4]، أنت، فقال فاكتب الآن [5] بذلك، فاستدعى [6] الدواة والرق، وكتب وما جف له

---

[1] في الإسكوريـال: ((أفـراد))؛ وصوبـهـا عنــان.
[2] في القلائد: ((وتسـوّغ)).
[3] نفسـه: ((وأقبـل علـى خدامـه)).
[4] نفسـه: ((فقـال: لـك؛ فقـال لي فاكتـب لي بذلـك)).
[5] نفسـه: ((لي)).
[6] نفسـه: ((فاستـدنى)).

قلم، ولا توقف له كلم: لم يسوغ أولياء النعم، مثل الذي سوغتموه من التزام الطاعة، والدخول في نهج الجماعة، وذلك [1] لا آلوكم [ونفسي فيكم] [2] نصحاً فيمن أتخيره، للنيابة عني في تدبيركم، والقيام بالدقيق والجليل من أموركم، وقد وليت عليكم، من لم أوثر [والله] [3] فيه دواعي التقريب، على بواعث التَّجريب، ولا فوات التخصص، على لوازم التمحيص، وهو الوزير [4] القائد **أبو عبد الله بن خيرة**، ابني [5] دُرْبة، وبعضي صحبة، ونشأتي سكَّة [6] وقرية، وقد رسمت له من وجوه الذَّب والحماية، ومعالم الرفق والرعاية، ما التزم الاستيفاء بعهده [7]، والوقوف بجده عند حده [8]، والمسؤول في عونه عونه من لا عون إلا من عنده، ولن أعرفكم من حميد

---

[1] في القلائد: ((لذلك)).
[2] أضيفت هذه العبارة من القلائد.
[3] هذه الإضافة من القلائد.
[4] هذه الإضافة من القلائد.
[5] في القلائد: ((ابن دربة بعضي صحبة)).
[6] نفسه: ((شبكة)).
[7] في الإسكوريال: ((بحده)).
[8] نفسه: ((جهده)).

خصاله، وسديد فعاله، إلا بما سيبدو للعيان، ويزكو[1] مع الامتحان. ويفشو[2] من قبلكم إن شاء الله على كل لسان، وقد حددت له أن يكون لناشئكم أباً ولكهلكم أخاً؛ ولذي النفوس[3] والكبرة إبناً، ما أَعْنَتُموه على هذا هذا المراد، ولزوم الجواد، وركوب الانقياد. وأما من شق العصا، وبان عن الطاعة[4]، وظهر منه المراد والهوى، فهو القصي منه، وإن مت إليه بالرحم الدنيا، فكونوا خير رعية، بالسمع والطاعة في جميع الأحوال، يكن لكم بالبر والموالاة خير وال؛ [إن شاء الله عز وجل].[5]

وصوله إلى غرناطة

وصلها صُحبة حليفه **ابن عباد**، لما قبض **يوسف بن تاشفين** على صاحبها ونزل بالمشيجة من خارجها في رجب من عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة[6]؛ ورابهما الأمر، كما

---

[1] في القلائد: ((يذكو)).
[2] في الإسكوريال: ((ويفشي)).
[3] في القلائد: التقويس)).
[4] نفسه: ((عن الطاعة وعصى)).
[5] هذه الإضافة من القلائد.
[6] الموافق لـ 1090م.

تقدم في ذكر **المعتمد بن عباد**، فتعجلا الرجوع إلى وطنهما بحيلة دبَّراها.

نكبته ووفاته

ولما اشتد خوفه من أمير **لمتونة**، ورأى أنه أُسْوة **ابن عباد** في الخلع عن ملكه، وضيقت الخيل على أطرافه وانتزعتها، داخل **طاغية الروم**، وملَّكه من مدينة **الأشبونة**، رغبة في دفاعه عنه؛ فاسْتَوْحشت لذلك رعيته، وراسلت **اللّمتونيين**، واقتحمت عليه **مدينة بَطَلَيوس**، واعتصم بالقصبة، وخانه المحاربة؛ فدخلت عليه عنوة، وتقبض عليه وعلى بنيه وعبيده، وتحصلوا في ثقاف قائد الجيش **اللّمتوني**. وبادر إعلام الأمير **سير بن أبي بكر**؛ فلحق بها. واستخرج ما كان عند **المتوكل** من المال والذَّخيرة، وأزعجه إلى **إشبيلية** مع ابنين له، فلمّا تجاوز وبعد عن حضرته، أنزل وقيل له تأهب للموت؛ فسأل أن يقدم ابناه يحتسبهما عند الله، فكان ذلك، وقتلا صبراً بين

يديه. ثم ضرب عنقه، وذلك صدر سنة سبع وثمانين واربعمائة [1]، وانقرضت **دولة بني الأفطس.**

وممن رثاهم؛ فبلغ الأمد؛ وفاء وشهرة وإجادة، **أبو محمد عبد المجيد بن عبدون** [2] بقصيدته الفريدة [3]:

الدَّهــر يفجــع بعد العيــن بالأثــر
فما البكـــاء على الأشباح والصور
أنهــاك أنهــاك لا آلوك موعظـــة[4]
عن نومـــة بين ناب الليث والظفــر
فالدهــر [5] حربٌ وإن أبدى مسالمـــة
والبيض والسمر [6] مثل البيض والسمر
ولا هــوادة بيــن الــرأس تأخــذه
يد الضراب وبين الصــارم الذكــر

---

[1] الموافق لـ 1094م.
[2] هو الفقيه الكاتب أبو محمد عبد المجيد بن عبدون؛ وزير بني الأفطس. أصله من يابرة المتواجدة في البرتغال؛ من مؤلفاته رسالة ((القضاء والحسبة)). توفي سنة 520هـ/1126م.
[3] البحر البسيط.
[4] في القلائد والفوات: ((معذرة)).
[5] في الفوات: ((والدهر)).
[6] في الفوات، والمطرب، والمعجب: ((والسود)).

فـــلا تغرنـــك من دنيـــاك نومتهـــا

فما صناعـــة[1] عينيها سوى السهـــر

مـــا لليـــالي أقـــال اللـــه عثرتنـــا

من الليـــالي وخانتهـــا[2] يـــد الغيـــر

في كل حيـــن لها في كل جارحـــة

منا جـــراح وإن زاغت عن البصر[3]

تســـر بالـــشيء لكـــن كي تغربـــه[4]

كالأيم[5] ثار إلى الجاني من الزَّهـــر

كم دولة وليت بالنصـــر خدمتهـــا

لم تبق منها وسل ذكراك من خبـــر

هوت بدارا[6] وفلـــت غـــرب قاتلـــه

وكانت غصباً[7] على الأملاك ذا أثـــر

---

[1] في الذخيـرة: ((سجيـة)).
[2] في الفـوات: ((وغالتهـا)).
[3] في المطـرب، والمعجـب: ((النظـر)).
[4] في القلائد، والمطـرب، والمعجب، والذخيـرة: ((لكـن كي تغرّ بـه))
[5] أي كالحيـة.
[6] ملـك مـن ملـوك الفـرس؛ قتلـه الإسكنـدر المقـدوني.
[7] في القلائد، والمطـرب، والمعجب، والذخيـرة: ((وكـان عضبـاً)).

واسترجعت من بني ساسان[1] ما وهبـــت

ولـــم تدع لبـــني يونـــان من أثـــر

وأتبعـــت[2] أختهـــا طسماً وعاد على

عـــاد وجرهم منها ناقص[3] المـــرر[4]

ومـــا أقالت ذوي الهيئات من يمـــن

ولا أجارت ذوي الغايات من مضر

ومزقـــت سبـــأ في كـــل قاصيـــة

فما التـــقى رائـــح منهـــم بمبتكـــر

وأنفذت في كليـــب حكمها[5] ورمـــت

مهلهلاً بين سمـــع الأرض والبصر

ولم تـــردَّ على الضليـــل[6] صحتـــه

ولا ثنـــت أســـداً عن ربهـــا حُجر

[1] هم أكاسرة الفرس؛ سقط حكمهم بالفتح الإسلامي.
[2] في المعجب: ((وألحقت)).
[3] في المطرب، والمعجب، والذخيرة، والفوات: ((ناقض))؛ وفي القلائد: ((ناقف)).
[4] في الفوات: ((المدر)).
[5] نفسه: ((كلْمها)).
[6] في الذخيرة: ((وما أعادت على الضليل)). والضليل هو امرؤ القيس.

ودوخَّـــــت آل ذبيـــان وإخوتهـــم[1]
عبساً[2] وعضَّت[3] بني بدر على النهر
وألحقـــت بعـــدي بالعـــراق[4] عـــلى
يد ابنه أحمـــر[5] العينيـــن والشعـــر[6]
[وأهلكـــت أَبْرِويـــزا بابنــــه ورمت
بيزْد جرد إلى مـــرو فلـــم يحـــر][7]
وأشرفـــت بحبيـــب فـــوق قارعة[8]
وألحقت[9] طلحـــة الفيـــاض بالعفـــر
ومزَّقت[10] جعفراً بالبيض واختلســـت
من غيله حمزة[11] الظَّـــلام للجـــزر

---

[1] في الذخيرة، وإعمال الأعلام، والفوات: ((وجيرتهم)).
[2] المصادر نفسها: ((لخماً)).
[3] في المعجب، وإعمال الأعلام: ((وغصَّت)).
[4] في المطرب: ((في العراق)).
[5] نفسه: ((الأحمر)).
[6] أحمر العينين والشعر: هو النعمان بن المنذر.
[7] ورد هذا البيت في المعجب؛ بينما سقط في الإسكوريال والقلائد..
[8] ورد هذا الشطر في القلائد، والمعجب، والمطرب هكذا:
((وأشرفت بخُبَيْب فوق فارعة))
[9] في القلائد، والمعجب، والمطرب: ((وألصقت)).
[10] في الفوات: ((ومرغت)).
[11] نفسه: ((جمرة)).

وبلَّغت يزدرجرد الصِّين واختزلت
عنه سوى الفُرْس جمع الترك والخــزر
ولم تــرد[1] مــواضي رُسْتــم وقنــا
ذي حاجب عنه سعداً[2] في ابنة الغيــر
وخضَّبت[3] شَيْب عثمان دماً وخَطَّت
إلى الزبير ولم تستــحي من عمــر
وما[4] رعت لأبي اليقظان صحبتــه
ولم تــزوده إلا الضَّيح في الغمــر
وأَجْزَرَت سيف أشقاهــا أبا حســن
وأمكنت من حسين راحــتي شمــر
وليتهــا إذ فــدت عَمْراً بخارجــة
فدت عليـــاًّ بمن شـــاءت من البشر

[1] في الذخيرة، والفوات، والمطرب: ((تكف)).
[2] في القلائد: ((سمعا)).
[3] في إعمال الأعلام: ((خاضبت)).
[4] في الذخيرة، والفوات، والمطرب: ((ولا)).

وفي ابن هند[1] وفي ابن المصطفى حسن
أتـــت بمعضلة[2] الألبـــاب والفكـــر
فبعضنـــا قائـــل ما اغتالـــه أحـــد
وبعضنـــا ساكت لم يؤت من حصر
وعمَّت بالرَّدى[3] فـــودي أبي أنَـــس
ولم تـــردَّ الـــردى عنـــه قنا زفـــر
وأردت ابن زيـــاد بالحسيـــن فلـــم
يَبُؤ بشســـع له قد طـــاح أو ظفـــر
وأنزلـــت مُصعباً من رأس شاهقـــة
كانت بها مهجة المختـــار في وزر
ولم تراقـــب مكـــان ابن الزبير ولا
[راعت[4] عياذته بالبيت[5] والحجـــر][6]

---

[1] هو معاوية بن أبي سفيان.
[2] في المطرب: ((بمذهلة)).
[3] في المعجب: ((وعمَّمَت بالظبا)).
[4] في القلائد، والذخيرة، والفوات، والمطرب: ((رعت)).
[5] في المطرب: ((بالركن)).
[6] ورد هذا الشطر في الإسكوريال هكذا:
((ولم تبق الخلافة بين الكاس والوتر)).

[ولم تـــدع لأبي الزَّيّـــان[1] قاضبـــة
ليس اللطيـــم[2] لها عمـــرو بمنتصر
وأظفرت بالوليد بن اليزيـــد ولـــم
تُبق الخلافـــة بين الكـــاس والوتر
حُبابـــة حـــبَّ رمَّـــان ألـــمَّ بهـــا[3]
وأحمـــر قطرتـــه نفحـــة القطـــر][4]
ولم تعـــد قُضُـــبٍ السَّفـــاح نابيـــة
عن رأس مـــروان أو أشياعه الفجر
وأسبلت دمعة الروح الأمين عـــلى
دم يثـــــج[5] لآل المصطـــفى هـــدر
وأشرقت جعفـــراً والفضل ينظـــره
والشيخ يحيي بريق الصارم الذكـــر[6]

[1] في القلائد، والذخيرة، والفوات، والمطرب: ((لأبي الذّبـان))؛ وهو عبد الملك بن مروان.
[2] هـو عمـرو بـن سعيـد بـن العـاص.
[3] في المعجـب، والمطـرب: ((أتيـح لهـا)).
[4] الأبيـات الثلاثـة الواردة بيـن حاصرتيـن سقطـت في الإسكوريـال؛ بينمـا وردت في القلائد، والمعجـب.
[5] في الإسكوريال، والمعجب، والمطرب والفوات، وإعمال الأعلام: ((يفخ)).
[6] في المطـرب: ((بكـأس الصـاب والصبـر)).

وأَخِفَرت في الأمين العهد وانتدبــت
لجعفــر بابنـــه بالأعبــد[1] الغــدر

وروعـــت كل مأمـــون ومؤتمـــن
وأسلمت[2] كل منصـــور ومنتصـــر

وأعثـــرت آل عبَّـــاس لعـــا لهـــم
بذيل زبَّاءَ[3] من بيض ومـــن سُمـــر

ولا[4] وفت بعهـــود المستعيـــن ولا
بمـــا تأكَّــد للمعتـــز مـــن مـــرر

وأوثقـــت في عراهـــا كل معتمـــد
وأشرقـــت بقـــذاهـــا كـــل مقتـــدر

بني المظفـــر والأيام [ما برحـــت][5]
مراحل[6] والورى منها عـــلى سفـــر

[1] في المعجب، والمطرب، والفوات، وإعمال الأعلام: ((والأعبد)).
[2] في إعمال الأعلام: ((وصمَّمت)).
[3] في الذخيرة: (ربَّاء))، وفي المطرب: ((ريَّاء))، وفي المعجب: ((زبَّاء لم تنفر من الذعر)).
[4] في الذخيرة: ((وما)).
[5] في المعجب: ((لا نزلت)).
[6] في الذخيرة، القلائد، والمطرب، وإعمال الأعلام: مراحلاً

سحقاً ليومكم يوماً وما حملت
بمثله ليلة في [سالف العمر][1]
من للأَسَّرة أو من للأَعنَّة أو
من للأَسِنَّة يهديها إلى الثغر
من لليراعة أو من للبراعة أو
من للسماحة أو للنفع والضرر
من للظبا[2] وعوالي الخط قد عقدت
أطراف ألسنها بالعي والحصر
وطوَّقت[3] بالمنايا السُّود بيضهم
أعجب بذاك وما منها سوى ذكر[4]
أو رفع كارثة أو دفع حادثة
أو قمع آزفةٍ تعيي على القَدر[5]

[1] في القلائد: **((في مقتبل العمر))، وفي المعجب: ((في غابر العمر)).**
[2] في الإسكوريال: ((العدا)).
[3] في المطرب: ((وطرزت)).
[4] في المعجب، والمطرب: الذكر)).
[5] جاء هذا البيت في القلائد، **والمعجب هكذا:**
((أو دفع كارثة أو ردع رادفة * أو قمع حادثة تعين على القدر)).

ويح السمـــاح وويح الجود[1] لو سلما
وحسرة الدين والدنيــا على عمــر
سقت ثرى الفضـــل والعباس هاميةً
تُعزى إليهم سماحــاً لا إلى المطــر
ثلاثة ما ارتقى[2] النّسران حيث رقوا
وكل ما طار من نســر ولم يطــر
ثلاثـــة كـــذوات الدهــر منذ نــأوا
عني مضى الدهر لم يربع ولم يحــر[3]
ومر مـــن كـــل شيء فيه أطيبـــه
حـــتى التمتـــع بالآصـــال والبكـــر
من للجـــلال[4] الذي عمـــت مهابتـــه
قلوبنـــا[5] وعيـــون الأنجـــم الزهـــر

[1] في القلائد، والمعجب، وإعمـال الأعـلام: ((البـأس)).
[2] في الذخيـرة: ((رقى)).
[3] سقـط هـذا البيـت في الإسكوريـال، القلائد؛ بينمـا ورد في المعجـب.
[4] جـاء هـذا الشطـر في المعجـب، والمعجـب، والفـوات هكـذا:
((أيـن الجـلال الـذي غضَّتْ مهابتـه)).
[5] في الإسكوريـال: ((عيوننـا)).

أين الإِبـــاءُ الذي أَرْسُـــوا قواعـــده

على دعائـــم من عـــزٍّ ومن ظفـــر

أين الوفاء[1] الذي أصفـــوا شرائعـــه

فلم يُـــرد أحـــد منهـــم[2] على كـــدر

كانـــوا رواسي أرض الله مـــذ نأوا[3]

عنها استطارت بمن فيها ولم تقـــر

كانوا مصابيحهـــا دهراً فمذ خبـــوا[4]

هـــذي الخليقـــة تاللـــه في سـدر[5]

كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خـــدع

منه بأحلام عاد في خطا الخَضِـــر[6]

من لي[7] ولا من بهم إن أظلمت نُوَب

ولم يكن ليلها يفـــضي إلى سحـــر

---

[1] في فوات الوفيات: ((الرواء)).

[2] في الذخيرة، والفوات، والمطرب، والمعجب: ((منها)).

[3] في المعجب: ((مضوا)).

[4] ورد هذا الشطر في القلائد، والمعجب هكذا:

((كانوا مصابيحها فمذ خبوا غبرت ـ عثرت)).

[5] في الإسكوريال، القلائد: ((سرر)).

[6] في المطرب: ((الخطر))، وفي المعجب: ((الحضر)).

[7] في المطرب: ((من لي ومن لهم إن...))، وفي القلائد: ((من لي ومن بهم إن...)).

من لي ولا من بهم إن طبقت[1] محن
ولم يكن وردها يفضي[2] إلى صدر
من لي[3] ولا من بهم إن عطلت سنن
وأخفيت[4] ألسن الآثار[5] والسِّيَر
ويلمه من طلوب الثأر مدركه
لو أن ديناً على الأيام ذي عسر[6]
على الفضائل إلا الصبر بعدهم
تسليم[7] مُرْتَقب للأجر منتظر
يرجو عسى وله في أختها طمع[8]
والدهر ذو عقب شتى وذو غير

[1] في القلائد: ((أطنبت)).
[2] في المعجب: ((يدعو)).
[3] في المطرب: ((من لي ومن لهم إن...))، وفي إعمال الأعلام: ((من لي ولا من لهم إن...)). وفي القلائد: ((من لي ومن بهم إن...)).
[4] في إعمال الأعلام: ((وأخفتت ألسن...))، وفي القلائد: (وأخفتت السن...)).
[5] في الإسكوريال: ((الأيام)). وفي الذخيرة: ((الأيام والبشر)).
[6] ورد هذا الشطر في المعجب هكذا: ((منهم بأسد سراة في الوغى صُبُر)). وجاء في المطرب: ((منهم بأسد سواهم في الوغى صُبُر)).
[7] في القلائد، والمعجب: ((سلام)).
[8] في الذخيرة، المعجب، والمطرب: ((أمل)).

قرطـــت آذان من فيهـــا بفاضحـــة
على الحسان حصى الياقوت والدرر
[سيـــارة في أقاصي الأرض قاطعة
شقاشقاً هذرت[1] في البدو والحضــــر
مطاعة الأمر في البـــاب[2] قاضيـــة
من المسامع ما لم يقض من وطـــر][3]

***

---

[1] في المعجب، والمطرب: ((هدرت))؛ بالدال المهملة.
[2] نفسهما: ((الألباب)).
[3] هذان البيتان الواردان بين حاصرتين؛ سقطا في الإسكوريال، والقلائد؛ بينما وردا في المعجب.

***

عثمن بن عبد الرحمن

ابن يحيى بن يغمراسن [1]؛ النّازل بتلمسان، يكنى أبا سعيد.

حاله

كان شيخاً مخيلاً بسمة الخير، متظاهراً بالنسف، بقية **آل زيان**، متقدماً في باب الدهاء والذّكر، بالغاً أقصى المبالغ في ذلك. سكن **غرناطة ووادي آش**، وولد **بغرناطة**، وكان أبوه ممن هلك في **وقيعة فُرتونة**؛ فارتزق مع الجند الغربي بديوانها في حجر أبيه وبعده، ثم ثنى عنانه إلى وطنه، وتخطته المتالف عند تغلُّب السلطان صاحب **المغرب** على بلده **تلمسان**، وغاص في عِرْض من تهنأ الإبقاء من قبيله. وكان ممن شمله حصار **الجزيرة**، ووصل قبله ممداً مع الجيش الغربي بجيش **غرناطة** عند منازلة القلعة. ولما جرت على واترهم السلطان **أبي الحسن** الهزيمة بظاهر **القيروان**، وبعد الطمع في انتشاله وجبره، ولحق كل بوطنه، حوم

[1] له ترجمة أيضاً في: بغية الرواد، وكتاب العبر. ونفح الطيب، والأعلام.

الفل من **بني زيان** على ضعفهم، ومذ رحل عنه السلطان القايم بملك **المغرب أبو عنان**، إلى محل الأمر ودار الملك، وسد **تلمسان** بشيخ من قبيلهم يعرف **بابن حرار** [1]، له شهرة وانتفاخ لتنسيق رياح الاختلاف، فذ في إدارة الحيلة، وإحالة قداح السياسة، رأس الرَّكب **الحجازي** غير ما مرة، وحل من الملوك ألطف محلة. ولما نهد القوم إلى **تلمسان**، ناهضهم **ابن الحرار** بمن استركب من جنده، وانضم إليه من قومه، فدارت عليهم الهزيمة، وأحيط به، فتملك البلد، وتحصل في الثقاف، إلى أن هلك به مغتالاً، واستولى **عثمن بن يحيى** [2] على المدينة، وانقاد إليه ما يرجع إليها من البلاد والقبايل، فثاب لهم ملك لم تكد شعلته تقد حتى خبت؛ وعلى ذلك فبلغوا في الزمان القريب، من وفور العدة، واستجادة الآلة، وحسن السّيرة، ما يقضي منه العجب. وانفرد **عثمن** بالأمر، وعين أخاه **أبا ثابت**

---

[1] الصواب: هو عثمان بن يحيى بن جرار؛ بالجيم المعجمة. وهو من شيخ بني تيدوكسن بن طاع الله من بني عبد الواد. أنظر بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون، وكتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون، ونظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لمحمد التنسي.

[2] الصواب: عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن. كما جاء أعلاه في العنوان. وكما سمي في المصادر المذكورة سابقاً.

الزعيم إلى إمارة الجيش، فاستقام الصفُّ، وانضم النَّشر، وترتبت الألقاب، واستأنفوا الدولة، وتلقفوا الكرة. وقل ما أدبر شيء فأقبل. وبادر السلطان **بالأندلس** مفاتحته مهنياً، وللحلف مجدداً، بكتاب من أنشائي من فصوله: ((بعد الصدر والتحميد، ولا وزايد بفضل الله المرجو في الشدايد، لجميل العوايد، إلاّ ما شرح الصدور، وأكَّد السرور، وبسط النفوس، وأضحك الرسن العبوس، من اتّساق أمور ذلك الملك لديكم، واجتماع كلمته عليكم، وما تعرفنا أن **الدولة الزَّيانِّية**، وصل الله لبدورها استيناف الكمال، وأعلى أعلامها في هضاب اليمن والإقبال، تذكرت الرسايل القديمة الأذمة، وألقت إلى قومها بالأزمة، وحنت إلى عهدهم على طول النوى، وانشد لسان حالها:

(نقل فؤادك حيث شئت من الهوى).[1]

---

[1] **عجز هذا البيت هو: ((ما الحب إلاّ للحبيب الأول))؛ والشائع أنه لأبي تمام حبيب الطائي (803- 845م).**

فأصبح شتيتك بأهلها مجموعاً، وعلم عليائها بأيدي أوليائها مرفوعاً، وملابس اعتزازها بعد ابتزازها جديدة، وظلال سعودها على أغوارها ونجودها مديدة، وقبيلها قد أنجح الله في ائتلافه أمل الآمل، ومبتداها مرفوعاً مع وجود العوامل، والكثير من أوطانها قد سلكت مسلكها في الطاعة، وتبادرت إلى استباق فضيلة الوفاق بحسب الاستطاعة، فعظم الاستبشار بأن كان لكم ما لها، وفي إيالتكم انتيالها، من غير ان يعلق بأسبابها من ليس من أربابها، ويطمع في اكتسابها من لم يكن في حسابها. وقلنا موارث وجب، وعاصب حجب، وركب علج من بعد القُفول، وشمس طلعت من بعد الأفول، وجيد حلي بعد ما اشتكى العطل، وغريم قضى بعد ما مطل، وطرف تنبه بعد ما سجع، ودُرِّيّ استقام سيره عقب ما رجع، وقضية انصرف دليلها عن حدود القواطع، وطُرحت عليه أشعة السعود السواطع، لا بل عبد أبق لقدر سبق، حتى إذا راجع نهاه، وعذله العقل ونهاه، جنح بعد هجره، إلى كنف من نشأ في حجره. وعلمنا أن الدولة التي عرفنا

مكارمها، قد دالت، والغمامة التي شكرنا مواقعها قد انثالت، فجرينا في المسرة ملء الأعنة، وشاركنا في شكر هذه المنة، وأصدرنا إليكم هذا الخطاب مهنياً، وعن الود الكريم والولاء الصميم منبيا، وفي تعزيز ما بين الأسلاف، جدد الله عليهم ملابس الرضوان معيداً مبدياً، وإن تأخر منه الغرض، وقضى بهذا العهد واجبه المفترض، والأعذار واضحة، وأدلتها راجحة، وللضرار أحكام تمضى، والفروض للفوات تقضى، فكيف والاعتقاد الجميل مسير مسكن، والوقت والحمد لله متمكن، وما برحنا في مناط اجتهاد، وترجيح استشهاد، والأخبار يضطرد مفهومها، والألفاظ لا يتخصص عمومها، والأحاديث يجول في متعارضها النظر، ولا يلزم العمل ما لم يصح الخبر. فلما تحققنا الأمر من قصه، وتعاضد قياسه بنصه، لم نقدم على المبادرة عملاً، وبينا لكم من حسن اعتقادنا ما كان مجملا، فليهن تلك الإيالة ما استأنفته من شبابها، وتسربلته من جديد أثوابها، وليستقبل العيش خضراً، والدهر معتذراً، والسعد مسفراً)).

وتمادى ملكه من الثامن والعشرين لجمادى الآخرة من عام تسعة وأربعين وسبعماية [1]؛ إلى أن استوسق ملك **المغرب** للسلطان **أبي عنان**، واستأثر إليه أبيه، وتحرك إلى منازلة **تلمسان** في جمادى الآخرة عام ثلاثة وخمسين وسبعماية [2]، وكسر جمعهم، واستولى على ملكهم حسبما يأتي، وبرز إليه سلطانها المذكور، مؤثراً الإصحار على الاجتحار، واللقاء على الانحصار، وكانت بين الفريقين حرب ضروس، ناشب **الزيانيون** محلات **المغرب** القتال، بموضع يعرف **بإنكاد**، على حين غفلة، وبين يدي شروع في تنقل وسكون، وتفرق من الحامية في ارتداد الخلا، وابتغاء الماء، فلم يرع إلا إطلال الرايات، وطلوع نواصي الخيل، فوقع الصراخ، وعلا النداء، وارتفع القتام، وبادر السلطان بمن معه من الخالصة، وروم الركاب الصدمة، ومضى قدماً، وقد طاش الخبر بهزيمته، وفعاثت العربان في محلته، وكانوا على الأموال أعدى من عدوه، وفر الكثير إلى جهة **المغرب** بسوء الأحدوثة.

---

[1] **الموافق لـ 1348م..**
[2] **الموافق لـ 1352م.**

ولما تقاربت الوجوه، وصدق المصاع، قذف الله في قلوب **الزيانيين** الرعب، واستولى عليهم الإدبار، فانهزموا أقبح هزيمة، وتفرقوا شذر مذر، واختفى سلطانهم **عثمن** المترجم به، وذهب متنكراً وقد ترجل، فعثر عليه من الغد، وأوتي به فشدّ وثاقه، وأسرع السلطان اللحاق **بتلمسان**، وقد تلقاه أهلها معلنين بطاعته. ولائذين بجناب عفوه، وتنكبها الجيش المفلول، لنظر الأمير **أبي ثابت**، فاستقر بأحواز **جزاير بني مزغناي**[1]. ودخل السلطان **تلمسان** في يوم الأحد، الحادي عشر من ربيع الأول عام ثلاثة وخمسين وسبعماية[2]، وتدامر **بنو مرين**[3]، واستدركوا دحض الوصمة في اتباع أضدادهم المحروبين، فكان اللقاء بينهم، وبين الجيش المفلول وحكم الله باستيصالهم، فمضى عليهم السيف، وأوتي بزعيمهم **الزعيم**، فاحتمل مع أخيه في لّمة من أوليائهم، ونفذ

---

[1] **الصواب هو: جزائر بني مزغنة: وهو اسم العاصمة الحالية للجزائر. ومزغنة قبيلة أمازيغية صنهاجية نسبت إليها المدينة في العصر الإسلامي الوسيط.**
[2] **الموافق لـ 1352م.**
[3] **حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((بنو مروان)).**

الأمر لأقتالهم من **بني حرار** بأخذ حقهم، فقتل **عثمن والزعيم** رحمهما الله بخارج **تلمسان** ذبحاً؛ وألحق بهما عميد الدولة **يحيى بن داود**، بعد أن استحضر **عثمن** بين يدي السلطان، واسمع تأنيباً، حسن عنه جوابه، بما دل على ثبات وصبر. وانقضى أمر كرتهم الثانية، وخلت منهم الأوطان، وخلصت **لبني مرين** الجهة، وصفت العمالة. والله يعطي ملكه من شاء سبحانه لا إله إلا هو، وكان مقتل **عثمن** وأخيه في أوايل شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وخمسين وسبعماية [1].

***

---

[1] **الموافق لـ 1352م.**

علي بن حمود

ابن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن إدريس بن إدريس ابن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب [1]. أول ملوك [2] بني هاشم بالأندلس؛ يكنى أبا الحسن؛ ويلقب من الألقاب السلطانية، بالناصر لدين الله.

حاله

كان شهماً لبيباً، جريء اللقاء، باطش السيف، شديد السطوة، أسمر، أعين، نحيف الجسم، طويل القامة، حاد الذهن، من أولي الحزم والعزم.

خلافته

ذكروا أن **هشام بن الحكم** [3]، لما ضُيّق به الحجر؛ كتب إليه في السِّرِّ بعهد ولايته، وأهله للأخذ بثأره. فكان كذلك. وأجاز البحر من **سبتة**، مظهراً القيام بنصر **هشام**؛ عندما خلع؛ فانحاش إليه كثير من الناس؛ وقصد **قرطبة**،

---

[1] لـه ترجمة أيضاً في: الذخيرة، والبيان المغرب، وإعمال الأعلام، وكتاب العبر، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والكامل في التاريخ، والمعجب، وسير أعلام النبلاء، والمختصر في أخبار البشر، والأعلام.

[2] الأصح: هو أول خلفاء بني هاشم في المغرب والأندلس.

[3] هو هشام المؤيد بالله ابن الحكم المستنصر بالله.

وبرز إليه الخليفة **سليمن**؛ خالع **هشام**، ومغتاله؛ فظهر عليه **علي بن حمود**، وهزمه، ودخل **قرطبة**؛ فقتل **سليمان**، وبحث عن **هشام**؛ وقد فات فيه الأمر؛ وتسمى **بأمير المؤمنين**. وأنس به أهل **قرطبة**، لقهره من كان لنظره من **البرابرة**، وإمضاء الأحكام عليهم. قال المؤرخ: فبرقت للعدل يومئذ بارقة، لم تكد تقد حتى خبت. وكان الأغلب عليه السخاء والشجاعة.

ومدحه الكثير من الشعراء، منهم **أبو عمر**[1] **بن درّاج**، وفيه يقول[2]:

لعلــك يا شمــس عنــد الأصيــل
تحــن[3] بشجــو[4] الغريــب الذليــل
فكــوني شفيــعي إلى ابن الشفيــع
وكوني رســولي إلى أين الرســول

---

[1] في الإسكوريال: ((أبو عمرو))؛ فصوبها عنان. وهو عمر بن دراج الصنهاجي القسطلي؛ أشهر أهل الأندلس في وقته؛ وكان يلقب بمتنبي الأندلس.
[2] البحر المتقارب.
[3] في ديوان ابن دراج القسطلي، والذخيرة، والبيان المغرب: ((شجيت)).
[4] في الديوان: ((لشجو)).

فأمـــا شهـــدت فـــأزكى شهيـــــد
وأمـــــا دللت فـــأهـــــدى دليـــل
إلى الهاشـــــمي إلى الطـــالبي
إلى الفاطـــمي العطوف الوصـــول

وصوله إلى إلبيرة

قال، ولما استوسق الأمر؛ واضطرب عليه **خيران** صاحب **ألمرية**، أغراه وأذن لحربه، فخرج من **قرطبة** يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعماية [1]، وسار إلى أن بلغ **وادي آش**، وترادفت عليه الأمطار والسيول، وانصرف إلى **إلبيرة** ثم إلى **قرطبة**.

وفاته

قال المؤرخ: وفي سنة ثمان وأربعماية [2] كان مقتل **علي بن حمود**، وذلك أن **صقالبته** قتلوه بموضع أمنه. في حمام قصره، وكانوا ثلاثة من أغمار [3] صبيان قصره،

---

[1] **الموافق لـ 1017م.**
[2] **الموافق لـ 1017م.**
[3] **حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((أعمار))؛ فصوبها عنان.**

منهم **نجح** [1] وصاحباه، وسدّوا باب الحمام عليه، وتسللوا؛ ولم يحسّ أحد بهم، واستطال نساؤه بقاءه؛ فدخلوا عليه، ودمه يسيل فصح خبر مقتله، وبعثت **زناتة** إلى أخيه [2] **بإشبيلية**؛ فخاف أن يكون [3] حيلة، حتى كشف عن الأمر؛ ولحق **بقرطبة**؛ فأخرج جسده، وصلى عليه، وأنفذه إلى **سبتة**؛ فدفن بها؛ وبني عليه مسجد هو الآن **بسوق الكتان**، وقبض من قاتليه على صبيين عذّبا بأنواع العذاب، ثم قتلا وصلبا [4].

***

[1] في البيان المغرب: ((منجح)).
[2] يسمى القاسم بن حمود. كان والياً على إشبيلية.
[3] في البيان المغرب: ((تكون)).
[4] نفسه: ((فصلبا على جسر قرطبة)).

علي بن يوسف

ابن تاشفين [1] بن توجرت [2]؛ وينظر اتصال نسبه في اسم أبيه. هو أمير المسلمين بالعدوة والأندلس بعد أبيه؛ يكنى أبا الحسن؛ تصير إليه الملك بالعهد من أبيه عام سبعة وتسعين وأربعمائة [3]؛ ثم ولي أمره يوم وفاته؛ وهو يوم الإثنين مستهل محرم عام خمسماية [4].

حاله

وكان ملكاً عظيماً عالي الهمة رفيع القدر، فسيح المعرفة شهير الحلم، عظيم السياسة، أنفذ الحق، واستظهر بالأزكياء، ووالى الغزو، وسد الثغور، إلى أن دهمه من أمر **الدولة الموحدية** ما دهمه، وكل شيء إلى مدى، فأمهل

---

[1] له ترجمة أيضاً في: المعجب، والمغرب في حلى المغرب، ورايات المبرزين، والبيان المغرب، والحلل الموشية، ووفيات الأعيان، وجذوة الاقتباس، والأعلام.

[2] هكذا في الإسكوريال. وفي مصادر أخرى: علي بن يوسف بن تاشفين ابن إبراهيم بن ترقوت بن وارتقطين بن مصالة بن أمية اللمتوني الحميري الصنهاجي.

[3] الموافق لـ 1103م. علق عنان مصححاً تاريخ تولية علي بن يوسف ولاية العهد؛ فقال: ((الصواب هو أن وثيقة تولية عهد يوسف لعلي؛ صدرت بحضرة قرطبة في شهر ذي الحجة سنة 496هـ)).

[4] الموافق لـ 1106م. كتب في الحلل الموشية أن وفاة يوسف بن تاشفين حدثت في شهر ربيع الآخر سنة 500.

السرح، وحالف الإدبار، وجاز إلى **الأندلس**، وغزا فيها بنفسه، ودخل **غرناطة** وباشرها.

قال **ابن عذاري**: تقدم الأمير **أبو الحسن** لذلك فاستعان بالله واستنجده، وسأله حسن الكفاية فيما قلَّده؛ فوجده ملكاً مؤسساً، وجنداً مجنَّداً، وسلطاناً قاهراً، ومالاً وافراً، فاقتفى إثر أبيه، وسلك سبيله، في عضد الحق، وإنصاف المظلوم، وأمن الخائف، وقمع المظالم، وسد الثغور، ونكاية العدو؛ فلم يعدم التوفيق في أعماله، والتسديد في حسن أفعاله.

دخوله غرناطة

وفي سنة خمس وخمسماية [1]، جاز البحر إلى الجهاد.
قال المؤرخ: قدم **علي بن يوسف غرناطة** مرات مع أبيه. وفي سنة خمس وخمسماية [2] تلوم بها ريثما تلاحقت حشوده، وتأهبت مطوعته وجنوده؛ فافتتح **مدينة طلبيرة**

[1] **الموافق لـ 1111م.**
[2] **الموافق لـ 1111م.**

عنوة [1] ثم عبر البحر عام أحد عشر وخمسماية، فغزى **قولمرية** [2].

ظهور الموحدين في أيامه

قال **ابن عذاري**: في سنة أربع عشرة وخمسماية [3]، كان ابتداء أمر الثاير على الدولة، الجالب للفتن الجمّة، الجار لها منذ ثلاثين سنة، حتى أقفر المعمور، وأصار الضياء كالديجور، **محمد بن ترمرت السوسي** الملقب **بالمهدي**. قلت: وأخباره عجيبة؛ وما زال أمره في ظهور، وأمر هذه الدولة، في ثبار وإدبار، إلى أن محا رسومها، وقطع دابرها، والملك لله، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاءُ، سبحانه.

---

[1] جاء في البيان المغرب: ((في سنة 503هـ؛ تحرك علي بن يوسف بن تاشفين من مراكش إلى الأندلس؛ ثم يمّم غرناطة، وتلوم بها؛ ثم دخل مدينة طلبيرة؛ ووقع النهب بها)).

[2] هي مدينة قلمورية أو قلمرية Coimbra؛ المتواجدة في شمال البرتغال. افتتحها يوسف بن تاشفين بنفسه؛ في صفر من سنة 511هـ/1117م. سميت في الحلل الموشية: قلمريت.

[3] الموافق لـ 1120م.

وفاته

قال: وفي سنة سبع وثلاثين وخمسماية [1]، توفي أمير المسلمين **علي بن يوسف**، لسبع خلون من رجب، ولم يشهر موته إلاّ لخمس خلون من شوال. فكانت مدّته من حين قدمه أبوه، تسعاً وثلاثين سنة وأشهراً . وعمره إحدى وستون سنة، قال ابن حماد: ولما يئس من نفسه، عهد أن يُدفن بين قبور المسلمين، ودفن بها في جملتهم، رحمه الله.

***

[1] **الموافق لـ 1142م.**

***

عتيـق بـن زكريا

ابـن مَـوْل التجيبي [1]؛ قرطبي الأصل؛ يمت إلى الإمارة النّصرية بقـربى صِهْـر؛ يكنى أبا بكـر.

حالـه

كـان شهمـاً جريـاً مقدامـاً، جهوريـاً، ذا أنفـة وشـارة، مليـح التجنـد، ظاهـر الرجولية، معـروف الحـق، نبيـه الولايـة، فصيـح اللسـان، مطبوعـاً، ذكيـاً، مؤثـراً للفكاهـة. ولي القيـادة بمدينـة **وادي آش**، عقـب الرييـس المنتـزي بهـا، ثـم عـزل عنهـا بسعايـة رفعـت فيـه إلى ذي الوزارتيـن **أبي عبـد الله بـن الحكيـم**؛ فسـاء مـا بينهمـا لذلـك، وأعمـل عليـه التدبيـر، بمداخلـة الأميـر **نصـر**، وإغرايـه بالأمـر. فتـمّ لـه التوثـب علـى ملـك أخيـه، وخلعـه يـوم عيـد الفطـر مـن عـام

---

[1] ذكـر في اللمحـة البدريـة هكـذا: ((الوزيـر القائـد أبـو بكـر عتيـق بـن محمـد ابـن المـول؛ الشـهم، النجـد. وبيـت بـني مـول بقرطبـة بيـت أصالـة))

ثمانية وسبعماية[1]، وقُتل الوزير **ابن الحكيم** بين يديه، وانتهبت منازله، واستقل بعد بالتدبير والوزارة، وحصل من صنايع الحاين ومتوقعي الضغط، على مال عريض، وقام بوظيف الوزارة محذور الشبا، مرهوب المدية، مسنو الفتكة، فلم ينشب أن عُين للرسالة إلى باب السلطان ملك **المغرب**، وسد باب الإياب لوجهته، وأقام **بالعدوة**، تحت الحظوة، مشاراً إليه في وجوه الدولة، وزير المداخلة والرتبة. وقد كان في ريان حداثته، لحق **بطاغية الروم**، وركب في جملته، وعلقته جارية من بنات زعماء **الروم**، لفضل جماله، وزين شبيبته، ففرّ بها تحت حماية سيفه، ولحق ببلاد المسلمين، وكانت من أهل الأصالة والجمال؛ فاتصل بمحلة أمير المسلمين **أبي يوسف بن عبد الحق**، وقد جاز إلى **الأندلس** غازياً، فاستخلصت منه لمزية الحسن، واستقرت بقصر السلطان، حظية لطيفة المحل، وجدَّ أثر رفدها وانتفع، هو وبنوه بعايد جاهها، وقد هلك السلطان. وقامت لمن خلفه مقام الأمومة، فنالوا بها دنيا

---

[1] **الموافق لـ 1308م.**

عريضة، وباشر **بالمغرب** أهوالاً، وخاض في فتن، إلى أن أسن، وقيدته الكبرة، واستولت على بصره الزمانة، ولما ولي الوزارة ولده على عهد سادس الأمراء من **بني نصر**[1]، استقدمه في ربيع الثاني من عام تسعة وعشرين وسبعماية[2]، فقدم شيخاً، قد استشن أديمه واحقَوقب، ومسحة الظرف واللوذعية، تتعلق منه بطلل بايد. ثم اقتضى تقلص ظل الولاية عن ولده، انصرف جميعهم إلى **العدوة**، فكان ذلك في رجب أو أول شعبان من العام، وبها هلك.

وفاته

توفي بمدينة **فاس** رابع محرم عام ثلاثين وسبعماية [3].
وكان كثيراً يتمثل بقول الشاعر [4]:

---

[1] هو السلطان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل. له ترجمة في الإحاطة.
[2] الموافق لـ 1328م.
[3] الموافق لـ 1329م.
[4] البحر الطويل.

نصحت فلم أفلح وخانوا فأفلـــحوا
فأنزلـــني نصـــحي بـــدار هـــوان
فإن عشت لم أنصح وإن مت فالعنوا
دون النصـــح من بعدي بكل لسان

أخبرني بذلك شيخنا **أبو الحسن بن الجياب** وغيره.

***

عمر بن يحيى

ابن مُحلّى البطّوي، يكنى أبا علي.

حاله

كان يمتّ إلى السلطان ملك **المغرب** رحمه الله، بالخؤولة، وله جرأة وجرم واضطلاع بالمهمة، إلى نكراء وخفوف إلى الفتنة، واستسهال العظيمة، ولما تصيرت **مالقة** إلى إيالة السلطان أمير المسلمين **أبي يوسف بن عبد الحق** من قبل رؤسايها من **بني إشقيلولة**، استظهر عليها من **عمر** هذا بحجاج رجاله، وقدَّمه بقصبتها، وجعل لنظره جيشاً أخشن، يقوده رجل من كبار وصفانه. وداخل السلطان ثاني الملوك من **آل نصر**[1]، **عمر بن مُحلّى** هذا بوساطة أخيه **طلحة** السابق إلى إيالته، فأحكم بينهما صرف **مالقة** إليه، وانتقال **عمر** إلى خدمته، مُعَوَّضاً عن ذلك بمال له بال، مسلماً إليه حصن **شلوبانية**، ولأخيه **طلحة مدينة المنكب**، على أرزاق مقررة، وأحوال مرتبة

[1] هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر. له ترجمة في الإحاطة.

مقدرة؛ فتم ذلك، وتحمل ثقات السلطان بقصبة **مالقة** ليلاً مع **عمر**، واستدعي للغداة قايد الجيش ومثله من الوجوه، مورياً بمعارضتهم، فسقط الغشاء بهم على سرحان، وأخذهم اعتقاله، رهينة استخلص بها من كان من عياله **بالعدوة**، وجاء بها جَلواة عارية، أعربت عن لؤمه وخبث أمانته، وانتقل له موفى له بعهده، فحل **بحصن شلوبانية** منتصف عام سبعة وستين وسبعماية [1]؛ حسبما كتب لي بعض الشيوخ من مسني بقية أهله، واحتل أخوه **طلحة بمدينة المنكب**، ولم يلبث أن خرج عنها للسلطان معوضاً بالمال، وأعمل الانصراف إلى الحج. وأقام **عمر بشلوبانية** وما يليها من العمالة، مظهراً للطاعة تمام العام المذكور، وفسد ما بينه وبين السلطان المذكور، وظهر الخلاف وأخيفت الطرق، وتحرك السلطان إلى منازلته لأشهر ثلاثة من خلافه، وحاصره أياماً؛ شد فيها منخقه، فلمّا رأى عزمه، خاطب سلطانه، الذي نزع عنه أمير المسلمين **أبا يوسف**، وعرض الحصن عليه، فبادر

---

[1] **الموافق لـ 1365م.**

إليه بالأسطول، فلمّا احتل بمرسى حصنه، واتصلت به يده، ونشرت عنده بنوده، أفرج عنه السلطان، وأنبت طعمه فيه، وصرف وجهه إلى حضرته، وبدا **لعمر** في أمره، فصرف الأسطول متعللاً ببعض الأعذار، وأقام على سبيله، واتصل ذلك بالسلطان، فرتب عليه الحصن، وضيق السبل، وتحرك في صايفة العام إلى منازلته في عُدَّة عظيمة، وحاصره ورماه بالمجانيق، وتتبع بها مجاثمه، فأعياه الصبر، وأعمل الحيلة بإظهار الإنابة، وعرض على السلطان التخلي عن الحصن، وطلب منه أن يوجه لقبضه وزيره، وأحظى الرؤساء لديه، وصاحب بنده، فوجههم السلطان في طايفة من حاشيتهم، وقد أكمن لهم **عمر** بمعرجات الطريق، بين يدي باب القلعة. فلما توسطوا الكمناء، وبرز **عمر** ليسلم عليهم، ثار بهم رجاله الأساودة وغيرهم، وقبضوا عليهم بمرأى من السلطان، وأدخلوهم الحصن وعاد السلطان إلى قتاله، فتوعد بقتلهم، وجعلهم بأعلى السور، ورمى عليه بحجر، فطرح أحدهم الحين، وعلا صراخهم يسترحمون السلطان،

فكفّ عنه، وانصرف مكظوماً. ولأيام وقعت المهادنة على تخليه عن **شلوبانية** في جملة شروط صعبة، منها العقد له على بنت السلطان المسماة **بشمس**، وانتقاله إلى **مدينة المنكب**؛ فتم ذلك في وسط ثمانية وستين [1] بعده، وتمادت المهادنة شهوراً أربعة، ثم ثاب خلافه، وضُيقت عليه الحصص المرتبة، وخرج للسلطان عن **منكب** على مال وعهد، وصرف بعد وجهه إلى سلطانه، وتطارح عليه، وهو **بجزيرة طريف**، بعد أن أخذ أمانه، زعموا، وقد كان أخوه **طلحة** سبق إليه، فاعتقل يسيراً. ثم حل اعتقاله إيثاراً للعفة، ورعياً للمتات. ولما توفي السلطان **أبو يوسف**، اضطره حاله، وآل أمره إلى العود إلى **الأندلس**، وبها الأشياخ من **بني عبد الله بن عبد الحق**، مطالبو أبيه بدم عمّهم، سبقوا مقدمه على السلطان بإيعاز [2] منه، وقد نزل **بقرية أرملة** [3] على **وادي أفلم**، واعتصم منهم

---

[1] **الموافق لـ 1366م.**
[2] **في الإسكوريال: ((بايغاز))؛ وصوبها عنان.**
[3] **تقع بلدة أرملة Armilla على الضفة اليسرى لنهر شنيل؛ وهي قريبة من غرناطة.**

ببرج فقاتلوه واستنزلوه فقتلوه، فانقضى أمره على هذه الوتيرة، والبقاء لله سبحانه.

***

عامر بن عثمن

ابن إدريس بن عبد الحق [1] شيخ الغزاة بالأندلس، وابن شيخها؛ يكنى أبا ثابت؛ أجري مجرى الأصليين لولادته بالأندلس

أوليته

تأتي في اسم أبيه.

حاله

كان رييساً جليلاً، فذاً في الكفاية والإدراك، نسيج وحده في الدهاء والنكراء، مشاراً إليه في سعة الصدر، ووفور العقل، وانفساح الذَّرع، وبعد الغور، باسلاً مقداماً، صعب الشكيمة على الهمة، لين الكلمة، رَيِّش جناح العز، وافر أسباب الرّياسة، مجرّباً، محتنكاً، عارفاً بلسان قومه وأغراضهم، جاعلاً جفوات أخلاقهم دُبُر أذنه، مَهيباً على دماثة وإلحاح سقام. تولى الأمر بعد أبيه

---

[1] له ترجمة أيضاً في اللمحة البدرية.

فقام به أحمد قيام، مسلماً لبقية من مسني القرابة وأكابر الإخوة، اعترافاً بالفضل، وإيثاراً لمزية العتاقة على الهجْنة، فحل أرفع المحال. وتبنك على حال الضَّنا نعيماً، وغزا غزوات شهيرة، إلى أن تناسى الأمر، وكبا بهم الجد، وحملهم قرب مخيفهم بالثأر المنيم ملك المغرب، لما اقتحم فرضة المجاز إلى الجهاد على المبايتة ومراسلة **الطاغية**، فساءت القالة، وفسد ما بينهم وبين سلطانهم، وأعمل عليهم التدبير.

نكبته

ثبت في الكتاب المسمى (**بطُرْفة العصر**): ولما اتَّصلت ليدَيْ المسلمين، وفصل أميرهم من ملك **المغرب**، تنمر أضدادهم المناوؤون له المعاندون قدرة الله فيه، المتهيئون إلى القاصِمة بمشاحنته، فأظهروا النفور والحذر، وكانوا قد داخلوا ملك **قشتالة** وواعدوه اللحاق به، إن راعهم رايع، ووصلتهم مخاطبته بقبولهم. فلما تخلف المسلمون عنا للحاق به، نسب لهم الفشل والتكاسل، فانطلقت

الألسن، ولمت القلوب، وتُشُوِّف إلى الفتك بهم، وهم عصابة بأسها شديد، أشهروا فروسية ونجدة وأتباعاً، فعظم الخطب، وأعملت الشورى في أمرهم، وصرفت الحيل إلى كف عاديتهم، ومعالجة أمرهم، فتَّم ذلك.

ولما كان يوم السبت التاسع والعشرون من ربيع الأول، قعد لهم السلطان على عادته، ووجه عنهم في غرض الاستشارة في حال السفر إلى إمداد ملك **المغرب**، وقد عبر ونازل **جزيرة طريف**، وفاوضهم فيما عليه الناس من إنكار التَّلوُّم، ثم قام السلطان من مجلسه، وثارت بهم الرجال، فأُحيط بهم، ونزعت سيوفهم عن عواتقهم، وطارت الخيل في ضم من شذ عنهم، فتقبض على طايفة من أعلامهم، كانوا بين غر يباشر قنصاً، أو مفلت لم يجد مهرباً، وطارت الكتب إلى **مالقة** في شأن من بها منهم، فشملهم الاعتقال، ثم نقلوا إلى مدينة **المنكب**؛ فجعلوا في مطبق الأسرى بها، إبلاغاً في النكال، وتناهياً في المثلة، فلم تجر عليهم مصيبة أعظم منها، لاضطرارهم إلى قضاء حاجة الإنسان برأي عين من أخيه، خطة خسف

سيموها، مع العلم بنفور نفوسهم عن مثلها، وفيهم صدور البيت وأعلامه، كأبي ثابت المترجم به، وأخيه كبيره **إبراهيم**، وابن عمهم زين المواكب، وقريع السيوف، وعروس الخيل، **حَمُّو بن عبد الله**، وسواهم، وقانا الله شر الهلكات، وأشرأب مخيفهم للسلطان صاحب **المغرب** ، وولي الثرة، إلى صرفهم إليه، وقد استوجب من ملك **الأندلس** الملاطفة لالتفاته لسيئ البُرْد، واقتحامه باب القطر. وأخفق السعي، وضن بهم موقع النقمة عن إسلامهم إليه، سيرة أحسنها في جنسهم من أولي الجهالف، فأجلاهم عما قريب في البحر إلى **إفريقية**؛ فاستقروا **ببجاية**، ثم استقدموا إلى **تونس** تحت إرصاد ورقبة، وأخفر فيهم ملكها الذمة، وهم لديه، فوجههم على بعد الدار، ونزوح المزار، إلى السلطان صاحب **المغرب**، مصحبين بشفاعة فيهم، كانت قصارى ما لديه، فاستقروا في الجملة تحت فلاح وكفاية، لا تلفت إليهم عين، ولا يتشبث بذمل حظوتهم أمل.

ثم نكبوا بظاهر **سبتة** نكبة ثقيلة البرك، مغارة البرك الحمل، وأودعوا شر السجون بمدينة **مكناسة**، فأصبحوا رهن قيود عديدة، ومسلحة مرتبة، جر ذلك عليهم ذرة من القول في باب طموحهم إلى الثورة، وعملهم على الانتزاء **بسبتة**، الله أعلم بحقه من مينه.

ولما صير الله ملك **المغرب** إلى السلطان، أمير المؤمنين **أبي عنان**، واضطره الحال إلى الاستظهار بمثلهم، انتشلهم من النكبة، وجبرهم بعد الصدعة، وأعلق يد كبيرهم المترجم به بعروة العزة، واستعان بآرائه على افتراع الهضبة، فألفى منه نقاباً قد هذبته التجربة، وأرهفته المحنة، وأخلصته الصنيعة، فسل منه سيفاً على أعدايه، وزعموا أنه انقاد إلى هوى نفسه، واستفزته قوة الثرة، ولذَّة التشفي، وذهب إلى أن يكل للسلطان ناكبه. المجاراة صاعا بصاع، فانتدب إلى ضبط ما **بالأندلس** من عمالة راجعة إلى ملك **المغرب**؛ فانقلب يجر وراءه الجيش، ويجنب القوة، فقطع به عن أمله القاطع بالآمال، وأحانه الله ببعض مراحل طريقه مطعوناً لطفاً من الله به، وبمن

استهدف إلى النصب بمتجادته. وهو سبحانه مليء بالمغفرة عن المسرفين، سبحانه.

وفاته

في الأخريات من عام تسعة وأربعين وسبعماية [1].

***

[1] الموافق لـ 1348م.

علي بن بدر الدين

ابن موسى بن رحّو بن عبد الله بن عبد الحق[1]؛
يكنى أبا الحسن.

حاله

هذا الرجل نسيج وحده في الفضل والتخلق، والوفاء، ونصح الجيب، وسلامة الصدر، وحسن الخلق، راجح العقل، سري الهمة، جميل اللقاء، رفيع البزة، كريم الخصال، يكتب ويشعر، ويحفظ ويطالع غرايب الفنون، صادق الموقف، معروف البسالة، ملوكي الصلات، غزل، كثير الفكاهة، على تَيْقور وحشمة، قدمه السلطان شيخ الغزاة بمدينة **وادي آش**، فلما وقعت به المحنة، وركب الليل مفلتاً إليها. اتفق لقاؤه إياه صباحاً على أميال منها، وجاء به، وأدخله المدينة على حين غفلة من أهلها، فاستقر بقصبتها وما كاد، وأخذ له صفقة أهلها، وشمر في الذب عنه تشميراً نبا فيه سمعه عن المصانعة، ودهيه عن الجملة، وكفُّه عن قبول الأعواض،

[1] له ترجمة أيضاً في نفح الطيب.

فلم يلف فيه العدو مغمزاً، ولا المكيدة مَعْجماً، ولا استأثر عنه بشيء مما لديه، إلى أن كان انتقال السلطان عنها إلى **المغرب**؛ ، فتبعه مشيعاً إلى مأمنه، فتركها غريبة في الوفاء، شاع خبرها وتعوطي حديثها، على حين نكر المعروف، وجحدت الحقوق، وأَخْوَت بروق الأمل. ثم قلق المتغلب على الدولة بمكانه، فصرفه إلى **العدوة الغربية**، فاستقرَّت به الدار هنالك، في أوايل عام ثلاثة وستين [1] أو أواخر العام قبله.

وخاطبته من مدينة **سلا**؛ لمكان الودّ الذي بيني وبينه بما نصه [2]:

يـــا جملـــة الفضـــل والوفـــــاء
مـــا بمعاليــك مـــن خفـــــاء
عنـــدي بالـــــود فيـــك عقـــد
صحَّحـــــه[3] الـــدهـــر باكتفـــاء

---

[1] أي **763**هـ الموافق لـ **1361**م
[2] مخلـع البسيـط.
[3] في النفـح: ((صحَّفـه)).

ما كنـــت أقــضي علاك[1] حقــاً

لــو جيــت مدحــاً بكل فـــاء

فأَوَّل وجـــه القبــول عُــذري

وجنــب[2] الشَّـــك في صفـــاء

سيدي؛ الذي هو فضل [3] جنسه، ومزيَّة يومه على أمسه، فإن افتخر الدين من الله [4] ببدره، أفتخر منه بشمسه، رحلت عن [5] المنشأ والقرارة [6]، ومحل الصَّبوة والغرارة [7]، فلم تتعلَّق نفسي بذخيرة، ولا عهد حيرة [8] حيرة [8] خيرة، كتعلقها بتلك الذات، التي لطفت لطافة الراح، واشتملت بالمجد الصَّراح، شفقة أن تصيبها معرة [9]، والله [10] يقيها ويحفظها ويبقيها، إذ

---

[1] في النفح: ((حلاك)).
[2] نفسه: ((وحسبك الشَّك)).
[3] نفسه: ((فصل))؛ بالصاد المهملة.
[4] نفسه: ((من أبيك)).
[5] نفسه: ((على)).
[6] أي الاستقرار.
[7] في النفح: ((والفرارة))؛ بالفاء المعجمة.
[8] نفسه: ((جيرة)).
[9] أي أن تصيبها خطيئة ووصمة.
[10] في النفح: ((الله تعالى)).

الفضايل في الأزمان الرذلة غوامل [1]، والضّدّ عن ضدّه منحرف بالطّبع ومايل. فلما تعرفت خلاص سيدي من ذلك الوطن، وإلقاه [2] وراء الفُرْضة بالعطن، لم تبق لي تعلة، ولا أجرضتني [3] علة، ولا أتي جمعي من قلة. فكتبت أهنئ نفسي الثانية، بعد هناء نفسي الأولى، وأعترف للزمن [4] باليد الطولى، بالحمد لله الذي جمع الشمل بعد شتاته، وأحيا الأنس بعد مماته، سبحانه لا مبدل لكلماته، وإياه أسئل أن يجعل العصمة حظ سيدي ونصيبه، فلا يستطيع حادث أن يصيبه، وأنا أحدج [5] عن عن بث كمين، ونصح أنابه قمين، بعد أن أسبر غوره، وأخبر طوره، وأرصد دوره، فإن كان له في التفريق [6] أمل، وفي ركب الحجاز ناقة وجمل، والرأي فيه، قد نجحت منه نيَّة وعمل، فقد غني عن عوف [7] والبقرات،

---

[1] في النفح: ((غوائل)).
[2] نفسه: ((وإلقاءه)).
[3] نفسه: ((ولا أحرضتني له علة)).
[4] نفسه: ((للزمان)).
[5] نفسه: ((وأنا أخرج له عن بث كمين)).
[6] نفسه: ((التشريق))؛ أي السفر للمشرق بقصد الحج.
[7] نفسه: ((عرف البقرات)).

والبقرات، بأزكى الثمرات، وأطفأ هذه الجمرات برمي الجمرات، وتأنس بوصل السرى، ووصال السراة، وأناله [1] إن رضي أرضى مرافق، ولو أغري [2] به خافق، وإن كان على السكون بناؤه، وانصرف إلى الإقامة اعتناؤه، فأمرٌ له ما بعده، والله يحفظ من الغِيَر [3] سعده. سعده. والحق أن تحذف الأبهة وتختصر، وتحفظ [4] اللسان ويغيض [5] البصر، وينخرط في الغمار، ويخلى عن المضمار، ويجعل من المحظور مداخلة من لا خلاق له، ممن لا يقبل الله [6] قوله ولا عمله، فلا يكتم سراً، ولا يتطرق [7] من الرجولة زمراً [8]، [ورفض الصحبة زمام السلامة، وترك النجاة علامة] [9]، وأما حالي فما[10]

---

[1] نفسه: ((وأنابه إن رضيني)).
[2] نفسه: ((ولواء عزي به خافق)).
[3] أي من المصائب والنوازل المغيرة.
[4] في النفح: ((ويحفظ)).
[5] نفسه: ((ويغض)).
[6] نفسه: ((الله تعالى)).
[7] نفسه: ((يتطوق)).
[8] نفسه: ((زراً)).
[9] نفسه: ((ويرفض زمام السلامة، وترك العلامة على النجاة علامة)).
[10] نفسه: ((فكما)).

علمتـم مُـلازم كِـنَّ[1]، ومبهـوظ[2] تجربة وسن، أزْجَي الأيام، الأيام، وأروم بعد التفرق الالتئام، خالي اليد، مالي [3] القلب والخلد، بفضل الواحد الصمد، عامل على الرحلة الحجازية التي أختارها لكم ولنفسي، وآمل في التماس الإعانة عليها يومي بأمسي، أوجب ما قررته لكم ما أنتم أعلم به من ود قررته الأيام والشهور، والخلوص المشهور، وما أطلت في شيء عند قدومي على هذا الباب الكريم، إطالتي فيما يختص بكم من موالاته. وبذل مجهود القول والعمل في مرضاته. وأما ذكركم في هذه الأوضاع، فهو مما يقرُّ عين المجادة، والوظيفة التي تنافس [4] فيها أولو أولو السيادة. والله يصل بقاءكم، وييسّر لقاءكم والسلام.

وهذا الفاضل ممن جال فيه لاختيار الإمارة أيام مقامه **بالعدوة الغربية**، لذياع فضله، وكرم خلاله. وقفل إلى **الأندلس**، عند رجوع الدولة، فجنى ثمرة ما أسلفه، وقدم شيخ الغزاة **بمالقة**. ثم نقل إلى التي لا فوقها، من

---

[1] أي ملازم مخبأ أو مأوى.
[2] في النفح: ((ومهبط)).
[3] في النفح: ((مليء)).
[4] نفسه: ((ينافس)).

تقديمه شيخ الغزاة بحضرته، منة لا على ميادين حظوته، مقطعاً جانب تجلته، فبلي الناس على عهد ولايته الفتوح الهنية، والنعم السَّنية. ولما قفل السلطان أيده الله، من فتح قاعدة جيان، أصابه مرض، توفي منه في ثالث صفر من عام تسعة وستين وسبعماية [1]. فتأثر الناس لفَقْده، لما بلوه من يمن طائره، وحسن موارده، ومصادره. وكان قد صدر له المنشور الكريم، من إملائي، بما ينظر في اسم المؤلف، في آخر هذا الديوان.

***

[1] **الموافق لـ 1367م.**

علي بن مسعود

ابن علي بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مسعود المحاربي [1]، الوزير؛ يكنى أبا الحسن.

حاله

كان من أعيان أهل الحضرة، وذوي الهيآت والنباهة من بيوتها، أيدا، حسن الشكل، جهير الصوت، فصيح اللسان، ثرثاره، جيد الخط، حلو الدعابة، طيب النفس، لبقاً، ذكياً، أديباً، فاضلاً، لوذعياً، مدركاً. وزر للسلطان **أبي الوليد**، نزع إليه لما دعا إلى نفسه **بمالقة** من إيالة مخلوعه بعد اصطناعه، وصرف وجهته إلى جهته، فتغلب على هواه، وأشركه في الوزارة، مع القايد الوزير **أبي عبد الله بن أبي الفتح الفهري،** وقد مرَّ ذكره، فأبر عليه بمزيد المعرفة بالأمور الاشتغالية، وجماح عنان اللسان والجرأة، في أبواب المداخلات الوزارية. فلم يزل يضمُّ أذيال الخطة، ويقلّصُها عن قسيمه، إلى أن لم يبق له منها إلا الاسم إلى حين وفاته.

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في تاريـخ قضـاة الأندلـس.

وفاته

واستمرت حاله على رسمه من القيام بالوزارة إلى أن فتك بسلطانه قرابته بباب داره كما تقدم في اسم السلطان **أبي الوليد** في حرف الألف فكَّر[1] أدراجه وهاج بالباطشين، وسلَّ سيفه، يدافع عنه، فمالت إليه الأيدي، وانصرفت إليه الوجوه، وأصيبت بجراحات مثخنة، أتى عليه منها جرح دماغي لأيام. وعلى ذلك فلم يبرح من سدة السلطان، حتى تعجل ثأره، وشمل السيف قتلته. وأخذ البيعة لولده. وكانت وفاته في السابع والعشرين لشعبان من عام خمسة وعشرين وسبعماية[2]. ودفن **بباب إلبيرة**. وكان الحفل في جنازته عظيماً، والثناء عليه كثيراً، والرحمة له مستفيضة. ورثاه شيخنا **أبو الحسن بن الجياب** رحمه الله بقوله[3]:

---

[1] في الإسكوريال: ((كر))؛ فصوبها عنان.
[2] الموافق لـ 1324م.
[3] البحر الطويل.

أيا زَفْرتي زيدي ويا عَبْرتي جودي
على فاضل الدُّنيا على ابن مسعــود
على الشامخ الأبيات في المجد والعــلا
على السابق الغايات في البأس والجــود
على غرة العصر التي جمعــت إلى
مهابة مرغــوب طلاقــة مَــوْدود
على من له في الملــك غير مُنَازع
وزارة ميمــون النَّقيبــة محمـــود
عــلى مــن إذا عُدَّ الكــرام فإنــه
بواجــب حق الفضــل أول معدود
ومن كعلي ذي الشجاعة والرضـــا
لإصراخ مذعــور وإيواء مطــرود
ومن كعلي ذي السماحـــة والنـــدا
لإسبـــاغ إنعـــام وإنجـــاز موعـــود
ومــن كعـــلي للـــوزارة قايمـــاً
عليها بتصويـــب عليهـــا وتصعيـــد

ومـــن كعـــلي لـــلإدارة سالكـــاً لها

لها نهـــج تلييـــن مشوب بتشديـــد

ومـــن كعـــلي للسيـــاســـة منفّـــذاً

أوامـــر تَنْفيـــذ وأحكـــام تَوطيـــد

ومن كعلي في رضا اللـــه حاكمـــاً

بإنجـــاد معدوم وإعـــدام موجـــود

ومـــن كعـــلي واصل الرحم الـــتي

تَمُـــتُّ بتقريـــب لـــه أو بتبعيـــد

ومســـدي الأيادي البيض بدأ وعودة

مرددة تمحـــو دجى الثُّوب السُّـــود[1]

أيا كـــافي السلطـــان كل عظيمـــة

بـــآراء تسديـــد وأعمـــال تمهـــيـــد

ويا حامي الملـــك المشيـــد بنـــاؤه

بصولـــة محـــذور وغرَّة مقصود

ويا كافل الأيتـــام يجـــري عليهـــم

جرايـــة نعـــمى بابها غير مســـدود

---

[1] **جعلها د. طويل: ((السود)) بحف اللام، وإضافة الألف.**

ذكرتك في نادي الوزارة صادعــاً
بأمرٍ مطــاع حكمــه غير مــردود
كرتك في صــدر الكتيبــة[1] قائمــاً
بخدمــة مــولى بعد طاعة معبــود
ذكرتــك في المحراب والليل دامس
تردد آي الذكــر أطيــب ترديــد
ودمعك مُرْفــضٌّ وقلبــك واجــب
لخشيــة يوم بيــن عينيك مشهــود
عفّاً[2] عــلى الدنيــا ولا درّ درهــاً
فمــا جمعهــا إلاّ رهيــنٌ بتبديــد
فمهمــا حلت منهــا لديــك مسرَّة
ففي إثرهــا فارقــب مرارة تنكيــد
ألهفــاً على الوجــه الجميل معطَّراً
بــدار البلى رهين الأساود والــدود

---

[1] في الإسكوريـال: ((اللتيبـة))؛ فصوبهـا عنـان.
[2] جعلهـا د. طويـل: ((عفـاء))؛ بعد إضافـة الهمـزة.

وعهــدي بـــه مستبشراً ومبشـــراً

بتفريـــج مكـــروب وراحة مجهود

لأظلمـــت الدنيـــا عـــلي لفقـــده

فها أنا أرعاهـــا بمقلـــة مرصـــود

وقلَّــص من ظـــل الرجا[1] فراقـــه

فظـــل رجـــائي بعده غير ممـــدود

وكم سبحت فلك المنى في بحارهـــا

مواخر فاليوم استوت بي على الجود

وهوَّن عندي كل خطـــب مصابـــه

فبعد عـــلي لســـت أبـــكي لمفقـــود

ولا أدعي أني وفيـــــت بعهـــــده

فلم أرع عهدا حيـــن أودى ولم أود

فـــلا يشمتنّ[2] الأعداء إن حان حينه

فما بالـــردى عار فكل امرئٍ مـــود

---

[1] جعلها د. طويل: ((الرجاء))؛ بعد إضافة الهمزة.
[2] جعلها د. طويل: ((يشمتِ)).

ولا سيمـــا إذا[1] مات ميتـــة عـــزَّة
بعيداً شهيداً ماضيـــاً غير رعديـــد
وفياً لمـــولاه مطيعـــاً لربِّـــه وقـــد
وقد بطلت ذعـــراً رقاب الصَّناديـــد
فبشـــرى له أن فـــاز حيـــاً وميتـــاً
بميْتَـــة مفقـــود وعيشـــة محســـود
عليـــه ســـلام اللـــه ما ذرَّ شـــارقٌ
وما صدعت ورقَاء في فرع أملـــود
وجادت ثرى اللحد الزكي سحايـــب
مجددة الرحـــمى بأحســـن تجديـــد
***

[1] جعلها د. طويل: ((إذ)).

علي بن لب

ابن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي؛ غرناطي، قلعي [1].

حاله

كان ظريفاً، مليح الخطّ، حار التندير، عيناً من عيون القُطر ووزرائه.

شعره

حدَّث **أبو الحسن بن سعيد**؛ قال: تمشينا معاً أيام استيلاء النهب والتهدم، على معظم ديار **مراكش** بالفتنة المتصلة، قال: فانتهينا إلى قصر من قصور أحد كبرايهم، وقد سجدت حيطانه، وتداعت أركانه، وبقايا النهب والأصبغة والمقربسات، تثير الكمد، ولا تبقي جلداً لأحد، فوجدنا على بعضها مكتوباً بفحم [2]:

ولقد مررت على رسوم ديارهم
فبكيتها والربع قاع صفصف

[1] نسبة إلى قلعة بني سعيد (قلعة يحصب). سبقت الإشارة إليها.
[2] البحر الكامل.

وذكرت مجرى الجور في عرصاتهـــم
فعلمـــت أن الدهر منهم مُنْصـــف

فتناول **أبو الحسن** بياضاً من بقيَّة جيار؛ وكتب تحتها ما نصه [1]:

لهـــفي عليهـــم بعدهـــم فمثالهـــم
باللــــه قل لي في الورى هل يُخْلَف
مـــن ذا يجيـــب مناديـــاً لوسيلـــة
أم من يُجيـــر من الزمان ويَعطِـــف
إن جـــار فيهـــم واحـــد من جُملـــة
كم كان فيهم من كريـــم يَنْصِـــف

وفاته

توفي **بمراكش** سنة سبع وعشرين وستماية [2].

***

[1] **البحر الكامل.**
[2] **الموافق لـ 1229م.**

علي بن يوسف

ابن محمد بن كماشة [1]؛ القايد والوزير بين القتاوة والخرط؛ يكنى أبا الحسن.

أوليته

كان جدُّه من المُتَنَزين ببعض **حصون الأندلس**، **طلياطيه** [2]، وخدم **طاغية الروم** ببعضها، وانخرط في جملته، يشهد بذلك مكتوبات تلقاها بشماله، ووراء ظهره، صانها حَافِدُه المترجم به، في خرقة من السَّرَق لا يزال، يعرضها في سبيل الفخر، على من يصل إلى باب السلطان من رسل **الروم**. ولقد عرضها أيام سفارته إلى ملك **قشتالة** على وزيره **شمويل اللبي اليهودي**، وطلب تجديدها. فقال له هذا يتضمن خدمة جدّك للسلطان مولاي جدّ مولاي السلطان بجملة من بلاد المسلمين؛ وفيها الشكر له والرعاية على ذلك، فاذهب أنت هذا المذهب، الذي ذهبه جدك، يتجدد لك ذلك إن شاء الله،

---

[1] له ترجمة أيضاً في كتاب العبر، وكتاب اللمحة البدرية؛ حيث ذكر فيه أنه كان وزير الغني بالله؛ ثامن سلاطين بني نصر بغرناطة.

[2] هكذا في الإسكوريال. ربما تكون ((طلياطة)) Tlita أو Tijada؛ وهي بلدة تقع إلى الغرب من إشبيلية؛ وتبعد عنها بحواي عشرين ميلا.

فلما هلك ووري بين مدافن **الروم**، بعد أن علق زماناً على سور الحصن في وعاء، توفيَةً لشرط لا أُحقِّقُه الآن، ولحق ولده بباب السلطان، فتفيئوا ظل كفالته، ونشئوا في عداد صِبْيته، ولما صلحوا للاستعمال، استخدم منهم **علياً** كبيرهم في العمل؛، فاستظهر به على حفزه بحمى **ألمرية**، وما إليها، فأَثرى ورآه استغنى، وطالت مدة ولايته، واستعمل أخاه **يوسف** والد المترجم به، في القيادة، وكان رجلاً مضعوفاً، فاستمرت حاله إلى أن فقد بصره، وجنى عليه شؤم ولده، الجلا شيخاً زَمِناً. ثم عاد إلى **الأندلس** فتوفي بها، حسبما يذكر في اسميهما. وكانوا يتبجَّحون بنسبه إلى **معن بن زائدة**؛ طوق جدهم بتلك النسبة، بعض أولي التَّنفق والكُدْية، فتعللوا منها بنسيج العناكب، وأكذبوها بالخلق المقوت، والبخل بفتات القوت، والتعبد لعبدة الطاغوت: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾.[1]

---

[1] **الآية كاملة هكذا: (يَا أَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ). سورة الحجرات؛ الآية: 13.**

حاله

هذا الرجل حسن الشكل، كثير الهشة، جيد الرّياش، كثير التعلُّق والتوسل، لصقت بشجرات الدول صَمْغته، وثبت بأسبابها قراده، شديد الملاطفة لحجبة الأبواب، والمداخلة لأذيال الأمراء، متصامم على أغراضهم، مكذب لمحسوس جفوتهم، مُتَنفِّق بالسعاية، متبتذل في أسواق الخدمة، يسبق في الطيالس، ويلفظ الزَّبير، ويصرخ بالإطراء، ويولول بالدعاء، مدل في الأخونة، محكم في نفسه للنادرة التي تضحكهم، بذي مهذار، قليل التصنع، بعيد عن التَّسمت، أطمع خلق الله وأبخلهم بما لديه، وأبعدهم في مهاوي الخسة، أما فلسه فمخزون، وأما خوانه فمحجوب، وأما زاده فممنوع محجور، وأما رفده فمعدوم العين والأثر. وأما ثوبه فحبيس التَّحت إلى يوم القيامة، قد جعل لكل فصل من فصول معاشه، ونفاضة مخاليه، وسور دوابه مؤنة ما. فالنخالة بينة المصرف، وللسرجين معين الجهة، وفتات

المنديل، موقفة على فطور الغد، ودهن الاستصباح جار في التجلة والادخار مجرى دهن البَلَسان.

أخباره

في هذا الباب مُغْرِبةٌ، ولزمت كَعْبة المُنْحسَة، وعلق في عنقه طاير الشُّؤم، فلم تنجح له وجهة، ولا سعدت له حركة، واستقر عند الكاينة على الدولة بباب السلطان **بالمغرب**، خاطباً في حَبْل الغادر، المتوثب على الملك، ومعيناً للدهر على الأحَّبّ الحق وولّي النّعمة. ثم بدا له في المقام **بالمغرب** أمناً واضطراباً. ولما رحل السلطان **أبو عبد الله بن نصر** المذكور، إلى طلب حقه، وقد أَعْتَبه، سدد به رسم الوزارة في طريقه، كما اضطر صيادٌ إلى صُحبة كَلْبٍ مخابت آماله، ولحقت به المَشْأَمة، وتَبر الجدُّ، واشتهر ذلك، فعلقت به الشَّفقة، إلى أن خاطب السلطان بعض من يهمُّه أمره بهذه الأبيات [1]:

---

[1] **البحر الطويل.**

كُماشكـــم من أجله انكمش السَّعــد
إذا ما اطَّرحتم شُومـــه نَجِز الوعــد
ومن لم تكن للسَّعد في بدء أمـــره
مخيلـــة نجـــح كيف ترجى له بعـــد
وتصريفـــه المشئُـــوم فلتتذكَّـــروا
وما قلت إلا بـــالتي علمـــت سعـــد

واقتضى أمره تبرُّماً به، أن صُرف من **رُندة**، وقد استقرَّ أمره بها رسولاً إلى باب ملك **المغرب**، لأمور منها استخلاص ولده وإيصاله إليه. فتعذَّر القَصْد، وسُدَّت الأبواب، وأُزِفَت بدار **المغرب** عهدٌ بذَّ الآزفة، وتراخى مُخَنَّق مُرسله لخلو دَسْته منه، فثاب الرَّجاء وقَرُب الفتح، وساعد السَّعد بما طال منه التَّعجب. ولما بلغ خبر صنع الله، وإفاقة الأيام وجبر السلطان بدخول **مالقة** في طاعته، لحق به، وقد قلقت به الجوانب، وتنكَّرت الوجوه، وساءت لطيرته الظنون، فتوفر العزم على صرْفه عن

الأندلس في أوليات رمضان عام ثلاثة وستين وسبعماية [1]، فقبض عليه، وصرف إلى البلاد **الشرقية**، وقد شرع في إغراء سلطان **قشتالة** بالمسلمين، وكان آخر العهد به، وذكروا أنه حجّ وقفل والعودة تتبعه، والنفوس لمتوقَّع شُومِه مُكْرهة، ورجي أن يكون ماء زمزم، وضوء النقع، أو أنَّ مشاهدته الآثار الكريمة، تُصلح ما فسد من حاله، فآب شرَّ إياب؛ وربما نبض له شريان من جدّه، الذي تقدم في خدمة **النصارى** ذكره. فأجاز البحر إلى ملك **برجلونة**؛ فجعل تقبيل كفه، لاستلام الحجر الأسود، وسيلة ثانية، وقربة مزلفة، والقول بفضل وطنه حجة صادقة، ثم قلق لخيبة قصده، وخلو يده، من الزقوم، الذي كان قد احتجنة للمهم من أمره، واستيلاء النَّحس على بيت سعده؛ فصرف وجهه المشُوم إلى **المغرب**؛ فاحتلَّ به، وجعل يُطَوق كل من أسلف له بداء الذام، ويشيع عنه سوء القيلة، ويجهر في المجتمعات والدَّكاكين،

---

[1] **الموافق لـ 1361م.**

بكل شنيع من القول، بالغاً في ألفاظ السغيلة، أقصى مبالغ الفُحش، لطف الله بنا أجمعين.

***

عثمن بن إدريس

ابن عبد الله بن عبد الحق بن محيو [1]؛ من قبيل بني مرين؛
يكنى أبا سعيد؛ شيخ الغزاة بجزيرة الأندلس على عهده.

أوّليّتهم

جدُّ هؤلاء الأقْيال الكِرام، الذي يشترك فيه الملوك الغر من **بني مرين بالعدوة**، مع هؤلاء القَرَابة، المُنْتَبين عنهم أضرار التراث، ودواعي المنافسات، **عبد الحق بن مَحْيُو**، وكان له من الولد: **إدريس، وعثمان، وعبد الله، ومحمد، وأبو يحيى، ويعقوب**. فكان الملوك **بالمغرب** من ولد **يعقوب**؛ وهؤلاء من ولد **عبد الله، وإدريس ويعقوب ورحو**. ولما قتل جدهم **يعقوب**، بيد **ابن عمه عبد الحق بن يعقوب**، أجفل أخواه ومن معهم، وانتبذوا، واستقروا **بتلمسان**، بعد أمور يطول شرحها. ثم اجتاز

[1] لـه ترجمـة في كتـاب العبـر، ونفـح الطيـب.

الشيخ **أبو سعيد** في جملة من اجتاز منهم إلى **الأندلس**، فنال بها العِزَّة والشُّهرة.

حاله

كان رجل وقته جلالةً وأصالةً، ودهاءً وشهرة وبسالةً، مرمى لاختيار عَتاقة وفراهة، واحد الزمن أبَّهة ورُواءً. وخُلقاً ورجاحةً، أيّداً، عظيم الكَراديس، طوالاً، عريض المَنْكِب، أقنى الأَنف، تقع العين منه على أسد عيصٍ، وفحل هَجْمة، بعيد الصيت، ذائع الشهرة، منجب الولد، يحمي السرح، ويزين الدَّست. لحق **بتلمسان** مع زوج أمه وعمّه، **موسى بن رحُّو،** عندما فروا من الجبل **بأحواز ورْغَة**، شاباً كما اجتمع، وأجاز البحر منها، وخدم مُرْتَزِقاً بها.

ثم عاد إلى **العدوة**، برِضاً من عمه السلطان بها. ثم فرَّ عنه ولحق **بالأندلس**، واستقر بها، ووُلّي خطة الشياخة العامة، وهي ما هي، من سمُو الهَضْبة، ووُرُود الرزق، وانفساح الإقطاع، فشارك وتبنَّك النَّعيم، وأقبل ما استظهر به على ما وراء مدينة **سَبْتة**، عند انتظامها في

الإيالة **النصرية**. فشنَّ الغارة، ودعا إلى نفسه، وخلا فطلب النّزَال، فغلبت غارته أحواز **وادي سبُو**. ثم رجع أدراجه إلى **الأندلس**، وذمر السلطان **أبا الوليد**، منفق حظوته على طلب الملك، ففازت به قداحه، واستّولى على الجم من ريق دنياه، وسل الكثير من ماله وذخيرته في أبواب من العبادة، والاسترضاء والاستهداء.

ولما توفي، تضاعف لطف محله من ولده، إلى أن ساء ما بينه وبين مدبّر أمره **ابن المحروق**، ونفر عنه، مؤاخذاً بألقيات، كانت سلماً إلى تجنبه، يحسب أن الافتقار إليه، يعبد له كل وعث. فاغتنم المذكور نُفْرته، واستبصر في الانتباذ عنه، مطيعاً دواعي الخور والرهبة، من شؤوب حاله، وأجلى الأمير عن رحيله وولده إلى ساحل **ألمرية**، موادعاً، مُزمعاً الرحيل عن **الأندلس**، وارتاد الجهات، وراسل الملوك **بالعدوة**، فكل صم عن ندايه، وسد السبيل إليه، فداخل قوماً من مشيخة **حصن أَنْدَرَش** حاضرة وطن الجباية، فاستولى عليه، وانتقل إليه بجُملته، وراسل **الطاغية**، فتحرك إلى منازلة **حصن وبرة** من الحصون

التاكرونية. ففازت به قداحه، واستدعي عم السلطان، وهو الرئيس **أبو عبد الله بن فرج بن نصر** من **تلمسان**، فدعا إليه، وشملت الفتنة، وكانت بينه وبين جيش الحضرة وقايع، تناصف فيها القوم خطتي المساجلة إلى أن نفد صبره وماله، وسمت فتنته الدولة، واقتضت مسالمته المصلحة؛ فعوهد على التخلي عن الحصن، وصرف أميره إلى متبوئه الأقصى، وانتقاله إلى مدينة **وادي آش**، ليكون سكنه بها، تحت جرايات مُقدَّرة، وذلك في شهر رمضان ثمانية وعشرين وسبعماية [1]، وعلى تفيية ذلك، عدا على مناويه أميره، ففتك به، واستقدم الشيخ **أبا سعيد** فأعاده إلى محله، واستمرت على ذلك حياته إلى مدة حياته، إلى أن توفي في أُخريات أيامه.

---

[1] **الموافق لـ 1327م.**

وفاته

ولما نزل العدوُّ ثغر **أطيبة**، ونهض جيش المسلمين إلى مضايقته، أصابه المرض. ولما أشفى [1] ونقل [2] إلى **مالقة**؛ فكانت بها وفاته يوم الأحد ثاني ذي حجة من عام ثلاثين وسبعماية [3] عن سن عالية تنيف على الثمانين سنة، ونقل إلى **غرناطة**، فووري بها، وبنيت عليه بنية ضخمة، وصار أمره إلى ولده، ونقش على قبره في الرخام:

((هذا قبر شيخ الحماة، وصدر الأبطال الكماة، واحد الجلالة، ليث الإقدام والبسالة، علم الأعلام، حامي ذمار الإسلام، صاحب الكتايب المنصورة، والأفعال المشهورة، والمغازي المسطورة، وإمام الصفوف، القايم بباب: ((**الجنة تحت ظلال السيوف**)) [4]؛ سيف الجهاد، وقاصم الأعاد، وأسد الآساد، العالي الهمم،

---

[1] أي: ولما أشفى على الموت.

[2] حذف د. طويل الواو؛ فغدت: ((نقل)).

[3] الموافق لـ 1329م.

[4] هذا حديث شريف جاء فيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((واعلموا أنّ الجنة تحت ظلال السيوف)). عن فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

الثابت القدم، الإمام [1] المجاهد الأرضى، البطل الباسل الأمضى، المقدم [2]، المرحوم، **أبي سعيد عثمان**، ابن الشيخ الجليل، الإمام [3] الكبير، الأصيل الشهير، المقدس، المرحوم **أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق.**

كان عمره ثمانياً وسبعين [4] سنة، أنفقه ما بين روحة في سبيل الله، وغدوة، حتى استوفى في المشهور؛ سبعماية واثنتين وثلاثين غزوة، وقطع عمره جاهداً مجاهداً [5]، في طاعة الرَّب، محتسباً في إدارة الحرب، ماضي العزايم في جهاد الكفار، مصادماً [بين جموعهم] [6] من تدفق التيار، التيار، وصنع الله له فيهم، من الصَّنايع الكبار، ما صار [7] ذكره في الأقطار، أشهر من المثل السيار، حتى توفي رحمه الله، وغبار الجهاد طيُّ أثوابه، وهو مراقبٌ لطاغية الكفار وأحزابه.

---

[1] في النفح: ((الهَمَّام)).
[2] نفسه: ((المقدسي)).
[3] نفسه: ((الهمام)).
[4] نفسه: ((وثمانين)).
[5] نفسه: ((مجتهداً)).
[6] هذه الإضافة من النفح.
[7] في النفح: ((سار)).

فمات على ما عاش عليه، وفي ملحمة الجهاد قبضه الله إليه، واستأثر به، سعيداً مُرْتضًى، وسيفه على رأس ملك **الروم** مُنْتَضًى، مقدمة قبول وإسعاد، ونتيجة جهاد وجلاد، ودليلاً عن نيته الصالحة، وتجارته الرابحة، فارتجت **الأندلس** لفقده [1]، أَتْحَفه الله رحمةً من عنده. توفي يوم الأحد الثاني لذي الحجة من عام ثلاثين وسبعماية [2].

***

---

[1] **في النفح: ((لبعده)).**
[2] **الموافق لـ 1329م.**

***

عتيـق بـن أحمـد

ابـن محمـد بـن يحيى الغساني [1]؛ غرنـاطي؛ يكنى أبـا بكـر؛ ويعـرف بابـن الفـرّاء؛ ويعـرف عقبـه ببـني الـوادي آشي؛ وقـد مـرّ ذكـر ولـده أبي الفـرج؛ ويُنْبَـز بقرنيّات.

حالـه

حدثـني أبي رضي الله عنه، وكـان صديقاً لأبيـه: أنـه كـان مـن أهـل الجلالـة والفضـل، حسـن السَّمـت، عظيـم الوقـار، جميـل الرُّواء، فاضـلاً، حسـن العشـرة، وقـال القـاضي ابـن عبـد الملك: كـان جامعـاً لفنـون مـن المعـارف معروف الفضـل [2] في كـل مـا ينـاول [3] مـن الأمـور العلميـة، وقيـد كثيـراً، وعُـني بالعلـم العنايـة التامـة، واستُقـضي بالمنكـب، وعـرف في ذلـك بالعدالـة والنزاهـة.

---

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في الذيـل والتكملـة.
[2] في الذيـل: ((النبـل)).
[3] نفسـه: ((يُتنــاول)).

توالیفه

صنف ((نزهة الأبصار في نسب الأنصار))، و((نظم الحُلِيِّ في أرجوزة **أبي علي**))؛ يعني **ابن سينا** [1].

شعره

قال ومما نظمته ووجَّهته به صحبة رسالتين [2]:

يــا راكبــاً يبغي الجناب الأشرفا
ومُنــاه أن يَلْقى الكريــم المُسْعِفــا
عــرِّج بطيبــة مرَّة لتــرى بهــا
علــمي قبــول رحمةً وتعطُّفــــا
وإذا حَلَلْــــت بها فقَبِّــل تُرْبهــا
وارغــب جلالهم عسى أن يُسْعفــا
وأَسِل دموعَــك رغبــة وتضرُّعــاً
وأطــل بها عند التضــرُّع مَوْقفــا

[1] في الذيل: ((يعني الطبية المنسوبة إلى ابن سينا)).
[2] البحر الكامل.

واذكر ذنوبك واعترف بعظيمهـــا
فعــــسى الذي ترجــــو له أن يعطفـــا
واجعل شَفيعك إن قصدت عنايــــة
قبــــراً تقــــدَّس تُرْبــــةً وتشرَّفــــــا
قبــــرٌ تضمن نور هــــدًي واضحـــا
لم يحتجب عن مبصريه ولا اخْتَفى
قبــــر حوى النُّور المبيــــن ونُـــوره
يهــــدي به سبل الســــلام من اقتفى
قبــــر بــــه الهاشــــمي[1] محمــــــد
أبهى الأنام سنــــاً وأوفى مــــن وفى
خير الورى علم التقى شمس الهدى
المُنْتَــقى[2] والمجتــبى والمصطــفى
سلَّــم عليــه وخُصُّــه بتحيــــة
واقرأْ عليــه من السلام مُضاعفـــا

[1] جعلها د. طويل: ((للهاشميّ)).
[2] جعلها د. طويل: ((للمنتقى)).

واذكر هديت أخـــا البطالة عمــره
كـــم نقــض[1] العهــود أخلفـــــا
ولكـــم تَيقَّــن بالدليــل فمـــالـــه
ركـــب العنـــاد لجاجـــة وتعسَّفـــا
وعصـــى فَأَسْلم للقطيعـــة والجوى
حقٌّ عـــلى من خـــان أولا يعرفـــا
هـــل للعفـــو تنفَّـــح نحــــوه[2]
يومـــا فيضحى بالرِّضـــا مُتعرِّفـــا
وأعد حديث مَشوق قلـــبٍ عنـــده
من لم يَـــذُب شوقـــاً له ما أَنْصَفـــا
إِخْبره عن حـــبِّي وطول تَشـــوُّقي
تفديك عطفة نفسي[3] مُخبراً ومُعرِّفـــا

[1] أضاف د. طويل كلمة هيهات؛ فأضحت العبارة: ((هيهات كم نقض العهود...)).
[2] هذا الشطر مختل في الوزن والمعنى.
[3] حذف د. طويل كلمة ((عطفة))؛ فأضحت: ((تفديك نفسي)).

وتشـــكُ من جــاء إليـــه[1] فإنَّ لــــي
نفســـاً تُسوِّفـــني المتـــاب تسوُّفـــا

مولـده

بغرناطـة في ذي حجة خمس وثلاثين وستماية [2].

وفاته

ذكر أنه كان حياً سنة خمس وثمانين وستماية [3].

***

---

[1] **جعلها د. طويل: ((الإلـهَ)).**
[2] **الموافق لـ 1237م.**
[3] **الموافق لـ 1286م.**

علي بن محمد

ابن توبة [1]، يكنى أبا الحسن.

حاله

كان من العلماء الجلَّة الفقهاء الفضلاء. ولي قضاء **غرناطة لباديس بن حَبُّوس**، وعلى يديه كان عمل منبر جامعها، وكان عمله في شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة [2]. وكان من قضاة العدل، وإليه تنسب قنطرة القاضي **بغرناطة**، والمسجد المتصل بها في قبلتها. وكان كاتبه الزاهد **أبا إسحق الإلبيري** [3]، وفيه يقول:

بعلي بن[4] توبة فاز قِدْحي
وسمت همتي على الجوزاء[5]
فهنياً لنا وللدين قاض
مثله عالم بفضل القضاء

---

[1] له ترجمة أيضاً في الصلة.
[2] الموافق لـ 1055م.
[3] سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ بينما وردت في الزيتونة.
[4] أضاف د. طويل همزة القطع قبل ((بن))؛ فغدت: ((إبن توبة))؛ من أجل الوزن.
[5] في الزيتونة: ((يا علي))

يَحْسِــم الأمر بالسياســة والعــد
ل كحســم[1] الحســام للأمــــاء
لو أنا سيرنـــاه قـــال اعترافـــا
غلط الواصفــون لي بالذكـــاء
أو رأى أحنــف وأكبــر منـــه
حلمه ما انتمــوا إلى الحلمـــاء
أو رأى المُنْصفــون بحْرَ نَــداه
جعلوا حاتمــاً مــن البحــر لاء
هو أوفى من الشُّمــول عهــداً[2]
ولمــا زال مُغْرمــاً بالوفـــاء
وحيّــا[3] المــزن وحيّــا أخـــاه
أهْمَلَــت كفه بوَبــْل العطـــاء
يشهــد العالمــون في كل فـــن
أنَّه كان[4] كالشّهاب في العلمـــاء

---

[1] في الإسكوريـال: ((لحسـم))؛ فصوبهـا عنـان.
[2] أضـاف د. طويـل ((الـواو))؛ فأضحـت: ((وعهـداً)).
[3] أضـاف د. طويـل ((الهمـزة))؛ فغدت: ((وحيـاء)).
[4] حـذف د. طويـل كلمـة ((كـان))؛ فأضحـت العبـارة: ((أنـه كالشهـاب...))

وقُضاة الزمـــان أرْضٌ لديهـــم

وهو من فوقهم كمِثْـــل السمـــاء

لتعرَّضـــت مدحـــه فكـــــأني

رُمْت بحـــر اً مُساجلاً بالـــدَّلاء

فانا مُعْجـــم عـــلى أن خيـــلي

لا تجارى في حَلْبَـــة الشُّعـــراء

لكَسَاني محبـــراً ثـــوب فَخْـــرٍ

طـــال حتى حرَّرته مـــن وراء

ولـــــو انصفته وذاك قليـــــلاً

كـــان خـــدِّي لنَعْلـــه كالحـــذاء

فأنـــا عبـــــده وذاك فخـــاري

وجمالي بيـــن الـــورى وبهـــاء

وثنـــاء[1] وقف عليـــه وشكـــري

ودُعـــــائي لـــه بطـــول البقـــاء

***

[1] جعلها د. طويل: ((وثنائي)).

علي بن عمر

ابن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف ابن الغريب بن يزيد بن الشّمر بن عبد شمس بن الغريب الهمداني [1]. والغريب بن يزيد هو أول مولود ولد للعرب اليمانيين بالأندلس؛ يكنى أبا الحسن.

ولي **غرناطة** [2]. وكان من أهل العلم والفهم، والمشاركة في الطب، والكفاية الجيدة، والشعر في ذِروة **هَمْدان**، وذوايبهما، حسن الخطّ، كريم النفس، جوادٌ بما يمارى، عطاياه جزلة، ومواهبه سَنِيَّة، وخلقه سهلة، كثير

---

[1] له ترجمة أيضاً في: قلائد العقيان، والمغرب في حلى المغرب، ورايات المبرزين، والتكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، ونفح الطيب، وكتاب الحلة السيراء؛ حيث سمي فيه: ((علي بن عمر بن محمد بن مشرف ابن أحمد بن أضحى)).

[2] أضاف عنان هنا معلومات عن ابن أضحى؛ فكتب: ((اقتصر ابن الخطيب على هذه الإشارة بالنسبة لحركة ابن أضحى. ونضيف نحن إلى ذلك أن ابن أضحى كان من زعماء الثورة ضد المرابطين؛ حينما تضعضع سلطانهم بالأندلس، وظهر عليهم الموحدون بالمغرب. وقد كان ابن أضحى يومئذ قاضياً لغرناطة؛ فأعلن الثورة، ودعا لنفسه؛ وآزره أهل المدينة، وتعاونوا في إخراج المرابطين؛ فاعتصموا بالقصبة. ولما أعياه أمرهم؛ بعث فريق من أهل المدينة في استدعاء سيف الدولة بن هود ليأتي لولايتها؛ فجاء من جيان في بعض قواته. ولكن المرابطين اشتد أمرهم، وهزموا خصومهم. وفي تلك الأثناء توفي ابن أضحى؛ بتناوله لقدح مسموم؛ كان قد أعد لاغتيال ابن هود؛ وذلك في سنة 540هـ. وكان مولده بألمرية سنة 495هـ)).

البشاشة، مليح الدعابة، مُوطَّأُ الأكناف، على خلق الأشراف والسادة.

مشيخته

روى **بألمرية** عن القاضي **أُبَيّ محمد بن سمحون** وبه، تفقه. وقرأ الأدب على **ابن بَقَنَّة**، وعلى الإمام الأستاذ **أبي الحسن علي بن أحمد بن الباذش**، وسمع الحديث على الحافظ **أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية**، وغيره.

شعره

من شعره يخاطب الوزير **ابن أُبَيٍّ**[1] ويعتذر إليه، وكان الفقيه **أبو جعفر** المذكور، قد خاطبه شافعاً في بعض الأعيان، فتلقى شفاعته بالقبول، ثم اعتقد أنه قد جاء مقصراً، فكتب إليه[2]:

---

[1] في قلائد: ((ذو الوزارتين أبو جعفر بن أبُيّ)).
[2] البحر الطويل.

ومُسْتَشفعُ عندي بخير الوَرى عندي

وأولاهم بالشكـــر مني وبالحمـــد

وصلـــتُ فلمـــا لم أقـــم بجزايـــه

(لفَفْتُ له رأْسي حياءً من المجـــد)[1]

وكتب يخاطب **أبا نصر بن عبد الله**؛ وقد كان **أبو نصر** خاطبه قبل ذلك [2]:

أتَتْـــني أبا نصـــر نتيجـــةُ خاطـــر

سريع كرجْع الطرف في الخَطَرات

فأَعربـــتُ[3] عن وجْدٍ كمين طويتـــه

بأَهْيَــــف طـــاو فاتـــر اللحظـــات

غـــزالٌ أَحـــمُّ المقلتيـــن عرفتـــه

نُحَيِّـــفٌ[4] مِنِّي للحسن[5] أو عرفـــات

---

[1] هذا صدر بيت لأبي تمام؛ جاء في عجزه ما يلي:
((أتاني من الركبان ظن ظننته)).

[2] البحر الطويل.

[3] في قلائد: ((فأعرب)).

[4] في قلائد، والنفح: ((بخيف)).

[5] نفسهما: ((للحين)).

رمـــاك فأصـــمى والقلـــوب رَميةٌ
لكـــل كحيـــل الطرف ذي فتكات
وظن بـــأن القلـــب منـــك محصب
فلبـــاك مـــن جنابـــه[1] بالجمرات
تقـــرب بالنســـاك في كل منســـك
وضـــحَّى غـــداة النحـــر بالمُهْجات
وكانت له جيّان مثـــوى فأصبحـــت
ضُلُوعـــك مثـــواه بكـــلّ فَـــلات[2]
يعـــــزٌّ علينا أن تهيـــم فتَنْطَـــوي
كبيبـــاً[3] على الأشجـــان والزَّفرات
فلو قُبِلـــت للنـــاس في الحبِّ فِدْيـــة
فدَيْنَـــاك بالأمـــوال والبُشُـــرات

وخاطب أحد أوليائه شافعاً في رجل طلق امرأته، ثم عَلِقت بها نفسه، فلم تسعفه، وكتب إليه [4]:

---

[1] في قلائد، والنفح: ((من عينه)).
[2] في قلائد، والنفح: ((فلاة))؛ بتاء مربوطة.
[3] نفسهما: ((كئيباً)).
[4] البحر المتقارب.

ألا أيهــــا السيــد المُجْتَبــــا
ويــا أيهــا الألمــعي العلــــم
أتتــني أبيــاتــك المُعْجــزات[1]
بما قــد حَوَتْ من بديــع الحِكم
ولــم أر مــن قَبْلهــا بابــــلاً[2]
وقــد نَفَثَــتْ سحــرها في الكَلَم
ولكنــه الدِّيــــن لا يُشتــــرى
بنثــــر ولا بنظــــام نُظِــــم
وكيــف أُبِيــحُ حِمــاً مــانعــاً
وكيــف أُحُلُّــل ما قــد حَــرُم
أَلَســتُ أخــاف عقــاب الإلـــه
ونــاراً مــؤججــة تضطــــرم
أأصــرفهــا طالقــةً[3] بتَّـــة
على أنْوَك قد طَغَــنِّي[4] واجتــرم

[1] في النفـح: ((المحكمـات)).
[2] نفسـه: ((مثـلهـا)).
[3] نفسـه: ((طالقـاً)).
[4] نفسـه: ((طـغى)).

ولـــو أن ذاك[1] الغـــبي الخَمُـــول[2]
تثبـــّت في أمـــري[3] مـــا نَـــدِم
ولكنـــه طـــــاش مستعجـــــلاً
فكـــان أحـــق الـــورى بالنـــدم

ومـن شعـره أيضـاً قولـه رحمـه اللـه [4]:

يا عليمـــاً بمُضْمـــرات القلـــوب
أنـــا عبْـــدٌ مُثْقَـــل بالذنـــوب
فاعـــف عـــني وتُبْ علي وفرِّج
ما أنا فيـــه مـــن أليم الكـــروب
حالما أشتـــكي سواك طبيـــب
كيـــف أُشْجَى به وأنت طبيـــب[5]
أنا ممـــن دعـــا قريبٌ مجيـــبٌ
فـــأرِح ما بمهجتي عن قريـــب

---

[1] في النفـح: ((ذلـك)).
[2] جـاء هـذا الشطـر في القلائد هكـذا: ((ولـو أن ذاك الغبي الجهـول)). وفي النفـح: ((ولـو أن ذاك الغـويّ الـزريّ)).
[3] في القلائد، والنفـح: ((أمـره)).
[4] البحـر الخفيـف.
[5] جعلهـا د. طويـل: ((طبيـبي))؛ بيـاء المخاطبـة.

توالیفه

قال **أبو القاسم بن خلف الغافقي**: حدثني عنه الفقيه **أبو خالد بن يزيد بن محمد**، وغيره بتواليف؛ منها: كتاب ((**قوت النفوس**))، و((**أُنْس الجليس**))؛ وهو كتاب حسن؛ ضمن فيه كثيراً من شمايل **النبي** عليه الصلاة والسلام.

وفاته

توفي **بغرناطة** في سنة أربعين وخمسماية[1]، وهو يحاصر **الملثمين** بقصبة **غرناطة** حسبما ثبت في اسم **ابن هود أحمد**[2].

***

---

[1] **الموافق لـ 1145م.**

[2] **كتبت فقرة في هامش المخطوط [لم يذكر عنان اسم المخطوط؛ وربما يكون الإسكوريال]. وذلك ضمن اللوحة: (302) ما يلي: ((وما ينبغ أن يتنبه له؛ مما قد يشتبه في فتاوي هذا المترجم، وفتاوي القاضي أبي عمر عمرو بن منظور قاضي غرناطة؛ وهو متأخر عن هذا؛ من أهل المائة الثامنة؛ من معاصري الفقيه أبي عبد الله المواق. وفتاوي هذين الرجلين مسطورة في (المعيار)). والمعيار هو كتاب((المعيار المعرب عن فتاوى إفريقية والمغرب))؛ للفقيه المغربي أحمد بن يحيى الونشريسي المتوفي سنة 914ه،**

ومـن الطارئيـن والغربـاء.

***

عثمن بن يحيى.

ابن محمد بن منظور القيسي [1]، من أهل مالقة؛ يكنى أبا عمرو [2]، ويعرف بابن منظور؛ الأستاذ القاضي؛ من بيت بني منظور الإشبيليين؛ أحد بيوت الأندلس المعمور [3] بالنباهة.

حالـه

كان رحمه الله صَدْراً في علماء بلده، أستاذاً ممتعاً من أهل النظر والاجتهاد والتحقيق، ثاقب الذهن، أصيل البحث، مضطلعاً بالمشكلات، مشاركاً في فنون، من فقه وعربية، برز فيهما، إلى أصول وقراءَات وطب ومنطق. قرأ كثيراً، ثم تلاحق بالشادين، ثم غَبَّر [4] في وجوه السوابق. قرأ على الأستاذ **أبي عبد الله بن الفخار** [5]، ولازم الأستاذ

[1] لـه ترجمة أيضاً في: الكتيبة الكامنة، وتاريخ قضاة الأندلس، وبغية الوعاة؛ وذكر في المصدرين الأخيرين؛ أن اسمه: ((عثمان بن محمد بن يحيى بن محمد بن منظور)).
[2] يكنى في تاريخ قضاة الأندلس، وبغية الوعاة: ((أبا عمر)).
[3] في الزيتونة: ((المعروف)).
[4] نفسه: ((عرى)).
[5] في تاريخ قضاة الأندلس: ((وقرأ على الأستاذ أبي بكر بن الفخار))،

أبا محمد بن أبي السداد[1] **الباهلي**، وتزوج[2] ابنة الفقيه أبي علي بن الحسن، فاستقرت عنده كتب والدها، فاستعان بها على العلم والتبحر في المسايل، وقيد بخطه الكثير، واجتهد وصنف، وأقرأ ببلده، متحرفاً بصناعة [3] التوثيق، فعظم به الانتفاع، وقعد للتدريس [خلفاً للراوية][4] **أبي عثمان بن عيسى** في شوال عام تسعة وسبعماية [5] وولي وولي القضاء **ببلّش**[6] **وقُمارش**، **وملتماس**[7]، ثم ببلده **مالقة**. وتوفي [8] قاضياً بها. لقيته، وانتفعت بلقايه، وبلوتُ وبلوتُ منه أحسن الناس خلقاً، وأعذبهم فكاهة.

---

[1] **في بغية الوعاة: ((محمد بن السواد)).**
[2] **في تاريخ قضاة الأندلس: ((وتزوج زينب ابنة الفقيه أبي علي...)).**
[3] **نفسه: ((متحرفاً بضاعة التوثيق)).**
[4] **في الإسكوريال، الزيتونة: ((خلفا من الرواية))؛ فصوبها عنان.**
[5] **الموافق لـ 1309م.**
[6] **في تاريخ قضاة الأندلس: ((بآش وملتماس، وقمارش...)). وفي بغية الوعاة: ((ببلش، ومالقة؛ ومات بها)).**
[7] **في الزيتونة: ((منتماش)).**
[8] **في تاريخ قضاة الأندلس: ((وتوفي بها؛ منصرفاً عن القضاء دون عقب...**

شعره

وكان قليلاً ما يَصْدُر عنه، كتب على ظهر الكتاب الذي ألفه للوزير **أبي بكر بن ذي الوزارتين أبي عبد الله ابن الحكيم**؛ مقتدياً بغيره من الأعلام في زمانه [1]:

قــد جمع الحُكم وفَصْلُ الخطاب
ما ضمَّــه مجموعُ هذا الكتاب
مــن أدب غــضٍّ ومن عِلْيــةٍ
تسابقــوا للخَيْــر في كل بــاب
فجــاء فــذاً في العُــلى والنُّهى
ومُنْتَــقى صَفْــو لُباب اللُّبــاب
أَلفــه الحبــر الجليــل الــذي
حاز العُــلا إرثاً وكَسْباً فطــاب

[1] **البحر السريع.**

تواليفه

ألف كتاب ((**اللُّمع الجَدَلية في كيفية التحدث في علم العربية**))، وله تقييد في الفرايض حسن، سماه، ((**بغية المباحث في معرفة مقدمات الموارث**))، وآخر في المسح على الأنماق **الأندلسي**.

وفاته

توفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لذي حجة من عام خمسة وثلاثين وسبعماية [1]، ولم يخلف بعده مثله.

***

[1] **الموافق لـ 1334م.**

علي بن أحمد

ابن الحسن المزحجي؛ من أهل حصن ملتماس،[1] وابن وزيره الفقيه الحافظ القاضي؛ يكنى أبا الحسن، ويعرف بجدّه.

حاله

من أولي الأصالة والصيانة والتعفف، والعكوف على الخير، والآوين إلى طعمة مُتَوارثة، ونباهة قديمة، صنّاع اليد، مُتَقِن لكل ما يحاوله من تسعير ونجارة، مبذول المودة، مُطْعم للطعام بدار له معدة للضيفان من فضلاء من تَطْوِيه الطريق، ويَغْشَاه من أبناء السبيل. ولي قضاء بلده في نحو عشرين سنة؛ فحمدت سيرته، ثم ولي قضاء **مالقة**؛ فظهرت دُرْبته ومعرفته بالأحكام. فأعفي وعاد إلى ما كان بسبيله من القضاء بموضعه والخطابة.

مشيخته

قرأ على الشيخين الصالحين: **أبي جعفر بن الزيات، وأبي عبد الله بن الكماد ببلده، بلش**؛ وأخذ عنهما.

---

[1] هكذا في الإسكوريال. وهي البلدة نفسها المذكورة في الترجمة السابقة.

توالیفه

لـه أجوبـة حسنـة **في الفقـه**. وصنـف عـلى كتـاب **البـراذعي** تصنيفـاً حسنـاً، بلـغ فيـه إلى آخـر رزمـة البيـوع ثلاثـة عشـر سفـراً، واستمـرت عـلى ذلـك حالـه.

وفاتـه

تـوفي ببلـده **بلّـش** في ....[1] مـن عـام ستـة وأربعيـن وسبعمايـة[2].

***

[1] بيـاض في هـذا الحيـز.
[2] المنوافـق لـ 1345م.

علي بن عبد الله

ابن الحسن الجُزامي النُّباهي المالقي [1]، صاحبنا أبو الحسن.

أوليته

تنظر فيما تقدم من أهل بيته والمذكورين فيه من سلفه [2].

حاله

هذا الرجل، وُلّي قضاء الحضرة، وخطابة جامع السلطان، وعَرَض له تقزُّز فيما يقف عليه، من مُنْتَخب وصفه، وعدم رضاً بما يجتهد فيه من تحليته، فوكلنا التعريف بخصايصه، إلى ما اشتهر من حميدها، تحرُّجاً مما يجرُّ عتْبه، أو يثير عدم رضاه [3].

---

[1] لـه أيضـاً ترجمـة في: الكتيبـة الكامنـة؛ حيث ذمـه ابـن الخطيب فيهـا ووصفـه بأقذع الألفـاظ؛ منهـا: ((القرد الشـارد)). وقـد تـم شـرح ذلـك في آخـر تعليق بهذه الترجمـة؛ ثـم كتـاب تاريـخ قضـاة الأندلس؛ ونفـح الطيـب، وأزهـار الريـاض.

[2] سبـق ذكـر ترجمـة جدّه في الإحاطـة. وهـو الحسـن بـن محمـد بـن الحسـن النبـاهي الجـذامي.

[3] أورد عنـان هنـا فقـرة نقلهـا مـن نفـح الطيـب؛ وهي مـن تحريـر ابـن الخطيب؛ ضمـن النسخـة الأصليـة الـتي اطلـع عليهـا المقـري؛ وفي هـذه الفقـرة بعض مـن الترجمـة الأصليـة للنبـاهي صاحب هـذه الترجمـة. يقـول فيهـا ابـن الخطيـب: ((علـي بـن عبـد اللـه بـن محمـد بـن محمـد بـن عبـد اللـه ابـن الحسـن بـن محمـد بـن الحسـن الجـذامي المالـقي؛ أبـو الحسـن؛ ويعـرف

مشيخته

ذكر أنه أخذ عن الشيخ الخطيب **أبي بكر الطّنجالي**، قريب أبيه، والناظر عليه بعده بوصاته. وكان من أهل الدراية والرواية، وعن الشيخ الفقيه **أبي القاسم محمد بن أحمد الغساني**، شهر **بابن حفيد الأمين**، وقرأ عليه الفقه والقرآن، وسمع عليه، وتلا على الشيخ الأستاذ المقري **أبي محمد بن أيوب،** وسمع عليه الكثير. وهو آخر من حدث عن **أبي بن أبي الأحوص**. وعلى الشيخ المقري **أبي**

بالنباهي. هذا الفاضل قريع بيت مجادة وجلالة، وبقية تعين وأصالة؛ عف النشأة، طاهر الثوب، مؤثر للوقار والحشمة، خاطب للشيخوخة، مستعجل للشيبة، ظاهر الحياء، متحرك مع السكون، بعيد الغور، مرهف الجوانب مع الانكماش، مقتصد في الملبس والآلة، متظاهر بالسذاجة، بريء من النوك والغفلة، يقظ للمعاريض، مهتد إلى الملاحق، طرف في الجود، حافظ، مقيد، طلعة، إخباري، قائم على تاريخ بلده. شرع في تكميل ما صنف فيه، ولازم للتقييد والتطريف، متفرعن الإجادات والفوائد. استفدت منه في هذا الغرض وغيره كثيراً. حسن الخط، ناظم، ناثر؛ نثره يشف عن نظمه؛ ذاكر للكثير؛ استظهر محفوظات؛ منها النوادر للقالي؛ وناهيك به محفوظاً مهجوراً، وسلكاً غفلاً؛ فما ظنك بسواه. نشأ ببلده حرّ الطعمة، فاضل الأبوة؛ وقرأ به؛ ثم ولي القضاء بملتماس، ثم ببلش وعملها؛ فسيح الخطة، وطلق الجراية، بعيد المدى في باب النزاهة، ماضياً غير هيوب؛ حتى أربى في الزمن القريب على المحتنكين وغبر في وجوه أهل الدربة؛ وجرت أحكامه مستندة إلى الفتيا؛ جارية على المسائل المشهورة. ثم نقل منها إلى النظر في أمور الحل والعقد بمالقة؛ مضافاً إلى الخطط النبيهة. وصدر له منشور من إملائي)).

القاسم بن يحيى بن محمد بن درهم، وأخذ عن قريبه القاضي، نسيج وحده **أبي بكر عبد الله بن بكر الأشعري**. ومن أشياخه صهره القاضي الأستاذ **أبو عمرو بن منظور**، والأستاذ الحافظ المتكلم **أبو عبد الله القطان**، والصُّوفي **أبي الطاهر محمد بن صفوان**، والقاضي الكاتب **أبو القاسم محمد البناء**. وصحب الشيخ **أبا بكر بن الحكيم**، ولازمه وروى عنه. ولقي الخطيب المقري **أبا القاسم بن جزي**، وأخذ نسبته [1] عن الشيخ **أبي القاسم بن عمران**. **وبرندة** عن القاضي المحدث المقيد **أبي الحجاج يوسف المنتشافري**. ورحل فلقي **بتلمسان عمران أبا موسى المشدالي**، وحضر مجلسه، والأخوين الإمامين: **أبا زيد وأبا موسى ابني الإمام**. **وبباجَة** [2]، **أبا العباس أحمد بن الرُّباعي، وأبا عبد الله بن هارون. وبتونس** أعلاماً، كقاضي الجماعة **أبي عبد الله بن عبد السلام**. قال ومن خطه نقلت، وأجازني من **أهل المشرق والمغرب**، عالم كثير.

---

[1] **هكذا. ولعلها ((بسبتة)).**

[2] **باجة المقصودة هنا هي مدينة باجة المتواجدة الآن في الجمهورية التونسية. ولا يقصد الكاتب في نصه باجة البلدة الأندلسية الواقعة في الجهة الغربية منها.**

شعره

قال: نظمت مقطوعتين، موطئاً بهما على البيتين المشهورين. الأولى منهما قولي [1]:

بنفسي من غزلان غزوى وغزالـــة[2]
جمـــالُ مُحياها عن النُّسك زاجـــر
تصيد بلحظ الطرف من رام صيدها
ولـــو أنه النســـر الـــذي هـــو طاير
معطـــة الأنفـــاس رائقـــة الحـــلى
هواهـــا بقلبي في المهامـــة سايـــر
(إذا رمت عنها سلـــوة قال شافـــع
من الحبِّ ميعاد السلـــو المقابـــر)[3]

والأخرى قولي [4]:

---

[1] **البحـر الطويـل.**
[2] **في النفـح: ((حـزوى غزالـة)).**
[3] **هـذا البيـت؛ والبيـت الـذي سيـأتي لاحقـاً؛ في آخـر المقطـع المـوالي؛ بيـن قوسيـن: للشاعـر الأحـوص الأنصـاري (105 هـ ؟ / ؟ - 723 م).**
[4] **البحـر الطويـل.**

وقائلـــة لمـــا رأت شيـــب لمـــتي
لئن ملت عن سلمى فعذرك ظاهـــر
زمان التصابي قد مـــضى لسبيلـــه
وهل لك بعد الشيب في الحب عاذر
فقلـــت لها كـــلا وإن تلف الفـــتى
فمـــا لهواهـــا عنـــد مثـــلي آخـــر
(ستبقى[1] لها في مضمر القلب والحشا
سريـــرة وُدٍّ يوم تبـــلى السَّرايـــر)

وكتب مع شكل يحذو على النعل الكريم، من شأنه أن يكتب ذلك لكل مزمع سفر [2]:

فديتـــك لا يهـــدى إليك أجل مـــن
حديـــث نـــبي اللـــه خاتم رسلـــه
ومن ذلك الباب المثال الـــذي أتى
به الأثـــر المأثور في شـــأن نعلـــه

---

[1] في النفح: ((سيبقى)).
[2] البحر الطويل.

ومن فضلـــه مهمـــا يكن عند حامل

له نـــال ما يهـــواه ساعـــة حملـــه

ولا سيمـــا إن كـــان ذا سفـــر بـــه

فقـــد ظفـــرت يمنـــاه بالأمـــن كله

فدونك منـــه أيهـــا العلـــم الرضـــا

مثـــالاً كـــريمـــاً لا نظيـــر لمثلـــه

ومن ذلك قوله [1]:

لا تَلْجـــأَنْ لمخلـــوق من النـــاس

من يافـــثِ كان أصلاً أو من الياس[2]

وثِق بربِّك لا تيـــأس ترى[3] عجبـــاً

فلا أضـــر على عبد مـــن اليـــاس

ومن قوله يمدح السلطان ويصف الإعذار [4]:

أبدى لنا من ضُروب الحسن أفنانـــا

هذا الزمـــان[5] لمولانـــا ابن مولانـــا

---

[1] البحر البسيط

[2] المقصود هنا هو إلياس بن مضر بن نزار بن مَعدّ بن عدنان.

[3] في النفح: ((تجد)).

[4] البحر البسيط.

[5] في الكتيبة الكامنة: ((هذا الطهور)).

يقول فيها لطف الله بنا وبه:

ولا[1] تحرِّك لساناً يا أخا ثقةٍ
برَيْم رامة إن وفَّى وإن خانا

يظلُّ ينشر مَيْت الوَجْد عن جَدث
من الجفون أو الأحشاء عِريانا

ثم قال فيها بعد كثير يُرْجى عفو الله فيه:

فما النسيب أولى[2] من حديث علا
عن الإمام يُنيل المرء رضوانا

يمِّمه تَحْظَ بما أَمَلْت من أمل
يُجنيك للسؤل أفناناً فأفنانا[3]

ومنها في المدح:

مَلِك يخفُّ لراجيه بنايله
على وقار يرى كالعين ثَمْلانا

---

[1] في الكتيبة الكامنة: ((فلا)).
[2] نفسه: ((بأولى)).
[3] جاء هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:
((يمّمه تَحْظ بما أمَلْت من نعم * تُجنيك للسؤل أفناناً فأفنانا)).

ملـــك يُنـــصُّ لـــه الآلاء عـــزتـــه

على السعـــادة في الدارين فرقانـــا

العاطـــر الذّكر ترتاح النفوس لـــه

تخـــال فيـــه لها روحـــاً وريحانـــا

السَّاحـــر المنطق في شـــتى العلوم

إذا سأَلتَ منه لوجه الرُّشـــد هانـــا

كسا الزمان ثيـــاب الفضل حـــتى

قضا عن مَنْكبي صرفه ظلماً وعدوانـــا

وعظَّـــم الشـــرعَ حتى أن داعيـــه

لا يستطيـــع له المدعـــوُّ عِصيانـــا

ومنهـا في ذكـر الإعـذار:

للـــه درك يـــا مـــولاي من ملـــكٍ

شيَّـــدتَ بالحـــق للإسْـــلام بُنيانـــا

ولم تُبال ببَـــذْل المال في غـــرض

يعـــمُّ بالفضـــل ولدانـــاً وبلـــدانـــا

وقمت في الولد الميمـــون طائـــره

بسنـــة الديـــن إكمـــالاً وإتقـــانـــا

بـــدا لنـــا قمـــراً[1] ترنو العيون لـــه

مقلداً من نطـــاق المجـــد شُهبانـــا

وقام يسحب أذيال الجمـــال عـــلى

بســـاط مُلكـــك بالإعـــذار جَذْلانـــا

خجلان بالقصُـــور عن بلوغ مـــداً

من العلى بل الحســـن منه قد بانـــا

فَدَتْـــــهُ أَنْفُسُنـــا لو كـــان يَقْبلُهـــا

منا وكانـــت على الإبـــلال قربانـــا

فيا دماً قد سال عن تقوى فعاد لـــه

بين الدمـــاء طهـــوراً طيبـــاً زانـــا

[1] في الكتيبـة: ((قمـرٌ)).

ولا دليل على الغفلة المعبر عنها بالسلامة والذهول كقوله: وقمت في الولد الميمون طائره. ومن ذلك قوله يخاطب صاحب العلامة بالمغرب أبا القاسم بن رضوان [1]:

لـــك الله قلـــبي في هـــواك رهيـــن
وروحـــي عني إن رحلت ظعيـــن

ملكت بحكم الفضـــل كلي خالصـــاً
ومُلْكـــك للحـــرِّ الصَّريـــح يزيـــن

فهَبْ لي مـــن نطـــقي بمقدار ما به
يُتَرجم ســـرٌّ في الفـــؤاد دفيـــن

فقـــد شملتنـــا من رضاك ملابس
وسَـــحَّ لدينـــا[2] من نـــداك معـــين

أَعَنْتَ على الدهر الغَشُوم ولم تـــزل
بدنيـــاك في الأمـــر المُهِـــم تعيـــن

وقَصـــر من لم تَعْلـــم النفـــس أنه
خذول إذا خـــان الزمـــان يخـــون

[1] اسمه في نفح الطيب هو: أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان. والقصيدة من البحر الطويل.
[2] في النفح: ((لدينا)).

وإني بحمــد الله [عنــه][1] لفي غِنًى

وحَسْبي صبرٌ عن سواك يصــون

أبَى لي مجــدٌ عن كــرام ورثتــه

وقوفــاً ببــاب للكـــرام[2] يهيــن

ونفسي[3] سَمَت فوق السَّماكين همَّــة

وما كــل نفــس بالهــوان تديــن

ولمــا رأت عيــني محياك أقسمت

بأنــك للفعــل الجميــل ضميــن[4]

وعاد لها الأنس الذي كان قد مضى

بريَّــة إذ شــرخ الشبــاب خَدِيــن[5]

بحيــث نشانا لابسين حلى التُّــقى

وكــلٌّ بكــل عنــد ذاك ضنيــن

---

[1] هذه الإضافة من النفح.
[2] في النفح: ((للكريم)).
[3] نفسه: ((نفسٌ)).
[4] وردت في الإسكوريال: ((ضنين))؛ وصوبت من النفح.
[5] أي صديق)).

أمـــا وســـنى تلك الليالي وطيبها
ووجـــد غرامي والحديث شجـــون[1]
وفِتيان صِدْقٍ كالشُّمـــوس وكالْحَيـــا
حديثهـــم ما شئـــت عنـــه يكـــون
لئن نَزَحَـــتْ تلك الدِّيـــار فَوَجْدُنَـــا
عليهـــا له بيـــن الضُّلـــوع أنيـــن
إذا مرّ حيـــن زاده الشـــوق جـــدة
وليـــس يُعـــاب[2] للرِّبُـــوع حَنيـــن[3]
لقد عَبَثت أيدي الزمـــان بجَمْعنـــا
وحان افتـــراقٌ لـــم نَخَلْـــه يَحيـــن
وبعـــد التقينـــا في محـــل تغـــرُّب
وكل الـــذي دون الفِـــراق يَهُـــون
فقابلـــتَ بالفضـــل الذي أَنت أَهْلُـــه
ومالك في حُسْن الصنيـــع قَريـــن

[1] اقتبس هذا من المثل السائر: ((الحديث ذو شجون)). وقد سبق شرح هذا المثل.
[2] في النفح: ((بعابٍ))؛ أي بعيب.
[3] ورد في النفح بعد هذا البيت بين آخر؛ هكذا:
((وأني بمَسْلاها وللبَين لذعة * أقلُّ أذاها للسليم جنونُ)).

وغِبتَ وما غابـــت مكارِمُــك التي
على شُكْرِها الربُّ العظيـــم يُعيـــن

يمينـــاً لقـــد أوليتنـــا منـــك نعمـــةً
تلـــذُّ بهـــا عنـــد العِيـــان عيـــون

ويَقْصُر عنها الوصف إذ هي كلها
لها وجـــه حُـــرٍّ بالحيـــاءِ مَصُـــون

ولمَّا قدمـــت الآن زاد ســـرورنـــا
ومقدمـــك الأســـنى بـــذاك قميـــن[1]

لأنك أنـــت الـــرُّوح منـــا وكلُّنـــا
جسُـــومٌ فعنـــد البعد كيـــف تكـــون

ولو كان قـــدر الحب فيـــك لقاؤنـــا
إليـــك لكنـــا باللُّـــــزوم نديـــــن

ولكن قصدنا راحة المجـــد دوننـــا[2]
فراحتُـــه شمـــل الجميـــع تصـــون

---

[1] أي بـذاك جديـر، وخليـق.
[2] في النفـح: ((جهدنــا)).

هنيئـــاً هنيئاً أيهـــا العلـــم الرِّضـــا

بمـــا لـــك في طي القلـــوب كميـــن

لك الحسن والإحسان والعلم والتـــقى

فحبُّـــك دُنيـــا للمُحـــبِّ وديـــــن

وكم لك في دار[1] الخلافـــة من يـــد

أقرت لها بالصـــدق منـــك مريـــن

وقامـــت عليهـــا للملـــوك أدلـــــة

فأنـــت لـــديهـــا مـــا حييت مكيـــن

فلا وجـــه إلا وهو بالبشر مقبـــل[2]

ولا نطـــق إلا عن عـــلاك مبيـــن

بقيت لربع الفضل تحـــمي ذمـــاره

صحيحاً كما قد صـــح منك يقيـــن

ودونـــك يا قطـــب المعـــالي بنيـــة

من الفكر عن حال المحـــب تبيـــن

---

[1] في النفـح: ((في بـاب)).
[2] نفسـه: ((مشـرق)).

أتتك ابــن رضوان تمــت بودهــا
وما لسوى الإغضاء منك ركــون
فخلّ انتقاد البحــث[1] عن هفواتهــا
ومهِّد لها بالسَّمــح حيــث تكــون
وخذهــا على عِلاَّتهــا فحديثهــا
حديث غريــب قد عراه سُكــون

ومن شعره قوله في ليلة الميلاد الكريم من قصيدة [2]:

خليــلي مــرا على أرض[3] مــأرب
ولا تعــذلاني إنــني غيــر آيــب

وهي طويلة أثبتت في الرحلة. فلينظرها هنالك من أراد استيفاء غرضها.

---

[1] في النفح: ((البحر)).
[2] البحر الطويل.
[3] في الكتيبة: ((أم)).

نثره

من أَمْثَل ما صدر عنه في غرض غريب، وهو وصف نخلة بإزاء **باب الحمراء**. ونثره كثير، ولكنا اخترنا له ما اختار لنفسه، وأشاد بشفوفه على أبناء جنسه: يا أيها الأخلاء الذين لهم الصنايع، التي تحسدها الغمايم، والبدايع التي تودها بدلاً من أزهارها الكمايم، بقيتم وشملكم جميع، وروض أملكم مريع، والكل منكم للغريب الحسن من حديث المُحبّ سميع [1]:

بــأرض النخــل قلــبي مُستهــام
فكيــف يطيــب لي عنها المقــام
لــذاك إذا رأيــت لهـــا شبهـــاً
أقــول ومــا يُصاحبــني مــــلام
ألا يــا نخلــة مــن ذات عِـــرْقٍ
عليـــك ورحمة اللـــه السـلام

[1] البحر الوافر.

فسلَّمتُ يوماً تسليم المبرَّة، على مدنها الحرَّة البرَّة، جارة حايط الدار، الواقفة للخدمة كالمنار، على سدة الجدار، بياض النهار، وسواد الليل، المتلفعة بشعار الوقار، المكفولة الذيل، أنيسة مَشْيخة الجماعة، القاطنة من **الحمراء** العلية، بباب ابن سَماعة، فحين عطفت عليها، وصرفت زمام راحلتي إليها، ووقفت بإزاء فناءها، ولكنها وقوف المشفق من فناءي وفنائها، وقلت لها كيف حالك أيتها الجارة، السَّاكنة بنَجْدة الحجارة، الواعظة للقريب والبعيد، بمقامها صامتة على الصعيد [1].

سقـــاك من الغر الغوادي مطيرهـــا

ولا زلت في خضراء خض نظيرها

فما أحقَّكِ مِنْ باسقة بالتَّرحيب، وأَقْرَبَك من رحمات السَّميع المجيب. خِلْتُها اهتَزَّت عند النّداء اهتزاز السُّرور، وتمايلت أكْمامها تمايُل الثَّمِل المسرور، ثم قالت لسايلها بلسان وسايلها، عند مشاهدة مثلي تقول العرب،

---

[1] **البحر الطويل.**

عينها فرارها، وابن جدها للناظرين اصفرارها، وجملة بخيتي، بعد إتمام تحيتي، أن الدهر عجم قناتي، ومس الكبر كدر سناتي، وما عسى أن أبث من تُكْناتي، وجلُّ عُلاتي من تركيب ذاتي. ولكني أجد مع ذلك، أن وقاري، حسن لدى الحي احتقاري، وكثرة قناعتي، أثمرت إضاعتي، وكمال قدي، أوجب قدي، فما أنْسَ من الأشياء، لا أنس عدوان **جعسوس**[1] من لعْبُوش **اليهود** أو **المجوس**، يفحص بمُدْيَته عن وريدي، ويحرص على مدّ جريدي، ويجدع كل عام بخنجره أنفي، وكلما رمت كف إذايته عني، كشم كف، فلو رايتم صَعْصَعَة أفناني، وسمعتم عند جذم بناني، قَعْقَعَة جناني، والدمع لما جفاني، يفيض من أجفاني، **والجُعسوس** الخبيث المنحوس، قد شد ما حد بأمراسه، ورفعه لبيعه كفره على راسه. بعد الأمر بوضعه على أسنمة القبور، حسبما ثبت في الحديث المشهور، لحملتكم يا بني سام وحام على

[1] ذكره ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة؛ فقال: ((القاضي علي بن عبد الله بن الحسن البني؛ المدعو بجُعْسُوس)). والجعسوس هو وصف لقصير القامة، الذميم الشكل؛ والجمع جعاسيس.:

الغيرة وشايج الأرحام، فقد علمتم بنص الأثر، أني عمتكم القديمة، وإن لم أكن لذلك بأهل، فإني لكم اليوم خديمة، أو من ذرية الفريق الموجب، المضروب به المثل يوم السَّقيفة، لمن رام من أشراف **الأندلس** أن يكون إذ ذاك خليفة. وخالة أبي كانت النخلة البرشا الكبيرة، التي حادثها الأمير **عبد الرحمن بالرُّصافة** [1] القريبة من **كورة إلبيرة**. فكيف يسهل اليوم عليكم إهمالي، ويجمل لديكم إخمالي، وترك احتمالي، والأيام والحمد لله مساعدة، والملك ملك **بني ساعدة**. فلما سمعت عتابها، وعلمت أنها قد شدت للمناضلة أقتابها، قلت لها أهلاً بك وسهلاً، ومهلاً عليك أو بهلاً، لقد دسَع [2] بعيرك، وعادت بالخيبة عيرك. فليست الحقيقة كالمجاز، ولا جلّيقية في النّيَّات كالحجاز. هنا جنات من أعناب مرسلة الذيول، مكملة الأطناب، قد طاب استيارها، وحَمُد اختبارها

---

[1] أشار هنا إلى الأبيات الشعرية التي قالها الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) في نخلة فريدة زرعت في الرصافة بقرطبة؛ فقال فيها:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة * تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى * وطول اكتئابي عن بنيَّ وعن أهلي

[2] في الإسكوريال: ((دسمج))؛ فصوبها عنان.

واختيارها، وعذبت عيون أنهارها، وتفتحت كمايم أزهارها، عن وَرْدها ونَرْجَسها وبهارها، وسرت بطرف محاسنها الرفاق، حتى قلقت منها **الشَّام واليمن والعراق.** فحين كثر خيرها سحر بالضرورة غيرها؛ وأنت لا كنت يا خشبة؛ قد صرت من المنال عشبة، وأصبحت نذلي خالفة، ورَذْلي بالهم تالفة، لا يجتنى بلحك ولا طلعك، ولا يُرتجى نفعك، فالأولى قَطْعك أو قَلْعك، وإلا فأين قنوك أو صنوك، أو تمرك أو سبرك، هلا أبقيت يا فسيلة على نفسك، وراعيته صلحة جنسك. ولقد انتهت بك المحارجة إلى ارتكاب ما لا يجوز، وفي علمك أن من أمثال الحكماء، كل هالك عجوز. حسبك السمح لك بالمقام، ما دمت حيَّة في هذا المقام. فانقطع كلامها، وارتفع بحكم العجز ملامُها. وما كان إلا أن نُقل مقالي. فقال المتكلم بلسان **القالي**، أنا أتطوع بالجواب، وعلى الله جزيل الثواب، ليعلم كلُّ سايل، أن تفضيل النخل على العنب، من المسايل التي لا يسع فيها جحد جاحد، وإن كانا أخوين سقيا بماء واحد. وقد جرى مثل هذا الخطاب بين

يدي **عمر ابن الخطاب**، فقيل يا **بني حتمة**، أيهما أطيب، الرطب أم العنب، فقال ليس كالصقر، في رؤوس الرقل، الراسخات في العقل، المطعمات في المَحْل، تحفة الصَّايم، ونُقلة الصَّبي القادم، ونزل **مريم بنت عمران**. والنخلة هي التي مُثّل بها المؤمن من الإنسان، ليس كالزَّبيب، الذي إن أكلته ضرست، وإن تركته غربت، وكفى بهذه الرواية حجة، لمن أراد سلوك المَحَجَّة. وعلى كل تقدير، فقد لزم التفضيل للنخلة على الكرمة، لزوم الصلة للموصول، والنصب للمنادى المطول، والعجز لكتابي المحصل والمحصول. وكم على تَرْجيح ذلك من قياس صحيح، ونقل ثابت صريح. قال: ، واعتذاركم بالمَهْرمة عن فعل المَكْرمة لأمة في تلك الطَّباع كامنة، وسامة للتَّلف لا للخلف ضامنة. وذكرتم الثَّمرة والبُسرة، والوقت ليس بوقت عُسرة، فأذكرتم قول القايل، في بعض المسايل، دعنا من تمرتان وبُسرتان أو تمرتين وبُسرتين، على الوجهين، المتوجهين في المَسْلَتين، وفي ضمن ذكركم لذلك أدلة صدق على تطلُّع النفس الفقيرة، للأعراض التافهة

الحقيرة، والإمامة العظمى، أجل عندنا وأسمى، من أن تلحظ بعينها تلك الملاحظ، ولواصل لديها مراتبها وأفكارها ببَيانه وتِبْيانه، **عمرو بن بحر الجاحظ،** إذ هي كافأ الله فضلها، ولا قلَّص ظلها كالسَّحاب، نجود بَغْيثها على الآكام والضّراب، ومنابت الشجر من التراب، فضلاً عن الخدمة والأتراب، فليس يضيع مع جميل نظرها، ذو نسب، ولا يُجهل في أيامها السَّعيدة مقدار مُتَسب إلى حسب. وإن وقعت هفوة صغيرة، أعقبتها حسنة كبيرة، ومِنَن أثيرة، ونعم كثيرة. ولم لا، وروح أمرها، ومذهب نصرة جمرها، عِلْم السادة للقادة الأكابر، المغرم بجَبْر كل كسير، وناهيك من به **جابر الرازي**[1]، ذكر مآثره، بعرف أطيب الطَّيب. الوزير **أبو عبد الله بن الخطيب**. والمطلوب منه لهذه الشجرة الثَّرما، الغريبة الشَّما، التي ﴿ **أَصْلُهَا ثَابِتٌ، وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** ﴾[2]، إنما هو يسير بنا، وظهير اعتنا، وخنجر يُرما، لعل عَباسة أديم دوها أن تذهب.

---

[1] **في الإسكوريال: ((الزاري)).**

[2] **الآية كاملة هكذا: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ، وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ). سورة إبراهيم؛ الآية: 24.**

وأكمام كباسة قنوها، أن تفضض بنعيم النُضارة ثم تُذَهّب، ويعود إليها شَرْخ شبابها، وتستحكم صُفْرة ثيابها، وخُضْرة جِلبابها، وذلك كله بمنّ اللطيف الخبير، من أسهل العمل على مجد الأمير، وفضل الوزير، إذ هما، دام عزُّهما، على بينة من أن الإحسان ألقاح، والشكر نتاجه، والثناء إكليل، وهو في الحقيقة تاجه. قال المسلم، ومن يا إخوتي لعلي، بمعارضة الحافظ أبي علي، ولو أني اشتملت شملة **النَّضر بن شُميل**، وأصبحت أفصح من **عامر بن الطفيل**، وأخطب من شُبَيب، وأشعر من **حبيب**، وجُزْت من طرق الجدال، منازل نقدة صدور الأبدال. وعلى أنه ما قال إلا حقاً، فبعداً للمرء وسحقاً. ولكني أقسم عليكم بمُقَدّر الضّيا والحلك، ومُسَخّر نجوم الفلك، بإصابة الأعراب، وأصحاب الإغراب، وأرباب فنون الإعراب، ألا ما تأملتم فصول هذه المقالة، وأَفْتَيتم بما يترجح فيها لديكم من نَسْخ أو فسخ، أو إجادة أو إقالة، فأنتم علماء الكلام، وزعماء كتايب الأقلام، والمراجعات بين شقاشق الرجال، شَنْشَنة معروفة، وطريقة

إليها الوجوه في كثير من المخاطبات مصروفة، لا زلتم مذكورين في أهل البيان، مشكورين على بذل الفضل مدى الأحيان. والله سبحانه يجعل التَّوفيق حاديكم، ونور العلم هاديكم، ومنه نسل جلَّ اسمه، التطهير من كل معابة، والسَّمح فيما تخلَّل هذه المقامة من دُعابة، والتحية الكريمة مع السلام الطيب المُعاد، يُعتمد من يقف عليها من الآن إلى يوم المعاد، والرَّحمات والمسرات والبركات والخيرات، من كاتبها **علي بن عبد الله بن الحسن**، أرشده الله [1].

***

[1] أشار عنان هنا إلى التغير في أقوال ابن الخطيب؛ نحو النباهي؛ صاحب هذه الترجمة؛ حدث ذلك بعد هروب ابن الخطيب إلى المغرب؛ جراء خلافه مع السلطان الغني بالله. الأمر الذي شجع النباهي وغيره على الوقوف مواقف عدائية نحوه؛ والتآمر عليه، بتحريضهم للسلطان، وسعيهم في تشويه صورته، وتكفيره. وعليه فقد كتب ابن الخطيب ترجمة أخرى للنباهي في كتابه: ((الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة))؛ مناقضة لهذه الترجمة؛ حمل فيها على النباهي، ووصفه بأوصاف مخدشة، وطعن في نزاهته، ونسب إليه مثالب كريهة.

***

علي بن أحمد

ابن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري [2]؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا الحسن؛ الشيخ الأستاذ، إمام الفريضة بجامع غرناطة.

حاله

من **الملاّحي**: أوحد زمانه إتقاناً، ومعرفة، ومشاركة في العلوم، وانفراداً بعلم العربية. وكان حسن الخطّ، كثير الكتب، ترك منها بخطه كثيراً جداً، مشاركاً في الحديث، عالماً بأسماء رجاله ونقلته، مع الدّين، والفضل، والزهد، والانقباض عن أهل الدنيا، وترك المُلابسة لهم.

مشيخته

قرأ علي المُقري **بغرناطة أبي القاسم نِعْم الخلف بن محمد بن يحيى الأنصاري، وأبي علي الصّدفي،** وغيرهم ممن يطول ذكرهم. وحدث [عنه] القاضي **أبو الفضل**

---

[1] أي المقرئون؛ وقد رسمت هنا حسب الطريقة المغربية التي تلزم الكاتب بتخفيف الهمزة.

[2] له ترجمة ايضاً في: الصلة، والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي.

عياض بن موسى، والقاضي **أبو محمد بن عطية**، والقاضي **أبو عبد الله بن عبد الرحيم**، والقاضي **أبو بكر جابر بن يحيى التغلبي**، والقاضي **أبو خالد عبد الله بن أبي زمنين**، والقاضي **أبو الحسن بن أضحى**.

تواليفه

ألَّف في النحو كتباً كثيرة، منها على **كتاب سيبويه**، وعلى **كتاب المُقْتَضب**، وعلى **الأصول لابن السَّراج**، **وشرح كتاب الإيضاح**، وكلامه **على كتاب الجُمل لأبي القاسم**، وكلامه على **الكافي لابن النحاس**، مع التنبيه على وهمه في نحو مائة موضع، إلى غير ذلك.

شعره

قال أبو القاسم، وله نظم ليس بالكثير. فمن ذلك [1] :

أصبحت تقعـد بالهـوى وتقـوم
وبـه تقـرِّظ معشـراً وتديـم

[1] البحر الكامل.

تُعنيك نفسك فاشتغـــل بصلاحهـــا

إنــــني بغيــــــر السَّقـــام سَقيـــــم[1]

وفاته

توفي **بغرناطة** سنة ثمان وعشرين وخمسماية[2]، وصلى عليه إثر صلاة العصر، ابنه الأستاذ **أبو جعفر،** ودفن بمقبرة **باب إلبيرة**، وازدحم الناس على نعشه، وكانت جنازته حافلة، وتفجع الناس على قبره. وقبره مشهور، يَتَبرك به الناس.

***

[1] هذا الشطر مختل.
[2] الموافق لـ 1133م.

علي بن محمد

ابن دري، المُقْري الفقيه الخطيب، أبو الحسن، الإمام بجامع غرناطة، أصله من طليطلة.

حاله

كان من خيار الناس وفُضلائهم، وأهل المعرفة منهم، عارفاً بإقراء كتاب الله عز وجل، والرواية للحديث. أخذ الناس عنه، وكانت عنده مشاركة، ومسارعة لقضاء الحوايج، والمشي للإصلاح بين الناس، والإشفاق على المساكين، كثير الصدقة، والسَّعي في فداء الأسرى، والوسائط الجميلة في مُهمات الأمور ومشكلاتها. دخل رجل تاجر غريب الميضأة للوضوء، فنسي بها وعاءً فيه جملة مال، فتذكر له، فرجع ولم يجده، فسقط مغشياً عليه، فاجتمع عليه الناس، وهو يقول مالي، ووافق خروج الأُستاذ **أبي الحسن** المذكور من الجامع، فسأل عنه، فجالس أذنه، فقال مالك عندي وديعة تركته أنت عندي، وإذا كان بعد صلاة العصر تأخذه. فقام الرجل، فكأنما نشط من عقال، ومشى الخطيب في حينه، إلى مُشرف

غرناطة ابن مالك، فقال له، إني اشتريت لك قصراً في الجنة، بخمسماية نُيْر، وأنا الضامن لذلك، فشكره، وأخبره الخطيب بالقصة، فدفع إليه المال، فدفعه إلى الرجل. وكان الناس لا يتوقَّفون له في أمر.

مشيخته

روى **بطُليطلة** عن **أبي عبد الله المقامي**، وعن **أبي مسلم الضرير المقري**، والقاضي **أبي الوليد الوقّشي**، وأخذ عن **أبوي على الصّدفي والغساني**، وعن **أبي مروان بن سراج**، وابنه **سراج**.

وفاته

توفي **بغرناطة** في رمضان ستة[1] عشرين وخمسماية [2]، وصلى عليه القاضي **أبو القاسم بن ورد**، ودفن في مقبرة **بباب إلبيرة**، وكانت جنازته حافلة، وتفجع الناس عليه، وأخلصوا الدعاء له.

---

[1] **هكذا في نسخة عنان؛ ولم يكتبها: ((ست)). بينما كتبها د. طويل: ((سنة عشرين وخمسمائة)). وقد يكون هو الأرجح.**

[2] **الموافق لـ 1131م.**

وممن رثاه، **أبو عبد الله بن أبي الخصال** بقوله [1]:

عتاب وما يُغني العتاب على الزمن
وشكوة كما تشكو الرِّياح إلى السفن
وما رضيــت بعد الغضارة أَيْكــة
نَبَحت ولكن عالم الكــون ممتحــن
وماذا عليـــه والسَّلامــة حظــه
بأن تتخطــاه النَّوايــب والمِحــن
فليت كريماً يُنعش للنــاس[2] خيــره
يَعْمُر فيها عُمرتــه[3] الآن أو حضن
ولكنــه يمــضي كظــل غمامــة
ويبــقى لسـم ســره غير مؤتمــن
يود الفتى طــول البقــاء وطولــه
يورثـــه ثُكــلِ الأحَّبــة والبَــدَن
وأي اغتبـــاط في حيــاة مــرزاً
يروح على بثّ ويغدو على شجــن

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **جعلها د. طويل: ((النـاس)).**
[3] **جعلها د. طويل: ((عمـره)).**

زيادتـــــه تَغُـصٌ[1] وجــدتــه بِلى

ورا حتـــه كـــرب وهدنتـــــه دخـــن

إذا فـــوَّق السهـــم المُصيب فقَلْبُـــه

ومن صار فيـــه من أَحَّبتـــه فنـــن

فيا عجبـــاً للمـــرء يلتـــذُّ عيشـــه

لُـــزَّت مـــع المـــــوت في قَـــرَنْ[2]

أرى كـــــل حي للمنيـــة حامـــلاً

فيا ويحـــه مما تحمَّـــل واحتَضَـــن

إذا زادت الأيــــــام فينـــا إســــــاءة

نزيد على علم بما ساء حُسن ظَـــن

ولم أر مثل المـــوت حقـــاً كباطـــل

وكـــل قباليِّـــه بالمـــوت مُرْتَهَـــنْ[3]

---

[1] جعلها د. طويل: ((نَعْصٌ)).
[2] تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا:
((معيش قد لُزَّت مع الموت في قرَنْ)).
[3] تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا:
((وكل قباء ليس بالموت مرتهنْ)).

أإخواننـــا لـــم تبـــق إلاَّ تحيـــة
أرقــد[1] بها تلــك المعاهــد والدمن
أإخواننـــا هــل تسمعــون تحيــتي
وذو كلم ما تحجب الســر والعلــن
أبا الحسن خلد في الجنــان مُنعمــاً
جزاءً بمــا أسلفت من سعيك الحسن
يطيــر فــؤادي روعــةً فإذا رأى
محياك في دار الغنا والرِّضا سكــن
وقد كنت ترتاد المواطــن إذ نَبَــت
فبوَّأك الرحمــن فردوســه وطــن
وبـــــتَّ معــنى بالجــلاء فَنِلْتــه
وقد كان حاديــه يغــرد بالظَّعَــن
ولم ترض إلا الأرض هجرتك التي
تخيرهــا الأوليــاء عــلى القنــن

[1] جعلها د. طويل: ((أرقى)).

وفي مثلهـــا أن الرســـول مهاجـــر[1]

لسعـــد وقـــد واراه أكـــرم مدَّفـــن

على أنـــك المدعُـــوٌّ من كـــل بلدة

هلمَّ فإنَّا دونـــك الحجـــب والجُنَـــنْ[2]

سيرضيـــك من أرضيته في عبـــاده

وجاهدت فيه بالفُـــروض وبالسنـــن

ويبـــقى كمـــا بقيـــت بعـــدك أنـــه

لهم فلما استَهوتهـــم روعـــة سكـــن

ويحفظهـــم حفـــظ اليتيميـــن أيِّـــدا

بوقع جدار قد تداعى وقـــد وهـــن

أبا الحسن إن المـــدى بـــعد ما بدا

طويلٌ ولا يُعتد في جنب ما بطـــن

وأسيـــر وجـــد في فراقـــك أنـــه

سيبقى عليك الوَجْد ما بقي الزمـــن

---

[1] كلمـة ((مهاجـر)) أضافهـا د. طويـل.

[2] حـذف د. طويـل ((الـواو))؛ فأضحـت: ((الجُنَـنْ)).

سقى اللـــه والسقيا بكفيـــه تربـــة
مباركة ضمتـــك أســـرع ما هتـــن
ولا برحتهـــــا ديمـــة مُستهلـــــة
إذا ركضتها الرِّيـــح قام بها جرن
فلا زلت في روض وروح ورحمة
ومقبرة تَتْـــرى على ذلك الجنـــن
***

علي بن عمر

ابن إبراهيم بن عبد الله الكناني [1] القيجاطي [2]، يكنى أبا الحسن، أصله من بَسْطة، واستوطن غرناطة، حتى عُدَّ من أهلها قراءة وإقراءً ولزوماً.

حاله

من **العايد:** [3] أوحد زمانه علماً وتخلُّقاً وتواضعاً وتفنُّناً. ورد على **غرناطة** مستدعى عام اثني عشر وسبعماية [4]، وقعد بمسجدها الأعظم يُقرئ فنوناً من العلم، من قراءات وفقه وعربية وأدب. ووُلِّي الخطابة، وناب عن بعض القضاة بالحضرة، مشكور المأْخذ، حسن السِّيرة، عظيم النفع. وقصده الناس [5]، وأخذ عنه البعيد والقريب. وكان أديباً لوذعياً، فَكِهاً، حلواً، وهو أول

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في: الكتيبـة الكامنـة، وبغيـة الوعـاة، والديبـاج المذهـب، ونفـح الطيـب.
[2] القيجـاطي: نسبـة إلى مدينـة قيجاطـة المتواجـدة في عمـل جيـان.
[3] هـو لابـن الخطيـب ؛ وعنوانـه: عائـد الصلـة. وقـد سبقـت الإشـارة إليـه.
[4] الموافـق لـ 1312م.
[5] في النفـح: ((النـاس واخـذوا عنـه)).

أستاذ قرأتُ عليه القرآن والعربية والأدب، إثر قراءة المكتب[1].

مشيخته

قرأ على أبيه ببلده **بسطة** القرآن، بالرّوايات السبع، وجمعها في خَتْمة، وعلى الأستاذ **أبي عبد الله بن مساعد الغسَّاني**. وقرأ **بغرناطة** القرآن على الأستاذ **أبي عبد الله ابن مستقور**[2]، والأستاذ **أبي جعفر الطبَّاع،** والأستاذ الشهير **أبي الحسن بن الضايع**[3]. والأستاذ النحوي **أبي الحسن الأُبَّدي**. وعلى القاضي **أبي عمرو بن الرُّندي**، والفقيه القاضي **أبي علي بن الأحوص،** وعلى الفقيه النسَّابة **أبي جعفر بن مسعدة،** والأستاذ العلامة **أبي جعفر ابن الزبير**. ولقي الشيخ الصالح ولي الله **أبا إسحق بن عُبيدسْ**[4] وحضر مجالسه العامة. وذكر أنه كان يفتتح مجلسه الذي يتكلم فيه بقوله: لا حول ولا قوة إلا بالله،

---

[1] في الإسكوريال: ((المنكب))؛ وصوبت من الزيتونة.
[2] في الإسكوريال: ((مسمعور))، وفي الزيتونة: ((مسمقور)). وهو تحريف.
[3] هكذا في المخطوطين؛ وقد تكون: ((الصائغ)).
[4] في الزيتونة: ((ابن عبديس)).

كنز من كنوز الجنة، رزقنا الله الأدب مع الله، واستعملنا فيما يُرضيه، ويُرضي رسوله، وجعل حظَّنا في الدار الآخرة. ولقي الإمام بجامع **بسطة** الخطيب الرواية **أبا الحسن بن نافع** وغيرهم، وله تواليف في فنون، وشعر، ونثر، فمن شعره قوله [1]:

روضُ المشيب تفتحت أزهاره
حتى استبان ثغامه وبهاره
ودُجى الشباب قد استبان صباحه
وظلامُه قد لاح فيه نهارُه
فأتى حِمام لا يُعاف وقوعه
ومضى غروبٌ لا نخاف[2] مطاره
والعُمْر مثل البدر يُرمق[3] حسنه
حيناً ويعقب بعد ذاك سراره
ما للإخاء تقلصت أفياؤه
ما للصَّفاء تكدَّرت آثاره

---

[1] البحر الكامل.
[2] في الكتيبة، والنفح: ((غرابٌ ولا يُخاف)).
[3] في الكتيبة الكامنة: ((يونق))، وفي النفح: ((يبدو)).

والحــرُّ يصفــح إن أخــلَّ خليلُــه
والبَــرُّ يسمــح أن تجَّــرأ جــاره[1]
فتــراه يدفــع إن تمكــن جاهــه
وتــراه يرفــع[2] إن عــلا مقــدارُهُ
ولأنت تعلم أنــني زمــن الصبــا
ما زلت زنــداً والحيــاء ســواره
والهجــر ما بيــن الأحبَّــة لم يزل
تــرك الكــلام أو السَّــلام مثــارُه
ولكــم تجــافى عن خفــاء[3] خليلــه
فَطِــنٌ وقــد ظفــرت به أظفــاره
ولكــم أصرَّ على التدابــر مدبــر
أفــضى إلى نــــدم بــه إصراره

[1] ورد هذا البيت في النفح: هكذا:
((والحرُّ يصفح إن تمكن جاهه * وتراه ينفع إن علا مقداره)).
[2] في النفح: ((ينفع)).
[3] في الكتيبة، والنفح: ((جفاء)).

فأقــام كالكســــعي بـــان نهـــاره

أو كالفـــرزدق فارقتـــــه نـــواره[1]

أنكرتـــم من حـــقّ مُعتـــرف لكـــم

بالحـــقّ مـــا لا ينبـــغي إنكـــاره

والشَّـــرع قد منع التقاطـــع نصُّـــه

قطعاً وقـــد رودت بـــه[2] أخبـــاره

والسِّـــن ســـن تـــورُّع وتبـــرُّع

وتســـــرُّع لتشـــــرُّح[3] تختـــــاره

---

[1] الكُسَعِيُّ: هو رجل من كسع؛ يسمى غامد بن الحارث، خرج للصيد مستصحباً قوسه وخمسة أسهم؛ فرأى قطيعاً من حمر الوحش. فرمى أحدها بالسهم الأول؛ فنفذ فيه وخرج من الجهة الأخرى واصطدم بالجبل؛ فرأى الكسعي ناراً؛ فاعتقد أنه أخطأ الطريدة؛ فرمى بالسهم الثاني والثالث والرابع والخامس؛ فتوهم أنه أخطأ الهدف؛ فغضب؛ وكسر قوسه يائساً. ولما انفلق الصبح؛ رأى خمسة من الحمر طريحة، أرضاً؛ وأسهمه مضرجة بدمائها. فندم وقطع إبهامه ثم أنشد:

ندمت ندامة لو أن نفسي * تطاوعني إذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني * لعمرُ أبيك حين كسرت قوسي

وبذلك أضحى الكسعي مضرب المثل. وقد تمثل به الشاعر الفرزدق؛ الذي ندم هو الآخر عندما طلق ابنة عمه نوار ابنة أعين بن ضبيعة ابن عقال المجاشعي. فقال:

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

[2] في الكتيبة: ((بذا)).

[3] في الكتيبة، والنفح: ((لتشرُّع)).

ما يومنا من أَمْسِنــا قطـــك اتّبـــت[1]

ذهب الشبـــاب فكيـــف يبقى عاره

هـــلا حظرتـــم أو حذرتم منه مـــا

حـــق[2] عليكـــم حظـــره وحـــذاره

عجبـــاً لمـــن يجـــري هواه لغايـــة

محـــــدودة أضمـــاره مضمـــاره

يأتي ضُـــحًى ما كان يأتيـــه دُجًى

فكأَنّـــه ما شـــاب منـــه عـــذاره

فبعـــد مـــا تنْـــعى[3] بـــه حسناتُـــه

ويعيـــد مـــا تبـــقى بـــــه أوزاره

فالنفـــس قد أجرتـــه مـــلء عنانه[4]

يشتـــد في مضمارهـــا[5] إحضـــاره[6]

---

[1] في الكتيبـة: ((قـدك اتنـد)). وفي النفـح: ((متـدارك)).

[2] نفسهما: ((فرضٌ)).

[3] نفسهما: ((فيعدُّ مـا تفنى)).

[4] في النفـح: ((عنانـها)).

[5] في الكتيبـة: ((إحضارها)).

[6] أي جريـه بسرعـة.

والمـــرءُ مـــن إخوانـــه في جُنَّـــة[1]
بـــل جَنَّـــة تجـــري بهـــا أنهـــاره
فاليمـــن[2] قد مـــدت إليـــه يمينـــــه
واليُسْـــر قـــد شُدت عليه يســـاره
شِعـــر به أشعرت بالنصـــح الـــذي
يَهْديـــه[3] مـــن أشعـــاره إشعـــاره
ولـــو اختبرتـــم نقـــــده بمحكِّـــه[4]
لامتـــاز بهرجـــه ولاح[5] نضـــاره
هذا هـــدى فيه[6] اقتـــده تنـــل المنى[7]
أو أنـــت فـــي هـــذا وما تختـــاره
وعليكـــم مـــني ســـلام مثـــل مـــا
أرّجـــت بـــروض يانع أزهـــاره

[1] أي في درعـه.
[2] في النفـح: ((واليمـن)).
[3] في الكتيبـة: ((يبديـه)).
[4] في النفـح: ((بمحكـة)).
[5] في الكتيبـة: ((وبـان)).
[6] في الكتيبـة، والنفـح: ((فبـه)).
[7] في الكتيبـة: ((الـرضى)).

ومن شعره في الرّثاء قوله من قصيدة [1]:

حمام حمام فــوق أيك الأسى تشــدو
تهيج من الأشجان ما أوجد الوَجْــد
وذلــك شجــوٌ في حناجرنا شــجى
وذلــك لهــوٌ[2] في ضمايرنــا جــدُّ
أرى أرجل الأرزاء تشتــدُّ نحونــا
وأيديهــا تســـعى إلينــا فتمتــدُّ
ونحن أولو سهو عن الأمر ما لنــا
ســوى أمــل إيجابنا عنــده جَحْــد
فإن خطرت للمرء ذكرى بخاطــر
فتسبيحه[3] السَّاهي إذا سُمــع الرعــد
مصاب به قــدت قلــوب وأنفــس
لدينــا إذا في غيره قُطعــت بُــرد
تليــن له الصم الصلاب وتَنْهَــمي
عيون ويبكي عنده الحجــر الصَّلْــد

---

[1] البحـر الطويـل.
[2] في النفـح: ((هـزلٌ)).
[3] في الكتيبـة، والنفـح: ((فتسبيحـة)).

فــلا مقلـــة ترنـــو ولا أذن تـــعي
ولا راحةٌ تعطـــو ولا قـــدم تعـــدو
وقد كان يبدو الصبـــر منا تجلُّـــداً
وهذا مصاب صبرنا فيه لا[1] يَبْـــدو

مولـده

عـام خمسيـن وستمايـة [2].

وفاتـه

تـوفي **بغرناطة** ضـحى يـوم السبـت التاسـع والعشريـن مـن شهـر ذي حجـة مـن عـام ثلاثيـن وسبعمايـة [3]، ودفـن في عصـر اليـوم بعـد بجبانـة بـاب إلبيـرة. وكـان الحفـل في جنازتـه عظيمـاً، حضرهـا السلطـان، واحتمـل الطلبـة نعشـه.

***

[1] في النفـح: ((مـا يبـدو)).
[2] الموافـق لـ 1252م.
[3] الموافـق لـ 1329م.

***

عمر بن عبد المجيد

ابن عمر الأزدي [1]، المعروف بالرُّندي؛ من أهل رُنْدة؛
يكنى أبا علي [2].

حاله

كان من جملة المُقْريين، جهابذة الأستاذين، مشاركاً في فنون، نقاداً، فاضلاً.

مشيخته

روى عن **أبي زيد السُّهيلي** [3]، وعنه أخذ العربية والأدب، وبه تفقَّه، وإياه اعتمد. وعن **أبي محمد القاسم ابن دحمان، وأبي عبد الله بن أبان**، وتلا على هؤلاء القراءات، بقراءات السَّبعة. وعن **أبي إسحق بن قرقول،**

---

[1] لـه ترجمـة أيضـاً في التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، وبغية الوعاة.
[2] في التكملـة لكتـاب الصلة، والذيل والتكملة: ((يكنى أبا علي وابا حفص)).
[3] في التكملـة لكتـاب الصلـة: ((سمع ابا القاسم السهيلي)).

وأبي عبد الله بن الفخار، وأبي الحسن صالح بن عبد الملك الأوسي، وأبي محمد عبد الحق بن بُونه. وأبي عبد الله الحميري الإستجّي، وأبي العباس بن اليتيم، وأبي عبد الله بن مُدرك، وأبي القاسم بن حُبيش وأبي عبد الله بن حُميد. أخذ عن هؤلاء **بمالقة**، من أهلها، ومن الواردين عليها. ورحل إلى **غرناطة**، فأخذ بها عن **يزيد بن رفاعة، وابن كوثر، وابن عروس**[1]**، وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرس، وأبي جعفر بن حكم.** وإلى **قرطبة**، فأخذ بها عن **ابن بشكُوال، وأبي القاسم المشراط.** وإلى **إشبيلية**، فأخذ بها عن **أبي بكر بن الجد، وأبي عبد الله ابن رزق**، **وابن خير، وابن صاف.** وأخذ **بسبتة** عن **ابن عُبيد الله. وبالجزيرة الخضراء** عن القاضي **أبي جعفر بن عَزْرة**[2]. هؤلاء جملة من أخذ عنهم باللقاء والمشافهة. وأجازه جماعة من أهل **المشرق** كبيرة، ذكرهم في برنامجه،

---

[1] هو أبو بكر يحيى بن محمد السلمي الغرناطي؛ المعروف بابن عروس. له ترجمة في التكملة.

[2] في التكملة لكتاب الصلة: ((أبو حفص بن عذرة)).

كالخشوعي، والأرحي، والحرشاني[1]، وحدث عن **السِلفي** الحافظ بإجازته العامة.

تواليفه

شرح **جُمل أبي القاسم الزَّجاجي**، وردًّ على **ابن خروف،** منتصراً بشيخه **أبي زيد السهيلي** في مسألة نحوية، ردَّ فيها **ابن خروف على السُّهيلي** وقيد فيما جرى بينه وبين الأُستاذ **أبي محمد القرطبي**، جزءاً سماه ((**بالحقبي**[2] **في أغاليط القرطبي**))، لم يخل فيه عن حمل وتعسُّف. وأَلَّف برنامجاً جامعاً. روى عنه **أبو عبد الله بن عسكر** القاضي، والشيخ **أبو عبد الله بن عبيد الأُوسي، وأبو عبد الله الطَّنجالي**، والخطيب **ابن أبي ريحانة**.

---

[1] **في التكملة: ((أبو القاسم الحرستاني)).**
[2] **في الإسكوريال: ((الخبي)).**

مولـده

سنـة سبـع وأربعيـن وخمسمايـة [1].

وفاتـه

تـوفي سحـر يـوم الجمعـة المـوفي عشريـن لشهـر ربيـع الثاني سنـة عشـر وستمايـة [2].

***

[1] الموافـق لـ 1152م.
[2] الموافـق لـ 1213م.

عثمن بن سعيد

ابن عثمن بن سعيد الأموي [1]، المُقري الحافظ، المعروف بابن الصَّيْرَفِي، قرطبيّ الأصل، يكنى أبا عمرو، ويشتهر بالدَّاني، لاستيطانه دانية، ودخل إلبيرة، وقرأ على أبي عبد الله ابن أبي زمنين، فوجب ذكره لذلك.

حاله

كان أحد الأئمة الأعلام في علم القرآن، وآياته، وتفسيره، ومعانيه وإعرابه، وجمع في ذلك كله التواليف العجيبة التي يكثر تعدادها، ويطول [2] إيرادها، وله معرفة بالحديث وطرقه، وأسماء رجاله ونقلته، وكان حسن الخط، جيد الضبط، آية في الحفظ والعلم، والذكاء والفهم ديناً عارفاً، ورعا سنياً، قال **المغلي** [3]: وكان أبو عمرو مُجاب الدعوة. وذكره **الحميدي**؛ فقال: محدّث مكثر، مقرئ متقدم.

---

[1] له ترجمة أيضاً في: الصلة، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس، ونفح الطيب.
[2] في الزيتونة: ((يكثر)).
[3] هكذا في الزيتونة، والإسكوريال. وفي الصلة: ((المغامي))؛ وهو أبو عبد الله محمد بن عتيق بن فرج بن أبي العباس بن إسحاق التجيبي المغامي؛ نسبة إلى بلد بالأندلس.

مشيخته

روي عن **أبي المطرف عبد الرحمن بن عثمن القشيري بقرطبة**، وعن **أبي بكر حاتم بن عبد الله البزاز**[1]**، وأبي عبد الله محمد بن خليفة، وأحمد بن فتح بن الرَّهان** [2]**، وأبي بكر بن خليل، ويونس بن عبد الله القاضي. وخلف بن يحيى،** وغيرهم. **وبإلبيرة** عن **محمد بن أبي زمنين** كثيراً من رواياته وتواليفه. وسمع **بإستِجَّة، وبجَّانة وسَرَقُسْطة** [3] من **بلاد الثغر**. ورحل إلى **المشرق** [4]، فلقي [5] **أبا الحسن بن أحمد بن مراس العنقي**. وسمع **بمصر** من **أبي محمد بن النحاس، وأبي القاسم بن مُيَسَّر**، **وخلف بن إبراهيم بن خاقان**، **وفارس بن أحمد، وطاهر ابن عبد المنعم، وبالقيروان** من **أبي الحسن القانسي** [6].

وقدم **الأندلس** فاستوطن **دانية**.

---

[1] في النفح: ((البراز))؛ بالراء المهملة.
[2] في الصلة: ((الرسان)).
[3] نفسه: ((وغيرها من بلاد الثغر)).
[4] نفسه: ((ورحل إلى المشرق سنة397هـ... وحج ورجع إلى الأندلس في ذي القعدة سنة 399هـ.
[5] في الصلة: ((ولقي بمكة أبا الحسن أحمد بن فراس العبقسي)).
[6] في الصلة، والنفح: ((القابسي))؛ بالباء الموحدة التحتية.

شعـره

قال **أبو القاسم بن بشكُوال**: ومما يذكر من شعره قوله[1]:

قد قلت إذ ذكروا حال الزمان ومــا
يجرُّ[2] على كل من يُعزى إلى الأَدب
لا شيء أبلــغ مــن ذل تجرَّعــه[3]
أهل الخساسة أهل الدِّين والحسَــب
القايميــن[4] بما جــاءَ الرسول بــه
والمُبْغضين لأهل الزَّيــغ والرِّيــب

مولـده

قال **أبو عمرو**: سمعت والدي يقول إني ولدت سنة إحدى وسبعين وثلاثماية[5]، وابتدأ طلب العلم بعد خمس وثمانين.

[1] **البحر البسيط،**
[2] **في الصلة، وجذوة المقتبس، وبغية الملتمس: ((يَجْري)).**
[3] **المصادر نفسها: ((يجرعه)).**
[4] **في جذوة المقتبس: ((العالمين)).**
[5] **الموافق لـ 981م.**

وفاته

من خط **أبي الحسن المُقري**: يوم الاثنين منتصف شوال سنة أربع وأربعين [وأربعمائة] [1] بدانية، ودفن عصر اليوم المذكور ببقيعها. ومشى السلطان [2] راجلاً أمام نعشه.

***

[1] أضاف عنان هذه الكلمة. الموافق لـ 1052م.

[2] المقصود هنا هو الأمير إقبال الدولة بن مجاهد العامري؛ الذي حكم مملكة دانية والجزائر الشرقية أيام الطوائف؛ من سنة 436هـ/1044م إلى سنة 468هـ/1076م.

علي بن أحمد

ابن سعيد بن حزم بن غالب [بن صالح بن خلف بن معدان ابن سفيان بن يزيد]؛ [1] الإمام أبو محمد بن حزم.

أوليته

أصله من **الفُرس**، وجدُّه الأقصى في الإسلام [اسمه] [2] **يزيد، مولى ليزيد بن أبي سفيان**. قال **أبو مروان ابن حيان**: وقد كان من عجايبه، انتماؤه في **فارس**، وأتباع أهل بيته له في ذلك حقبة من الدهر، تولى فيها الوزير، المفضَّل في زمانه، الراجح في ميزانه، **أحمد بن سعيد بن حزم**، **لبني أمية** أولياء نعمته، لا عن صحة ولاية لهم عليه، فقد عهده الناس مولد الأَرومة من **عجم لَبْلة**، جدُّه الأدنى، حديث عهد بالإسلام، لم يتقدم

---

[1] **ما بين حاصرتين؛ منقول من ترجمة ابن حزم الواردة في وفيات الأعيان لابن خلكان. وله أيضاً ترجمة في: جذوة المقتبس؛ وبغية الملتمس، والصلة، والذخيرة، ومطمح الأنفس، والمغرب في حلى المغرب، والمطرب، ورايات المبرزين، والمعجب، ومعجم الأدباء، وشذرات الذهب، والفلاكة والمفلوكون، ونفح الطيب.**

[2] **هذه الإضافة من جذوة المقتبس.**

لسلفه نباهة. فأبوه **أحمد**، على الحقيقة، هو الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر، برأس رايته، وعمره بالخلال الفاضلة، من الرجاجة والدهاء والمعرفة والرجولة والرأي، فأسدى جرثومة شرف لمن نماهم، أغنتهم [1] عن الرسوخ في أولى السابقة، فما من شرف إلا مسبوق عن خارجته، ولم يكن إلا كلا ولا، حتى تخطى على هذا أوليته [2] **لبلة**. فارتقى قلعة **إصطخر** من **أرض فارس**. فالله أعلم كيف ترقاها، إذ لم يكن يؤتى من خطل ولا جهالة، بل وصله بها وسع علم، ووَشْجة رحم معقومة، فلها يستأخر الصلة، فتناهت حاله مع فقهاء عصره إلى ما وُصف، وحسابه وحسابهم على الله، الذي لا يظلم الناس مثقال ذرة. عزَّت قدرته.

---

[1] في الزيتونة: ((غنت)).
[2] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((رابته)).

حاله

قال **الحميدي**: كان حافظاً، عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً [للأحكام][1] من الكتاب والسنة، متفنناً في علوم جمَّة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا، بعد الرياسة التي كانت له، ولأبيه من قبله، في الإدارة [2] وتدبير الممالك، متواضعاً، ذا فضايل جمَّة، قال، وما رأينا مثله، فيما اجتمع له. مع الذكاء وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتَّديُّن. قال **أبو مروان بن حيان**، كان **أبو محمد** حامل فنون، من حديث وفقه ونسب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة. وله في ذلك عدة تواليف.

وقد مال أولاً به النَّظر في الفقه إلى رأي **أبي عبد الله الشافعي**، وناضل عن مذاهبه، وانحرف عن مذهب غيره، حتى وُسم به، واستهدف بذلك إلى كثير من الفقهاء، وعيب بالشُّذوذ. ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب **الظَّاهر**، مذهب **داود بن علي،** ومن تبعه من فقهاء

---

[1] هذه الإضافة من جذوة المقتبس.

[2] في جذوة المقتبس: ((الوزارة)).

الأمصار، فنقحه ونهجه، وجادل عنه، ووضع الكتب في بَسْطه، وثبت عليه إلى أن مضى بسبيله. وكان يحمل علمه، ويجادل عنه لمن خالفه فيه، على استرسال في طباعه، واستناد إلى العَهْد أخذه الله على العلماء من عباده، ليبينَّه للناس، ولا يكتمونه، فآل أمره إلى ما عُرف.

مشيخته

قال، سمع سماعاً جماً، وأول سماعه من **أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور** قبل الأربعماية.

تواليفه

قال: بلغت تواليفه أربعمائة مجلد. وقال: حمل بعير.

فمنها في علم الحديث كتاب كبير سماه ((**الإيصال في فهم الخصال** [1]**، الجامعة لجمل** [2] **شرائع الإسلام، في الواجب والحلال والحرام، وساير الأحكام، على ما أَوْجَبه القرآن**

[1] في جذوة المقتبس، ووفيات الأعيان: ((كتاب الخصال)).

[2] في الإسكوريال، والزيتونة: ((إلى))؛ وصوبت من جذوة المقتبس.

والسُّنة والإجماع)). أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أيمة المسلمين، وبيان ذلك كله، وتحقيق القول فيه. وله كتاب ((**الإحكام لأصول الأحكام**)) في غاية التقصي وإيراد الحجاج. وكتاب ((**الفصل في الملل والأهواء والنّحل**)). وكتاب ((**الإجماع ومسائله**)) على أبواب الفقه. وكتاب ((**المُجلّى والمُحلّى**)) وكتاب في ((**مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض**)). وكتاب ((**إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل**)). وهذا مما سبق إليه، وكتاب ((**التقريب** [1] **لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية. والأمثلة الفقهية**)). فإنه سلك في بيانه، وإزالة سوء الظن عنه، وتكذيب المنحرفين [2] به، طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمنا).

---

[1] في الإسكوريال، والزيتونة: ((التعريف))؛ والتصويب من جذوة المقتبس.

[2] في الجذوة، والوفيات: ((المُمَخْرقين)).

شعـره

قـال: وكـان لـه في الأدب [1] والشعـر نَفَـسٌ واسـع، وبـاع طويـل. ومـا رأيت مـن يقـول الشعـر عـلى البديهـة أسـرع منـه. وشعـره كثيـر، وقـد جمـع عـلى حـروف المعجـم. ومنـه قولـه [2]:

هل الدهـــر إلا ما عرفنـــا أدركنـــا
فجائعـــــه تبـــقى ولذاته تفـــــنى
إذا أمكنـــت فيـــه مســـرَّة ساعـــة
تولَّت كمر الطَّرف واستخلفت حَزَنا
إلى تبعات في الحســـاب[3] وموقــف
نـــود لديـــه أننـــا لم نكُـــن كنـــا
حصلنـــا على هـــم وإثم وحســـرة
وفـــات الذي كنـــا نلـــذ[4] به عنـــا[5]

[1] في الجذوة: ((الآداب)).
[2] البحـر الطويـل.
[3] في بغيـة الملتمـس، والصلـة، والمعجـب: ((المعـاد)).
[4] في المعجـب: ((نقرُّ)).
[5] في الصلـة، والمعجـب: ((عينـا)).

حنيـــن لمـــا ولّى وشغـــل لما[1] أتى
وغمٌّ لما يـــرجى فعيشك لا يهنـــا
كــــان[2] الـــذي كنـــا نسر بكونـــه
إذا حققتـــه النفـــس لفظٌ بلا معنى

ومن ذلك قوله من قصيدة في الفخر [3]:

أنا الشمـــس في جو العلوم منيـــرة
ولكن عيـــبي أن مطلـــعي الغـــرب
ولو أنَّني من جانب الشرق طالـــعٌ
لجد على ما ضاع من ذكري النَّهب
ولي نحـــو أكناف العراق صبابـــة
ولا غرو أن يَسْتَوحش الكَلِف الصّب
فإن يُنزل الرحمـــن رَحْلي بينهـــم
فحينئـــذ يبـــدو التأســـف والكـــرب
فكـــم قائـــل أَغفَلْتُـــه وهو حاضـــر
وأطلـــب ما عنـــه تجيء به الكتب

[1] في الصلـة، وبغيـة الملتمـس، والمعجـب: ((بمـا)).
[2] في بغيـة الملتمـس، والصلـة، والمعجـب: ((كـأنَّ)).
[3] البحـر الطويـل.

هنالــك يــدري أن للبُعــد قصـــة
وأنـــه[1] كَســـاد العلــم آفتــه القُرب

ومنها في الاعتذار عن المدح لنفسه:

ولكن لي في يوســف خير أُسْــوة
وليس على من [سار سيرته[2]] ذَنْبُ
يقـــول وقـــال والصـــدق أنـــني
حفيـــظٌ عليـــمٌ ما على صادق عتب

ومن شعره قوله فيما كان يعتقده من المذهب الظاهري [3]:

وذي عــذل فيمن سبـــاني حسنـــه
يُطيل مـــلامي في الهوى ويقـــول
أفي حســـن وجه لاح لم تر غيـــره
ولم تـــدر كيف الجسم أنـــت قتيـــل[4]

---

[1] في بغيـة الملتمس، والصلـة، والمعجب: ((وأن)).
[2] في جذوة المقتبس: ((من بالنـبي ائتسي)).
[3] البحـر الطويـل.
[4] ورد هذا البيت في الذخيـرة هكذا:
((أفي حسن وجه لاح لم تـر غيره * ولم تدر كيف الجسم أنـت قتيـل))، وجاء صدر البيت في معجم الأدباء هكذا: ((أمن حسن وجهه لاح لم تر غيره))، وجاء البيت كله في المغرب في حلى المغرب، ونفح الطيب هكذا:
((أمن أجل وجهه لاح لم تر غيره * ولم تدر كيف الجسم أنت عليل)).

فقلـــت له أسرفــت في اللوم ظالماً

وعنــــــدي ردٌ لـــو أردت طويـــل[1]

ألـــــم تـــر ظاهــــري وأنـــــني

عـــلى ما بـــدا[2] حتى يقـــوم دليـــل

ومن ذلك قوله [3]:

أبن وَجْه قول الحق في نفس سامع

ودعه فنور الحق يسري ويُشـــرق

سيؤنســـه رفقـــاً فينـــسى نفـــاره

كما نَـــسِي القيدَ المُوثَّـــق مُطْلَـــقُ

ومن ذلك قوله [4]:

لئن أصبحتُ مرتحـــلاً بشخـــصي[5]

فـــرُوحي[6] عندكـــــم أبـــداً مقيـــم

---

[1] جاء هذا البيت في الذخيرة، والمغرب، والمعجم هكذا:
((فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد * فعندي رد لو أشاء طويل)).

[2] في المغرب، والنفح: ما أرى)).

[3] البحر الطويل.

[4] البحر الوافر.

[5] في الوفيات: ((بجسمي)).

[6] في النفح: ((فقلبي)).

ولكـــن للعيـــان لطيـــف معْـــنى
لـــه[1] طلـــب[2] المعاينـــة الكَليـــم

وفي المعنى [3]:

يقـــول أخي شجـــاك رحيل جســـم
وروحـــك مالـــه عنـــا رحيـــــل
فقلـــت لـــه المعايـــــن مطمئـــن
لـــذا طلـــب المعاينـــة الخليـــــل

دخوله غرناطة

وصـل في جملة الإمام **المرتـضى**. ولّما جرت عليه الهزيمة واستولى **باديس** الأمير **بغرناطة** على محلَّته، كـان **أبـو محمـد** مـن عـداد أسـراه مـع مثلـه، إلى أن أطلقـه بعـد لأْي، وخلَّصـه اللـه منـه.

---

[1] في النفح: ((لذا)).
[2] في جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والذخيرة، والمغرب، والمطرب، والمعجب، ونفح الطيب، ووفيات الأعيان: ((سأل)).
[3] البحر الوافر.

محنته

قال **ابن حيان**: استَهَدف إلى فقهاء وقته، فتألَّبوا على بُغضه، وردّ قوله، وأجمعوا على تَضْليله، وشنَّعوا عليه، وحذَّروا سلاطينهم من فِتْنته، ونهوا أعوامهم عن الدنوّ إليه، والأخذ عنه، فطَفِق الملوك يقصونه على قربهم، ويُسَيّرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به، مُنقطع أثره؛ بتربة بلده من **بادية لَبْلة**، وبها توفي؛ غير راجع إلى ما أرادوا به يَبُث علمه فيمن ينتابه ببادیته من عامة المقتبسين منه من أصاغر الطلبة، الذين لا يحسون فيه الملامة بحداثتهم، ويفقّههم ويدرسهم، ولا يدع المثابرة على العلم، والمواظبة على التأليف، والإكثار من التصنيف، حتى كمل من مصنفاته في فنون العلم وقر بعير، حتى لأحرق بعضها **بإشبيلية**، وفي ذلك يقول [1]:

---

[1] **البحر الطويل.**

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
تضمنَّه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلَّت ركايــبي
وينزل إن أنزل ويُدفن في قبــري

مولـده

سنة أربع وثمانين وثلاثمائة [1] **بقرطبة**.

وفاته

توفي سنة ست وخمسين وأربعماية [2]

***

[1] **الموافق لـ 994م.**
[2] **الموافق لـ 1063م.**

علي بن إبراهيم

ابن علي الأنصاري المالقي[1]، يكنى أبا الحسن، صاحبنا حفظه الله.

حاله

آية الله في الحفظ، وثقوب الذهن، والنَّجابة في الفنون، وفصاحة الإلقاء، خريج طبعه، وتلميذ نفسه، ومبرز اجتهاده. إمام في العربية، لا يشق فيها غباره، حفظاً وبحثاً، وتوجيهاً واطلاعاً، وعثوراً على سقطات الأعلام، ذاكر للغات والآداب، قايم على التفسير، مقصود للفتيا، عاقد للوثيقة، مشارك في الفنون، ينظم وينثر، فلا يعدو الإجادة والسداد، سليم الصدر، أُبَّي النفس، كثير المشاركة، مُجدي الصُّحبة، بعيد عن التَّسمُّت. رحل عن بلده **مالقة**، بعد التبريز في العدالة والشهرة بالطلب، واستقر **بالمغرب**، فاقرأ **بمدينة أنفا**[2] ، مُنَوّهاً به، ثم **بسلا**، واستوطن بها، رئيس المدرسة بها، مجمهراً بكرسيها، فارعاً بمنبرها، بالواردة السلطانية، يفسر كتاب الله بين

---

[1] **له ترجمة أيضاً في الكتيبة الكامنة؛ استهلت: بـ ((المتكلم أبو الحسن علي بن إبراهيم الرقاص؛ رحمه الله)).**

[2] **أنفا: بلدة قديمة في المغرب الأقصى؛ في موقعها الآن: مدينة الدار البيضاء.**

العشاءين، شرحاً كثير العيون، محذوف الفضول، بالغاً أقصى مبالغ الفصاحة، مسمعاً على المحال النابية، ويدرس من الغدوات بالمدرسة، دولاً في العربية والفقه، أخذه بزمام النبل، مترامية إلى أقصى حدود الاضطلاع. وحضر المناظرة، بين يدي السلطان، فاستأثر بشِقْصٍ[1] من رَعْيه، وأُعجب بقوة جأشه، وأصالة حفظه، فأنمى جراياته، ونوهَّ به.

مشيخته

قرأ ببلده على الأستاذين، عَلَمي القُطر، القاضي العالم **أبي عبد الله بن تبر**، والقاضي النظار **أبي عمرو بن منظور**. وتلا القرآن على المقري **أبي محمد بن أيوب**. وذاكر **بغرناطة** إمام العربية **أبا عبد الله بن الفخار**، ورييس الكتاب، شيخنا **أبا الحسن بن الجيّاب**. **وبالمغرب** كثيراً من أعلامه، كالرئيس **أبي محمد الحضرمي**، والقاضي **أبي عبد الله المقري وغيرهم**[2]. وهو الآن بحاله الموصوفة قاضياً بشرقي **مالقة**، وأستاذاً بها متكلماً، معجزٌ من مفاخر قُطْره.

---

[1] أي بنصيب وبسهم.

[2] هكذا. والأصوب: ((وغيرهما)).

شعـره

مما يؤثر من شعره منقولاً من خط صاحبنا **أبي الحسن ابن الحسن**[1]:

رحماك رحمـــاك في قلب يُقَلّبـــه
شـــوقٌ يكـــاد بِلَفْح الوَجْد يُذهبـــه
هـــام الفؤاد بمعـــنىً للجمال بـــدا
عليك في السِّر للأرواح أَعْجَبُـــه
ولاح منك لذي الإشراف جوهـــرة
ألاحت الحسن عما كان يحجبـــه
فلو هم الصحب أن الروح تيمهـــا
ماضي الجفون برود الثغر أشنبـــه
يظل مُعتقـــلاً من خَـــوْط قامتـــه
بأسمـــر غالـــني منه مؤرّبـــه

1 **البحـر البسيـط.**

وذي فرند يدب الموت في شطب
منه ويوحـــش في جنـــح تلهبـــه
يخالـــه ذو الصـــدا ماء فيبصــــره
يود في الحال أن لو كان يَشْرُبـــه
بالهنـــدواني والـــذي ندَّ[1] توشّجُـــه
وبالصَّبابـــة والأرواح ملعبـــــه
كساه سرٌّ الجمال المحـــض حُلَّتـــه
إذ جاده من نكـــب الجود صيِّبُـــه
وقام يرفـــل فيهـــا وهي ضافيـــة
فأقبلـــت نحـــوه الأرواح تطلبـــه
هيهات من دونـــه باب بظاهــــره
يجر الفنا[2] وجُنْـــد الروح يرهبـــه
فمرنا والمـــوت فيه عَيْن عيشتـــه
فأوج مرقى حياة الـــروح مرقبـــه

---

[1] حذف د. طويل كلمة ((ندّ))؛ فأضحت: ((والذي توشّجه)).
[2] أضاف د. طويل الهمزة؛ فغدت: ((الفناء)).

نيـــدت لوايحه من بحر جوهـــره
بَرْقاً يغيـــر على الغَيْـــران خُلَّبُـــه
وتَسْتَعيـــر لـــه روحـــاً مظاهـــره
سرُّ الجمال بهـــا يبـــدو تحجُّبـــه
بـــدرٌ وفي أُفق الأرواح مَطْلَعـــه
مهمـــا أفاقـــت وإلاَّ فهي مَغْربـــه
بخاطـــر منـــه ســـر لا يفـــارقـــه
وإن غـــدا بغـــرام الشوق يُلْهبـــه
لي هـــواه والبعد ينهاني ويصدقني
في نصحه وصريح الوجد يكذبـــه
سرُّ الغـــرام غريب ليس يعلمـــه
إلا الذي قد غـــدا يرضيه مغضبه
وللصَّبابة أقـــوام ومَوْردهـــم بهـــا
مـــن الأُنـــس أحـــلاه وأعـــذبـــه
وليـــس يَعْرف هـــذا حقَّ معرفـــة
إلاَّ الذي قد تجـــلى عنـــه غَيْهَبـــه

وأبصر الحُسن قد لاحت لوايحـــه

وغرٌّ مستبشـــر الأضواء كوكبـــه

بذات أهيـــف مـــن ســـرِّ الحيـــاة[1]

طِـــرْسٌ يغالبـــه طـــوراً فيغلبـــه

وفي لُجَين الجمال المحض قد فعلت

فعـــلاً يرد لها في الحكم مذهبـــه

أروم إعجامـــه هونـــاً وتطمعـــني

فيه النَّفاســـة والأنفـــاس تعرفـــه

فمن لمثـــلي بكتمانٍ ومن نفـــسي

أخو بيـــان مع الساعات يُسهبـــه

لبانـــة الســـر أن تحظى بمرقبـــة

إلى سبيـــل من الزلـــفى تُقَرِّبـــه

تسمو على مِنْكَب الجوزاء ذروتها

عن رقَّة بشهـــود الفـــرق تُسلبـــه

وفي مصافَّـــات سر القبض يَبْسُطه

لدى الوجود الذي قد عزَّ مطلبـــه

---

[1] **هذا الشطر مختل.**

فيرتقي في مراقي الجمع مختطفـــاً
إلى المقـــام الذي إليه عند[1] بُغْيتـــه
فـــذاك أعظم ما يرجوه أن سبقت
عنـــا يدٌ نحـــو باب العزّ تجذبـــه

ومن منظومه في النسيب قوله [2]:

لمحمـــد البرقـــاء حســـن باهـــر
كلُّ الورى حلـــف الصبابـــة فيـــه
السحـــر مفتـــون بغنـــج لحاظـــه
والشَّهـــد ممزوج بريقـــه[3] فيـــه
فسحره أضنى المتيم في الهـــوى
حـــتى يكـــاد سقامـــه يُخفيـــه
ولو أنـــه بالشَّهد جـــاد ورشفـــه
لصـــدٍّ لكان من الصـــدا يُشفيـــه
بصدوده قلبي يقطـــع في الهـــوى
يـــا ليتـــه بـــوصالـــه رافيـــه

---

1 **حذف د. طويل كلمة: ((عند))؛ فأضحت: ((إليه بغيته)).**
2 **البحر الكامل.**
3 **جعلها د. طويل: ((بريق)).**

وصدر كتاباً بقوله يخاطبني [1]:

أنسيانـــاً فديتـــك يـــا حيـــاتي
لمن لم يُنبيـــك[2] حبـــك للممـــات
ورجمـــاً بالظنـــون أخا حنيـــن
إليك رهيـــن[3] شـــوق وانْبتـــات
يمينـــــاً بالنهـــار إذا تجـــــلَّى
وبالقمـــر المنيـــــر وبالآيـــات
لقد أَحلَلْـــتُ حبـــك من فـــؤادي
محلَّ الـــروح من بثّ الجهـــات[4]

وشعره بديع، وإدراكه عجيب، وعارضته قوية.

***

[1] البحر الوافر.
[2] في الكتيبة الكامنة: ((لم ينس)).
[3] نفسه: ((حليف)).
[4] نفسه: ((من بيت الحياة)).

علي بن محمد

ابن علي بن يوسف الكتامي [1]، يكنى أبا الحسن،
ويعرف بابن الضّايع، من أهل إشبيلية.

حاله

قال الأستاذ **أبو جعفر بن الزبير**: بلغ الغاية في الفنّ النحوي، وفاق أصحاب الأستاذ **أبي علي [الشلوبين]** [2] بأسرهم، وله في مشكلات الكتاب العجايب [3] وقرأ ببلده أيضاً علم الكلام، وأصول الفقه، وكان متقدماً في هذه العلوم الثلاثة، متصرفاً فيها. وأما فنُّ العربية، وعلم الكلام، فلم يكن في وقته من يقاربه في هذين العِلْمين. وأما فهمه وتصرفه في **كتاب سيبويه**، فما أراه يسبقه في ذلك أحد. وله إملاءٌ على طايفة كبيرة من **إيضاح الفارسي**. وكان له اعتناءٌ كبير بكلام **الفارسي** على الجملة، وبحسب ذلك استقضى اعتراضات **أبي الحسين بن الطراوة** على **أبي علي** بالرد، واستوفى ما وقع له في

---

[1] نسبة إلى قبيلة كتامة الأمازيغية. له ترجمة أيضاً في: الذيل والتكملة، وبغية الوعاة، ونفح الطيب.
[2] هذه الإضافة من الزيتونة.
[3] في الزيتونة: ((عجايب))؛ بدون الألف واللام.

ذلك، حتى لم يبق بيده شيء على طريقة من الإنصاف، ودليل الهدى. لم يسبق إليها. وكذا فعل في رد **أبي محمد بن السيد**، على **أبي القاسم الزجاجي**. وكذا فعل في اعتراضات **أبي الحسين بن الطراوة** على **كتاب سيبويه**. وكان بالجملة إماماً في هذا كله لا يُجارى. وأما اختيارات **أبي الحسن بن عصفور** في **مغربه** وغير ذلك من تعاليقه، وما قيَّد في ذلك، فرُدَّ عليه معظمها أو أكثرها. ولم يُلْق **بالأندلس والعدوة**، ولا سمعنا بأنبه منه، ممن وقفنا على كلامه أو شاهدناه، ولا رأيت مختلفاً عليه من أهل بلده من أترابه، ومن فوقهم. وكان إذا أخذ فن أتى بعجايب. قال الأستاذ، لازمته، وأخذت عليه **كتاب سيبويه** في عدة سنين، وأكثر **كتاب الإيضاح**، **وجمل الزجاجي**. إلى غير ذلك، وجميع التلقيحات للسَّهْرَ وردي. وطايفة كبيرة من **إرشاد أبي المعالي**، ومن **كتاب الأربعين لابن الخطيب**، وغير ذلك.

مشيخته

أجاز له من أهل بلده الرواية المُسِن **أبو الحسن**[1] **بن السّراج**، والقاضي **أبو الخطاب بن خليل**. ومن غيرهم، القاضي **أبو بكر بن محرز**، والمُقري المُعمَّر **أبو بكر الشّماتي** المعروف **بالشريشي**، **وأبو عبد الله الأزدي**، **وأبو عبد الله ابن جوبر** وآخرين. وقرأ ببلده. ولازم الأستاذ **أبا علي الشّلوبين**، حتى كمل عليه **إيضاح الفارسي**، **وكتاب سيبويه**. وسمع **جمل الزجّاجي** وغير ذلك من كتب العربية، ممن كان يقرأ في المجلس، وقرأ عليه طائفة كبيرة من **تَذْكرة الفارسي**، مما يتعلق بمسائل الكتاب، بعد أن جردها من التذكرة. وبلغ الغاية في الفن النحوي، وفاق أصحاب **أبي علي** بأسرهم.

---

[1] في الذيل والتكملة: ((أبو الحسين)).

وفاته

توفي رحمه الله، في شهر ربيع الآخر [1] من سنة ثمانين وستماية [2]، وقد قارب التسعين [3]. [قلت العجب من الشيخ الخطيب رحمه الله، كيف لا يذكر للمترجم به رحمه الله، شرحه **لجمل الزجّاجي**، بل **شرحه الصغير والكبير**. ولم يكن اليوم على **الزجاجي** أجدى منها، ولا أنفع، ولا أقلَّ فضولاً، ولا أفصح عبارة، ولا أوجز خطابة، ولا أجمل إنصافاً، ولا أجود نظراً]. [4]

***

---

[1] في بغية الوعاة: ((مات في 25 ربيع الآخر من سنة ثمانين وستمائة)). وفي الذيل والتكملة: ((ولد بإشبيلية سنة أربع عشرة وستمائة))

[2] الموافق لـ 1281م.

[3] في بغية الوعاة: ((السبعين)).

[4] هذه الفقرة المحصورة بين حاصرتين تبدو أنها من تحرير الناسخ.

***

علي بن محمد

ابن عبد الحق بن الصباغ العقيلي [1]؛ يكنى أبا الحسن؛ من أهل غرناطة.

حاله

صاحبنا **أبو الحسن؛** من أهل الفضل والسَّراوة والرجولة والجزالة. فذٌّ في الكفاية، ظاهر السذاجة والسلامة، مصعب لأضداده، شديد العصبة [2] لأولي وُدّه، في أخلاقه حدَّة، وفي لسانه نبالة؛ أخلا به، مشتملٌ على خلال من خطٍّ بارع، وكتابة حسنة، وشِعر جيد، ومُشاركة في فقه وأدب ووثيقة، ومحاضرة ممتعة. ناب عن بعض القضاة، وكتب الشروط، وارتسم في ديوان الجند، وكتب عن شيخ الغزاة **أبي زكريا** [3] **بن عمر**؛ على عهده. ثم انصرف إلى **العدوة** سابع عشر جمادى الأولى من عام

---

[1] له ترجمة أيضاً في: الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب.
[2] في النفح: ((العصبية لأولي وداده؛ يشتمل على خلال من خطّ)).
[3] في النفح: ((زكريا يحيى بن عمر...)).

ثلاث [1] وخمسين وسبعماية [2]؛ فارتسم في الكتابة السلطانية مُنوَّهاً به، مستعملاً في خِدم مُجدية، بان عناؤه فيها، وظهرت كفايته.

وجرى ذكره في **كتاب التَّاج** بما نصه: اللَّسِن العارف، والناقد [3] لجواهر المعاني، كما يفعل بالسَّكة الصَّيارف، الأديب المُجيد، الذي تملَّى به العصر [4] والنَّحر والجيد، إن أجال جياد براعته، فضح فرسان المهارق، وأخجل بين بياض طرسه، وسواد نفسه [5] الطور تحت المفارق. وإن جلى أبكار أفكاره وأثار طيْر البيّازين [6] أوكاره، سلب الرَّحيق المُفدّم فضل أبكاره [7]، إلى نفس لا لا يفارقها ظرف، وهمَّة لا يرتد إليها طَرْف، وإباية [8] لا يفَلُّ لها غَرْب ولا حرف. وله أدب غض، زهره عن [9]

[1] صوبها د. طويل؛ فكتبها: ((ثلاثة)).
[2] الموافق لـ 1352م.
[3] في النفح: ((الناقد)).
[4] نفسه: ((تحلى به للعصر النَّحْرُ والجيد))°.
[5] نفسه: وسواد نِفْسه الطُّرر تحت المفارق)).
[6] نفسه: ((وآثار طير البيان من أوكاره)).
[7] نفسه: ((المقدم فضل أبكاره)).
[8] نفسه: ((وإبانة)).

عـن [1] مجتنيـه مرفـض [2]. كتبت إليه أنتجـز [3] وعـده في الالتحـاف [4] برايقـه، والإمتاع بزهـر هواتفـه [5]، وهـو قـولي [6]:

عنـــدي لموعـــدك افتقـــارٌ مُجـــوجٌ[7]
وعهودك افتقـــرت إلى إنجازهـــــا
واللـــه يعلـــم فيك صـــدق مـــودَّتي
وحقيقـــةُ الأشيـــاء غير مجـــازهـــا

فأجابني بقولـه [8]:

يـــا مهـــدي الدُّر الثميـــن مُنْظِمـــاً
كَلِمَّـــا حلال السحر في إيجازهـــا
أدركـــت حلبـــات الأوايـــل وانيـــاً
ورددت أولاهـــا عـــلى أعجازهـــا
أحرزت في المضمار خصل سباقها

---

[1] نفسـه: ((على)).
[2] في النفـح: ((منفض)).
[3] نفسـه: ((استنجز)).
[4] نفسـه: ((الإتحاف)).
[5] نفسـه: ((حدائقه قولي))
[6] البحـر الكامل.
[7] في النفـح: ((محرج)).
[8] البحـر الكامل.

ولأنـــت أسبقهـــم إلى إحرازهـــــا

حليت بالسِّمطيــن مــني عاطــلاً

وبعثــت من فكــري متات[1] مفازها

فلأنجــزن مواعــدي مستعطفــاً

فاسمــح وبالإغضاء منك مجازهــا

ومن مقطوعاته قوله [2]:

ليــت شعــري والهــوى أمــل

وأمــاني الصــب لا تقـــف

هل لــذاك الوصــل مُرْتَجــع

أو لهــذا البحــر[3] مُنْصَـــرف

ومن ذلك [4]:

وظبي سبى[5] بالطَّرف والعطف والجيد[6]

وما حاز من غنج ولين ومن غيــد

---

[1] في النفـح: ((فتـاة)).
[2] البحـر المديـد.
[3] في الكتيبـة الكامنـة، ونفـح الطيـب: ((لهـذا الهجـر)).
[4] البحـر الطويـل.
[5] في الكتيبـة: ((زهـا)).
[6] نفسـه: ((والطـلا)).

أتيـــــت[1] إليـــه بـــالدنـــو مـــداعبًـــا

فقـــال أيدنـــو الظبي من غابة الأسد

وقـال مـن مبـدإ قصيـدة مطولـة فيمـا يظهـر منهـا [2]:

حديــث المغاني بعـــدهن شجـــون

وأوجــــه أيـــام التبـــاعـــد جـــون[3]

لحا اللـــه أيـــام الفراق فكم شجت

وغادرت الجـــذلان وهـــو حزيـــن

وحيَّـــا دياراً في ربى أغرناطـــة

وإني بـــذاك القـــرب فيه[4] ضنيـــن

ليـــالي أنفقـــت الشبـــاب مطاوعاً

وعمري لدى البيض الحسان ثمين

فأرخصت[5] فيها من شبابي ما غـــلا

وغرمي[6] على مـــال العفاف أميـــن

---

[1] **في الكتيبـة، والنفـح: ((أشـرت)).**
[2] **البحـر الطويـل.**
[3] **أي سـواد.**
[4] **في النفـح: ((منـك)).**
[5] **نفسـه: ((لأرخصـت)).**
[6] **نفسـه: ((وعـزمي)).**

خليــلي لا أمــر بأربعهــا قِفــا

فعندي إلى تلــك الرُّبــوع حنيــن

ألــم تريــــاني كلمــا ذرَّ شــارق

تضاعــف عنــدي عبــرة وأنيــن

إذا لم يساعــدني أخٌ منكمــا فــلا

حــدت نحو[1] قــرن بعد ذاك أمون

أليــس عجيبــاً في البريــة من لنا

إلى عهــد إخــوان للزمان[2] ركون

فلما تثغــن من ذُرى[3] وفاء بعهــده

فقد أجنَّ السِّلســال وهــو معيــن

أذلــني[4] عذر في فــراق ضلوعــه

وللدمــع في ترك الشئــون شئــون

ومن ترك الحــزم المعيــن فإنــه

لعانٍ بأيــدي الحادثــات رهيـــن

---

[1] في النفـح: ((حـدت لخـؤون بعـد..)).
[2] نفسـه: ((إخوان الزمـان)).
[3] نفسـه: ((فـلا تَثِقَـنَّ مـن ذي وفـاء)).
[4] نفسـه: ((لقلـبيَ عـذرٌ)).

رعى اللـــه أيامي الوثيق ذمامهـــا
فـــإن مكـــاني في الوفـــاء مكيـــن
ولم أر مثـــل الدهـــر أمَّـــا عـــدوُّه
فخِـــــبٌّ وأمـــا خِلُّـــه فخئـــــون
ولولا أبو عمـــرو وجـــود يمينـــه[1]
لما كـــان في عهد الزمان معيـــن

ومن شعره قوله [2]:

زار الخيـــالُ ويا لهـــا من لـــذَّة
لكـــن لـــــذَّات[3] الخيـــال منـــــام
ما زلـــت ألثم مبسمـــاً منظومـــه
دُرٌّ[4] ومـــورده الشَّـــهي مُـــــدام
وأضم غصن البان من أعطافـــه
فأَشِـــمُّ[5] مسكاً فُـــضَّ عنه ختـــام

[1] في النفـح: ((بنانـه)).
[2] البحـر الكامـل.
[3] في الكتيبـة: ((لكـن للـذات)).
[4] نفسـه: ((دُرَرٌ)).
[5] نفسـه: ((وأشـمُّ)).

مولده

عام ستة وسبعماية [1].

وفاته

وتوفي بمدينة فاس، وقد تخلَّفه السلطان كاتب ولده، عند وجهته إلى إفريقية، في شوال عام ثمانية وخمسين وسبعماية [2]، فتوفي في العشرين لرمضان منه.

***

[1] الموافق لـ 1306م.
[2] الموافق لـ 1356م.

علي بن محمد

[ابن سليمان] [1] بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري [2]،
من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن الجيّاب،
شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ.

حاله

من **عايد الصّلة**: كان رحمه الله، على ما كان عليه من التفنُّن، والإمامة في البلاغة، والأخذ بأطراف الطلب، والاستيلاء على غاية الأدب، صاحب مجاهدة، وملازمة عبادة، على طريقة مُثلى من الانقباض والنزاهة، وإيثار التقشف، محباً في أهل الخير والصلاح، منحاشاً إليهم، منافراً عن أضدادهم، شيخ طلبة **الأندلس**، رواية وتحقيقاً، ومشاركة في كثير من العلوم، قايماً على العربية واللغة، إماماً في الفرايض والحساب، عارفاً بالقراءات والحديث، متبحراً في الأدب والتاريخ، مشاركاً في علم التصوف، فذاً في المسايل الأدبية البيانية، حامل راية المنظوم والمنثور،

---

[1] ما بين حاصرتين ورد في الزيتونة، والنفح؛ بينما سقط في الآسكوريال.
[2] له ترجمة أيضاً في: الكتيبة الكامنة، ونثير فرائد الجمان، ونيل الابتهاج، والديباج المذهب، ودرة الحجال في أسماء الرجال، ونفح الطيب.

والإكثار من ذلك، والاقتدار عليه، جلداً على الخدمة، مغتبطاً بالولاية، محافظاً على الرُّتبة، مراقباً لوظايف الأبواب السلطانية، متوقد الذهن، ذلق الجوانب، مشغوفاً بالأُنس والمفاوضة في الأدب، محسناً للنادرة الظريفة، مليح الدُّعابة، غزير الحفظ، غيوراً على الخُطَّة، كثير النشاط إلى المذاكرة، مع استغراق الكلف، وعلو السن. طال به المرض حتى أذهب جواهر بدنه، وعلى ذلك فما اختل تميزه، ولا تغير إدراكه. بعثت إليه باكور رمان، فقال لي من الغد: نعم بالهدنة زمانك، يعني نعمت الهدية رمّانك. فعجب الناس من اجتماع نفسه، وحضور فكره. وهو شيخي الذي نشأت بين يديه وتأَدبت به، ووَرِثت خطته عن رضى منه. كتب عن **الدول النصرية** نحواً من خمسين سنة أو ما ينيف عليها، متين الجاه، رفيع المكانة، بعيد الصيت، وسفر إلى الملوك، واشتهر بالخير، والحمل على أهل الظلم، وجرى ذكره في **التاج** بما نصه:

صدر الصُّدور الجِلَّة، وعلم أعلام هذه الملة، وشيخ الكتابة وبنيها [1] وهاصر أفنان البدايع وجانيها، اعتمدته الرياسة، فنأى [2] بها على حبل ذراعه، واستعانت به السياسة فدارت أفلاكها على قطب من شباة يراعه؛ فتفيأ للعناية ظلاً ظليلاً، وتعاقبت [3] الدول، فلم تر به بديلاً، من ندب على علوه متواضع، وحبر [4] لثدي المعارف راضع، لا تمر [5] مذاكرة في فن إلا وله فيه التَّبريز، ولا تعرض جواهر الكلام على محاكاة [6] الأفهام، إلا وكلامه الإبريز، حتى أصبح الدهر [راوياً لإحسانه] [7] وناطقاً بلسانه، وغرب ذكره وشرق، فأشام وأعرق وتجاوز البحر الأخضر والخليج الأزرق، إلى نفس هذَّبت الآداب شمايلها، وجادت الرياض خمايلها، ومراقبة لربه،

---

[1] في النفح: ((وبانيها)). وفي الكتيبة الكامنة: ((وبنيها، ومتولي أيام خدمتها وسنيها، وهاصر أفنان...))

[2] في الكتيبة، والنفح: (فناء)).

[3] نفسه: ((وتعاقبت دول العدل فلم تر له عديلا)).

[4] في الزيتونة: ((وجدى)).

[5] في الكتيبة: لا يمرُّ الكلام في فن إلاّ له.))

[6] في النفح: ((محكات))؛ وفي الكتيبة: ((جواهر الأفهام على ميدان الإبهام إلاّ انتسب إليه الإبريز)).

[7] في الإسكوريال: ((روى إحسانه)).

واستباق لروح الله من مهبّه. ودين لا يُعجم عوده. ولا تخلف وعوده.] وكل ما ظهر علينا بنيه [1] من شارة تجلى [2] بها العين، أو إشارة كما سُبِكَ [3] اللجين، فهي إليه منسوبة، وفي حسناته محسوبة، فإنما هي أنفس راضها بآدابه، وأعلقها بأهدابه، وهذب طباعها، كالشمس تلقي على النجوم شعاعها، والصور الجميلة تترك في الأجسام الصقيلة انطباعها] [4] وما عسى أن أقول [5] في إمام الأيمة، الأيمة، ونور الدياجي المدلهمة، والمثل الساير في بعد الصيت، وعلو الهمة.

مشيخته

نقلت من خطه، في بعض ما كتب به إلى من الأشياخ الذين ليقتهم وأجازوني عامة. الشيخ الفقيه الخطيب الصالح الصوفي المحقق صاحب الكرامات والمقامات، نسيج وحده، **أبو الحسن فضل بن محمد بن**

---

[1] في الكتيبة، والنفح: ((علينا معشر بنيه)).
[2] في الكتيبة: ((تحلى)).
[3] نفسه: ((سكب)).
[4] سقط ما بين حاصرتين في الإسكوريال؛ بينما ورد في النفح.
[5] في الكتيبة: ((أن يقال)).

علي بن فضيلة المعافري. قرأت عليه كذا. ومنهم الشيخ الفقيه الأستاذ العالم العلم الكبير، خاتمة المسندين بالمغرب، **أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي**، نشأت بين يديه، وقرأت عليه كثيراً وسمعت، وأجازني. ومنهم الشيخ الفقيه الخطيب الأستاذ **أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الخشني البلوطي**. قرأت عليه القرآن العزيز بالقراءات السبع وغير ذلك. ومنهم الشيخ الفقيه الصالح **أبو عبد الله محمد بن عياش الخزرجي القرطبي**، لقيته **بمالقة**. ومنهم الشيخ **أبو محمد عبد الله بن علي الغساني السعدي** الخطيب الصالح، قرأت عليه وسمعت. ومنهم الشيخ العدل **أبو الحسن علي ابن محمد بن علي بن أحمد بن مستقور الطائي**. ومنهم قاضي الجماعة الشيخ الفقيه **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد العنسي**، ومنهم الشيخ الفقيه الخطيب المحدث الإمام **أبو عبد الله محمد بن عمر بن رُشيد**. ومنهم الشيخ الخطيب **أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري الكحيلي**. ومنهم الشيخ الخطيب الأستاذ الصالح **أبو محمد**

عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد الأموي الباهلي. ومنهم الشيخ الوزير الحسيب **أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن ربيع الأشعري**، والشيخ الخطيب الأستاذ النظار **أبو القاسم بن الشاط**، والشيخ الفقيه **أبو عبد الله محمد بن مالك بن المرحل والشيخ المبارك أبو محمد عبد المولى بن عبد المولى الخولاني.** هؤلاء كلهم لقيتهم، وأجازوني إجازة عامة، وأما من أجازني ولم ألقه، فعالم كثير من **أهل المغرب والمشرق**، منهم **أبو العباس بن الغماز** قاضي الجماعة **بتونس**، **وأبو عبد الله بن صالح الكناني** خطيب **بجاية، والشريف أبو علي الحسن بن طاهر بن أبي الشرف ابن رفيع الحسني، وأبو فارس عبد العزيز الهواري، وأبو محمد بن هرون القرطبي، وأبو علي ناصر الدين المشدالي**، وغيرهم.

شعره

وشعره كثير مدون، جمعته ودونته، يشتمل على الأغراض المتعددة من المُعَشَّرات النبويَّات، والقصائد السلطانيات، والإخوانيات، والمقطوعات الأدبيات، والألغاز والأحجيات.

فمن ذلك من المعشرات في حرف الجيم على وجه التبرك [1]:

جريئــاً على الــزلات غير مفكــر
جبانــاً على الطاعــات غير مُعَرِّجِ
جمعتُ لما يفــني اغتراراً بجمعــه
وضيَّعــتُ ما يبــقى سجيــة أهوج
جنونــاً بــدار لا يــدوم سرورهــا
فدعها سدىً ليست بعشك فــادرج [2]

---

[1] البحر الطويل.
[2] أخذ هذا من المثل القائل: ((ليس هذا بعُشّك فادْرُج)). أي ليس لك حق في هذا الأمر؛ فاترك الموضوع. وقد سبقت الإشارة إلى هذا المثل السائر.

جيادك في شأو الضـــلال سوابـــقٌ
تفـــوت مدىً بين[1] الوجيه وأعـــوج[2]
جهلـــت سبيل الرشد فاقصد دليلـــه
تجـــد دارسعد بابها غيـــر مُرْتَـــج
جنـــابُ رســـــول ســـاد أولاد آدم
وقرُب في السبـــع الطّباق بمعـــرج
جمالٌ أنار الأرض شرقاً ومغربـــاً
فكل سنـــىً مـــن نـــوره المتبلـــج
جلا صدأ المرتاب أن سبح الحصـــا
لديـــه بنطـــق ليـــس بالمتلجلـــج
جعلـــت امتداحي والصلاة عليه لي
وسايـــل تحظيـــني بما أنـــا أرتـــج[3]

---

[1] في النفـح: ((سـنّ)).
[2] الوجيـه، وأعـوج: فَرَسـان مـن خيـل العرب الجيـدة.
[3] في النفـح: ((مرتـج)).

ومن الأغراض الصوفية السلطانية قوله [1]:

هات اسقـــني صرفاً بغيـــر مـــزاج
واحْيِ[2] التي هي راحتي وعـــلاجي
إن صُبَّ منها في الزجاجة قطـــرة
شفَّ الزجـــاج عن السَّنى الوهـــاج
فإذا[3] الخليع أصاب منهـــا شربـــةً
حاجـــاه بالسر المصـــونُ محـــاج
وإذا المريـــد أصاب منها جُرعـــة
ناجـــــاه بالحـــق المبيـــن منـــاج
تاهت بـــه في مهمـــهٍ لا يهتـــدى
فيـــــــه لتأديــــب[4] ولا إدلاج
يرتـــاح من طـــرب بهـــا فكأنهـــا[5]
غنتـــــه بالأرمـــــال والأهـــزاج

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] في النفـح: ((راحي)).
[3] نفسـه: ((وإذا)).
[4] نفسـه: ((لتأويـب)).
[5] نفسـه: ((فكأنمـا)).

هبــت عليــه نفحـــةٌ قدسيـــة
في فتــح[1] بـــاب دائــم الأرتـــاج

فـــإذا انتــشى يوماً وفيــه بقيــة
ســـارت به قصـــداً على المنهـــاج

وإذا تمكـــن منـــه سُكْـــر معربـــدٍ
فليبصـــرن[2] لمصـــــرع الحـــلاَّج

قصـــرت عبـــارة فيه عن وجدانه
فغـــدا يفيـــض بمنطـــقٍ لجـــلاج

أعشـــاه نـــور للحقيقـــة باهـــــر
فتـــراه يهبـــط[3] في الظـــلام الداج

رام الصعـــود بها لمركـــز أصلـــه
فرمـــت بـــه في بحرها[4] المـــواج

فلئـــن أمـــــد برحمـــة وسعـــادة
فليخلصن من بعد طـــول هيـــاج

---

[1] في النفـح: ((في فيْء)).
[2] نفسـه: (((فليصبـرن)).
[3] نفسـه: ((يخبـط)).
[4] في الإسكوريـال: ((نـحرهـا))؛ فصوبـت مـن النفـح.

وليرجعـــــن بغنيمـــة موفـــــورة
ما شِيب عَــذْب شرابهـــا بأجـــاج[1]
ولئـــن تحظـــاه القبـــول لما جـــنى
فليرجعـــن نكســـاً عـــلى الأدراج
مـــا أنـــت إلا درة مكنونـــــة
قـــد أُودِعـــت في نُطفـــة أمشـــاج[2]
فاجهـــد على تخليصها من طبعها
تعـــرِّج بهـــا في أرفـــع المِعْـــراج
واشدد يديك معاً على حبل التُّـــقى
فـــإن اعتصمـــت به فانـــت النَّـــاج
ولدى العزيز ابْسُـــط بســـاط تذلـــل
وإلى الغـــنى امـــدد يـــد المحتـــاج
هذا الطريـــق لـــه مقدِّمتـــان صـــا
دقتـــان انتجـــا أصـــــحَّ نتـــــاج

---

[1] أي بملـح.
[2] أي مختلطـة: وقـال سبحانـه وتعـالى في هـذا: (إنَّـا خَلَقْنَـا الإنْسَـانَ مِنْ نُطْفَـةٍ أمْشَـاجٍ نَبْتَلِيـهِ فَجَعَلْنَـاهُ سَمِيعاً بَصِيـراً). سـورة الإنسـان؛ الآيـة: 2.

فاجمع إلى ترك الهوى حمل الأذى
واقنـــع مـــن الإسهـــاب بالإدمـــاج
حرفـــان قد جمعا الذي قد سطـــروا
من بســـط أقـــوال وطول حجـــاج
والمشرب الأصفى الذي من ذاقـــه
فقد اهتـــدى منـــه بنـــور ســـراج
ألا تـــرى إلا الحقيقـــة وحـــدهـــا
والكــــل مضطـــــر إليهـــا لاج
هـــذي بدائـــع حكمـــــة أنشأتهـــا
بإشـــارة المـــولى أبي الحجـــــاج
وســـع الأنـــام بفضلـــــه وبعدلـــه
وبحلمـــــه وبجـــــوده الثَّجـــــاج
مـــن آل نصرٍ نخبة الملك الرضـــا
أمن المروع هـــم وغيـــث الـــلاَّج[1]

[1] في النفـح: ((الـراجي)).

من آل قيلة ناصـــري خير الـــورى
والخلـــق بيـــن تَخـــاذُل ولجـــاج[1]
ماذا أقـــول وكل قـــول قاصـــر
في وصـــف بحر زاخر الأمـــواج
منـــه لبـــاغي العُـــرْف درٌّ فاخـــر
ولمـــن يعـــادي الديـــن هول فـــاج[2]
دامت سعـــودك في مزيد والمـــنى
يأتيـــك أفواجـــاً عـــلى أفـــــواج

ومن الأمداح المطولة[3]:

لمن المطايـــا في السَّراب سوابِحـــا
تفـــلي الفـــلاة غواديـــاً وروايحـــا
عُـــوجٌ[4] كأمثال اللقـــيى[5] ضوامـــر
يرمين في الآفـــاق مرمى نازحـــا

---

[1] أي وعناد.
[2] هي: ((فاجيء))؛ إذ خفت الهمزة؛ حسب الأسلوب المغربي.
[3] البحر الكامل.
[4] أي: نوق. ومفردها ناقة.
[5] في النفح: ((القسي)).

أو كالسحــاب تسيــر مثقلـــة

بما حملته[1] من سُقيا البطاح دوالحــا[2]

ركـــبٌ يُيمـــم غـــايـــة بـــل آيـــة

أبـــدت محيًّـــا الحق أبلج واضحــا

لما دعا داعـــي الرشـــاد مـــردِّداً

لبَّـــوه شوقـــاً والحمـــام هوادحــا

فلهـــم عجيـــج بالبسيطـــة صاعـــد

يُذكي بنـــار الشـــوق منك جوانحــا

وإذا حَدا الحادي بذكر المصطـــفى

أذروا في الأكـــوار دمعاً سابحــا

عيـــسٌ تهـــادى بالمحبيـــن الألى

ركبـــوا من العزم المصمم جامحــا

طـــارت بهـــم أشواقهـــم سباقـــةٌ

فتركـــن أعـــلام المطي روازحا

---

[1] حذف د. طويل كلمة: ((بما))؛ فأضحت: ((حملته من سقيا...)).

[2] أي السحب الغنية بالماء.

رفْقــاً بهــن فهــن خلــق مثلكــم
أنضــاءُ أسفــار قطعــن منادحــا
قد جِيــن للهــادي وهــادا جمــة
وسلكــن نحــو الأبطحي أباطحــا
ناشدتــــك الرحمــن وافــد مكــة
ألاَّ صرفــتَ إلى صرفــاً طامحــا
وأخــاً أتيــت القبــر قبــر محمــد
وحمــدت سعياً من سفارك ناجحــا
وذهلــت عن هــذا الوجود مغيبــاً
لما لمحــت مــن الجمــال ملامحا
فاقــرأ سلامي عند قبر المصطفى
وامسح بيُمناك الجــدار مصافحــا
قسماً بوفــد يزخــرون رواحــلاً
قَطَعــت سباسباً بلقعاً وضحاضحــا
حتى أناخوا بالمحصب من مــنى
وتأملــوا النــور المبيــن اللايحــا

وتعرضـــوا لعوارض عرفية هبـــ

ـــت بهـــا تلـــك الريـــاح لوافحـــا

وآووا إلى الحرم الشريف فطافعـــاً

بالبيت أو بالركـــن منـــه ماسحـــا

وسقُـــوا به من مـــاء زمزم شربـــةً

نالوا بهـــا في الخلد حظـــاً رابحـــا

ثم انثنـــوا قصـــداً إلى دار الهـــدى

يتسابقـــون عـــزايمـــاً وجوارحـــا

فتبـــوؤا المغـــنى الـــذي بركاتـــه

فاضـــت على الآفاق بحراً طافحـــا

ختموا مناسكهـــم بـــزورة أحمـــد

بختـــام مســـك طاب عرفاً نافحـــا

إن السماحة والشجاعـــة والنـــدى

والبـــأس والعقل الأصيل الراجحا

وقفٌ على شمس المعالي يـــوسف

أعلى الملـــوك خواتمـــاً وفواتحـــا

فهو الـــذي ملأ البـــلاد فضايـــلاً

صارت لمن بارى عـــلاه فضايحـــا

إن أجملـــت سير الكـــرام فخلقـــه

ما زال للإجمـــال منهـــا شارحـــا

حـــامي الذّمـــار مدافعاً ومو ادعـــاً

كافي العـــدو محاربـــاً ومصافحـــا

للملـــك بالعـــزم المـــؤيـــد مانعـــاً

للعُرْف بالجـــود المـــردد مانحـــا

إن تلقـــه في يـــوم جـــود هامـــر

تلـــق السحاب على البلاد سوابحـــا

أو تلقـــه في يـــــوم بـــأس قاهـــر

تلق الأسود لـــدى العرين كوافحـــا

أو تلقـــه في يـــوم فخـــر ظاهـــر

تلق الكواكب في السمـــاء لوايحـــا

من أسرة النصر الألى هم ناصحوا

بعزايم الصـــدق الأمين الناصحـــا

هم أسســوا الملــك المشيد بنـــاؤه
فكفــوا به الإســلام خطبـــاً فادحــا
فاستفهــم الأيـــام عــن آثـــارهــم
تُطلع عليك صحايفـــاً وصفـــايحــا
كـــان إذا ضـــن الغمـــام سحايبـــاً
يهـــمي وإن جـــنَّ الظلام مصابحا
شـــادوا له مجداً صميماً راسخـــاً
يبقى على الأعقاب ذكراً صالحـــا
وسمـــا[1] فخـــر فوق أمـــن جهادهم
سمكـــــوا لـــه[2] سمـــاكـــاً رامحـــا
الأعظمـــون مغانيـــــاً ومناقبـــــاً
والأكرمـــون محامـــداً وممادحـــا
يا دولـــةً نصريـــــةً قـــد جـــددت
نصـــراً لأبـــواب المعاقـــل فاتحـــا

[1] أضـاف د. طويـل: الهمـزة؛ فغدت: ((وسمـاء)).
[2] أضـاف د. طويـل كلمـة: منـه))؛ فأضحـت: ((سمكـوا لـه منـه سماكـاً...)).

وأُمامــة سعديــة قـــد أطلعــت

سعــداً ولكــن للأعــادي ذابحــا

فاضت جــداً فكأنمـــا أيامهـــا

جُعلــت لأرزاق العبــاد مفاتحــــا

كَفـــتْ عــداً فكأنمــا أوقــاتهــا

جاءت لآيــات الأمــان شوارحــا

عــدلاً لأقطــار الإيالــة كالبـــاً

ولجامحات البــغي منهــا كافحــا

بشرى بيوســف ناصر الملك الذي

مــا زال عنــه مجالــداً ومكافحــا

جمع المواهــب للمواهــب مانحــاً

فوق المنى وعن الجرايــم صافحــا

ابن الإمــام أبي الوليــد وحسبنــا

مدحاً تضمــن في الفخــار مدايحــا

يُهْنيك عيــد النحــر أسعــد قــادم

وافاك مــن جدوى يمينــك ماتحــا

وفَّيته قربانـــه وصلاتـــه وأقمـــت

فيـــــه شعـــايـــــراً وذبـــايحـــــا

ورجعت في الجيش الذي أخبـــاره

تروي غرايبهـــا الحسان صحائحـــا

أسدٌ ضراغم فـــوق خيل ترتـــمي

نحـــو العـــدو سوانحـــاً وبوارحـــا

طيـــَّـارةٌ بالدَّارعيــــــن تخالهـــا

تنقــضُّ في يـــوم القتال جوارحـــا

من كل من تخــذ القنا خيمـــاً لـــه

يلـــقى العـــدو مماسيـــاً ومصابحـــا

والشمس أضرمت السبيكة عندمـــا

لقي الحديـــد شعاعهـــا المطارحـــا

فاهنـــأ به وانعـــم بدولتـــك الـــتي

ترضي الولي بها وتشجي الكاشحـــا

دامـــت ودام الحـــق فيهـــا ثابتـــاً

يعلـــو يداً والإفـــك فيهـــا طالحـــا

وقال يمدح ويصف مصنعاً سلطانياً [1]:

زارت [تجــرر نحــوه][2] أذيالهــا
هيفــاء تخلــط بالنفــــار دلالهــا[3]

والشمس[4] من حسدٍ لهــا مصفــرَّةٌ
إذ قَصَرت عن أن تكــون مثالهــا

وافتــك تمــزج لينهــا بقســـاوة
قد أدرجــت طي العتاب نوالهــا

كم رمــت كتــم مــزارها لكنــه
صحَّت دلايل لم تطــق إعلالهــا

تركت على الأرجاء عند مسيرهــا
أرجاً كــأن المســك فتَّ خلالهــا

مــا واصلتــك محبَّــةً وتفضــلاً
لو كان ذاك لواصَلــت أفضالهــا

---

[1] البحـر الكامـل.
[2] في النفـح: ((تجـر لنحـوه)).
[3] ورد هـذا البيـت في نثيـر فرائـد الجمـان هكـذا:
((زارت تجـرّر نخـوة أذيالهـا * هيهـات تخلـط بالنفـار دلالهـا))، وجـاء هـذا البيـت في النفـح كالآتي:
((زارت تجـرّ لنحـوه أذيالهـا * هيفـاء تخلـط بالنفــار دلالهـا))
[4] في النفـح: ((فالشمـس)).

لكـــن توقعـــت السلـــو فجـــددت

لـــك لوعـــةً لا تتـــقي ترحالهـــا

فوحُبُّهـــا قسمـــاً بحـــق بـــرووره

لتجشّمنْـــك في الهـــوى أهوالهـــا

حَسُنت نظم الشعر في أوصافهـــا

إذ قبحت لك في الهـــوى أفعالهـــا

يا حســـن ليلة وَصْلُها ما ضرهـــا

لو أُتْبَعـــت مـــن بعدهـــا أمثالهـــا

لمـــا سَكِـــرت بريقهـــا وجفونهـــا

أهملـــت كأســـك لم ترد إعمالهـــا

هذا الربيـــ أتـــاك ينشـــر حسنـــه

فافســـح لنفسك في مداه مجالهـــا

واخلع عذارك في البطالة جامحـــاً

واقرن بأسحار المـــنى[1] آصالهـــا

في جَنَّـــة تجلـــو محاسنهـــا كمـــا

تجلو العروس لدى الزفاف جمالها

---

[1] في النفـح: ((الهنـا)).

شكرت أيادي للحيا شكر الــورى
شرف الملوك همامهــا مفضالهــا
وصميمها أصـــلاً وفرعـــاً خيرها
ذاتـــاً وخلقـــاً سمحهـــا[1] بَـــذّالهـــا[2]
الطاهر الأعلى الإمام[3] المرتـــضى
بحـــر المكارم غَيْثُهـــا سِلْسالهـــا
حـــاز المعالي كابـــراً عن كابـــر
وجرى لغايـــات الكـــرام فنالهـــا
إن[4] تلقـــه في يـــوم بـــذل هباتـــه
تلـــق الغمايـــم أرسلـــت هطّالهـــا[5]
أو تلقـــه في يـــوم حرب عُداتِـــه
تلـــق الضراغـــم فارقـــت أشبالها
ملك إذا ما صـــال يومـــاً صَوْلـــة
خِلْتَ البسيطة زلزلـــت زلزالهـــا

[1] في نثير فرائد الجمان: ((ذاتاً خلقاً وسمحها...)).
[2] أي كثير العطاء والبذل.
[3] في النفح: ((الأمين)).
[4] في النثير: ((وإن)).
[5] أي متتابع الهطول.

فبِسَيْفِـــــه[1] وبسيفــه نـــال[2] المنـــا
واستعجلـــت أعـــــداؤه آجالهـــا
الواهـــب الآلاف قبـــل ســـؤالهـــا
فكفى العُفـــاة سؤالهـــا ومطالهـــا
القاتـــل الآلاف قبـــل قـــراعهـــا
فكفى العـــداة قراعهـــا ونزالهـــا
إن قلـــت بحر كفـــه قصـــرت إذ
شبهت بالملـــح الأجـــاج نوالهـــا
مـــلأً البسيطـــة عدلـــه ونوالـــه[3]
فالوحش لا تعدو على من غالهـــا
وسقى البريـــة فيـــض كفيه فقـــد
عـــمَّ البلاد سهـــولهـــا وجبالهـــا
جمـــع العلـــوم عنايـــة بفنونهـــا[4]
آدابهـــــا وحسابهـــــا وجدالهـــا

[1] في النفـح، والنثيـر: ((فبسيبـه)).
[2] في النفـح: ((نلـت))، وفي النثيـر: ((نيـل)).
[3] في النفـح، والنثيـر: ((وأمانـه)).
[4] في النفـح: ((بعيونهـا)).

منقولهـــا معقولهـــا وأصولهـــا
وفروعهـــا تَفْصيلهـــا إجمالهـــا
فإذا عُفاتــك عاينـــوك تهللـــــوا
لمـــا رأوا من كفّــك استهلالهـــا
وإذا عُداتــك أبصـــروك تيقَّنـــوا
أن المنيَّــــة سلطــت ريبالهـــــا[1]
بددت شملهـــم ببيـــضِ صـــوارم
رويـــت من عَلَقِ[2] الكماة نِصالهـــا
وأبحت أرضهـــم فأصبـــح أهلهـــا
جُزُراً[3] تغــادر نهبـــة أموالهـــــا
فَتَحت إمارتـــك السعيدة للـــورى
أبواب بُشـــرى واصلـــت إقبالهـــا
وبَنَتْ مصانـــع رايقـــات ذكـــرت
دار النعيـــم جنانُهـــــا وظلالُهـــا

---

[1] هي ((رئبالها))؛ فخففت الهمزة حسب الأسلوب المغربي. ورئبالها: معناه أسدها.
[2] أي من دم الأبطال.
[3] في النفح: ((خوراً)).

وأجلُّهــا قــدراً وأرفعُهــا مــدىً

هذا الذي ســامى النجوم فطالهــا[1]

هو جنــة فيهــا الأميــر مخلــد

بلغــت إمارتــه بهــا آمالهــــا

ولأرض أندلــسٍ مفاخــر أنتــم

أربابهــــا أضفيتــم سِرّبالهــــا

فحميتُــــمُ أرجاءهــا وكفيتــــم

أعداءهــــا وهديتــم ضلالهــــا

فبآل نصــر فاخــرت لا غيرهــم

لم نعتمــد مــن قبلهــم أقيالهــــا

بمحمــــد ومحمــــد ومحمــــد

قصرت على الخصم الألد نضالها

فهــم الألى ركبــوا لكل عظيمــة

جُرُداً كَسَيْــنَ من النجيع جلالهــا

وهــم الأُلى فتحــوا لكــل مُلمَّــة

بابــاً أراح بفتحــــه إشكالهــــا

[1] في النثير: ((وطالهـا)).

متقلــدون من السيــوف عضابها[1]
متأبطــون من الرمــاح طوالهــا
الراكبــون من الجيــاد عرابهــا
والضاربــون من العــدا أبطالهــا
أولي عهد المسلميــن ونخبــة الــ
ــأ ملاك صفوة محضها وزلاهــا
إن العبــاد مــع البـــلاد مقــرة
بفضايــل لــك مهــدت أحوالهــا
فتفــك عانيهــا وتحــمي سِرْبهــا
وتفيــد حلمــــاً دائمــاً جهالهــا

ومن الرثاء قوله يرثي ولده أبا القاسم [2]:

هو البيــن حتمــاً لا لعل ولا عسى
فما بال نفسي لم تفض عنــده أسى
وما لفؤادي لم يــذب منه حســرة
فتباً لهــذا القلب سرعــان ما قسا

---
[1] أي صَوارمهـا.
[2] البحـر الطويـل.

ويا[1] لجفــوني لا تفيــض مــورداً
من الدمــع يهــمي تــارة ومُوَرِّسا[2]
ومــا للســاني مفصحــاً بخطابــه
وما كان لــو أوفى بعهــد لينبســا
أمن بعد ما أودعــت روحي في الثَّرى
ووسَّدت مني فلــذة القلب مُرمســا[3]
وبعد فراق ابني أبي القاسم الــذي
كساني ثوب الثكــل لا كان مُلبســا
أُؤمــل في الدنيــا حيــاة وارتضي
مقيــلاً لــدى أبنائهــا ومعرَّســـا
فآهــاً وللمفجــوع فيها استراحــة
ولابـــد للمصـــدور أن يتنفســـا
على عمــر أفنيت فيــه بضاعــتي
فأسلمــني للقبــر حَيْــران[4] مُفلســا

---

[1] في النفـح: ((ومـا)).
[2] أي أصفـر.
[3] المَرْمـس: الموضـوع في الرّمـس؛ وهـو القبـر.
[4] في الإسكوريـال: ((ضريـان))؛ وصوبـت مـن النفـح.

ظللـــت بـــه في غفلـــة وجهالـــة
إلى أن رمى سهم الفراق فقرطســـا[1]
إلى الله أشكـــو برح حزني فإنـــه
تلبـــس منه القلـــب ما قـــد تلبســـا
وصدمـــة[2] خطب نازلتـــني عشيـــة
فما أَغْنَـــت الشكوى ولا نفع الأســـا
فقد صدعت شملي وأصمت مقاتلي
وقد هدَّمت ركني الوثيق المؤسَّســـا
ثبـــتُّ لها صبـــراً لشـــدة وقعهـــا
فما زلزلت صبري الجميل وقد رسا
وأطمع[3] في أن يلقى برحمته الرضا
وأجـــزع أن يشقى بذنب فينكســـا
أبا القاسم اسمع شَجْو[4] والدك الـــذي
حسا من كؤوس البين أفظع ما حسا

[1] أي فأصاب الهدف.
[2] في النفح: ((وهذة)).
[3] نفسه: ((وأطمع أن يلقى..)).
[4] نفسه: ((شكو)).

وقفت فؤادي مذ رحلت على الأسى
وأشهـــد[1] لا ينفــك وقْفــاً محبَّســا
وقطعـــت آمالي من النـــاس كلّهـــم
فلست أبالي أحســن المرء أم أســا
تواريت يا شمسي وبدري وناظري
فصار وجودي مذ تواريت حِنْدِســا
وخلَّفت لي عبئاً من الثَّكل[2] فادحــاً
فما أتعـــب الثَّكلان نفســا وأتعسا
أحقــا ثـــوى ذاك الشباب فلا أرى
له بعد هذا اليوم حـــولي[3] مجلســا
فيا غصنا نظراً ثوى عندما استوى
فأوحشني أضعاف ما كـــان آنســا
ويــا نعمةً لمـــا تبلَّغتهـــا انقضـــت
فأنعـــم أحـــوالي بها صــــار أبؤسا

[1] في النفـح: ((فأشهـد)).
[2] في الإسكوريـال: ((الثقـل))؛ وصوبـت مـن النفـح.
[3] نفسـه: ((بعدي))؛ وصوبـت مـن النفـح.

فودعتــــه[1] والدمع تهــمي سحابــه
كما أسلــم السلك الفريــد المجنّســـا[2]
وقبلـــت في ذاك الجبيــن مودعـــا
لأكـــرم من نفـــسي عـــليَّ وأنفســـا
وخفَّف[3] من وجدي به قُرب رحلتي
وماذا عسى أن ينظر الدهر ما عسا[4]
فيـــا رحمة للشيب يبـــكي شبيبـــةً
قياس لعمري عكســـه كـــان أقيســـا
فلو أن هذا المـــوت يقبـــل فِديـــةً
حبونـــاه أمـــوالا كرامـــا وأنفســـا
ولكنـــه حكـــم مـــن الله واجـــب
يسلم فيه من بخير الورى ائتـــسى[5]
تغمـــدك الرحمان بالعفـــو والرضا
وكـــرم مثـــواك الجديـــد وقدَّســـا

[1] في الإسكوريـال: ((لودّعتـه)).
[2] نفسـه: ((المخمّسـا)).
[3] نفسـه: ((وحقّقت)).
[4] نفسـه: ((مـن عسـا)). وعسـا؛ معناهـا: كبـر وشـاخ.
[5] أي اقتـدى.

وألَّــف منـــا الشمـــل في جنة العلا

فنشرب تسنيمـــا[1] ونلبـــس سندســـا

وكتب إليه قصيدة أولها [2]:

أمستخرجا كنـــز العقيـــق بآمـــاقي

أناشـــدك الرحمان في الرمق الباقي

فقد ضعفت عن حمل صبري طاقتني

عليـــك وضاقت عن زفيري أطواق

فأجابني رحمة الله عليه عن ذلك [3]:

سقاني فأهـــلا[بالسّقايـــة والعنـــاق][4]

سلافـــاً بها قـــام السرور على ساق

ولا نُقْـــلَ إلا مـــن بدايـــع حِكْمـــة

ولا كـــأس إلا من سطـــور وأوراق

فقـــد أنشـــأت لي نشوة بعد نشـــوة

تمـــــدُّ بروحانيـــة ذات أذواق

---

[1] **التسنيم: عين في الجنـة.**
[2] **البحـر الطويـل.**
[3] **البحـر الطويـل.**
[4] **في النفـح: ((بالمدامـة والسـاقي)).**

فمــن حظها[1] الفاني متاع لناظــري
وسمعي وحظٌّ روح من حظّها[2] الباقي
أعادت شبابي بعد سبعيــن حِجَّــة
فأثوابــه قــد جُدِّدت بعــد إخــلاق
وما كنت يومــا للمدامــة صاحبــا
ولا قبلتهــا قــط نشــأة أخــلاق
ولا خالطت لحمي ولا مازجت دمى
كفى شَرَّها مولاي فالفضــل للواق[3]
وهــذا على عهد الشباب فكيف لي
بهــا بعد مــاء للشبيبــة مهــراق
تَبَصَّــر فحكمــا[4] القهوتيــن تخالفا
فكم بين إثبــات لعقــل وإزهــاق

[1] في الكتيبـة: ((خطهـا البـاهي))، وفي النفـح: ((خطهـا)).
[2] في النفـح: ((خطهـا)).
[3] ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:
((وقى شرهـا مـولاي فالشكـر للـواقي)).
[4] في الإسكوريـال، والكتيبـة: ((فحكـم)).

وشتـــان ما بيـــن المُدامين[1] فاعتبر

فكـــم بين إنجاح لســـعي وإخفـــاق[2]

فتلـــك تُهـــادى بيـــن ظلـــم وظلمة

وهـــذي تهادى بين عدل[3] وإشراق

أيا علـــم الإحسان غيـــر منـــازع

شهادة إجمـــاع عليهـــا وإصفـــاق[4]

فضائلـــك الحُسْـــنى علّي تواتـــرت

بمُنهَمِـــر من سُحُب فكـــرك غَيْداق[5]

خزايـــن آداب بعثـــت بَدْرَّهـــا

إليّ ولـــم تمنـــن بخشيـــة[6] إنفـــاق

ولا مثـــل بكـــر حـــــرَّة عربيـــة

زكيَّـــة أخـــلاق كريمـــة أعـــراق

---

[1] في الكتيبـة، والنفـح: ((القهوتيـن)).
[2] في الكتيبـة: ((وإنفـاق)).
[3] نفسـه: ((نـور)).
[4] ورد هـذا البيـت في الكتيبـة الكامنـة هكـذا:
((أيا علم الأعلام غيـر منـازع * شهادة إجماع عليهـا وإطبـاق)).
[5] أي: كثيـر الانـهمـال.
[6] في الكتيبـة: ((لخشيـة)).

فأقســـم ما البيـــض الحسان تبرمت[1]

تناجيـــك سراً بين وحي وإطـــراق

بدورٌ بدت من أفق[2] أطواقهـــا على

رياض شدت في قضبها[3] ذات أطواق[4]

فناظـــر[5] منها الأقحـــوان ثغورهـــا

وقابـــل منها نرجـــس سحر[6] أحداق

وناسب منها الـــورد خداً مـــورَّداً

سقاه الشباب النضر[7] بورك من ساق

وأُلبسْـــن من صنعاء وشْياً منمنمـــاً

وحليـــن مـــن درٍّ نفايـــس أعـــلاق

بأحـــلىً لأفـــواه وأبـــهىً لأعيـــن

وأحـــلى[8] لألباب وأشـــهىً لعُشَّـــاق

---

[1] في الكتيبة، والنفح: ((تبرجت)).

[2] في الكتيبة: ((فوق)).

[3] في النفح: ((قطبها)).

[4] في الكتيبة: ((أوراق)).

[5] نفسه: ((يناظر)).

[6] نفسه: ((حسن)).

[7] نفسه: ((الغض)).

[8] في الكتيبة: ((وأجلى))، وفي النفح: ((وأحيى)).

رأيت بها شهـــب السماء تنزَّلـــت
إلي تحييـــــني تحيـــــة مشتـــاق
ألا إنَّ هـــذا السحـــر لا سحر بابل
فقد سحرت قلبي المعنَّى فمـــن راق[1]
لقد أعْجَزَت شكري[2] فضايل ماجـــد
أبـــــر بأحبـــاب وأوفى بميثــــاق
تقـــاضى ديُون الشعـــر مني منبهاً[3]
رويـــدك لا تعجـــل علَّي بإرهـــاق
فلو نشر الصـــادان من ملحديهمـــا[4]
لإنْصاف هذا الدَّيـــن[5] لاذا بإمـــلاق
فخذ زمام[6] الرِّفـــق شيخاً تقاصرت
خطاه وعاهده[7] بمعهـــود وإشفـــاق[8]

---

[1] الراقي: الذي يرقي.
[2] في الكتيبة: ((نطقي)).
[3] نفسه: ((بيانها)).
[4] نفسه: ((مضجعيهما)).
[5] نفسه: ((الدهر)).
[6] في النفح: ((بزمام))، وفي الكتيبة: ((بذمام)).
[7] في الكتيبة: ((وعامله)).
[8] في الكتيبة، والنفح: ((بمعهود إشفاق)).

فلا[1] زلت تحـــيي للمكارم رسمهـــا
وقدرك في أهل العلا والنُّهى راق

وكتبت إليه في غرض العتاب والاستعتاب [2]:

أدرنا وضوء الأفق قد صدع الفضا
مدامة عتـــب بيننا نُقلهـــا الرضـــا
فللـــه عينـــاً مـــن رآنـــا وللحيـــا
حَـــيِّي[3] بآفـــاق البشاشة أو مضـــا
نفر إلى عدل الزمـــان الـــذي أتى
ونبرأ من جور الزمان الذي مضى
ونأسو[4] كلوم اللفظ باللفـــظ عاجـــلاً
كذا قدح الصهباء داوى وأمرضا

فراجعني بقوله [5]:

ألا حبذا ذاك العتاب الذي مـــضى
وإن جـــره واش بزور تمضمضـــا

---

[1] **في الكتيبـة: ((ولا)).**
[2] **البحـر الطويـل.**
[3] **في النفـح: ((حـبيٌّ)). والحبـي: هـو السحـاب المشـرف علـى أفـق الأرض.**
[4] **أي نـداوي.**
[5] **البحـر الطويـل.**

أغـــارت له خيلٌ فما ذعرت حمى
ولكنها كانــــت طلائــع للرضـــا
تألق منهــا بارق صـــاب مزنـــة[1]
على معهد الحب الصَّميم فروَّضـــا
تـــلألأ نـــور[2] للصداقـــة حافظــــاً
وإن ظـــن سيفـــاً للقطعية منتضـــا
فإن سوَّد الشيطـــان منه صحيفـــة
أتى ملـــك الرحـــمى عليهـــا فبيضا
وما كان حب أحكم الصدق عهـــده
ليُرمى بوسواس الوشـــاة فيرفضـــا
أعيـــذ وداداً زاكي القصـــد وافيـــاً
تخلـــص من أدرانـــه فتمحَّضـــــا[3]
ونيَّة صدق في رضى الله أخلصت
سناهـــا بآفاق البسيطـــة قد أضـــا

---

[1] في النفـح: ((مُزْنُـهُ))؛ بالـهـاء المهملـة.
[2] نفسـه: ((نـوراً)).
[3] أي تخلـص مـن الشوائـب.

من الآفـــك الساعي ليخفي نورهـــا
أيخفى شعاع الشمس قد مـــلأ الفضا
وكيف يحـــل المبطلـــون بإفكهـــم
معاقد حـــب أحكمتهـــا يد القضـــا
تعـــرض يبـــغي هدمهـــا فكأنـــــه
لتشييد مبناهـــا الوثيـــق تعرضـــا
وحـــرض في تنفيـــــره فكأنمـــــا
على البر والتسكين والحب حرضا
وأوقد ناراً فهـــو يصلى جحيمهـــا
يُقلّـــب منها القلب في موقد الغضا[1]
أيا واحـــدي المعدود بالألف وحده
ويا ولدي البـــر الزكي إن ارتضـــا
بعثت من الـــدر النفيـــس قلايـــداً
على ما ارتضى حكم المحبة واقتضـــا
نتيجـــــة آداب وطبـــعٍ مهـــــذب
أطال مـــداه في البيـــان وأعرضـــا

[1] **الغضـا: شجـر شديـد الاشتعـال.**

ولا مثـــل بكــــــر باكرتـــني آنفـــاً
كزورة خـــلٍّ بعد ما كـــان أعرضا
هي الروضة الغنَّـــاء أينع زهرهـــا
تناظر حسنـــاً مذهبـــاً ومفضضـــا
أو الغادة الحسنـــــاء راقت فينقضي
مدى العمر في وصفي لها وهو مـــا انقضـــا
تطابـــق منهـــا شعرهـــا وجبينهـــا
فـــذا اللَّيْلُ مُسوداً وذا الصبح أبيضا
أو الشهــــب منها زينـــة وهدايـــة
ورجـــمٌ لشيطـــــــان إذا هو قيضـــا
أتت ببديع الشعـــر طوراً مصرحـــاً
بأبياتك الحسنى وطوراً مُعَرِّضـــا
ومهَّـــدت الأعـــذار دون جنايـــــة
ولو أنك الجاني لكنـــت المغْمِـــضا
لك اللـــه من بر وفيٍّ وصاحـــــبٍ
محضت له صدق الضمير فأمحضـــا

لسانـــك في شكري مُفيض تفضلاً

فيا حسن ما أهدى وأسدى وأقرضا

وقلبـــك فاضـــت فيه أنوار خِلَّـــتي

فأبـــقى[1] يدي تسليمـــه لي مفوضـــا

وقصـــدُك مشكـــور وعهدُك ثابت

وفضلك منشور وفعلـــك مُرْتضـــا

فهل مـــع هـــذا ريبـــةٌ في مـــودة

بحـــال وإن رأيت[2] فما أنا معرضا

فثق بـــولائي إنـــني لك مخلـــص

هوىً ثابتـــاً يبقى فليـــس له انقضا

عليك سلام اللـــه ما هبت الصبـــا

وما بارق جنح الدَّجنـــة أو مضـــا

---

[1] في النفـح: ((فألـقى)).
[2] نفسـه: ((رابـت))؛ وهـذا أسلـم.

وكتب إلى القاضي **الشريف** وهو **بوادي آش** [1]:

أهزلاً وقد جدت بك اللمة الشمطـــاء
وأمنـــاً وقد [ساورتها حية رقطـــا][2]
أغـــرك طول العمر في غير طايل
وسرّك أن المـــوت في سيره أبطـــا
رويـــداً فـــإن المـــوت أسرع وافد
على عمرك الفاني ركايبـــه حطـــا
فإذ ذاك لا تستطيع[3] إدراك ما مضى
بحال ولا قبضاً تطيـــق ولا بسطـــا
تأهب فقـــد وافى مشيبـــك منـــذراً
وها هـــو في فَوْديـــك أحرفه خطا
فرافقـــت منه كاتـــب السر واشيـــاً
له القلـــم الأعـــلى يخط به وخطـــا
معمى كتـــاب فكه احْـــذَر فهـــذه
سفينـــة هذا العمـــر قاربت الشطـــا

---

[1] **البحـر الطويـل.**
[2] **في النفـح: ((وقـد سـاوَرْت يـا حيَّـة رقطـا)).**
[3] **نفسـه: ((تسطيـع))؛ وهـو أسلـم.**

وإن طال ما خاضت بك[1] اللجج التي
خبطــت بها في كــل مهلكة خبطا
ومـــا زلـــت في أمواجهـــا متقلبـــاً
فآونـــــة رفعـــاً وآونـــة حطـــــا
فقـــد أوشكـــت تلقيك في قعر حفرة
تشـــد عليك الجانبيـــن بها ضغطـــا
ولســـت على علـــم بما أنت بعدها
مُلاقٍ أرضواناً من اللـــه أم سخطا
وأعجب شيءٍ منك دعواك في النهى
وهذا الهوى المردي على العقل قد غطا
قسطْـــتَ عن الحق[2] المبين جهالـــةً
وقد غالطتك[3] النفس فادعت القسطا
وطاوعـــت شيطانـــاً تجيب إذا دعا
وتقبل أن أغوى وتأخذ إن أعطـــا

[1] في النفـح: ((بـه)).
[2] أي انحرفت عن الحـق.
[3] في النفـح: ((خالفتـك)).

تناءى عن الأخرى وقد قربت مدىً

تدانى عن الدنيا وقد أزمعت شحطا[1]

وتمنحهـــا حبـــاً وفـــرط صبابـــة

وما منحـــت إلا القتـــادة والخرطـــا

فها أنت تهوى وصلها وهي فاركٌ

وتأمل قربـــاً من حماهـــا وقد شطا

صـــراط هدىً نكبـــت عنه عمايـــةً

ودار ردىً أوعيت[2] في سجنها سرطا

فما لـــك إلا السيـــد الشافـــع الذي

له فضل جاه كل ما يُرتجي[3] يعطى

دليل إلى الرحمـــن فانهـــج سبيلـــه

فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخطـــا

محبته شـــرط القبـــول فمن خلـــت

صحيفتـــه منها فقد فقد الشرطـــــا

---

[1] أي أزمعت بعدا.

[2] في النفح: ((أودعت)).

[3] هكذا في النفح؛ بينما كتبت في الإسكوريال: ((يرتضى)).

وما قبلــت منه لدى اللـــه قربـــة

ولا زكت الأعمال بل حَبَطت حبطا

به الحـــق وضاح به الإفك زاهـــق

به الفـــوز مُرجُوٌّ به الذنب قد حطا

هو الملجأُ الأحمى هو الموئل الذي

به في غد يستشفع المذنب الخطـــا

إليك ابن خير الخلـــق بِنْت بديهـــة

تقبـــــل تبجيـــلاً أناملـــك السَّبطـــا

وحيـــدة هذا العصـــر وافت وحيدة

لتبســـط من شتى بدايعهـــا بَسْطـــا

وتتلـــو آيـــــات التشيـــع إنهـــــا

لموثقـــة عهـــداً ومحكمـــة ربطـــا

لك الشرف المأثـــور يا ابن محمـــد

وحسبك أن تنـــمى إلى سَبْطه سبطا

إلى شـــرفي ديـــنٍ وعلمٍ تظاهـــرا

تبارك من أعطى وبورك في المعطا

ورهطـــك أهل البيـــت بيت محمـــد

فأعظم به بيتاً وأكـــرم بهم[1] رهطـــا

بعثـــت به عقـــداً من الدر فاخـــراً

وذكر رســـول الله درتـــه الوُسْطى

وأهديـــت منهـــا للسيـــادة غـــادة

نظمت من الدر الثمين بها سمطـــا

وحاشيتها من كـــل ما شأنهـــا[2] فإن

تجعَّد حـــوشي تجد لفظهـــا سَبْطـــا

وفي الطيبين الظاهريـــن نظمتهـــا

فساعدهـــا من أجل ذلك حرف الطا

عليك ســـلام اللـــه ما در شـــارق

وما رددت ورقاء في غصنها[3] لغطا

[1] في النفـح: ((بـه)).
[2] نفسـه: ((شانـهـا)).
[3] في الإسكوريـال: ((غصـن)).

ومن غريب ما خاطبني به قوله [1]:

أقســـــم بالقيسيــــن والنابغتيـــــن
وشـــاعـــــري طيـــىء المولديـــن

وبابـــن حجـــر وزهيـــر وابنـــــه
والأعشييـــــن بعد ثـــم الأعمييـــن[2]

ثـــم بعُشّـــاق الثريـــا والرقيـــــ
ـــيات وعـــــزة ومي وبثيـــــن

وبـــأبي الشيـــص ودعبـــل ومـــن
كشاعـــري خزاعة[3] المخضرميـــن

وولد المعتـــز والرضى والســـري
ثـــــم حســـــن وابـــــن الحسيـــن

وأختـــم بقـــسٍّ وسَحْبـــان فـــإن[4]
أوجـــب حـــق أن[5] يكونـــا أوليـــن

---

[1] بحـر الرجـز.
[2] ورد هـذا البيـت في الكتيبـة الكامنـة هكـذا:
((وبابـن حجـر وزهيـر بعـده * والأعشيين بعده والأعمييـن)).
[3] في النفـح: ((خزامـة)).
[4] في الكتيبـة، والنفـح: ((ويسحبـان فـإن)).
[5] في الكتيبـة: ((أوْجَبَـتْ أن...)).

وحليـــتي[1] نثــرهــم ونظمهـــم
في مشرقي أقطارهــم والمغربيــن
أن الخطيــب ابن الخطيب سابــق
بنثـــره ونظمـــه للحلبتيـــن
وافَتْــني[2] الصحيفــة الحســنى التي
شاهدت فيها المكرمات رأي عيــن
تجمَّــع مــن يراعــة المعــنى إلى
يراعــة الألفــاظ كلتــا الحسنييــن
أشهــد أنــك الــذي سبقـــت في
طريــقَي[3] الآداب أقصى الأمديــن
شعــر حـــوى جزالــة ورقَّــة
تصــاغ منــه حليــة[4] للشعرييــن
رسايــل أزهارهـــا منثـــورة
ســرور قلــب ومتــاع ناظريــن

[1] في النفـح: ((وحلبتـني)).
[2] نفسـه: ((راقتـني)).
[3] في الكتيبـة: ((طريقـة)).
[4] في النفـح: ((حلَّـة)).

يــا أحوذيــاً يــا نســج وحـــــده
شهـــادة تنزهـــت عن قـــول ميـــن[1]
بقيـــــت في مواهـــب اللـــه الـــتي
تقـــر عينيـــــك وتمـــــلأ اليديـــن

ومن المقطوعات الموطنات على المثال [2]:

للـــه عصـــر الشبـــاب عصـــرا
فتـــــح للخيـــــر كـــل بـــاب
حفظـــت مـــا شئـــت فيه حفظا
كنـــــت أراه بــــــلا ذهـــــاب
حتى إذا مـــا المشيـــــب وافى
نَــــدَّ[3] ولكـــن بـــلا إيـــــاب
لا تعتنـــــوا بعـــدهـــا بحفـــظ
وقيــــدوا العلــــم بالكتــــاب

[1] أي عن قول كذب.
[2] مخلع البسيط.
[3] أي نفر.

ومن ذلك قوله [1]:

يا أيهـا الممسـك البخيـل | إلاهـك المنفـق الكفيـل
إنفـق وثق بالإلـه تربـح | فـإن إحسانـه جزيـل
وقـدم الأقربيـن واذكـر | ما روي ابدأ بمـن تعـول

ومن ذلك قوله [2]:

وقائلـة لـم عـراك المشيـب
وما أن يعهـد الصبـا من قـدم
فقلـت لـها لـم أشـب كَبْـرة
ولكنـه الهـمُّ نصـف الهَـرَمَ

ومن ذلك قوله [3]:

هـي النفس إن أنـت سامحتها
رمت بك أقصى مهاوي الخديعة
وإن أنـت جشمتهـا خطـة
تنافي رضاها تجدهـا مطيعـة
فإن شئت فوزاً فناقـض هواهـا
وإن واصلتك أجزها بالقطيعـة[4]

---

[1] مخلع البسيط.
[2] البحر المتقارب.
[3] البحر المتقارب.
[4] في النفح: ((القطيعة)).

ولا تعبـــأن بميعادهـــــا

فميعـــادهـــا كســـراب بقيعـــة

ومـن المقطوعـات أيضـاً [1]:

من أنت يا مـــولى الورى مقصـــوده

طـــوبى لـــه قد ساعدتـــه سعـــوده

فليشهـــدنـــك لـــــه فؤاد صـــادق

وشهـــوده قامـــت عليه شهـــوده

وليفنيـــنَّ[2] عـــن نفســـه ورسومـــه

طُـــراً وفي ذاك الفنـــاء وجـــوده

وليخطفنـــــه[3] بـــارق يـــرقى بـــه

في أشـــرف المعـــراج ثم يعيـــده

حتى يظـــل وليـــس يدري دهشـــة

تقريبـــه المقصـــود أو تبعيـــــده

لكنـــه ألـــقى الســـلاح مسلمـــــاً

فمـــراده ما أنـــت منـــه تريـــــده

---

[1] **البحـر الكامـل.**

[2] **هكـذا في النفـح؛ بينمـا كتبـت في الإسكوريـال: ((ولينفيـنّ)).**

[3] **في النفـح: ((وليحفظنـه)).**

فلقـــد تســـاوى عنـــده إكـــرامـــه
وهـــوانـــه ومفيـــــده ومبيـــــده

ومن ذلك قوله في المعنى [1]:

يقيـــني أن اللـــه جـــل جلالـــــه
يقيني[2] فراجي اللـــه ليس يخيـــب

ومن مقطوعاته في الألغاز والأحاجي قوله في حَجَلة [3]:

حاجيـــت[4] كـــل فطـــن لبيـــب
ما اسم الأُنـــثى[5] من بني يعقـــوب[6]
ذات كرامـــات فزرهـــا قربـــة
فزورهـــــا أحـــــق بالتقريـــــب
تشركها في الإســـم أنثى لم تـــزل
حافظـــة لسرهـــا المحجــــوب

---

[1] البحر الطويل.
[2] أي جل جلاله يحفظني.
[3] بحر الرجز.
[4] في الكتيبة: ((خاطبت)).
[5] نفسه، والنفح: ((ما اسم لأنثى)).
[6] البعقوب: ذكر الحجل.

وقد جرى في خاتم الوحي الرضا
لهـــا حديث ليـــــس بالمكـــذوب
وهـــو إذا ما الفاء [1] منه صحفـــت
صبغ الحيا[2] لا الحيـــا المسكـــوب
فهاكهـــا واضحـــةٌ أسرارهـــــا
فأمرهـــا أقـــــرب من قريـــــب

وفي آب الشهر[3]:

حاجيتكـــم ما اسم علـــم ذو نسبـــة إلى العجـــم
يخبـــر بالرجعـــة وهـــ ـــو راجـــع كما زعـــم
وصـــف الحميـــم[4] هـــو بالتصحيف أو بدءُ قســـم
دونكـــه أوضـــح مـــن نـــار عـــلى رأس علـــم

---

[1] في الكتيبـة: ((الحـاء)). وقولـه: ((إذا مـا الفـاء))؛ أي فـاء وزن فعل: وهـو حـرف ((الحـاء)) في حجـل.
[2] في الكتيبـة، والنفـح: ((الحيـاء)).
[3] مجـزوء الرجـز.
[4] في النفـح: ((الحبيـب)). وجـاء هـذا البيـت في الكتيبـة الكامنـة هكـذا: ((وهـو الحميـم معربـا * تصحيـفٌ أو بـدء قسـم)).

ومن ذلك قوله في كانون [1]:

ومـــــا اســم لسمَّيــن[2] ولــم يجمعهمــا جنــس
فهــــذا كلمــــا يــأتي فبــالآخــر لي أنــــس
[وهــذا ما له شخــص وهــذا مالــه حِــسٌّ][3]
وهــذا مــا لــه ســوم وذا قيمتــــه فِلْــــس[4]
وهــذا أصلــه الأرض وهــذا أصلــه الشمــس
وهــذا واحــد ــن سبــ ــعــة تحيــا به النفــس
فمــن محمولــه الجــنُّ ومن موضوعه الإنــس
فقــد بــان الذي ألغــز ت مــا في أمــره لَبْــس

من ذلك قوله في تمر [5]:

ما حيــوان مــا لــه من حرمــة
إن اسمــه صحــف فابن العمــةْ[6]

---

[1] بحـر الهـزج.
[2] يقصد أن للكانون اسمين: الأول لموقد النار، والثاني لشهر من شهور الروم.
[3] ورد هـذا البيـت في النفـح؛ بينمـا سقـط في الإسكوريـال.
[4] هـذا الشطـر في الكتيبـة: ((وهـذا سُومُـهُ فِلْـسُ))
[5] بحـر الرجـز.
[6] أي صحّـف؛ فأصبـح: ((تمـر)). وهـو ابـن العمَّـة: وهي النخلـة.

وقلبـــه من بعـــد تصحيـــف لـــه
يريـــك في الذكـــر الحكيـــم أُمَّـــهْ[1]

ومـن ذلـك قولـه في سلـم [2]:

مـــا اســـم مركب مفيـــد الوضـــع
مستعمل في الوصـــل لا في القطع
ينصب لكن أكثر استعمـــال من[3]
يُعنى بـــه في الخفض أو في الرفع
وهـــــو إذا خففتـــــه مغيـــــراً[4]
تـــراه شمـــلاً لم يـــزل ذا صدع
فالاســـم إن طلبتـــه تجـــــده في
خامســــــة من الطـــوال السَّبـــع
وهـــو إذا صحّفتـــه يعرب عـــن
مكســـر في غيـــر باب الجمـــع[5]

[1] ورد هـذا البيـت في الإسكوريـال هكـذا؛ بينمـا جـاء في الزيتونـة كمـا يـلي: ((وقلبـه من بعد تصحيفـه * لـه يريك في الذكـر الحكيـم أمـة)).
[2] بحـر الرجـز.
[3] في الكتيبـة: ((أكثـر استعمالـه يعنـي...)).
[4] نفسـه: ((وهـو إذا صغرتـه مخفّفـا)).
[5] إذا صحفـت كلمـة: ((سلـم))؛ تصبـح: ((يتثلـم))؛ أي يتكسـر.

لـــه أخ أفضـــــل منه لم تـــــزل
آثـــاره محمـــــودة في الشَّـــــرع[1]

هما جميعاً من بني النجار والأفــ
ــضـــل أصل في حنين الجـــذع

فهاكـــه قـــد سطعـــــت أنـــواره
لاسيمـــــا لكـــل زاكي[2] الطبـــــع

ومن ذلك قوله في فنار[3]:

ما اسم إذا حذفت منـــ ـــه [فـــاءه][4] الممنوعـــة
فإنـــه بنـــت الزنــــا[5] مضافـــة لأربعـــــة

ومن ذلك قوله في حوت[6]:

ما حيوان في اسمـــه إن اعتبرتـــه فنـــــون
حروفـــه[7] ثلاثـــــة والكـــل منهـــا نـــون[8]

---

[1] الأخ الأفضل: هو المنبر؛ وآثاره هي المواعظ المحمودة في الشرع.
[2] في النفح: ((ذاكي)).
[3] مجزوء الرجز.
[4] هكذا في الزيتونة، وفي هامس الإسكوريال.
[5] في النفح: (ابنة)). ويقصد بـ ((بنت الزنا)): بنت الزناد؛ الأتي هي النار.
[6] مجزوء الرجز.
[7] في النفح: ((أحرفه)).
[8] هو نوع من أنواع الحوت يسمى ((النون)).

تصحيفه قطع الفـــلا   أو ما جنـــاه المذنبون[1]

أو أبيض أو أســـود   أو صفة النفسالخـــؤون[2]

وقلبـــه   مصحفـــاً[3] عليـــه دارت السنـــون

كانت به في[4] مضى   عبـــرة قـــوم يعقلـــون

أودع فيهـــا[5] عنـــده   سر من السِّر المصـــون

فهاكـــه كالنـــار في   الزند لها فيه[6] كمـــون

ومن ذلك قوله في مائدة [7]:

حاجيـــتُ كل فطـــن نظَّـــار

ما اســم لأُنـــثى من بني النجـــار

---

[1] ورد هذا البيت في النفح هكذا:
((إن أنت صحفت اسمه * فما جناه المذنبون))؛ وإذا ما صفت كلمة ((حوت))؛ أضحت: ((حوب))؛ بالباب الموحدة التحتية. والحوب معناه: الذنب والاثم.

[2] إذا صحفت كلمة ((حوت))؛ وقصدت به اللون الأبيض أو اللون الأسود؛ الأسود؛ أضحت: ((الجون)). وإذا اردت بالتصحيف صفة النفس الخؤون؛ كانت الكلمة هي: ((الحوب)).

[3] في النفح: ((قلب اسمه مصحفاً)). ومقلوب كلمة ((حوت)) هي ((توح))؛ وتصحيف الكلمة هي ((يوح))؛ وهو اسم الشمس.

[4] في الكتيبة، والنفح: ((في ما مضى))؛ بإضافة كلمة ((ما)).

[5] في الكتيبة: ((فيه)). في النفح: ((فيه زمنا)).

[6] في النفح: ((فيه)).

[7] بحر الرجز.

وفي كتـــاب اللـــه جـــاء ذكرهـــا
فقـــــل ما يغفـــــل عنها القــــــارِ
في خبر المهـــدي فاطلبهـــا تجـــد
إن كنت من مطالـــــعي الأخبــــــار
ما هي إلا العيـــد عيـــد رحمـــــة
ونعمـــــــة ساطعـــــة الأنـــــوار
بشركها في الاســـم وصف حســـن
من وصف قضب الروضة المعطـــار[1]
فهاكه كالشمس في وقت الضـــحى
قد شـــــف[2] عنها حجـــــب الأستـــار

ومن ذلك قوله في زبيب [3]:

مـــا نـــقي العرض طاهر الجســـد
عندمـــا خالطـــه المـــاء فَسَـــد
خالـــــط الماء القـــــراح فغـــوى
بعد ما كـــــان من أهل الرَّشـــــد

---

[1] أراد بهـذا: أن قضـب الروضـة (أغصان أشجارهـا)) تميـد (أي تتمايـل).؛ إذن فـهي مائـدة.
[2] في النفـح: ((شـق)).
[3] بحـر الرجـز.

عجــمي الأصـــــل تــم حسنـــه
عندمـــا صاد الغزالـــة الأســـــد[1]
واسمـــه اسم امـــــرأة مصحفـــاً
ولقــد يكـــــون وصفـــاً لولـــــد
هاكـــه قـــد بهـــــرت أنـــــواره
فارم بالفكـــر تصب قصد الرشـــد[2]

جميع هذه الأغراض المنسوبة إليه، بحر لا ينفد مدده، وقطر لا يبلغ عدده.

وأما نثره فسلطانيَّات مطولات، عرضت بما تخللها من الأحوال متونها، وقلَّت لمكان الاستعجال والبديهة عيونها. وقد اقتضبت منها أجزاء سميته ((**تافهاً من جَمْ ونقطة من يَمْ**)) [3].

[1] أي نضج حين احتلت الشمس برج الأسد.
[2] في الكتيبة: ((السدد)).
[3] هذا عنوان كتاب لابن الخطيب. سبقت الإشارة إليه.

مولـده

ولـد **بغرناطـة** في جمـادى الآخـرة عـام ثلاثـة وسبعيـن وستمايـة [1].

وفاتـه

ليلـة يـوم الأربعـاء الثالـث والعشريـن مـن شـوال عـام تسعـة وأربعيـن وسبعمايـة [2]. ودفـن **ببـاب إلبيـرة**. وكانـت جنازتـه آخـذة نهايـة الاحتفـال، حضرهـا السلطـان فمـن دونـه.

ومما رُثِيَ بـه: رثيتـه بقصيـدة أنشدتهـا عـلى قبـره؛ خامـس يـوم دفنـه ثبتـت في غيـر مـا موضـع وهـي [3]:

مـــا لليـــراع خواضـــع الأعنـــاق
طرق النَّـــعي فهـــنَّ في إطـــراق
وكأنما صبـــغ الشحـوب وجوههـــا
والسَّقَـــم من جزع ومن إشفـــــاق

---

[1] الموافـق لـ 1274م.
[2] الموافـق لـ 1348م.
[3] البحـر الكامـل.

ما للصحائف صوّحت[1] روضاتها
أسفــاً وكن نضيـــــرة الأوراق
ما للبيــــان كؤوســـه مهجـــورة
غفــل المديــر لها ونـــام السَّـــاق[2]
ما لي عدمـــت تجلدي وتصبـــري
والصبر في الأزمات من أخـــلاق
خطب أصاب بني البلاغة والحجا
شـــبَّ الزفيـــر به عن الأطـــواق
أما وقد أودى أبو الحسن الرضـــا
فالفضل قد أودى على الإطـــلاق
كنـــز المعـــارف لا تبيـــد نقـــوده
يومـــاً ولا تفـــنى عـــلى الإنفـــاق
من للبدائع أصبحت سمر السَّـــرى
ما بيـــن شـــامٍ للـــورى وعـــراق

---

[1] أي يبست وأجدبت.
[2] في النفـح: ((السـاقي. أخـلاقي)).

من لليـــراع يجيـــل من خطبهـــا[1]
ســـم العـــدا ومفاتــــح الأرزاق
قُضُـــب ذوابـــل مثمرات بالمـــنى
وأراقــــم ينفثــــن بالتّريـــاق
من للرقـــاع الحمر يجمع حسنهـــا
خجل الخدود وصَبْغــة الأحــداق
تغتـــال أحشـــاء العـــدو كأَنهـــا
صفحـــات داميـــة الغرار رِقـــاق
وتهـــز أعطـــاف الـــولي كأنهـــا
راحٌ مشعشعـــة براحـــة ســـاق
من للفنـــون يجيـــل في ميدانهـــا
خَيْـــل البيان كريمـــة الأعـــراق
مـــن للحقائـــق أبهمـــت أبوابهـــا
للنـــاس يفتحهـــا على استغـــلاق

[1] **في النفـح: ((خطيهـا)).**

من للمساعي [الغر][1] تقصد جاهــه
حُرُمــاً فينصرها على الإخفــاق
كم شــد من عقــد وثيق حكمــه
في اللــه أو أفــتى بحــل وثــاق
رحب الذراع بكل خطــب فــادح
أعيــت رياضتــه على الحــذَّاق
صعب المقادة في الهوادة والهوى
سهــل على العافيــن[2] والطــراق
ركب الطريق إلى الجنان وحورهــا
يلقينــــه بتصافــــح وعنــــاق
فاعجب لأنــس في مظنة وحشــة
ومقــام وصــل في مقام فــراق
أَمُطَيَّباً بمحامــد العمــل الرضى
ومُكَفَّنــــاً بمكــارم الأخــــلاق

---

[1] وردت هذه الكلمة في النفح؛ بينما سقطت في الإسكوريال.
[2] أي سهل على طالبي المعروف.

ما كنت أحسب قبل نعشك أن أرى
رضــوى[1] تسيــر على الأعنـــاق
ما كنت أحسب قبل دفنك في الثَّــرى
أن اللحـــود خزائـــن الأعـــلاق[2]
يا كوكـــب الهـــدي الذي من بعده
ركد الظـــلام بهـــــذه الآفــــاق
يا واحداً مهما جــرى في حَلْبَــة
جــلى بغــرة سابــــق السبــاق
يا ثاويـــاً بطـــن الضريح وذكره
أبداً رفيــق ركائـــــب ورفـــاق
يا غَوْثَ من وصل الضريح[3] فلم يجد
في الأرض من وزر ولا من واق
ما كنت إلا ديمـــــةً منشــــورة
من غيــر إرعـــاد ولا إبــــراق

---

[1] رضـوى: اسـم جبل في الحجـاز؛ بالقـرب مـن ينبـع؛ يرتفـع عن سطـح البحـر بـ 20271م.
[2] أي خزائـن نفيسـة.
[3] في النفـح: ((الصريـخ)).

ما كنــت إلا روضـــة ممطـــورة

ما شئـــت من ثمـــر ومن أوراق

يا مزمعـــاً عنـــا العشي ركابـــه

هلا لبثـــت[1] ولـــو بقـــدر فـــواق[2]

رفقـــــاً أبانـــا جـــل ما حملتنـــا

لا تنـــس فينـــا عـــادة الإشفـــاق

واسمح ولو بمزار لقيا[3] في الكرى

تبـــقي بهـــا منـــا على الأرمـــاق

وإذا اللقـــاء تصرمـــت أسبابـــه

كـــان الخيـــال تعلَّـــة المشتـــاق

عجبـــاً لنفـــس ودعتـــك وأيقنـــت

أن ليـــس بعد ثـــواك[4] يوم تـــلاق

ما عذرها إن لم تقاسمك الـــردى

في فضـــل كأس قد شربت دهاق

---

[1] في النفـح: ((ثويـت)).
[2] أي لفتـرة. فمـن يقـل في المثـل: ((أمهلـني قـدر فُـواق)). حيـث يضـرب في قصـر المـدة.
[3] في النفـح: ((لـقي)).
[4] نفسـه: ((ثَـواك)).

إن قصـــرت أجفاننا عن أن ترى
تبكي النجيـــع عليـــك باستحقـــاق
واستوقفـــت دهشـــاً فـــإن قلوبنـــا
نهضـــت بكـــل وظيفـــة الآمـــاق
ثـــق بالوفـــاء على المدى من فتية
بـــك تقتـــدي في العهد والميثـــاق
سجعـــت بما طوقتهـــا من منَّـــةٍ
حـــتى زرت[1] بحمايـــم الأطـــواق
تبـــكي فراقـــك خلـــوة عمرتهـــا
بالذكـــر في طَفَـــلٍ وفي إشراق
أمـــا الثنـــاءُ على عـــلاك فذائـــع
قد صـــح بالإجمـــاع والإصفاق
واللـــه قد قـــرن الثنـــاء بأرضـــه
بثنائـــه من فـــوق سبـــع طبـــاق
جادت ضريحـــك ديمـــةٌ هطَّالـــة
تبـــكي عليـــه بواكـــفٍ رقـــراق

[1] أي حتى ازدرت بحمائم الأطواق.

وتغمدتـــك مـــن الآلـــه سعـــادة

تسمو بروحـــك للمحـــل الـــراق

صبـــراً بـــني الجيـــاب[1] فقيدكـــم

سيُسُّـــــر مقدمـــه بمـــا هو لاق

وإذا الأسى لفـــح القلـــوب أواره

فالصبـــر والتسليـــــم أي رواق

وأنشد في هذا الغرض الفقيه **أبو عبد الله بن جُزيّ** رحمه الله [2]:

ألـــم تر أن المجـــد أقوت معالمه

فأطنابـــه قد قوضـــــت دعائمـــه

هوى مـــن سماء المعلوات شهابها

وخانـــت جواد المكرمات قوائمـــه

وثلث من الفخر المشيد عروشـــه

وفلَّت من العز المنيع صوارمـــه

---

[1] في النفح: ((بني الجياب إنّ فقيدكم))، حيث أضيفت: ((إنّ)).
[2] البحر الطويل.

وعطل من حلي البلاغـــة قسُّهـــا

وعُرِّي من جود الأنامـــل حاتمـــه

أجل إنه الخطب الذي جل وقعـــه

وثلـــم غرب الدين والعلم هاجمـــه

وإلا فمـــا للنـــــوم طار مطـــاره

وما للزيم الحزن قصت قوادمـــه

وما لصبـــاح الأنس أظلم نـــوره

وما لمحيـــا الدهر قُطِّـــب باسمـــه

وما لدمـــوع العين فُضَّت كأَنهـــا

فواقع زهـــر والجفـــون كمائمـــه

قضى الله في قطب رياسة أن قضى

فشتت ذاك الشمل مـــن هو ناظمه

ومن قارع الأيام سبعيـــن حجـــة

ستنبـــو عـــراره[1] وينْـــدَقُّ قائمـــه

وفي مثلهـــا أعيا النطاسي طبُّـــه

وضل طريق الحزم في الرأي حازمه

---

[1] **في النفـح: ((غراره)).**

تساوى جــواد في رداه وباخــل

فلا الجود واقيه ولا البخل عاصمه

وما نفعــت ربَّ الجيــاد كِرَامُــه

ولا منعــت منه الغــني كرايمــه

وكــل تــلاق فالفــراق أمامــه

وكل طلــوع فالغــروب ملازمه

وكيف مجال العقل في غير منفــذ

إذا كان باني مصنــع هو هادمــه

لَبَّيْــك[1] عليــاً مستجيــر بعدلــه

يُصاخ لشكــواه ويمنــع ظالمــه

لبيك عليــاَ ماتــح[2] بحــرعلمــه

يروى بأنــواع المعــارف هائمه

لبَّيْك علياً مظهــر فضل نصحــه

يحلا عن ورد المآثــم حايمــــه

---

[1] كلمة ((لبيك)) الواردة في بداية هذا البيت، وفي الأبيات الموالية؛ وعدها ست ((كلمات))؛ كتبت كلها في نفح الطيب: ((لِيَبْك))؛ وهذا أسلم.
[2] في النفح: ((مائح)).

لبيـــك علياً معتــف جود كفـــــه
يواسيـــه في أموالـــــه ويقاسمـــه
لبيـــك عليـــاً ليلـــه وهـــو قائـــم
يكابـــده أو يومـــه وهو صائمـــه
لبيك عليـــاً فضـــل كـــل بلاغـــة
يخلده في صفحة الطّرس راقمـــه
وشخص ضئيل الجسم يرهب نفثه
ليوث الشَّرى في خيسهـــا وضراغمه
تكفل بالـــرزق المقـــدر للـــورى
إذا اللـــه أعطى فهو للناس[1] قاسمه
يســـدده سهمـــاً ويَنْضـــوه صارماً
ويُشْرعـــه رمحـــاً فكل يلائمـــه
إذا ســـال من شِقَّيه سايل حبْـــرة[2]
بما شاء منه سايـــل فهو عالمـــه

[1] في النفـح: ((في النـاس)).
[2] نفسـه: ((حبـره)).

لبيك عليه الآن[1] مــن كان باكيــاً
فتلــك مغانيــه خَلَت ومعالمــــه
تقلــد منه الملك عضــب بلاغــة
يقد السلــوقي المضاعف صارمه
وقلــده مثــنى الــوزارة فاكتــفى
بها ألمــعي حازم الرأي عازمــه
فــفي يــده وهو الزعيــم بحقهــا
يراعتــه[2] والمشــرفي وخاتمــــه
سخيٌّ على العافين سهــلٌ قيــاده
أبي على العادين صعبٌ شكائمــه
إذا ضلت الآراء في ليــل حــادث
رآها برأي يصدع الحق[3] ناجمــه
وقــام بأمر الملــك[4] للدين حاميــاً
فــذل مُعاديــه وضــل مراغمــه

---

[1] في النفـح: ((اليـوم)).
[2] نفسـه: ((براعتـه))؛ بالبـاب الموحـدة التحتيـة.
[3] نفسـه: ((الخطـب)).
[4] نفسـه: ((بأمـر الديـن والملـك...)).

وقد كان نيط العلم والحلم والتـــقى

به وهو ما نيطـــت عليه تمايمـــه

ودوخ أعنـــاق الليـــالي بهمـــــة

يبيت ونجـــم الأفق فيها يزاحمـــه

وزاد على بعـــد المنال تواضعـــاً

أبى اللـــه إلا أن تتـــم مكارمـــه

سَقَيْتَ الغـــوادي أي علم وحكمـــة

ودين متيـــن ذلـــك القبر كاتمـــه

وما زلت[1] يستســـقى بدعوتك الحيا

وها هو يُسْتَسْـــقى لقبرك ساجمـــه

بكت فقدك الكتـــاب إذ كان شملهم

يؤلفه من روح[2] فضلـــك ناعمـــه

وطوقتهـــم بالبـــر ثـــم سقيتهـــم

نداك فكنت الروض ناحت حمايمه

---

[1] في النفـح: ((ومـا زال)).
[2] نفسـه: ((دوح)).

ويبكيك مني ذاهب الصبر موجـــع

فوقَّد[1] في جنبيـــه للحزن جاحمـــه

فتى نال منـــه الدهـــر إلاَّ وفـــاءه

فما وهنت في حفظ عهدٍ عزايمـــه

عليل الذي زُرّت عليـــه جيوبـــه

قريح الذي شُـــدَّت عليه حزايمـــه

فقد كنت ألقى الخطب منه بجنـــة

تعارض دوني بأســـه وتصادمـــه

سأصبر مضطراً وإن عظم الأسى

أحـــارب حزني مـــرة وأسالمـــه

وأهديـــك إذ عـــز اللقاء تحيـــة

وطيب ثناءٍ كالعبيـــر نواسمـــــه

[1] في النفـح: ((تَوَقَّـد)).

وأنشد القاضي **أبو بكر**[1] **القرشي** قوله من قصيدة في ذلك[2]:

هي الآجال[3] غايتها نفاد

وفي الغايات تمتاز الجياد

وأنشد الفقيه الكاتب **أبو بكر**[4] **القاسم بن الحكيم** قوله من قصيدة[5]:

لينع الحجا والحلم من كان ناعياً

ويرع العلا والعلم من كان راعيا

وأنشد الفقيه القاضي **أبو بكر**[6] **بن جزي** قصيدة أولها[7]:

أبثكما والصبر للعهد ناكث

حديثاً أملته على الحوادث

---

[1] في النفح: ((أبو بكر بن علي القرشي)).
[2] البحر الوافر.
[3] في النفح: ((الآمال)).
[4] نفسه: ((أبو القاسم بن الحكم)).
[5] البحر الطويل.
[6] في النفح: ((أبو جعفر)).
[7] البحر الطويل.

قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض، فكان هذا التأْبين غريباً لم يتقدم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك، والتجلَّة في مثل هذا مقصورة على أولي الأمر.

فمضى بسبيله رحمه الله.

***

علي بن موسى [1]

ابن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد [2] بن الحسن بن عثمان [3] بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر بن بن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذم [4] بن ثعلب بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر ابن نام بن عبس؛ [5] واسمه [6] زيد بن مالك بن أدد بن زيد العنسي المزحجي [7]، من أهل قلعة يحصب؛ غرناطي قلعي؛ [8] سكن تونس؛ يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن سعيد.

أوليته

قد تقرر من كرم أوليته، وذكر بيته ما ينظر في محله.

حاله

هذا الرجل وُسْطى عقد بيته، وعَلَم أهله، ودرَّة قومه، المصنف الأديب، الرحال، الطُّرفة، الإخباري،

---

[1] لـه ترجمة أيضاً في المغرب في حلى المغرب، واختصار القدح المعلى، وفوات الوفيات، وبغية الوعاة، والذيل والتكملة،، ونفح الطيب.
[2] في الذيل والتكملة: ((سعد)).
[3] نفسه: ((عثمان بن الحسين بن عبد الله الداخل إلى الأندلس ابن سعيد ابن عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة)).
[4] نفسه: ((لوذيم؛ ويقال: لوذين بن ثعلبة)).
[5] في الذيل والتكملة: ((يام بن عنس)).
[6] في الإسكوريال: ((والد)).
[7] في النفح: ((المُدْلجي)).
[8] أي قلعة يحصب. وقد سبق ذكرها.

العجيب الشأن في التجول في الأوطان، ومداخلة الأعيان، والتمتع بالخزاين العلمية، وتقييد الفوايد المشرقية والمغربية.

مشيخته

أخذ عن أعلام **إشبيلية كأبي علي الشَّلوبين، وأبي الحسن الدباج، وأبي الحسن بن عصفور**، وغيرهم.

تواليفه

وتواليفه كثيرة[1]؛ منها: ((**المُرْقصات والمُطْربات**))[2]؛ عزيز الوجود، و((**المقتطف**))؛ أغرب وأعجب، و((**الطالع السعيد**))؛ في تاريخ بيته وبلده. والموضوعان الغريبان المتعددا الأسفار، وهما ((**المغرب في حلى المغرب**))، ((**والمشرق في حلى المشرق**))، وغير ذلك مما لم يتصل إلينا، فلقد حدثني الوزير **أبو بكر بن الحكيم**، أنه تخلف

---

[1] **وردت هذه الكلمة في الزيتونة؛ بينما سقطت في الإسكوريال.**
[2] **طبع بهذا العنوان؛ وله أسم أخر؛ ورد في فوات الوفيات؛ وهو: ((المرقص والمطرب)).**

كتاباً يسمى ((**المرزمة**)) [1]، يشتمل على وقر بعير، لا يعلم ما فيه من الفوايد الأدبية والإخبارية إلا الله.

شعره

قال، تعاطى نظم الشعر في حد زمن الشبيبة، يعجب فيه من مثله، فيذكر أنه خرج مع والده، وقد مر في صحبته إلى **إشبيلية**، وفي صحبته **سهل ابن مالك**، فجعل سهل يباحثه عن نظمه، إلى أن أنشده في صفة النهر والنسيم يردده، والغصون تميل عليه[2]:

كأنما النهر صفحة كتبت
أسطرها والنسيم ينشيها[3]

[1] في الزيتونة: ((المزيدات)).
[2] البحر المنسرح.
[3] في المغرب: ((منشئها))، وفي اختصار القدح المعلى: ((منثؤها))، وفي بغية الوعاة: ((منشؤها))،

لمـــا أبانـــت عن حسن منظرها[1]

مالت عليهـــا الغصـــون تقرؤها[2]

فطرب **أبو الحسن** وأثنى عليه، ثم شدا، وناب عن أبيه في أعمال **الجزيرة**، ومازج الأدباء، ودون كثيراً من نظمه، وحفظ له في المدح [3]:

يا أيهـــا الملـــك الـــذي هباتـــه

وهباتـــه شـــدَّت عُـــرى الإسلام

لما أســـال نـــداه ســـلَّ حسامـــه

فأراك برقـــاً في متـــــون غمـــام

للـــه شيعتك التي تـــرك العـــدا

أقداحهـــــم بمـــواطئ الأقـــدام

طاروا بأجنحـــة السيوف إليهـــم

مثـــل الحمـــام جلبـــن كل حِمـــام

[1] في المغرب، وبغية الوعاة: ((حسن منظره)).
[2] نفسهما: الغصون تفرؤها)).
[3] البحر الكامل.

فهم سهـــام والجيـــــاد قسيهـــم

وعُداهـــم هـــدف وسعـــــدك رام

وقال: ومما نظمته بالحضرة في فرس كان لهم لوباني أغرَّ أكحل بحلية [1]:

وأجـــرد تبـــريّ أثرت به الثـــرى

والفجر[2] في خصر الظلام وشـــاح

عجبت له وهو الأصيل بعرفـــه

ظـــلام وبين الناظـــرين صبـــاح

رحلته **المشرقية**، وفيها الكثير من نظمه، قال في **الطالع** لما قدم الديار **المصرية** واشتهر، كان مما نظمه سلماً لمعرفة الأدباء والظرفاء قوله، وقد رأى بساحلها وجوهاً لا يعرفها، وألسناً غير ما عهد [3]:

أصبحت أعترض الوجوه ولا أرى

من[4] بينهـــا وجهـــاً لمن أدريـــه

---

[1] **البحر الطويل.**
[2] **في المغرب في حلى المغرب، ونفح الطيب: ((وللفجر)).**
[3] **البحر الكامل.**
[4] **في النفح: ((ما)).**

ويْحُ الغريــب توحشت ألحاظــه
في عالــم ليــس لــه بشَبيــه
عودي على بدئي ضلالاً بينهــم
حــتى كــأني من بقايــا التّيــه

ودخل **القاهرة**، فصنع له أُدباؤها صنيعاً في ظاهرها، وانتهت بهم الفرجة إلى روض نرجس، وكان فيهم **أبو الحسن الجزّار** [1]، فجعل يدوس النرجس، برجله، فقال **أبو الحسن** [2]:

يــا واطىء النرجــس بالأرجــل
ما تستحي أن تطأ الأعين بالأرجل[3]

فتهافتوا بهذا البيت وراموا إجازته. فقال **ابن أبي الأصبغ** [4]:

---

[1] **نفسه: ((جمال الدين أبو الحسين الجزار المصري الشاعر)).**
[2] **البحر السريع.**
[3] **ورد هذا البيت في فوات الوفيات، ونفح الطيب هكذا:**
((يا واطئ النرجس ما تستحي * أن تطأ الأعين بالأرجل)).
[4] **البحر السريع.**

فقـــال دعـــني لم أزل [محرجـــاً][1]

عـــلى لحـــاظ الرشـــاد[2] الأكحـــل

وكان أمثل ما حضرهم، ثم أبوا أن يجيزه غيره، فقال [3]:

قابـــل جفونـــاً بجفـــــون ولا

تبتـــــذل الأرفـــــع بالأسفـــل

ثم استدعاه **سيف الدين بن سابق** صاحب الأشغال السلطانية إلى مجلس بضفة النيل، مبسوط بالورد، وقد قامت حوله شمامات نرجس، فقال في ذلك [4]:

من فضـــل النَّرجـــس فهو الـــذي

يرضى بحكـــم الـــورد إذ يـــرأس

أما تـــرى الـــورد غـــداً قاعـــداً

وقـــــام في خدمتـــــه النَّرجـــس

[1] هكذا في النفح؛ بينما سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.
[2] في النفح: ((الرشا)).
[3] البحر السريع.
[4] البحر السريع.

ووافق ذلك مماليك الترك، وقوفاً في الخدمة على عادة المشارقة، فطرب الحاضرون، من حسود ومنصف. ولقي **بمصر محيي الدين بن ندا واقد التركي** [1]، والإمام **زهير الحجاري بهاء الدين، وبالقاهرة جمال الدين بن مطروح، وجمال الدين بن يغمور** [2] وتعرف **بكمال الدين ابن العديم** رسول سلطان **حلب**، فاستصحبه يُتحف به الملك **الناصر** صاب **حلب**، فلقي **بحُمْص وبيت المقدس وحماه** أعلاما جِلَّة، وله معهم أخبار يطول ذكرها، ودخل على السلطان [3] **بحلب**، وأنشده قصيدة أولها [4]:

جُدْ لي بما ألقى[5] الخيال من الكَرى
لابد للطيــف الملــم من الكَــرا[6]

---

[1] في النفح: ((أَيْدَمُر التركي)).
[2] حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((ابن يعمور))؛ والصحيح ما ورد في صلب النص؛ لأنه شاعر مصري يسمى أحمد بن موسى بن يغمور.
[3] في النفح: ((فدخل على الناصر صاحب حلب)).
[4] البحر الكامل.
[5] في النفح: ((جد لي بمالقي..)).
[6] نفسه: (((للضيف الملم من القرى)). وورد عجز هذا البيت في المغرب هكذا: ((لا بد للضيف الملم من القرى)).

فقـال **كمـال الديـن**: هـذا رجـل عـارف مـذ روى لمقصـده مـن أول كلمـة. ثـم قـال بعـد أبيـات:

الناصـر الملـك الذي عزماتـه
أبداً تكون مع العساكـر عسكـرا
ما كـان أنبـا الفتـح يلـزم لامه
والجمـع من أعـدائـه متكسـرا

فعظم استظراف السلطان لهذه المقاصد، وأثنى عليه. ثم وصل فقال:

الدين أصلحه وعم صلاحه الدنيـا
وأصبـح ناصـراً ومظفَّـرا
فكأن كُنيتـه غـدت موضوعـه
من ربِّه والوصـف منه مقـرَّرا
وكأنما الأسمـاء قد عرضت على
عليـاه قبـل وجـوده متخيِّـرا

فقال السلطان كيف ترون واستعاده. فقال **عون** الدين العجمي عميد المجلس، وكاتب الإنشاء، استنباطه ما سمع الملوك بمثله يا خُوند. ثم أنشد:

من آل أيوب الذين هم هم
ورثوا الندى والبأس أكبر أكبرا
أهل الرياسة والسياسة والعُلا
بسيوفهم حلوا الذُّرى منحوا الذُّرا[1]
سم العداة على هيافيهم[2]
لا تعجبوا فكذاك[3] آساد الشرى
كادوا يقيلون العداة من الردى
لو لم يمدوا كالحجاب العثيرا
جعلوا خواتم سمرهم من قلب كـ
ـل معاند عدَّ[4] المثقف خنصرا

---

[1] ورد هذا البيت في المغرب في حلى المغرب هكذا:
((من مَعْشَرٍ خَبَروا الزَّمانَ رئاسةً * وسياسة حَلّوا الذُّرى حُمْرَ الذَّرا)).
[2] في المغرب: ((على حياءٍ فيهم)).
[3] نفسه: ((لا تعجبنّ كذاك...)).
[4] نفسه: ((حسب))°.

وببيضهم قد توجوا أعداءهم

حتى لقد حلوا لكيما تشكرا

لو لم يخافوا تيسار[1] نحوهم

وهبوا الكواكب والصَّباح المسْفرا

وهي طويلة. ثم استجلسه السلطان، وسأله عن بلاده، ومقصده[2] بالرحلة، فأخبره أنه جمع كتاباً في الحُلى البلادية والحُلَى العبادية المختصة بالمشرق، وأخبره أنه سماه ((**المُشْرِق في حُلَى المَشْرق**)). وجمع مثله فسماه ((**المُغْرب في حُلَى المَغْرب**)). فقال نُعينك بما عندنا من الخزاين، ونوصلك إلى ما لا[3] عندنا. مثل خزاين **الموصل وبغداد**، وتضيف لنا **المغرب**. فخدم على عادتهم، وقال أمر مولاي بذلك، إنعام وتأنيس، ثم قال له السلطان مُداعباً، إن شعراءنا مُلَقَّبون بأسماء الطيور. وقد اخترت لك لقباً يليق بحسن صوتك وإيرادك للشعر، فإن كنت

---

[1] **في المغرب: ((يخافوا تيهَ سار..)).**

[2] **في النفح: ((ومقصوده برحلته؛ وأخبر أنه جمع كتباً...)).**

[3] **نفسه: ((إلى ما ليس عندنا؛ كخزائن الموصل، وبغداد؛ وتصنّف لنا؛ فخدم..)).**

ترضى به، وإلاَّ لم يعلمه [1] غيرنا، وهو البلبل، فقال قد رضي المملوك بذلك يا خُوند. فتبسم السلطان، وقال اختر واحدة من ثلاث، أما الضيافة التي ذكرتها أول شعرك، وأما جائزة القصيدة، وإما حق الإسم. فقال يا خوند المملوك ممن [2] لا يختنق بعَشْر لُقَم، فكيف بثلاث. فطرب السلطان، وقال هذا مَغْربي ظريف، ثم أتبعه [3] من الدنانير والخلع الملوكية والتواقيع بالأرزاق ما لا يوصف. ولقي بحضرته **عون الدين العجمي**، وهو بَحْر لا تَنْزفه الدّلاءُ، والشهاب التلَعْفُري الشهير الذكر، **والتاج بن شقير، وابن نجيم الموصلي، والشرف بن سليمان الإرْبِلّي**. وطائفة من **بني الصاحب**. ثم تحول إلى **دمشق**، ودخل **الموصل وبغداد**، ودخل مجلس السلطان المعظم **ابن الملك الصالح بدمشق** ، وحضر بمجلس [4] خَلْوته. وكان ارتحاله إلى **بغداد** في عقب سنة ثمان وأربعين وستمائة [5] في رحلته

---

[1] في النفح: ((وإلاّ لم نُعْلِمْ به أحداً غيرنا)).
[2] نفسه: ((مما)).
[3] في الإسكوريال: ((تبعته)).
[4] في النفح: ((مجلس)).
[5] الموافق لـ 1250م.

الأولى إليها. ثم رحل إلى **البصرة**، ودخل **أرجان**، وحجَّ. ثم عاد إلى **المغرب**. وقد صنف في رحلته الأولى إليها مجموعاً سماه ((**بالنفحة المِسْكِيَّة في الرحلة المكية**)). وكان نزوله بساحل **مدينة إقلنية** [1] من **إفريقية** في إحدى جمادين من عام اثنين وخمسين وستمائة [2]، واتصل بخدمة الأمير **أبي عبد الله المستنصر** [3] فنال الدرجة الرفيعة من حُظوته، وقال عند اتصاله به لحين قدومه [4]:

وما زلت أضــرب في الخافقيــن
أروم البـــلاد وأرعى الــدول
إلى أن رجعـــت إلى تونــس
محــل الإمـــام وأقصى الأمل

---

[1] **في النفح: ((إقليبية))؛ وهـا أصوب؛ لأن إقليبية؛ أحد الحصون المنيعة بإفريقية؛ المطلة على البحتر الأبيض المتوسط. ويتواجد بالقرب من قرطاجنة**

[2] **الموافق لـ 1254م.**

[3] **هو الخليفة أبو عبد الله المستنصر بالله بن أبي زكريا بن أبي محمد عبد الواحد الحفصي؛ حكم إفريقية من سنة 647هـ/1246م؛ إلى سنة 675هـ/1276م؛ سنة وفاته.**

[4] **البحر المتقارب.**

فقلــت البـــــلاد لهــذي قــرىً
وقلــت الأنــام لهــذا خَـــولَ

نكبته

وحدثني شيخنا الوزير **أبو بكر بن الحكيم**: أن **المستنصر** جفاه في آخر عمره، وقد أسَنَّ لجراء خدمة مالية أسندها إليه، وقد كان بلاءً منه قبل جفوة، أعقبها انتشال وعناية. فكتب إليه [1]:

يــا غــزالاً في الحشــا منْزِلــه
وبعيـــني دائمـــاً مَنْهلـــــه
لا تُرعبــني[2] بالجفـــا ثانيـــة
مـــا بـــقي في الجســم ما يحمله

---

[1] بحر الرمل.
[2] في النفح: ((لا تَرُعْني)).

فرق له، وعاد إلى حسن النظر فيه، إلى أن توفي تحت برٍّ وعناية. رحمه الله.

مولده

ولد **بغرناطة** ليلة الفطر في سنة عشر وستماية [1].

وفاته

توفي **بتونس** حرسها الله؛ في أحواز عام خمسة وثمانين وستماية [2].

***

[1] الموافق لـ 1213م

[2] الوافق لـ 1286م. وجاء في فوات الوفيات: ((توفي بدمشق في شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة))؛ وفي بغية الوعاة: ((ومات حادي عشر شعبان سنة ثلاث وشبعين)).

علي بن عبد الرحمن

ابن موسى بن جودي القيسي [1]؛ الأديب الكاتب؛ يكنى أبا الحسن.

حاله

من أهل المعرفة بالعلوم القديمة، وأصله من عمل **سَرَقُسطة**. وكان صديقاً للوزير **أبي الحسن بن هاني.**

مشيخته

قرأ على الحكيم **أبي بكر بن الصايغ**، المعروف **بابن باجَّة** [2]. وكان خليع الرَّسن فيما ذكر عنه.

شعره

من شعره [3]:

خليـــلي من نعمان باللـــه عرِّجا
على الأَيْك من وادي العقيق فسلّما

---

[1] لـه ترجمـة أيضاً في المغرب في حلى المغرب، ومطمح الأنفس، والمعجم في أصحـاب القـاضي الصدفي، وأزهـار الريـاض، ونفـح الطيـب.
[2] هـو محمـد بـن يحيى بـن باجـة التجيبي السرقسطي الأندلسي. سبقت الإشـارة إليـه.
[3] البحـر الطويـل.

وقـــولا له ما حـــال لُبْنى لعلـــه
إذا سمع النجـــوى بلُبْنى تكلَّمـــا

فعهـــدي به والظل ينفض دوحه
وقد خضلـــت عيدانـــه فتنعَّمـــا

تباكـــره لُبْـــنى لإتيـــان موعـــد
عزيز عليها أن يُخان ويُصرمـــا

نبث حديثهـــــا فنبـــكي بعبـــرة
فترسلهـــا مـــاءً ونُرسلهـــا دمـــا

ومن شعره قوله [1]:

أدر كـــأْس المـــدام فقـــد تغـــنى
بفـــرع الأيك أَوْرُقهـــا الصـــدوح

وهبَّ[2] على الرياض نسيم صبح
يمر كمـــا ونـــى[3] ســـادٍ طليـــح

وسال النهـــر يشكو من حصاه
جراحـــــات كمـــا أنَّ الجريـــح

---

[1] البحر الوافر.
[2] في المطمح: ((ونمَّ)).
[3] نفسه: ((ورى سارٍ طليح)).

وقال [1]:

سـقى اللـه دهراً ضم شمل مودة
وجمع إخـوان الصفـاء بلا وعد
بمينـاء تعلوهـا الريـاح بليلـةً
وتنظر منها الشمس بالأعين الرَّمد

وفاته

تـوفي **بغرناطة** في حـدود الثلاثيـن وخمسمايـة [2].

***

[1] **البحـر الطويـل.**
[2] **الموافـق لـ 1135م.**

***

عمر بن خلاف

ابن سليمان بن سلمة؛ من أهل شابش؛ يكنى أبا علي.

حاله

كان فقيهاً أديباً مكثراً، شهير المكان بجهته، مولعاً بمكاتبة الأُدباء، وتقييد ما يصدر عنهم، مؤرخاً من أهل النباهة والعناية. ألف كتاباً سماه ((**نُخْبة الأَعْلاق، ونزهة الأحداق في الأدباء**))، وحلّى من ذُكر فما قَصَر عن السَّداد. وله نظم ونثر وخُطب، وبيعات ومراجعات، تضمنها الكثير من كتبه.

شعره

فمن شعره ما قاله يخاطب بعض إخوانه [1]:

خذهـا إليـك أبا إسحق تذكـرة
من ذاكر لك في قرب وفي شحط

[1] البحر البسيط.

يَرْعى ذمامك لا تنسى لوازمـــه
ولا يمازجـــه بالسَّهـــو والغلـــط
ولا يـــزال بحفـــظ العهد مُعْتنيـــا
ولا يعامل في البحران بالشطـــط
فأنـــت عنـــدي أولى من أذمـــة رُ
بَحي ومن صفوتي في أرفع النمط
قد طال شوقي للإعلام منك بمـــا
لديـــك إذ فيه لي تأنيس مغتبـــط
وقد تبـــت بنكري في التغافل عن
معهود ما كنت تُوليه لذي الشَّحط
وقد عفا رسم عرفان الإخاء بمـــا
أوليت من كثرة الإهمال والغلـــط
جَبرُ[1] أخي وَهْيَهُ وارجع لصالح ما
عودت في الكَتْب من مستحسن الخطـط
وجُدْ ببســـط انبساط أنت تبذلـــه
فإِنَّ أقبـــح شيء قبـــض منبســـط

---

[1] جعلها د. طويل: ((اجْبُر)).

خذ[1] سلاماً كعرف المسك نفحتـــه
من ذي ولاءٍ بذاك المجد مغتبـــط
وفي مفاتحة بعض الأُدباءِ [2]:
أبا جعفر وافَتْك في صفحة الطرس
عقيلـــة وُد لم تُشِنْها يد اللمـــس
لها حُلل الإخلاص زِياً وحَلْيُهـــا
عطر ثنا عَرْف روض الربى يَنْبسِ[3]
وموجبها ما قد فـــشى من مَحامد
حباك بها الرحمن ذو العرش والكـــرسي
وغُرٌّ علوم حزتها ومعارف غلوت بهـــا
فـــحي عـــلى البـــدر والشمـــس
فإن رُزِقَتْ منك القبول تشرَّفــت
وفازت بتحصيـــل المسرة والأُنس

---

[1] أضـاف د. طويـل ((الـواو))؛ فأضحت: ((وخـذ)).
[2] البحـر الطويـل.
[3] هـذا الشطـر مختـل.

خطابك يا قاضي العدالة بغيــتي

وروحي وريحــاني وقصوى منى نفــسي

إقتضبتها أعلى الله قدرك، كما أسنى في سماء المعارف والأدب التالد والطارف بَدْرك، عن ودّ ملك زمامي، وفضل في سبيل المنافسة في خطبة ودادك غاية اهتمامي، وقد تقرر لدي من محاسنك وإحسانك بالسماع ما أوجب عليَّ مخاطبتك عند تعذر المشافهة بألسنة اليراع، فانقدتُ بزمام ذلك الواجب، وقصدتُ أداءه على أصح المذاهب، راجياً من تجاوزك وإغضايك ما يليق بباهر علايك، وفي جوابك هو الشفاء، ولدى خطابك يلقى الاعتناءُ والاحتفاء، والله يطلع منك السّار، ويصل لك المبار. وقال يخاطب السلطان [1]:

---

[1] البحر الطويل.

إلى الحضرة العليا[1] يستبق العبــد
وفي القرب سنها والدنّو هو القصد
إلى حضـــرة الولي الإمارية التي
تبلَّـــح فيها العـــدل وابتسم السعــد
وفيهـــا وجـــود[2] للديـــن والدُّنـــا
وقد خصَّها بالرحمة الصَّمد الفـــرد

وفاته

كان حياً في سنة خمس وستماية [3].

***

[1] أضـاف د. طويـل الهمـزة في آخـر الكلمـة؛ فغدت: ((العليـاء)).
[2] أضـاف د. طويـل كلمـة((المـرء)) بعد وجـود؛ فأضحـت: وجـود المـرء للديـن...))
[3] الموافـق لـ 1208م.

علي بن أحمد

ابن محمد بن يوسف بن عمر الغساني؛ [1] من أهل قرية أرينتيرة؛
من قرى سند مدينة وادي آش؛ يكنى أبا الحسن .

حاله

كان من جلّة الطلبة ونبهائهم وأذكيائهم وصلحائهم. عنده معرفة بالفقه ، ومشاركة في الحديث ومعرفة بالنحو والأدب. وحسن نظم ونثر، من أحسن الناس نظماً للوثائق، وأتقنهم لها. وأعرفهم بنقدها، وأقصدهم لمعانيها يستعين على ذلك بأدب وكتابة، فيأتي بأشياء عجيبة.

---

[1] كتب في هامش اللوحة 327 من المخطوط ما يلي: ((قلت: وستأتي قريباً بعد سبعة [هكذا]تراجم: ترجمة علي بن أحمد الغساني؛ شارح مسلم؛ واسمه كاسم هذا المترجم به هنا، وكذا اسم أبيه وجدّه وأبي جدّه. ويوافقه أيضاً في النسب والبلد والكنية والشيوخ والتواليف. ولا أظنهما إلاّ شخصاً واحداً؛ بل ربما يكاد أن يقطع بذلك. فتأمل ذلك؛ والعلم عند الله. وقد ذكرهما ابن فرحون في "الديباج" شخصين؛ وعرفهما كما فعل ابن الخطيب. فتأمل ذلك والعلم عند الله. وكتب أحمد بن أحمد بن حمد بن عمر المسنوي الأنصاري. وختم الله تعالى له ولوالده بالخير والحسنى)).

مشيخته

روى عن الراوية **أبي العباس الخروبي**، والمقري **أبي الحسن طاهر بن يوسف بن فتح الأنصاري**، والقاضي **أبي محمد بن عبد الرحيم الخزرجي**.

تواليفه

ألف كتاباً في **شرح المُسْند الصحيح لُمسْلم بن الحجاج** في أسفار كثيرة، أجاد فيها الإجادة. وله كتاب سماه **بـ((الوسيلة في الأسماء الحسنى)). ونظم في شمايل النبي** عليه أفضل الصلاة والسلام.

شعره

له شعر في الزهد وغيره فمنه قوله [1]:

أيا كريماً لم يُضَع لديك عبد أَمَّلك
بالباب من أنت له وودَّ أن لو كان لك
عبدٌ له أسولة وليستحي أن يسألك

---

[1] **مجزوء الرجز.**

أفواههـــــم تسلـــــه ولــم تحســن عملـــك
فـــإن[1] أنــت خنتـــه أمانــــة قــد حمَّلـــك
ولــم تكــن تشكــر مــا من فضلــه قــد خوَّلــك
وكلمــــــا أهملتـــــه من حقّــــه مــا أهملــك
إنَّــا كمـــا قالــوا ســوى أنــك أعــلى مــن ملــك
تلـــك الــتي تؤنســـــني وترتـــجي بفضـــــلك[2]
بشراي إن نـــال الرضـــا بهــــــا[3] توسُّلـــك

***

[1] حذف د. طويل كلمة: ((فإن)). ووضع بدلها كلمة: ((ألست)).
[2] جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((وترتجي من فضلك)).
[3] أضاف د. طويل كلمة: ((فقد))؛ فغدا الشطر هكذا: ((بها فقد توسلك)).

فهرس الموضوعات والتراجم

(القسم الرابع)

تذكير

هذا ختام القسم الثالث من كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للكاتب المعجزة والشاعر المبدع ذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب.

ويلي هذا القسم الرابع، القسم الخامس، الذي يبدأ بترجمة علي بن محمد علي بن هيضم الرعيني.

((الناشر))